صفحات من تاريخ نجد

إمارة العيينة
وتاريخ آل معمر

تأليف

عبد المحسن بن محمد بن معمر

تقديم

علامة الجزيرة العربية الشيخ

حمد الجاسر

دار المريخ

صفحات من تاريخ نجد

إمارة العيينة وتاريخ آل معمر

تأليف

عبد المحسن بن محمد بن معمر

تقديم

علامة الجزيرة العربية الشيخ

حمد الجاسر

رحمه الله



ص.ب : ١٠٧٢٠ - الرياض : ١١٤٤٣ فاكس ٤٦٥٧٩٣٩
المملكة العربية السعودية - هاتف : ٤٦٤٧٥٣١/ ٤٦٥٨٥٢٣ + (٠٠٩٦٦١)



حضرة صاحب الجلالة المغفور له بإذن اللّه

الملك عبد العزيز آل سعود



خادم الحرمين الشريفين الملك

فهد بن عبد العزيز آل سعود



صاحب السمو الملكي

الأمير عبد الله بن عبد العزيز

ولي العهد ونائب رئيس مجلس الوزراء

ورئيس الحرس الوطني



صاحب السمو الملكي

الأمير سلطان بن عبد العزيز

النائب الثاني لرئيس مجلس الوزراء

ووزير الدفاع والطيران والمفتش العام



صورة تذكارية
المؤلف مع صاحب السمو الملكي
الأمير سلمان بن عبدالعزيز آل سعود
أمير منطقة الرياض والرئيس الفخري للجمعية التاريخية السعودية



الشيخ حمد الجاسر

رحمه اللّه

يدُ مع المؤلِّف ويدُ على المؤلَّف ١٤١٦هـ

شكر وعرفان

أتقدم بادئ ذي بدء بالحمد والشكر لله سبحانه وتعالى الذي أعانني على إنجاز هذا الكتاب .

ثم أتوجه بعميق الشكر وعظيم الامتنان إلى صاحب القلب الكبير والعقل الواعي والنظر الثاقب صاحب السمو الملكي الأمير سلمان بن عبد العزيز أمير منطقة الرياض والرئيس الفخري للجمعية التاريخية السعودية - يحفظه الله ـ . هذا الرجل النابغة الذي يجمع إلى جانب صفاته القيادية الفذة وخبرته العميقة قدرات فكرية وأدبية وثقافية ، تجعل المرء أمام شخصية فريدة حقًا تمنحه الآراء البنّاءة والتوجيهات القيّمة ، وتقوّي عزمه نحو المزيد من العطاء والإبداع والمثابرة .

وللحقيقة ، فإن الأوقات الثمينة التي قضيتها مع سموه الكريم في مكتبته الثقافية الكبيرة بقصره العامر قد أعادت إلى ذهني ذكريات الدراسات العليا بأساتذتها وحواراتها ومناقشاتها ومكتباتها وعبق الحرف والحبر والورق .

لقد امتلكتني مشاعر الإعجاب بشخصية سموه ، خاصة من ناحية حبه للقراءة والبحث والاطلاع ، وهذه صفة مميزة من صفات القادة العظماء الذين تبقى بصماتهم مطبوعة على صفحات التاريخ .

فله مني جزيل الشكر وعاطر الوفاء وخالص الامتنان على دعمه المتواصل لإخراج هذا الكتاب إلى حيز الوجود .

وأدعو بالرحمة والغفران لعلامة الجزيرة العربية الشيخ / حمد الجاسر الذي اطلع على هذا الكتاب ، وتكرَّم بإعداد مقدمة له . والشكر موصول للدكتور / عبد الله العثيمين الذي راجع الفصل التاسع من الكتاب .

كما أشكر جميع الذين وقفوا معي في المكتبات ومراكز المعلومات ، والأصدقاء والزملاء الذين أفادوني بآرائهم وملاحظاتهم .

والله الموفق ، وهو الهادي إلى سواء السبيل .

المؤلِّف

عبد المحسن بن معمر

إهــــداء

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على الهادي الأمين ، وبعد :

فإلى والديَّ الكريمين ، اللذين ربياني صغيراً ، وأغدقا عليَّ العطف والرعاية إلى أن صرت يافعاً ثم كبيراً . . . واعياً بأمور الدنيا . . . أعطياني من نبع حنانهما الفياض . . . بلا حدود حتى أصبحت عاجزاً عن الوفاء بما طوقا به عنقي . . .

إليهما أهدي بعض ثمار غرسهما ، ورحيق نبتهما . . . امتناناً ووفاءً ، واعترافاً بفضلهما . . .

فلقد كان لوالدي يرحمه الله ، الفضل بعد الله سبحانه وتعالى ، في بعث الهمَّة لإنجاز هذا العمل ، منذ أن كان فكرة تخامر ذهني ، وظل حتى الرمق الأخير يُوجهني ، ويُرشدني ، ويُحفزني ، ويمدني بالكثير من المعلومات التي تسهم في إخراج هذا العمل إلى حيز الوجود . . . وكنت أتمنى أن يراه حين تطالعه الأعين . . . وتتداوله الأيدي .

إلى أهالي العيينة . . . وجميع أبناء أسرتي . . . ومحبي البحث العلمي . . . وراغبي المعرفة . . . أهدي هذا الجهد . . . وهو جهد المقل فيما بذل . . . راجياً أن يحظى بالرضا والقبول . . . مع المعذرة في التقصير . . . والله من وراء القصد ، وهو الهادي إلى سواء السبيل .

المؤلف ..

(أ) المحتويات

(ب) الخرائط والأشكال

الرقم | الموضـــوع | رقم الصفحة

(جـ) فهرس الجداول

الرقم	الموضوع	رقم الصفحة

(د) الصــور

رقم الصورة	الموضوع	رقم الصفحة

تقـديم

بقلم الشيخ / حمد الجاسر رحمه الله

سُررتُ حين تصفحت هذا الكتاب ، الذي ألفه الابن الكريم ، الأستاذ عبد المحسن بن محمد بن عبد العزيز بن معمر عن « إمارة العيينة وتاريخ آل معمر » .

ومبعث السرور ناشئ عن أمور :

أولهـا : ما أدركته بعد تَصَفُّحِه من اتجاه مثقفي شباب هذه البلاد لدراسة تاريخها ، دراسةً مبنيةً على أسس صحيحة من المعرفة ، وعمق البحث ، ومحاولة الاستقصاء ، وعدم التأثر بالعواطف عند إبراز الحقائق ، وذلك لإظهار ذلك التاريخ بصورة مشرقة ، توضح ما لماضي أمتنا من جليل الأعمال النافعة ، ليقتدي بها الخلف ، وليسيروا على النهج الحميد الذي اختطه آباؤهم وأجدادهم ، بأخلاقهم الحميدة ، وأفعالهم الكريمة .

الأمر الثاني : إن العناية بتاريخ الأمة بصفة عامة في هذا الوقت تُعَدُّ صحوةً من إغفاءة طال أمَدُهَا . فنشأ عن ذلك جهل كثير من جوانب الحياة في الماضي ، وفيها ما هو جدير بالرسم والاقتداء والاقتفاء ، إذْ حاضِرُ الأمة يجب أن يكون ذا ارتباط وثيق بماضيها المشرق المجيد ونبراساً لمستقبل حيَاتها .

الأمر الثالث : أنني وأنا أقرأ بعض صفحات من هذا المؤلف بإمعان ، أدركت ما بذله مؤلفه من جهدٍ بتدوين ما فيه من حقائق تاريخية ، وعلى مثل هذا الأمر تقوم الصلة بين القارئ وبين المؤلف ، فمتى قويت الثقة بينهما برز أثر العمل .

ولقد كان من أثر قيام الدعوة الإصلاحية لتطهير العقيدة الإسلامية عما أُلصِقَ بها من ضلال وبدع وخرافات في منتصف القرن الثاني عشر الهجري بدعوة الإمام المجدد الشيخ محمد بن عبد الوهاب – رحمه الله – إلى ذلك ، بمؤازرة الأئمة من (آل سعود) ومناصرتهم ، أن استقام لهذه الأمة كيَانٌ في هذه البلاد ، قائم على أسس وقواعد من العلم والمعرفة ، وكان من أثر ذلك اتجاه علمائها لكل ما يتعلق بالعلوم الشرعية التي توضح غايات تلك الدعوة ، وتبين أسسها ، وترسي قواعد

أصولها ، فكان لهم في ذلك الشغل الشاغل الذي صَرَفَهُمْ عما عداه ، ولهذا قَلَّ الاهتمام بالعلوم الأخرى ، كالتاريخ والأدب وغيرهما ، إلا بجوانب يسيرة ذات ارتباط بأصول الدعوة ، وإنْ وُجِد من يتجه إلى تلك العلوم ، فإن الغاية من هذا الاتجاه تكاد تنحصر فيما لَه صلة بها ، وقد كان المهتمون بالجوانب التاريخية من أولئك العلماء ، في خلال قرنين من الزمان على جانب من القلة منذ قيام تلك الدعوة بحيث لم يتجاوزوا عدد الأصابع ، وكان أبرزهم عالمين جليلين ، هما الشيخ حسين بن أبي بكر بن عبد الله بن غنام (١١٥٢/ ١٢٢٥هـ)[1] صاحب كتاب «روضة الأفكار والأفهام ، لمرتاد حال الإمام ، وتعداد غزوات ذوي الإسلام» والشيخ عثمان بن عبد الله بن بشر (١٢١٠/ ١٢٩٠هـ) صاحب كتاب «عنوان المجد في تاريخ نجد» ثم بعدهما الشيخ إبراهيم بن صالح بن عيسى (١٢٧٠/ ١٣٤٢هـ)[2] في تتمته لتاريخ ابن بشر ، وفيما ألحق به من فوائد تاريخية ، يبدو أن المنية قد عاجلته قبل ترتيبها كدراسة تتعلق بالتاريخ والأنساب .

ولقد حاول ابن بشر أن يضيف إلى كتابه ذكر بعض الحوادث التي لا ارتباط لها بما كانت الغاية من تأليفه ، فأضاف إليه ما دعاه (السوابق) إلاَّ أن ما ذكر منها لا يعدو إشارات مجملة ، حدثت في فترات قصيرة من الزمن ، لا تتجاوز القرن الثامن الهجري ، وهي في الوقت نفسه أشبه بالرموز والألغاز من حيث الاختصار ، وعدم وضوح كثير من عباراتها ، بل ليس من المبالغة القول بأن الحوادث التي سجلها في تاريخه قاصداً استيعاب ما يتصل بالدعوة الكريمة من تاريخها ، وردت غير مستوفاة ، يتضح هنا بالاطلاع على ما أُلِّفَ عما يتصل بها فيما كتبَ علماءُ معاصرون لتلك الحوادث ، في بعض الأقطار كالحجاز واليمن والعراق .

وليس المراد من هذا الغضَّ من قدر الشيخ ابن بشر - رحمه الله - في عمله ، ولكن لإظهار حقيقة يدركها كل معني بدراسة التاريخ والرجوع إلى مؤلف «عنوان المجد» في ذلك .

وحين أنعم الله على هذه البلاد في عهدها الأخير ، حيث قام الإمام

(١) انظر : «العرب» - س ٢٣ ص ٢٠٥ .
(٢) مقدمة «تاريخ بعض الحوادث الواقعة في نجد»

الـملـك عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود - تغمده الله بواسع رحمته - بمؤازرة المخلصين من أبنائها ، وانضوائهم تحت لوائه ، لتوحيد أجزائها ، ثم بتوطيد الأمن في ربوعها ، والسير بها في مدارج التقدم لكل ما فيه خيرها ورفعتها ، وكان من أهم ذلك انتشار التعليم في مدنها وقراها ، بعد أن منَّ الله على أولئك السكان في تلك الأقطار على تباعدها بالتآخي والتآلف ، والتساعد على الخير ، والتعاون على البر والتقوى ، في جميع ما يحقق لهم ما يطمحون إليه مما فيه صلاح أحوالهم ، وفلاحهم في أمور دينهم ودنياهم .

ولقد قام خلفاء الملك عبد العزيز من أبنائه البررة خير قيام باقتفاء سلفهم بمواصلة السير على نهجه الحميد ، بل ببذل الجهد في فعل كل ما يعلي شأن الأمة ، ويرفع مكانتها ، ويبلغها ما تطمح إليه من عز وسعادة ، وما يتطلع إليه كل محب للخير والإصلاح في هذه البلاد .

وكان من أولى الأمور في ذلك الاهتمام بتعميم التعليم ونشره ، والتدرج به إلى مرتبة الكمال ، من أوْلى مراحله ، حتى إنشاء الجامعات السبع ، في كبريات مدن المملكة ، فكان من ثمارها النافعة هذا الشباب ، الذي نهل من صنوف المعرفة ، ونال من مختلف أنواع العلوم ، ما هيأه للقيام بتوجيه حياة أمته وجهة تطمح إليها ، وتتطلع لبلوغها بكفاءة منه ومقدرة علمية ثابتة .

وها هي أعمال أولئك الشباب الواعي المثقف ، لا تقف عند ناحية من نواحي بناء هذا الوطن ، ولا تختص بجانب من جوانب الحياة فيه ، بل تشملها كلها ، وهذا مما يفعم النفوس غبطةً وسروراً ، ويملأ الجوانحَ أملاً وتطلعاً واستبشاراً بأن يحقق الله لهذه الأمة أسمى غاياتها ، وأشرف مقاصدها ، بتوجيه هذا الجيل المثقف من أبنائها ، بما يبذلون في بناء حياتها بسعي متواصل ، وبجدّ ودأب وإخلاص ، على أسس ثابتة من العلم والمعرفة ، وبحوافز منبعثة عن نزاهة وتجرد عَن كل ما لا يهدف للمصلحة العامة .

والأستاذ عبد المحسن - مؤلف هذا الكتاب - ممن نهل من نمير المعرفة ما أهله ليتجه لهذه الجهة الحميدة ، القوية الصلة بجانب اختصاصه العلمي (تخرج في كلية التربية في جامعة الملك سعود) فقد أدرك - كغيره من مثقفي هذه البلاد - شدَّةَ

الحاجة إلى كشف ما لا يزال مجهولاً من تاريخها ، وشَعَرَ كغيره من إخوانه بأن عليه بذل الوسع في هذا السبيل فكان أن قدم للقراء هذا الكتاب الذي سجل فيه من المعلومات عن بلدته (العيينة) التي هو من ألصق الناس بها ، ومن أعرفهم بأحوالها ، لا عن ثقة واطمئنان بأنه قدم ما يجب تقديمه عنها وعن أسرته ، ولكنه خير ما استطاع من ذلك ، ولهذا فهو لا ينبغي أن يُلاَم على تقصير إن قَصَّر ، ولا أن ينظر إلى ما قد تجاوز فيه - إن تجاوز - نظرةً تتعدَّى حسن الظن ، بل ينبغي أن يحمل ذلك على أحسن محمل .

ولقد تصفحت الكتابَ تصفُّحاً عابراً فاتضح لي أن المؤلِّف حاول ما استطاع تسجيل ما عرف من الحوادث غير متأثر بعاطفة أو ميل ، بل نسبها إلى مصادرها ، فخرج من عهدتها ، ومرت بهِ مواقف شائكةٌ أثناء سرد تلك الحوادث ، ولكنه مَرَّ بها في سهولة ويسر (مرور الكرام) .

وقد يؤخذ عليه التوسُّعُ في المباحث الجغرافية - بصفة عامة - إذ الجهة التي تحدث عنها - وهي جزء من منطقة واسعة - قد كُتب عنها الكثير في هذه الناحية ، ولعل له عذره في ذلك ، وإن كنت أرى هذا الجانب أوشك أن يطغى على الجوانب الأخرى ، وخاصة الجانب التاريخي .

لقد اتضح لي أثناء دراستي لتاريخ نجد في عهد الدولة الأموية حين استقل نَجْدَةُ ابن عامر الحنفي بحكم هذه البلاد ، واتخذ بلدة (أباض) قاعدة لذلك الحكم ، استمرت بضع سنوات ، اتضح لي أن (العُيَيْنَةَ) في الأصل متصلة بتلك البلدة ، وقد تكون إحدى محلاتها الشرقية ، مما يثبت قدم تاريخها ، وقد تحدثت عن (أَبَاض) بتوسع في كتابي « إبراهيم بن عربي موطد الحكم الأموي في نجد » .

من هنا أرى ارتباط تاريخ البلدتين (أباض) و(العُيَيْنَةَ) فالبلدة القديمة في الغالب لا تزول من الوجود ، بل يتغير عمرانها تغيراً ينشأ عنه تغيير اسمها إلى اسم حديث ، كالحال في مدينة (حَجْر) ومدينة (حايل) وغيرهما من المدن .

ولن آخذ على المؤلف محاولة استقصاء كل ما يعرف عن أسرته (آل معمر) هذه الأسرة الكريمة ، الجديرة بأفعالها الحميدة أن يُشاد بذكرها ، ولو لم يكن من مواقفها التاريخية سوى مناصرتها للدعوة السلفية في أول أمرها ، ثم بإنضرائها في ذلك تحت

لواء الدولة السعودية الكريمة ، في جميع أدوارها ، مما حمل ملوك هذه الدولة على تقدير رجالات تلك الأسرة ، بإسناد أرفع المناصب إليهم ، وتلك سجيّتُهُمْ مع ذوي الفضل والنبل من الأسر الأخرى .

وإذن فالإشادة بذكر (آل مُعَمَّر) بالنسبة لكل مَعْنيٍّ بتاريخ هذه البلاد من الأمور المحمودة .

أما بالنسبة لأحد أبنائها بتأليفه هذا ، فما إخاله تجاوز الحدَّ متأثراً بالعاطفة ، وإن كان مثل هذا مما جُبِلَتْ عليه النفوس في مثل هذه المواقف .

مهما يَكُن الأمر فالأستاذ عبد المحسن قَدَّم للقراء عن بلدته وعن أسرته ما يتطلعَ إليه كل معني بتاريخ هذه البلاد من جميع نواحيها ، حسب إدراكه .

ولقد قلت في مناسبة مماثلة حين قدمت أحد المؤلفات ما خلاصته : (لقد تمنَّيْتُ وما زالت هذه الأمنية في نفسي - أن يوفقَ الله المعنيين بالدراسات التاريخية والجغرافية والاجتماعية ، لكي تنال كل مدينة من مدن هذه البلاد ، بل كل قرية ذات ميزة بارزة ، في أحد جوانب حياتها في مختلف أطوار تاريخها ، تنال من البحث والدراسة ما يمكّنُ من إبراز تلك الجوانب التي تُمدُّ ناشئة الأمة بما ينبغي أن يعرفوه عن بلادهم ، مما يزيدهم بها اعتزازاً وقوة ، ويحفزَ هممهم لمواصلة جهودهم النافعة للعمل في مختلف الجوانب الحيوية) .

وما أضيفه هنا هو أنني أرى في عمل الابن الكريم الأستاذ عبد المحسن من خلال هذا الكتاب باكورة ، ثمرةٍ طيبةٍ أرجو وآمل أن يكون لما بعدها من ثمار عمله الطيبة ما هو أعَمُّ نَفْعاً وأجزل فائدة .

والله يتولى الجميع بتوفيقه ،،،

حمد الجاسر



مقدمة

الحمد للّه والصلاة والسلام على رسول الله . وبعد :

فلقد برزت إمارة العيينة ولعبت دوراً مؤثراً في الأحداث في قلب الجزيرة العربية ، بدءاً من النصف الثاني من القرن التاسع الهجري وبلغت أوج قوتها في القرنين الحادي عشر والثاني عشر الهجري وأصبحت خلال هذه الفترة أقوى الإمارات الإقليمية في نجد تحت زعامة أمرائها آل معمّر .

رغم أهمية دور الأسرة المعمرية في الأحداث النجدية إلا أنها لم تنل حقها من الدراسة والبحث عدا بعض الإشارات العابرة في المصادر التي تتعلق بتاريخ نجد والدعوة الإصلاحية فيها على يد المجدد الشيخ محمد بن عبد الوهاب .

قال الشيخ حمد الجاسر عن آل معمّر : « هم أمراء نجد خلال القرنين الحادي عشر والثاني عشر» وأردف قائلاً : « وللأسرة المعمرية (آل معمر) من الأثر القوي في تاريخ نجد ، ما هو جدير أن يفرد في التأليف»[1] .

كما أن المعلومات الغزيرة التي سمعتها من والدي[*] رحمه اللّه ، ومن بعض كبار السن من الأسرة عن العيينة وأهلها جعلتني أميل إلى تسجيلها وتدوينها .

كما تيسر لي الوقوف على كتب ومخطوطات فيها معلومات ذات قيمة كبيرة عن أسرتي . ورغم توفر هذه المعلومات إلا أنني عانيت من جمع الجمل المتفرقة والأحداث المختلفة وتأليفها وربط بعضها ببعض حتى خرجت ترجمةً مفيدةً وحدثاً مترابطاً .

---

(١) الجاسر ، حمد : جمهرة أنساب الأسر المتحضرة في نجد ، القسم الثاني ، الطبعة الثانية منشورات دار اليمامة ، الرياض ، ١٤٠٩هـ ، ص ٧٧٦-٧٧٧ .

(*) سبق وأن حل والد المؤلف - رحمه الله - ضيفاً على جريدة الجزيرة في العددين رقم ٧٧٤٣ ورقم ٧٧٥٠ عام ١٤١٤هـ في صفحة ضيف الجزيرة تطرق فيها إلى بعض المعلومات عن العيينة وآل معمر .

وكان لندرة ما كتب في بعض الحقب الزمنية عن العيينة وآل معمر أن شكل عائقاً كبيراً أمامي حدَّ من قدرتي على تناول الدراسة بشكل متكامل وطريقة مرضية ، وفي محاولة لسد النقص الحاصل في المعلومات المدونة المتعلقة ببعض الحقب اعتمدت على الرواية الشفهية من ثقات الأسرة وهي أخبار صحيحة لم تدون ، ومن جهة أخرى اطلعت على جل وثائق الأسرة من وصايا وهبات وأعطيات وشهادات ومبايعات وغيرها من الوثائق وتمت مقارنتها مع ما يتناقله ثقات الأسرة ، فكانت مطابقة إلى حد كبير ، وبنسبة عالية ، مما زاد ارتياحي واعتمادي على أقوالهم والأخذ عنهم .

ثم إنني رأيت أن أعطي تاريخ العيينة القديم جزءًا من هذه الدراسة حيث تطرقت لتاريخها قبل الإسلام وفي صدره وحتى العصر الحاضر حسب ما توفر لي من معلومات .

ولأهمية جغرافية الأرض التي قامت عليها هذه الحضارة وتلك الأحداث ، فقد تناولت جغرافية العيينة بالاعتماد على الدراسة الميدانية لحوض العيينة ، فقمت بعدة زيارات متتابعة على مدى ثماني سنوات لحوض العيينة « أوديته وجباله ومساكنه ومزارعه» كما تتبعت بقايا الآثار المتمثلة في أطلال المباني القديمة والأسوار والآبار وهندسة السيول من مطاوي ومدرجات وغيرها ، وسجلت ملاحظاتي الميدانية وعملت الخرائط لحوض العيينة وللمدينة نفسها وقراها مثل الجبيلة وهجرة بوضة ، وأخذت مايزيد عن (١٦٠٠) ألف وستمائة صورة فوتوغرافية ، وبعض هذه الصور كنت قد صورتها منذ ثلاثين عامًا والأغلب خلال الأعوام الأخيرة .

واعتمدت على بعض الخرائط والبيانات والإحصاءات والتقارير ، والتي استقيتها من مصادرها ، وتكاد تكون الدراسة قد شملت أغلب الأجزاء الجغرافية لحوض العيينة ، ولذلك قسمت هذه الدراسة إلى اثني عشر فصلاً مسبوقة بإهداء وشكر وتقديم بقلم الشيخ حمد الجاسر رحمه الله ومقدمة ثم يعقب محتوياتها خاتمة فثبت للمصادر والمراجع فملحقان للصور وثالث للخرائط ؛ وذلك على النحو التالي :-

الفصل الأول : يتناول البيئة الطبيعية للعيينة من حيث التكوين الجيولوجي

وتضاريس المنطقة ومناخها ومواردها المائية وتربتها ثم يتطرق للنباتات الطبيعية والحيوانات البرية فيها .

وأما الفصل الثاني : فيتناول سكان العيينة من حيث تطور النمو السكاني ، وتوزيع السكان وتركيبهم وحيويتهم ، كما يتطرق للأسر التي سكنت العيينة قديماً وفي العصر الحديث .

والفصل الثالث : يتناول الناحية العمرانية للعيينة ويستعرض نشأة العيينة ونموها العمراني واستخدام الأرض في العيينة .

والفصل الرابع : يتناول النشاط الاقتصادي لسكان العيينة في القديم والحديث ، مُركِّزاً على النشاط التجاري والانتاج الزراعي والصناعات والحرف والحياة النباتية والرعوية ويتطرق إلى مصادر الاقتصاد الأخرى وأوجه الانفاق في العيينة في عهد أمرائها آل معمر .

والفصل الخامس : يوضح صورة متكاملة لمعالم العيينة القديمة كقبور الصحابة وأسوار البلد ومسجدها القديم وقصر الأمير عثمان بن معمر وحكر ابن معمر ، وعين ابن معمر ، ثم خرز عين مصيقرة ، وأخيراً المراقب ، وكذلك بعض معالم العيينة الحديثة ككلية الملك عبد العزيز الحربية والقرية الشمسية ، وأنابيب الزيت .

والفصل السادس : خصص لنتعرّف على بعض الدوائر الحكومية في العيينة ، كالإمارة والشرطة والبلدية وهيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والمحكمة والتعليم .

والفصل السابع : يقدم نبذة موجزة عن تاريخ العيينة قبل الإسلام وحتى عام ٨٥٠هـ .

والفصل الثامن : تركز الدراسة فيه ابتداءً على تاريخ إمارة العيينة بين عامي ٨٥٠ - ١١٧٣هـ من حيث تأسيس الإمارة - نسب الأسرة المعمرية - أمراء العيينة - وأهم أعمالهم والأحداث التي جرت في عهد كل منهم - علاقة إمارة العيينة بالقوى المحلية والإقليمية - وأخيراً أبرز علماء وقضاة العيينة قبل الدعوة الإصلاحية من خلال المصادر التي استفادت منها الدراسة .

والفصل التاسع : يتناول الدعوة الإصلاحية وموقف آل معمر منها وتطرّق لنسب الشيخ محمد ورحلاته العلمية وبدء الدعوة ثم عودته للعيينة وأعماله فيها ، وبدء المعارضة له في العيينة ، ومغادرته لها ووصوله للدرعية ، ثم مرحلة تطبيق الجهاد ودور العيينة في ذلك ، ومقتل الأمير عثمان بن معمر ، وموقف الأمير مشاري بن معمر من الدعوة ثم ولاء أهل العيينة للدعوة .

والفصل العاشر : يتناول فترة سقوط الدرعية عام ١٢٣٣هـ على يد إبراهيم باشا ومشاركة آل معمر في الدفاع عنها ، كما يتناول حالة نجد إثر سقوط الدولة السعودية الأولى وإعلان إمارة محمد بن معمر في الدرعية وخلافه مع مشاري ابن سعود على السلطة ، وظهور الإمام تركي بن عبد الله واسترداده الحكم ومقتل ابن معمر ، كذلك دور آل معمر في أحداث نجد ما بين عامي ١٢٣٦-١٣١٨هـ .

والفصل الحادي عشر : يتناول مشاركة آل معمر في توحيد البلاد مع الملك عبد العزيز ، وتراجم لأمراء الأسرة المعمرية منذ عهد الملك عبد العزيز حتى الوقت الحاضر .

وأمّا **الفصل الثاني عشر** : فيتناول تراجم لبعض أعيان أسرة آل معمر . وبنهاية هذا الفصل تنتهي فصول هذه الدراسة .

وسيجد القارئ الكريم بعض التكرار وهو أمر اقتضته مواقف وأحداث بعينها وحرصت على أن لا يخل ذلك بتتابع الأحداث وانسيابها .

وإني لآمل أن يسهم هذا الجهد المتواضع بما حواه من مادة علمية أولية وما بذل فيه من استقصاء وتحليل واستنتاج في سد ثغرة مهمة من تاريخ بلادنا الغالية ، وفي إضافة لبنة جديدة إلى المكتبة السعودية بشكل خاص والمكتبة العربية بشكل عام ، وأن يكون مدخلاً ودافعاً لظهور دراسات لاحقة تثري تاريخ بلادنا الغالية .

وما توفيقي إلا بالله . . .

المؤلف

تمهيد

لقد قامت في العيينة - قبل عدة قرون - إمارة إقليمية كان لها سيطرة على الأوضاع في المنطقة لفترة طويلة ، فأين تقع العيينة؟ وما سبب تسميتها؟ وما أهم قراها؟ . وللإجابة عن هذه التساؤلات نقول :

الموقع :

تقع مدينة العيينة شمال غربي مدينة الرياض ، وتبعد عنها بمسافة ٤٠ كيلاً ، ومن حيث الموقع الفلكي فهي تقع حول تقاطع خط طول ٤٣ً,٢٢َ,٤٦° شرقاً وخط عرض ١٨ً,٥٤َ,٢٤° شمالاً[(١)] .

سبب التسمية :

كانت العيينة تسمى بـ (العُيين) تصغير عين نسبة لعين الماء التي كانت تسقيها ، وذكرها الهمداني وهو من رجال القرن الرابع الهجري قال : « والعيين وهي لبني عامر »[(٢)] .

ومع مرور السنوات أضيفت لها تاء التأنيث لتعرف بـ « العُيينة » .

وسميت فترة من الزمن باسم « برقه » ثم انحصر هذا الاسم واقتصر على حي من أحيائها القديمة ، ومكانه الآن جنوبي شرقي القارة بين وادي حنيفة ورافده شعيب صفار وبقاياه واضحة لمن توسمها ، وتسمى العيينة بـ« ديرة النقى » قال حميدان الشويعر :

تفيض من الوادي على «ديرة النقى»   وحكم شيخ ما يصافي مناجسه

أهم قراها :

كانت إمارة العيينة تشمل كل المنطقة التي تضم الجبيلة والعيينة وسدوس

---

(١) الجمعية الجغرافية السعودية ، دليل المواقع الجغرافية السعودية ، الرياض : ١٤١٩هـ ، ص٤٥٢ .

(٢) الحسن بن أحمد الهمداني ، صفة جزيرة العرب ، منشورات دار اليمامة ، الرياض : ١٣٩٧هـ ، ص ٢٨٥ .

وحزوى وحريملاء وقد تصل أحياناً لملهم والقرينة والعمارية وأجزاء من قصور ضرما وذلك فيما بين عامي ٨٥٠هـ و ١١٧٣هـ . أما الآن فتقتصر قراها على الجبيلة وهجرة بوضة (أباض) قديماً .

الفصل الأول

البيئة الطبيعية

- التكوين الجيولوجي
- التضاريس
- مناخ العيينة
- الموارد المائية
- التربة
- النباتات الطبيعية والحيوانات البرية

الفصل الأول

البيئة الطبيعية

١ - التكوين الجيولوجي

تدخل العينة من الناحية الجيولوجية ضمن إقليم الصخور الرسوبية أو إقليم الرف العربي والذي يبدأ من نفود السر ونفود الدحي غرباً حتى الخليج العربي شرقاً ويمتد من الحدود الشمالية للمملكة حتى اليمن .

ولقد غمرت المياه قديمًا هذا القسم في فترات متعاقبة وأرسبت الصخور الجيرية والرملية والطفل والطين وأصداف الحيوانات البحرية على القاعدة الأركية القديمة وتعرضت هذه الصخور لعوامل التعرية لفترات طويلة ، ونظراً لتفاوت صلابتها كانت الصخور الأكثر صلابة ومقاومة لعوامل التعرية تكوِّن حافات أكثر ارتفاعاً من الصخور الأقل صلابة ومقاومة . وأكثر هذه الحافات أهمية جبال طويق في هضبة نجد[1] .

وتبدو الصخور الرسوبية على هيئة أقواس كبيرة من الغرب للشرق وممتدة من الشمال للجنوب .

والتكوينات الجيولوجية للعينة هي تكوينات صخرية من العصر الجوراسي الأعلى المنحدر من الزمن الثاني والتي تتكون من الحجر الكلسي والحجر الرملي

(١) محمود طه أبو العلا ، جغرافية شبه الجزيرة العربية ، مؤسسة سجل العرب ، القاهرة ، ١٩٧٥م ، ط٣ ، ج٢ ، ص٢٢ .

في معظمها مع بعض تكوينات الزمن الرابع التي تغطي المنطقة السهلية وهي رواسب سطحية غير متماسكة من طمي وحصى ورمل والتي تنتشر وسط مجرى وادي حنيفة وعلى ضفافه .

ويمكن تقسيم التكوينات الصخرية للعيينة مرتبة حسب الأقدمية إلى :

تكوين طويق :

لقد أطلق هذا الاسم على الطبقات التي تكون جبل طويق ، ويحتوي هذا التكوين على طبقات صلبة من حجر جيري متكاثف ومتماسك أبيض اللون تتألف منه بعض الجروف الكبرى من جبل طويق ، ويشتمل على وحدة قاعدية من المرل وفي بعض الأماكن طبقات قليلة ورقيقة من الكلكارينايت ويعود هذا التكوين إلى العصر الكالوفي [(١)] . ويصل سمك تكوين طويق إلى حوالى ٢٠٣ متراً ، وامتداد هذا التكوين شرقاً يحتوي على كميات كبيرة من البترول في حقول المنطقة الشرقية [(٢)] .

تكوين حنيفة :

أطلق اسم حنيفة على هذا التكوين نسبة إلى وادي قبيلة بني حنيفة إذ يمتاز قطاعه الجيولوجي بطبقات متتابعة من الحجر الجيري وطبقات صغيرة من المرل وحجر الطفل ، وصخوره لينة نسبياً وتوجد في هذا التكوين أحافير المرجان ، ويصل سمك هذا التكوين إلى ما يقارب ١١٣ متراً وهو غني بالمياه (كما أثبتت الدراسات في حقول المنطقة الشرقية أن الأجزاء العليا من تكوين وادي حنيفة تحتوي على كميات هائلة من البترول)[(٣)] . ومن المحتمل أن يعود هذا التكوين إلى العصر الأكسفوردي [(٤)] .

---

(١) خريطة جيولوجية للوحة طويق الشمالي ، خريطة رقم A ٢٠٧-١ .

(٢) إمارة حريملاء ، دراسة جغرافية ميدانية ، جامعة الإمام ، كلية العلوم الاجتماعية ، ق١ ، ص ٤٣ .

(٣) خريطة جيولوجية ، رقم A ٢٠٧-١ .

(٤) إمارة حريملاء ، ص ٤٤ .

تكوين الجبيلة:

أطلق اسم الجبيلة على هذا التكوين لبروز الطبقات المميزة له بالقرب من بلدة الجبيلة ، وصخور هذا التكوين تتشكل من حجر جيري متماسك وبعض طبقاته صلبة شديدة المقاومة والقساوة ، ويقربه من أعلاه بعض الوحدات من الدولومايت الرقيقة وتحتوي صخوره على أعداد كبيرة من أحافير المرجان ويصل سمك طبقاته إلى حدود ١١٨ متراً ويرجع هذا التكوين إلى العصر الكمرجي [١] . كما أن هذا التكوين يختزن كميات كبيرة من المياه بالإضافة إلى أن معظم حقول البترول في المنطقة الشرقية من المملكة تقع في الجزء العلوي من هذا التكوين [٢] .

---

(١) خريطة جيولوجية ، رقم ٢٠٧A-١ .

(٢) إمارة حريملاء ، ص ٤٧ .

٢- تضاريس العيينة

حوض العيينة:

يشمل حوض العيينة جميع الأودية والشعاب والروافد والمجاري المائية الصغيرة التي تنحدر مياهها إلى المنطقة السهلية في هذا الحوض لتنساب في مجرى الوادي بدءاً من وادي فهرين في « أعلى » وادي حنيفة غرباً إلى مدفع وادي الأبيطح في وادي حنيفة شرقاً .

حدوده:

يحد حوض العيينة من الشمال الأحواض التالية : حوض النظيم ، ومذهله ، وغبرية ، وحوض وتر (صلبوخ) وجنوبي حوض حريملاء ومن الغرب حوض البرة وحوض الحيسية الغربية ، ومن الجنوب حوض ضرما وحوض العمارية ، ومن الشرق حوض أبو السواكيف وحوض أبو الغضار أحد روافد قري الملقى ، وحدود حوض العيينة مع هذه الأحواض هي خطوط تقسيم المياه بينه وبينها .

مساحته:

تبلغ مساحة حوض العيينة التقريبية حوالي ٩٠٠ كيلاً مربعاً .

كيفية تكوينه:

تكون هذا الحوض نتيجة لنشاط عمليات التجوية وعمليات التعرية والتي استمرت آلاف السنين وبشكل خاص التعرية المائية والتي كانت نشطة في العصور المطيرة ونشط النحت المائي خلالها بفعل جريانه الكثيف حتى شكل الملامح الكبرى لهذا الحوض ، وخلال أزمنة وفترات الجفاف والتي ضعفت فيها أنشطة النحت المائي ازداد أثناءها نشاط التجوية والانهيارات الصخرية على حافات الحوض الذي كان لهما كذلك دور فعال في زيادة اتساعه(١) .

التضاريس:

يمكن تقسيم سطح العيينة إلى قسمين كبيرين هما :

المنطقة الجبلية - المنطقة السهلية .

---

(١) إمارة حريملاء ، ق١ ، ص ٦١ .

أولاً - المنطقة الجبلية:

تشمل هذه المنطقة كل المرتفعات الجبلية التي تدخل ضمن حدود حوض العيينة السابق التحديد . وسطح هذه المنطقة ذو شبكة ضخمة من الأودية وروافدها والتي شقت هذا السطح وحولت أغلبه إلى حواجز جبلية طولية ممتدة بين الأودية والروافد والشعاب على شكل أصابع جبلية ، وأحياناً تتباعد هذه الأودية فيكون السطح واسعاً له مجار مائية صغيرة ، يسمى هذا السطح ظهرة مثل ظهرة سدحه شمال العيينة والظهرّة الجنوبية ، وظهرة الجبيلة ، ويُقسِّم المجرى الرئيس لحوض العيينة خط وهمي يمتد من ثنية فهرين غرباً إلى مدفع وادي الأبيطح في وادي حنيفة شرقاً بطول يصل إلى ما يقارب ٥٥ كيلاً يقسم هذا الخط المنطقة الجبلية إلى قسمين شمالية وجنوبية .

وتتميز المنطقة الجبلية الشمالية بالآتي :

١- ترتفع هذه المنطقة ما بين ٧٢٤ إلى ٩٢٧ متراً فوق سطح البحر وهي أقل ارتفاعاً من الجنوبية .

٢- أن الأودية التي تخترقها أقل عدداً وأقصر مدى من الأودية التي تخترق المنطقة الجبلية الجنوبية .

٣- يوجد في هذه المنطقة أكبر ظهره - وهي ظهرة سدحه - في منطقة العيينة والتي تنفرد بوجود السد القديم « الحكر » فيها والعين الموسمية المرتبطة به .

٤- أن أغلب أودية هذه المنطقة مقوسة الشكل مثل وادي غاله ، المجينينه ، الوصيلات ، النتقه . . إلخ .

٥- أن سفوح هذه السلسلة الجبلية وخاصة التي تطل على مدينة العيينة أكثر غنى بالنباتات الطبيعية المعمرة كاللصف من سفوح السلسلة الجبلية الجنوبية .

٦- تتطامن هذه السلسلة عند بلدة الجبيلة إلى أن تصبح على مستوى السهل الفيضي الذي تقوم عليه مزارع البلدة وعمرانها .

بينما تتميز المنطقة الجبلية الجنوبية بالتالي

١- أنها ترتفع ما بين ٨٠٠ إلى ١٠٣٠ مترا فوق سطح البحر ، وهي بهذا تعتبر أكثر ارتفاعاً من المنطقة الشمالية .

٢- تخترقها أودية أكثر عدداً وأطول مدى من المنطقة الشمالية .

٣- تتميز سفوح جبال هذه المنطقة بوجود (البرق) الرمال المختلطة بالحجارة بسبب الرياح التي نقلت وتنقل هذه الرمال لها من المسطحات الرملية القريبة منذ آلاف السنين .

وتتميز المنطقة الجبلية بشكل عام في العيينة بميزات منها :

١- أنها تكتسي بحجارة مختلفة الأشكال والأحجام ومنتشرة على كامل المنطقة عدا بعض المواضع المنخفضة في ظهرة سدحه والتي رسَّبت فيها كميات من الطمي واستغلت من قبل الأهالي بالزراعة البعلية مثل قاع ابن بحاص وغيره .

٢- حافاتها الغربية مما يلي البرة والحيسية الغربية وضرما تشكل حافات قائمة شبه جدارية فيها خشوم شامخة مثل خشم خرشا وخشم الميركة .

٣- مقدمة السلاسل الجبلية الممتدة طولياً تنفصل وتنقطع عنها أطرافها لتشكل قارة مثل قارة «ابن معمر» في وسط العيينة والمنفصلة عن السلسلة الجبلية التي تقع عنها جنوباً وقويرة الرحل « الرحّال» التي انفصلت عن السلسلة الجبلية التي تقع عنها شمالاً وغيرها .

٤- البعض الآخر من السلاسل الجبلية تتطامن ولا تصل لحد الانقطاع والانفصال فتشكل ثنية أو ريعاً أو قصماً مثل الثنية التي يمر فيها طريق العيينة الحكر المعبد وثنية الأبكين وثنية فهرين وثنية مصيقرة . . إلخ .

٥- تبرز الكهوف « الغيران» في أعالي السفوح الجبلية بسبب وجود طبقة صخرية قوية فوق طبقة أقل قوة وصلابة فتؤثر عمليات التعرية والتجوية في الطبقة الأقل صلابة (السفلية) فتظهر على شكل فجوات مشكلة كهوفاً وغيران مختلفة المقاسات والأحجام وتتجلى هذه الظاهرة بشكل أكثر وضوحاً في أعالي كل من الخمر وبوضه والهدار.

٦- تتميز الحافات العليا لجبال العيينة بانهيار أجزاء منها وانزلاقها على السفح وقد تصل إلى بطن الوادي ، ويساعد على انهيارها عمليات النحت المائي والتجوية وتزداد هذه الظاهرة كذلك على سفوح الجبال التي تطل على أعالي كل من الخمرة وروافدها وبوضه والهدار حتى إن أحد أجزاء وادي بوضه سمي بأمهات قضقاض لكثرة انقضاض صخورها أي انهيارها وانزلاقها . أما حول مدينة العيينة والجبيلة فقد أسهم سكانها قديماً في قطع بعض صخور الحافات واستخدموها في البناء ورصف جوانب الأودية وطي الآبار وغيرها من الاستخدامات .

٧- تتميز بعض أعالي الأودية بأنها تشكل مساقط مائية (شلالات) موسمية تؤدي إلى نحت مائي في الصخر فتكون حفراً تسمى (قلات) جمع قلته ، كما في أودية الرخيمة السفلى والعليا أم طليح أم الشبا . . وغيرها .

ثانيًا - المنطقة السهلية:

تشمل هذه المنطقة كل الأراضي الواقعة بين حافات الجبال ضمن حدود حوض العيينة ، فتحيط المرتفعات السابقة بهذا السهل السميك التربة الجيد التصريف الخصب زراعياً والغني رعوياً .

ويشغل هذا السهل ضفتي وادي حنيفة وضفاف روافده ، وكانت أغلب هذه السهول عامرة بالحرث والعمران والسكان على مر العصور .

وتشغل مدينة العيينة مساحات واسعة من ضفتي وادي حنيفة الشمالية والجنوبية ، وإن كانت الضفة الشمالية تحتضن معظم نخيلها وبساتينها ومساكنها وترتفع عن سطح البحر بمقدار ٧٣٨م ، كما تشغل مزارع بلدة الجبيلة كذلك كل مساحة ضفتي وادي حنيفة مع ضفتي رافده وادي غاله ، وإن كانت الضفة الغربية من وادي غاله أكثر اتساعاً من الضفة الشرقية التي تمتد على شكل شريط ضيق جداً . علماً أن بلدة الجبيلة نفسها أي مساكنها تقوم على نتوء جبلي ممتد بين شعيب الدم ووادي حنيفة وهذا النتوء الجبلي يتكون من صخور صلبة من تكوين

جبيلة الذي أشرنا إليه يسمى (جُبيل) ومنه أخذت اسمها . ويبلغ ارتفاعه عن سطح البحر ٧١٣ م أما هجرة بوضة فتتربع على أرض خصبة واسعة تسمى قديماً رحبة الهدار كانت تشغله قديمًا قرية (أباض) . وسطح هذا السهل مكون من رواسب رباعية من رمل وطين وطمي وحصى تختلط هذه الرواسب مع بعضها أو توجد منفردة .

وتختلف سماكة الرواسب الطينية على طول امتداد الوادي فتكون سميكة وسطه وتقل سماكتها كلما قربنا من حافات الجبال وتصل سماكة التربة من ٥ إلى ١٠ أمتار ويمكن معرفة ذلك ومشاهدة الرواسب الرملية والطينية والحصى في قطاع الآبار التي تحفر في المنطقة ، وتبرز بعض تربة العيينة على شكل جروف طينية تصل سماكتها من أعلاها إلى قاع الوادي ما يقرب من «٧» أمتار مثل جروف الجبيلة وغالة . وتضيق هذه السهول وتتسع تبعاً لقرب حافات الجبال وتباعدها ويبلغ أضيق موضع لها عند أول مزارع الجبيلة وخاصة جرف مزرعة الطالعة قبل الوصول للجبيلة بأمتار للقادم من على طريق الوصيل العيينة حيث يصل عرض هذا السهل تقريباً ٣٠ متراً بينما يبلغ أقصى اتساع لهذا السهل من الشمال للجنوب من العراقيب إلى فتحة الهديدير ٧,٥ كيلاً تقريباً ، وأقصى مدى لطوله من الشرق للغرب ١٤ كيلاً تقريباً ، وذلك من الملاقي غرب مزارع العيينة إلى فتحة وادي الوصيلات غرباً . وأدخلت فتحات الأودية ضمن هذه الأطوال لأن اتساع كل من فتحة (مدخل) وادي الهديدير ووادي الوصيلات جعلها أقرب ما تكون امتداداً لهذا السهل وقديماً يسمى هذا السهل رحبة الهدار(١) وهو السهل الذي يتميز بامتداد جبل مصيقرة فيه بطول ٦ أكيال تقريباً ، وتخترق مجاري الأودية والروافد والشعاب هذا السهل وتشققه على شكل مجاري مائية قد يصل عمق بعضها إلى ما يقرب من ٥ أمتار وذلك في أعالي الأودية وإلى مترين وسط هذا السهل الكبير والذي يسمى الروضة وتنتشر فيه الزراعة البعلية ، وخاصة أمام مدفع قري أبو خشبة . وسنفصل القول في وادي حنيفة فيما يلي :

(١) ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، دار بيروت للطباعة والنشر ، بيروت ، ج٣ ، ١٤٠٨هـ ، ص٣٦ .

وادي حنيفة:

من أشهر وأكبر أودية نجد كان يسمى (العرْض) ثم عرف باسم (وادي حنيفة) ويسمى كذلك (بالباطن)[١] ، ولا تزال التسمَية الأخيرة معروفة إلى هذا العهد بين سكان العيينة . قال عنه ابن خميس : « العرْض : هو وادي حنيفة يعرف قديماً بهذا الاسم ولما استوطنته (حنيفة) وكثرتَ به ، وعلا شأنها غلبت إضافته إليها فقيل : (وادي حنيفة) وقيل : (عرْض بني حنيفة)[٢] .

ويمتد وادي حنيفة وروافده بين جبال طويق غرباً وهضبة العرمة شرقاً بين خطي العرض ٢٤° شمالاً و ٢٦° شمالاً ويبلغ مجموع أطوال وادي حنيفة وروافده ما يقارب من ٥٠٠ كيل[٣] ، وهو من أشهر طرق اليمامة . كما أنه وادي العواصم والممالك قال عنه لوريمر : « ووادي حنيفة دائماً كان مظهر السلطة السياسية ، في جنوب نجد ، وكانت العاصمة على منابع العيينة ، والدرعية ، والرياض »[٤] .

وفي منطقة العيينة أشهر شعابه وروافده العليا . سنأخذ القارئ الكريم في رحلة عبر الوادي لنتعرف معالمه وملامحه «شعابه وأوديته وتلاعه وجباله ورياضه وأشجاره وأعشابه وشلالاته «مصباته» الموسمية وقلاته وبقية معالمه» .

تتميز الوديان التي سنسلكها بأنها وديان متعرجة تأخذ في الارتفاع تدريجياً وتشكل شبكة ضخمة من الأودية والروافد والشعاب علماً أن مجرى الماء لايشكل كل مساحة الوادي ولكنه مجرى ضيق نسبيًا ويتسع في بعض الأماكن ويتميز بكثرة البطحاء في مجراه ، ويغنى حياته النباتية على ضفافه .

وسنبدأ هذه الرحلة من بطن وادي حنيفة على الخط الوهمي ، وهو خط يمر في

---

(١) حمد الجاسر ، مدينة الرياض عبر أطوار التاريخ ، منشورات دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر ، الرياض ، ١٣٨٦هـ ، ص ١٦ .

(٢) عبد الله بن خميس ، معجم اليمامة ، مطابع الفرزدق التجارية ، الرياض ، ط٢ ، ج١ ، ١٤٠٠هـ ، ص٣٣ .

(٣) جغرافية المملكة ، ج٢ ، ص٩٩ .

(٤) لوريمر ، ج .ج ، دليل الخليج القسم الجغرافي ، دار العربية للطباعة والنشر والتوزيع ، ترجمة المكتب الثقافي لحاكم قطر ، بيروت ، ج٢ ، ١٣٨٩هـ ، ص ٩٥١ .

وسط مجرى وادي الأبيطح متجهًا شرقًا قاطعًا وادي حنيفة ليمر مع مجرى شعيب مصدة الذي يقابل الأبيطح من الشرق .

وسنتكلم عن كل مكان نمر به حسبما يتوفر لدينا من معلومات علماً أننا سنصف كل شعب من شعابه من مصبه في الوادي الرئيس إلى أعلاه ، ثم نغادره لنصعد في الوادي الرئيس ونصف كل رافد على الطريقة نفسها .

لنتحرك من بطن وادي حنيفة ومكاننا الذي نقف فيه يطلق عليه وادي الغاف وهو موضح على الخريطة(١) . فوادي الأبيطح على يسارنا وشعيب مصدة على يميننا واتجاهنا للشمال الغربي . وقبل أن نبدأ رحلتنا سنعطي فكرة ونبذة عن :

١- وادي الغاف:

وادي الغاف هو جزء من وادي حنيفة يقع فيما بين أبو السواكيف والأبيطح وهما رافدان من روافد وادي حنيفة . وسمي هذا الجزء بوادي الغاف لوجود غابة من أشجار الغاف فيه والتي أصبحت الآن أثراً بعد عين إذ لا يوجد فيه الآن منها شيء .

وما دام الأمر كذلك لنبحث في بطون الكتب عن معلومات عن وادي الغاف لنتعرفه أكثر ، وأقرب مرجع في هذا الصدد هو للشيخ محمد بن بليهد قال : « هناك موضع قريب من الجبيلة في وادي حنيفة يقال له : (الغاف) وقد رأيته وإذا دخلت فيه الإبل لم يهتد إليها إلا إذا خرجت منه ، وهو معروف عند الجميع من أهل نجد بهذا الاسم ، وليس في نجد موضع ينبت الغاف مثل هذا الموضع »(٢) .

وأما ياقوت فذكر الغاف ولكنه لم يذكر هذا الوادي .

وقد ذكر لي بعض كبار السن الذين أدركوا هذه الأشجار كلاماً يتفق مع ما ذكره ابن بليهد .

أما الأشعار التي ذكرت الغاف وواديه فمنها قول الشاعر عجران السبيعي :

عسى الحيا يسقى لنا وادي الغاف   ومن روضة التنهاة لخريم حده

(١) تنظر الخريطة رقم (٣) .

(٢) ابن بليهد ، محمد بن عبد الله ، صحيح الاخبار عما في بلاد العرب من الآثار ,ط2، ج٤ ، ١٣٩٢هـ ، ص٤١ .

وقال عبد الرحمن بن إبراهيم الربيعي من أهل عنيزة قصيدة أذكر منها عجز أحد الأبيات الذي يقول فيه :

ما أحْد جنى من غايف الغاف لومي

وقال العبيدي من أهل العيينة :

ملك عمى من ماقف الغاف بين تحده الثنايا وريع غرور

وسمعت هذا البيت بأكثر من رواية .

ولقد بحثت وسألت عن شجرة الغاف ودلني العم عبد الله بن معمر أمير ملهم السابق رحمه الله على بعض شجيرات من الغاف في الوادي بين القرينة وملهم لا يتجاوز عددها عشر شجرات .

وآمل أن نرى الجهات المختصة وقد أحاطت شجرة الغاف(*) بالاهتمام الذي تستحقه وأن تعيد استنباتها في واديها وفي المنتزهات والشوارع والحدائق لملاءمة هذه الشجرة لبيئتنا[١] .

ويبلغ ارتفاع المكان الذي نقف فيه عن سطح الأرض ٧٠٠ متر ثم نتجه على يسارنا جهة الغرب لندخل وادي الأبيطح .

٢- الأبيطح:

بضم الهمزة ، وفتح الباء ، وإسكان الياء ، وكسر الطاء ، فحاء . . تصغير أبطح .

وادي ينحدر من قمة طويق ويسيل مشرقاً حتى يصب في وادي حنيفة تحت قرية (الجبيلة) جنوبها ، ويحده من روافد وادي حنيفة الغربية (وادي العمارية) من الجنوب ، ووادي (الأحيرش) من الشمال [٢] قلت : ويبلغ طول الأبيطح من أعلاه حتى مصبه ما يقارب ١٨,٥ كيلاً وأمام مدفعه في حنيفة وعلى جانبيه آثار بناء وأساسات مبان قديمة واضحة لمن توسمها ، وأكثرها وضوحاً على اليمين عند

(*) تستخدم أعواد الغاف كأقلام للكتابة قديماً وتتميز بجودة خطها ، وتستخدم أخشابه استخدامات عديدة ، وتتغذى الحيوانات على أوراقه بعد جفافها .

(١) مقال للمؤلف في جريدة الرياض العدد ٩٤٣٦ ، بتاريخ ١٤/ ١١/ ١٤١٤هـ ، ص ١٨ .

(٢) معجم اليمامة ، ج١ ، ص ٥٧ .

الدخول في وادي الأبيطح بين مجرى الوادي والجبل وعلى هذا الجبل ثلاثة مراقب متهدمة توحي بأن المنطقة كانت ذات شأن ، وقد رجح ابن خميس أن تكون هذه المنطقة وما حولها هي قرية فيشان التي ذكرها الهمداني وياقوت عن الحفصي وهي لبني عامر ابن حنيفة(١) . أما الشيخ حمد الجاسر فاستبعد أن تكون فيشان في هذا الموقع كما قال لي أنه يعتقد أن موقعها في أعلى المغيدر .

ووادي الأبيطح واد خصب التربة ، فيه بعض أشجار الطلح ، وفي مدخله على الشمال أقيمت كسارات للحجارة أثرت في معالم الوادي بالحفر فيه والأخذ من جوانبه حتى إنه منذ مدة طويلة لم يجر سيله ، ويتجه المصعد في الوادي جهة الغرب ، ويمر بشعبين متجاورين : الأول على اليسار يبلغ طوله ٤ أكيال ويسمى سدير والثاني ٣ أكيال ويسمى أم الخران ، وبعد الأخير ينقسم الأبيطح إلى فرعين كبيرين أحدهما على اليسار يبلغ طوله ٩ أكيال والآخر على اليمين ويبلغ طوله ١٠ أكيال تقريباً . وفيه بعض المزارع ثم نخرج منه لنتجه شرقاً نحو شعيب مصده .

٣- مصدة :

من شعاب وادي حنيفة الشرقية ويبلغ طوله ما يقارب ٥ , ١ كيلاً ينقسم أعلاه إلى قسمين ، وتبرز في الوسط أكمة عالية رائعة هرمية الشكل ، والشعب جله أرض زراعية بها بقايا أشجار الأثل وآبار تزرع حيناً وتترك آخر ، وعلى الضفة الجنوبية الشرقية من الشعب يوجد برقا(*) واضحة تستند على سفح الجبل وهو يقابل وادي الأبيطح من الجهة الشرقية . وبعد تجاوزنا هذه الشعب يوجد على اليمين جبانة تعلوها تلعة يليها شعب أبو برقا .

٤- شعب أبو برقا :

من شعاب وادي حنيفة الشرقية يقع بين شعيب أبو درب شمالاً وشعيب مصدة جنوباً ، وهو شعب ضيق يبلغ طوله ٤ أكيال تقريباً ، وأبرز مظاهره برقا على سفح الجبل الشمالي عند مدخل الشعب وقد أخذ اسمه منها وهو ذو تربة سميكة جيدة .

وإذا تجاوزناه يميل وادي حنيفة لجهة اليمين قليلاً باتجاه الشمال الشرقي ، وعلى

---

(١) المرجع السابق ،ج٢ ،ص ٢٦٠ .

(*) البرقا : هي رمال تغطي أعلى الجبل أو جزءاً منه ، وقد تختلط بحجارته .

يسارنا مزارع فيها تلاع غير ذات شأن ويميناً يضيق السهل الذي يفصل الوادي عن الجبل إلى حوالي ٣٠ متراً ، وتظهر على سفح الجبل برقاً خفيفة ولكنها واضحة وبعض أشجار الطلح ، بعدها يبدأ هذا السهل في الاتساع إلى أن نصل إلى شعب أبو درب أمام الجسر المقام فوق وادي حنيفة على يميننا جهة الشرق .

٥- شعب أبو درب :

وهو شعب مزروع الآن من شعاب وادي حنيفة الشرقية ضيق ، ويبلغ طوله حوالي ٣ أكيال يقع بين شعب أبو قصر شمالاً وشعب أبو برقا جنوباً ، فيه درب قديم ومنه أخذ اسمه ، ثم يلي هذا الشعب مباشرة .

٦- شعب أبو قصر :

يقع هذا الشعب بين شعب سلام شمالاً وشعب أبو درب جنوباً ، وهو أكثر اتساعاً من الشعاب التي قبله وذو تربة جيدة ، وبه آبار مهملة وبقايا قصر قديم ، ويبلغ طوله حوالي ٤ أكيال وفي شماليه تلعة صغيرة ، كما ينتهي أعلاه من الشرق بتلعتين متجاورتين . وأمام هذا الشعب ينحني وادي حنيفة بقوة باتجاه الغرب وتسمى هذه المنطقة (بالحني) أو (عوير الدراج) فيها تلاع صغيرة ، ونستمر في سيرنا مع الوادي باتجاه الغرب وتنتشر بعض الأشجار على جانبي مجراه ، ونمر فوق أنابيب الزيت المتجه من الجبيل إلى ينبع حيث تخترق الوادي في هذا الوادي . ثم على يميننا جهة الشمال الشرقي وادي سلام .

٧- سلام :

أحد روافد وادي حنيفة الشرقية على يمين القادم للجبيلة عن طريق الوصيل ، وقد رجح عبد الله بن خميس[(١)] أن يكون سلام هذا هو المسمى « سهام » الذي وقعت به معركة بين ثمامة بن أثال رضى الله عنه ومسيلمة الكذاب في عهد أبي بكر الصديق رضى الله عنه ، كما رجح أنه «ذات أسلام» واللذين ذكرهما ياقوت .

واتفق مع ما ذكره ابن خميس من أن (سلام) هو (سهام) حيث حدثت بعض المعارك مع بني حنيفة في هذه الأماكن ، وهي قريبة من الجبيلة التي دارت حولها

(١) معجم اليمامة ، ج٢ ، ص٣٨ .

أعنف وأقوى حروب الردة .

أما ذات أسلام فلا أتفق معه أنه (سلام) إذ ذكر ياقوت الحموي أن ذات أسلام جبل وهذا وادي ولا يعقل أن يذكر ياقوت موقعاً واحداً باسمين دون الإشارة إلى ذلك .

وسلام شعيب ينحدر على وادي حنيفة قبل بلدة الجبيلة شرقًا من القف الشمالي الواقع بين عقرباء وأبي الغضار وهو أحد روافد قرى الملقى ، والذي به الآن كاشف الأجواء (الرادار) ويسيل هذا الشعب مغرباً ثم يميل إلى الجنوب حتى يصب في وادي حنيفة وفيه آبار ومزارع (١) .

إذاً فوادي سلام يجري شرق روضة عقرباء على يسار القادم من الرياض للجبيلة عن طريق صلبوخ وعقرباء على يمينه ومجراه واضح يفضي إليه ما يزيد من سيول روضة عقرباء .

وطول هذا الوادي من الشمال للجنوب ٥ , ٥ أكيال تقريبًا ، وباتجاهنا مع الوادي صاعدين شمالاً نمر في أراضي زراعية خصبة تنخفض عما حولها بما يقارب من مترين ، وبعد ٥ , ١ كيلاً ينقسم الوادي إلى قسمين : القسم الأطول يتجه للشمال ويمر في أعلاه طريق الرياض صلبوخ قبل مفرق الجبيلة والآخر إلى جهة الشرق وبه عدة روافد وترتفع فيه الجبال عن بطن الوادي بما يقارب ٧ أمتار ، ويمر أعلى هذا القسم خط أنابيب الزيت الذي أشرنا إليه ، وتكثر في وادي سلام أشجار الحرمل وبعض شجيرات من الطلح والعوسج ، وأراضي سلام كثيرة الشبه بأرض أم قصر .

وبعد أن نتجاوز سلام في طريقنا للجبيلة نمر بعدد من التلاع على يسارنا ، وجدتُ في إحدى هذه التلاع حجارة مطوية على شكل دوائر ثلاث متقاربة كأنها قاعدة مرقب صورتها رقم (٩) ، وأعتقد أنها قبور عادية قديمة قبل انتشار الإسلام في هذه المنطقة ، وللأسف فإنها أزيلت من قبل المالك لهذا الموقع بعد استصلاح الأراضي عام ١٤١٣هـ .

---

(١) المرجع السابق ، ج٢ ، ص٤٦٦ .

٨- أبا الحصى:

وبعد هذه التلعة يوجد شعب صغيرة يسمى أبا الحصى لكثرة الحجارة فيه (الحصى) وفيه أماكن تحفظ المياه لفترة قصيرة كما يمر خط أنابيب الزيت في أعلاه، ويبلغ طوله حوالي ٥, ١ كيلاً، ثم نتجاوز أبا الحصى مصعدين في الوادي. ونمر في أضيق نقطة في وادي حنيفة، فعلى يميننا جبانة هي مزرعة الطالعة ويبدو أن تربتها تعرضت لنحت مائي شديد حتى ظهرت على شكل جدار وعلى يسارنا مصاطب حجرية متدرجة إذ أثر جريان المياه في الوادي على حافة الجبل، وقد عرته تماماً من التربة ولصلابة الصخور والتي تعود لتكوين جبيلة بقيت شامخة في وجه النحت السيلي إلى حد ما.

ثم يميل الوادي لجهة الشمال الغربي قليلاً إذ ترتفع الجبانة إلى ما يقارب من ٧ أمتار عن مجرى الوادي ثم يميل الوادي لجهة الغرب ماراً من أمام دور ومنازل الجبيلة وأشهرها مركز شرطة الجبيلة الذي يعتبر من أقدم مراكز الشرطة في نجد والذي شيّد عام ١٣٥٧هـ تقريباً، وبعده مباشرة على يميننا شعبٌ صغيرٌ ذائع الصيت هو شعيب الدم.

٩- شعيب الدم:

شعبٌ صغيرٌ يحد الجبيلة من الجهة الغربية ولا يتجاوز طوله مئتي متر، وعلى ضفتهَ الشرقية تقوم أسوار وحصون وقلاع بلدة الجبيلة القديمة، ودونها على الضفة نفسها تنتشر قبور قديمة جداً، وقد تجولت حولها فشاهدتها قبوراً إسلامية قد جرفت عوامل التعرية التربة التي فوقها حتى ظهرت رفات وعظام الموتى على وجه الأرض، وقد أبلغت رئيس بلدية العيينة الأستاذ فهد بن محمد بن حمد بن معمر الذي عمل مشكوراً على زيارة الموقع ثم وجه بوضع تربة فوق الرفات وإعادة دفن بعضها وتم ذلك يوم الخميس ٢٢/ ٥/ ١٤١٢هـ. ويشهر أن هذه القبور هي من قبور الصحابة الذين استشهدوا في معركة اليمامة عام ١١ للهجرة. ولكن القبور التي تقابل مصب الشعب من الجنوب هي أكثر شهرة عند أهل المنطقة أنها قبور الصحابة. واعتقد أن جلّ القبور في الموقعين هى قبور للصحابة رضي الله عنهم.

يمر طريق العيينة الجبيلة أعلى الشعب، ومشهور عند أهل المنطقة أن الدماء

جرت في هذا الشعب حتى صبت في وادي حنيفة أثناء حروب الردة ، ومعروف أنه قتل في هذه الحروب أكثر من عشرة آلاف رجل أكثرهم من بني حنيفة ، وقد أشار ضرار بن الأزور الصحابي الجليل الذي شارك في حروب الردة إلى شيء من هذا في قوله :

ولو سألت عنا جنوب لأخبرت عشية سالت عقرباء ومَلْهم

وسال بفرع الواد حتى ترقرقت حجارته فيه من القوم بالدم

فسيل عقرباء بالدماء . وهذا الشعب ينحدر منها خير دليل على صدق وصحة الرواية المحلية باتفاقها ومطابقتها مع شعر الصحابي الجليل ، وقد سور الوادي باعتباره مقبرة عام ١٤١٥هـ .

وبعد تجاوزنا لشعيب الدم نجد على يسارنا جبانة مرتفعة فيها قبور الصحابة تشكل جرفاً طينياً مرتفعاً بحوالي ٧ أمتار عن بطن الوادي ، وبعده بما يقارب ٢٠٠ متر فثمة على يميننا أكبر روافد وادي حنيفة الشمالية في العيينة ، وهو وادي غالة . وسنصف روضة عقرباء التي تقع شمال الجبيلة وشرق غاله ثم نعود لوصف غاله .

١٠- روضة عقرباء:

روضة عقرباء أهم وأشهر وأكبر رياض العيينة تقع شمال بلدة الجبيلة ، ويحدها من الشزق طريق الجبيلة الرياض ومن الشمال طريق صلبوخ ومن الغرب كلية الملك عبد العزيز الحربية ومدخل وادي غالة . ومن الجنوب الجبيلة وتبلغ مساحتها حوالي ١٥كيلاً[٢] . جلها مملوكة زراعياً إلا أنها لم تزرع بالكامل ، وهي أرض خصبة منخفضة عما حولها ولها منظر خلاب عند امتلائها بالمياه . وكان آخر عام امتلأت فيه بالسيول هو عام ١٤١٦هـ واستمرت المياه فيها لمدة ليست بالقصيرة . وهي غنية بالنباتات الطبيعية ، كما أنها كانت ميداناً لمعارك عديدة أهمها موقعة عقرباء أثناء حروب الردة وبها عسكر مسيلمة عند استعداده لملاقاة جيوش المسلمين ، ووقعت فيها معارك أخرى بين الشريف الحارث وآل مغيرة عام ١٠٩٦هـ وأخرى بين سعدون وآل كثير عام ١١٣٣هـ(١) . قال الجاسر :

(١) محمد بن عباد ، تاريخ ابن عباد ، مخطوط ، حوادث عامي ١٠٩٦، ١١٣٣.

«درست عقرباء، وقام على أنقاضها بلدة الجبيلة الواقعة على ضفة وادي حنيفة، وانتقل اسم عقرباء إلى روضة تزرع على المطر بشرقها»(١).

وقال عنها ابن خميس: «عقرباء بفتح العين، وإسكان القاف، وفتح الراء، والباء، بعدها ألف، فهمزة.. بلفظ عقرب؛ وألف ممدودة للتأنيث.. هي الآن روضة من رياض (العَارض)، تبعد عن (الرياض) حوالي خمسين كيلاً شماليه، ويمر بها طريق الشمال يَحفها من الشرق من حيث يفرق طريق (الجُبَيْلَة) و(العُيَيْنَة) و(سَدُوْس)، وتقع في منخفض من الأرض تتجمع فيه سيول الشعاب والحزون المحيطة بها من جميع جهاتها، ولم ينقل أنها قد امتلأت بسيولها، وأفرغت إلى منخفضات تليها جنوبيها تصب(*) في (وادي حنيفة)، ويشاهد في منخفض هذه الروضة وقرارة سيلها شقوق ممتدة وعميقة تبتلع جزءاً كبيراً من هذه المياه إلى باطن الأرض.. وقد نقل لي أحد المتتبعين أن هذه الروضة إذا امتلأت أحس أهل (الوصيْل) من (وادي حنيفة) زيادة في مياه آبارهم.

وأهم وأكبر الشعاب التي تسيل في هذه الروضة، هو: (وادي أبي العنْصل) يأتيها من الناحية الشمالية الغربية، وهو متعلق بقمة (سَدْحَة)، يأخذ شَمالَيها بمحاذاة (وادي النَّظيْم) حتى يقرب رأسه من عرض (وادي غُبَرِيَّة).. ويسيل عليها أيضا من شمالها قري متسع يسمى (قَرِي الخَيْل)، كما يَسيل عليها من الجنوب شعب يسمى (أبو حَرْمَل).

وكانت شعبة من (وادي النظيم) تنحدر على (عقرباء)، فصرفت لمعانقة (وادي النظيم)، وهي الشعبة التي تلب (بوادي أبي العنصل)، وعلى شماليه يشاهد مصرف

---

(١) إبراهيم بن إسحاق الحربي، المناسك وطرق الحج، ط٢، ١٤٠١هـ، هوامش ص ٦١٦.

(*) لا أوافق ابن خميس في قوله: «لم تمتلئ بسيلها»، وقوله: «وسيلها لا يخرج منها» المصدر نفسه ج١، ص٥١٤ لأنني وقفت عليها وهي مليئة بالسيول عام ١٣٩٦هـ وعام ١٤١٦هـ، وسيلها يخرج منها باتجاه الجبيلة وباتجاه وادي سلام وواضح من وجود (عبارات) للسيول أسفل الطريق المعبد أنه تنحدر عبرها السيول من عقرباء إلى سلام، كما ذكر لي أنها قد امتلأت بالسيول عام جبار ١٣٦٠ وعام ١٣٦٣هـ.

هذه الشعبة من يتتبع مسيلها فوق قلاتها يرى مصرف هذه الشعبة هنالك . . ولا نعلم لماذا صـرفت ومتى؟ ، ولكن سيلها في (عقرباء) ولا شك أنفـع (١) .

وفي الجنوب الشرقي لعقرباء مرقب متميز واضح . وحوّلت أغلب أراضيها إلى استراحات زراعية عام ١٤١٩هـ .

١١- غالّة:

أكبر وأشهر وأعظم روافد وادي حنيفة الشمالية في منطقة العيينة وهو يلي شعيب الدم غرباً بحوالي ٥٠٠ متر يبلغ طوله ما يقارب من ٢٢ كيلاً ويتراوح عمقه ما بين ١٠-٢٠ متراً ويشكل شبه قوس يحيط بالعيينة من الجهة الشمالية وأعلى روافده تعانق أعالي روافد الجبينية ويحده من الشمال أبو العنصل وفي أوله مزارع في بلدة الجبيلة أولها وأشهرها المزرعة المسماة الصبيخة يمر بوسطها الآن طريق العيينة الجبيلة وتقوم عليها محطة الوقود بالجبيلة . وتنمو في هذا الوادي بعض أشجار الطلح والحرمل والعرفج ويكثر اللصف على سفوح السلسلة الجبلية .

وقد وصف لوريمر غاله فقال :[وهو منخفض يشق الهضبة « يبدو أنها تسمى سدحة »- وهي كذلك - بين سدوس والعيينة . . وهذا التجويف يسمى « غاله » ويبدأ على بعد ميل أو ميلين من سدوس ويدخل أخيراً وادي حنيفة أعلى قرية الجبيلة تماماً ، وعلى حوالي ١٠ أميال من سدوس يسد غاله سد حجري مكوناً خزاناً يسمى « حكر » قريباً جداً من الطريق من سدوس إلى العيينة على جانبه الشمالي الشرقي . وعندما يملأ المطر هذا الخزان فإنه من المتوقع أن يبدأ ينبوع عند العيينة يسمى « عيينة ابن معمر » في الانسياب] (٢) .

كما تكلم عبد الله بن خميس عن غالة فقال : «غالة بفتح الغين ، واللام المشددة المضخمة ، فهاء . . شعب ينحدر من ظهر (سَدْحَه) مشرقاً يميل إلى الجنوب ، ويصب في وادي (حنيفة) غرب قرية (الجُبَيْلَة) بأمتار . . وهو شعب عميق ضيق ، وبأعلاه سد قديم من السدود الأثرية في هذه المنطقة ، أمامه حوض واسع جداً تتجمع فيه جل سيول ظهرة (سَدْحَة) أمام هذا المنخنق الذي أقيم فيه

---

(١) معجم اليمامة ، ج٢ ، ص١٦٣ .

(٢) دليل الخليج ، ج١ ، ص ٢٢٨ ، ٢٢٩ .

السد ، وإذا استقرت السيول في هذا الحوض تسربت مع نفق طبيعي في جوف الأرض ، ونبعت في أعلى شعب آخر يسيل على بلدة (العُيَيْنَة) يدعى شعب (المُجَيْنِيَة) بعد أن ترشحه الأرض ويخرج صافياً نقياً على شكل عين غنية ، وتسمى (عين العُيَيْنَة) يؤخذ ماؤها قسمة بينهم ، وهكذا مادام في حوض هذا السد ماء ، وكذا بعد إقلاعه بمدة . . ويسمى هذا السد : (سد ابن مُعَمَّر) ، وقد رمم الآن وعمر ، وتؤدي هذه العين وظيفتها كما كانت» (١) .

قلت : وقد يفهم من قول ابن خميس (وقد رمم الآن وعمر) . أن السد كان خرباً لا يؤدي وظيفته . ولكنه منذ أنشئ - في زمن لم نستطع تحديده وإن كنا نرجح أنه في عهد عبد اللهّ بن محمد بن معمر المتوفي عام ١١٣٨هـ - وهو يقوم بدوره الذي أنشئ من أجله ، وقد ذكر الفاخري وابن بشر في حوادث عام ١٢٢٤هـ أن حكر العيينة المعروف امتلأ بالسيول التي هطلت صيف ذلك العام (٢) .

وتقدر سعة الحكر التخزينية بمليون متر مكعب من المياه ، وطوله ٤٠٠ متر وارتفاعه ٥,٥ متر ورمم عام ١٣٨٨هـ بصب خرسانة على صخور السد أي تغليف كامل للواجهات الثلاث الأمامية والخلفية والعليا ولا يزال الحكر يقوم بدوره كما كان .

وما دام الوادي ينحدر من ظهرة سدحة فسوف نتحدث عن هذه الظهرة .

١٢- ظهرة سدحة :

تسمى سدحة بالتاء المربوطة وسدحا بالألف الممدودة ، وهي هضبة منبسطة تخترقها بعض الشعاب والأودية ، وفيها بعض الرياض الصغيرة التي كانت تزرع زراعة بعلية وتمتد ظهرة سدحة من العيينة إلى طريق الرياض صلبوخ شمالاً ومن

---

(١) معجم اليمامة ، ج٢ ، ص ٢١٢ .

(٢) ابن بشر ، عثمان بن عبد اللّه ، عنوان المجد في تاريخ نجد ، مطبوعات دار الملك عبد العزيز ، تحقيق عبد الرحمن آل الشيخ ، ط٤ ، ج١ ، الرياض ، ١٤٠٣هـ ، ص ٣٠١ .

حدود عقرباء الغربية إلى وادي وتر (صلبوخ) غربًا ، وأقصى ارتفاع لها يبلغ ٨٦٧ متراً فوق سطح البحر في غربيها قريباً من أعالي وادي غبرية وتنخفض شرقًا إلى ٧٢٤ متراً تقريباً من حدودها مع روضة عقرباء وأهم الأودية التي تمر فيها :

أ- أبا العنصل :

العنصل هو نبات موسمي قال ياقوت : «العنصل . . وهو الكراث البري يعمل منه خل» [١] . ويكثر في هذا الوادي حتى اكتسب اسمه منه . والوادي من أشهر أودية ظهرة سدحة المتجه شرقاً تفيض سيوله في روضة عقرباء ، وهو يمتد لمسافة ١٢ كيلاً تقريباً يحده من الجنوب وادي غاله ومن الشمال روافد قري الخيل ، وقفاف تسيل باتجاه الشمال على شعيب المذهلة وروافد وادي النظيم ، كما يحده من الغرب روافد وادي النظيم . وفيه شجيرات طلح قليلة .

ب- قُرَيْ الخيل :

القري هو كل مجرى سيل واسع يفترشه السيل ويكون جريانه فيه بهدوء . ولا يستقر فيه (كالروضة) وهو أحد أودية روضة عقرباء الشمالية ، يبلغ طوله مع طول روافده ما يقارب كيلَيْن . ومن أهم نباتاته الشيح .

جـ- وادي النظيم :

هو وادٍ تنحدر أعاليه من شمال هضبة سدحة شمال العيينة تكثر في هذا الوادي القلات التي تحفظ المياه لفترة طويلة ، ويقع بين أبا العنصل وروافده شرقاً وجنوب شرق وبين وادي غبرية غربًا .

د- غبرية :

من أودية ظهرة سدحه الشمالية الغربية ، يقع بين وادي النظيم شرقاً ووادي الضيقه (وتر) غربًا . قال عنه ابن خميس : «وفي هذا الوادي غدر كبيرة وفيه غيران مجزة ومنظمة . . ثم قال (وغبرية) هي منزل بني غبر بن غنم بن حبيب بن كعب من يشكر بن وائل ، وسميت (غبرية) باسمهم . .) [٢] .

---

(١) معجم البلدان ، ج٤ ، ص ١٦١ .

(٢) معجم اليمامة ، ج٢ ، ص ٢١٤ ، ٢١٥

هـ- أبو حرمل:

شعب صغير ينحدر على روضة عقرباء من الجنوب الغربي [(١)] ويحده من الغرب وادي غاله، ويكثر فيه نبات الحرمل. هذه هي أهم أودية ظهرة سدحة.

وعودة لوادي حنيفة؛ فبعد تجاوزنا وادي غاله تقع على شمالنا جنوب الوادي مزارع تسمى البطاحي فيها بعض التلاع أشهرها التلاع الغربية، ثم نستمر مصعدين في الوادي بين المزارع، وعلى يميننا قري يسمى قري وطبان.

١٣- قري وطبان:

وهو قري يبلغ طوله حوالي ١٢٠٠ متر ينحدر من الضفة الشمالية لوادي حنيفة ويتقارب إلى أن يتماس مع وادي غاله الذي يحده من الشرق، وفي جانبه الغربي مرقب حجري بارز وهو من أهم معالم القَري.

وقري وطبان كان في ملك آل وطبان الذين هم من ذرية وطبان بن ربيعة بن مرخان والذين أجلوا من الدرعية واستقروا في العيينة [(٢)]. ويمر طريق العيينة الجبيلة العام بطرف القري الجنوبي.

وقري وطبان هو الحد الشمالي الفاصل بين مزارع الجبيلة وبين مزارع الطرف [(*)] إذ يدخل قري وطبان ضمن مزارع الجبيلة والحد الجنوبي هو وادي الأحيرش إذ إن المزارع التي تقع شرقه تعتبر من مزارع الجبيلة، والتي غربه هي من مزارع الطرف.

١٤- الأحيرش:

واحد من أكبر روافد وادي حنيفة الجنوبية. قال عنه ابن خميس: «الأحيرش بضم الهمزة، وفتح الحاء، وإسكان الياء، وكسر الراء، فشين.. تصغيرُ أحرش

---

(١) المرجع السابق، ص ١٦٣.

(٢) عبد الله بن محمد البسام، تحفة المشتاق في أخبار نجد والحجاز والعراق، بخط نور الدين شريبه، «مخطوط» ص٦.

(*) الطرف: اسم مكان لمزارع ودور وأراضٍ زراعية تقع في طرف العيينة الشرقي ما بين وادي الجبينية ووادي الاحيرش ويخترقها واديّ حنيفة وطول الطرف ٤٫٥ كيل. ولعل التسمية جاءت من وقوعه في طرف العيينة الشرقي

من الحرش ، وهي الحثاثة والخشونة . . رافد من روافد وادي حنيفة يسيل من قمة طويق شرقًا حتى يصب في وادي حنيفة بين بلدتي (العيينة) و (الجبيلة) يحده من الجنوب (وادي الأبيطح) ، ومن الشمال (وادي أم كثير) [(١)] .

يبلغ طول هذا الوادي ما يقارب ٢١ كيلاً ، وفي مدخله على ضفته الغربية برق واضحة وفيه شعاب أهمها شعيب أم رجلين من جهة الغرب وشعيب أم السلم من جهة الجنوب وتلاع عديدة ، وله من اسمه نصيب فهو واد كثير الحجارة والوعورة للراجل والراكب ، ذو صخور خشنة .

وتكثر به أشجار الطلح والسلم والحرمل والعوسج واللصف ، ويمر بأوله خط أنابيب الزيت ، وعند نزول الأمطار على فروعه وشعابه تندفع منه سيول قوية تلب في وادي حنيفة وكان به مدرج ومسيل لمزرعة الخريصية والبطاحي . لنتجاوز الأحيرش ونسير في الوادي بين مزارع الطرف والتي تحمي تربتها مطاوي جيدة وقديمة وتمتد على جوانبها وضائم ومساييل مرصوفة ، وعلى يميننا شلالان موسميان (مصبان) ينحدران من ظهرة سدحة ، ولهما منظر خلاب وقت انحدار السيول منهما ، وهما على يمين القادم للعيينة مع الطريق المعبد . وقبلهما مرقب مربع الشكل في أعلى الجبل وهو المرقب المربع الوحيد في العيينة ، وبعد المصبين تلعة صغيرة فيها طريق قديم مرصوف بالحجارة بقيت بعض آثاره ، كان يستخدم للسفر لبلدان الشعيب وما وراءها من البلدان ، أو يستخدم للمسافر لبلدان وادي حنيفة كالدرعية والرياض وغيرها ، إذ كان المرور عبر وادي حنيفة غير ممكن لوجود العديد من المدارج والسدود الصغيرة التي تحتفظ بالسيول لمدة طويلة ويسمى هذا الدرب درب الطرف .

بعد هذه التلعة تلعة أكبر منها يقدر طولها بحوالي ٥٠٠ متر وهي الآن مزرعة في طرفها الجنوبي الغربي تحت سفح الجبل مقبرة قديمة مسوَّرة ، وبالمزرعة بئر قديم ، وفيها طريق معبد يؤدي إلى مقر الطاقة الشمسية الذي يقع في أعلى هذه التلعة .

ثم نستمر في سيرنا مع الوادي ونعبر مدرجين (سدين) أقيما على الوادي لحجز

(١) معجم اليمامة ، ج١ ، ص ٦٤ .

مياه السيول لتنساب للأراضي المجاورة بعد أن ترتفع المياه بفعل المدرجين إلى أعلى من الأراضي الزراعية . وأقيمت على جوانبها مسايل مرصوفة بالحجارة لتسقى المزارع وبها كبشات وهي عبارة عن بناء دائري من الحجارة المتراصة ، ذات شكل أسطواني ، وذلك لتحد من قوة السيول ولتحافظ على المطاوي من الانجراف .

ثم نسير مع الوادي باتجاه الغرب ، وبعد تجاوز المدرج الثاني بحوالي ٩٠ متراً يميل وادي حنيفة ميلاً شديداً باتجاه الجنوب ، وقبل أن ننعطف مع الوادي جنوباً أمامنا مجرى وادي المجينينة .

١٥- المجينينة:

تصغير «المجنونة»[١] وهو أحد روافد وادي حنيفة الشمالية ينحدر من ظهرة سدحة باتجاه الشرق ثم ينعطف باتجاه الجنوب على شكل منجل ظهره المحدب باتجاه الشمال ويمر طريق العيينة العام من فوق الوادي عند مدخل كلية الملك عبد العزيز الحربية ، وبعد ذلك يميل الوادي بشكل حاد باتجاه الشرق ليلب في وادي حنيفة .

ويبلغ طول هذا الوادي ما يقارب من ٨,٥ أكيال ، وفيه عدد من التلاع أكثرها في الجهة الشمالية منه .

وفيه بعض أشجار الطلح والحرمل والعوسج واللصف ، ويفصل بين الوادي وبين مزارع العيينة شريط جبلي (حاجز جبلي) على شكل أصبع يعلوه ثلاثة مراقب قديمة ويتطامن هذا الشريط في جزء منه ، ويسمى الثنية يمر معها طريق العيينة الحكر المعبد ، وينتهي هذا الأصبع عندما يبدأ الوادي يميل باتجاه الجنوب ، وبالتحديد أمام بوابة كلية الملك عبد العزيز الحربية إذ يصبح الطريق على يسار المنحدر مع الوادي . وبين الطريق والجبل شرقي الوادي سهل ضيق فيه بعض القبور وآثار بناء قديم ، يلي هذا السهل سلسلة جبلية تتربع على جنوبيها القرية

---

(١) معجم اليمامة ، ج٢ ، ص ١٩٧ .

الشمسية . كما يبرز في السلسلة نفسها طريق قديم مرصوف بالحجارة ، وقد جدد وتمت توسعته في عهد الملك عبد العزيز ، لتستخدمه السيارات كطريق بديل لطريق وادي حنيفه عند جريانه بالسيول ، وإلى الجنوب من هذا الدرب يظهر مرقب شامخ لا أستبعد أن له علاقة بهذا الطريق . وعلى يمين الوادي تقع بعض مزارع العيينة وأهم ظاهرة تميز هذا الوادي هي وجود عين ماء تنبع في إحدى تلاع المجبنينة بعد امتلاء (حكر العيينة) أو (سد ابن معمر)[1] بالسيول ، وبعد أيام تفيض العين بماء عذب يستقبل في خزان أمام العين والتي تسمى (عين ابن معمر)[2] ، واختصارًا «بالعين» ثم تنساب في ساقي خاص عبر وادي المجبنينة لتسقي البعول وبعدها تمر في شبكة داخل مزارع العيينة لترويها حسب حصة متفق عليها بين المزارعين .

أما عن سبب تسمية هذا الوادي بالمجبنينة ، فيعود لقوة السيول المنحدرة مع الوادي في موسم الأمطار إذ إن السيول بعد انحدارها من ظهرة سدحة تندفع في مجرى الوادي وبعد انعطاف الوادي باتجاه الجنوب ترتد السيول بقوة على حامي العيينة الذي يقوم على الضفة الغربية لوادي المجبنينة فتلحق به أضراراً كبيرة كما تلحق أضراراً بالمزارع القريبة من الوادي ، أما الآن فيبدو أن الاسم لا ينطبق على الوادي بعد أن عدلت بعض سيوله وشعابه إلى (غاله) وإلى رميلان الشمالي ، كما أن بعض الحفر في ظهرة سدحة والتي أحدثت أخيراً تحتضن كمية لا بأس بها من السيول فأصبح جريانه بهدوء . ويقع جزء من الوادي الآن ضمن الطريق المؤدي إلى الكلية حيث ردم واستخدم طريقاً ونزعت بعض الملكيات إلى الغرب منه ، ووسع بها الوادي عوضاً عن الجزء الكبير الذي أصبح ضمن الطريق ، وبقي جزء من مطاوي المجبنينة ظاهرة أمام بوابة الكلية .

نعود لوادي حنيفة لنتجه معه جنوبًا ، فنجاوز جسرًا اسمنتيًا يشكل جزءًا من الطريق المؤدي لمزارع الطرف والسويدي ، وبعد أن نتجاوز الجسر ينعطف الوادي إلى الغرب فثمة على يسارنا شعيب السويدي .

---

(١) معجم اليمامة ، ج٢ ، ص ١٩٧ .

(٢) دليل الخليج ، ج٢ ، ص ٩٥٢ .

١٦- السويدي:

رافد صغير من روافد وادي حنيفة الجنوبية يبلغ طوله ما يقارب ٣ أكيال ، وهو يقع بين الأحيرش شرقاً وصفار غرباً ، ويمر بأعلاه خط أنابيب الزيت ، وجل الوادي مزارع واستراحات زراعية ، وفي جانبه الغربي مقبرة قديمة يتوسطها مجرى ماء (مسيل) مرصوف الجانبين للمحافظة على القبور . وفي سفوح الوادي العليا مقاطع قديمة للحجارة نقلت على ما يبدو للعيينة للبناء وللمشاريع الزراعية من رصف أودية وطي آبار وخلافه . وبينه وبين صفار كتابات جبلية قديمة على صخور ملساء في أعلى السلسلة الجبلية عثرت عليها بتاريخ ١/ ٨/ ١٤١١هـ . ثم نسير مع وادي حنيفة غرباً حيث يضيق الوادي وحافاته مطوية بحجارة جيدة ، ثم ما يلبث أن ينعطف إلى الشمال الغربي وفي هذا المكان آثار كبوش ووضائم بعدها على يسارنا شعيب صفار .

١٧- صفار:

رافد صغير من روافد وادي حنيفة الجنوبية يقع بين شعيب السويدي شرقاً ورميلان الجنوبي المعروف بـ (أم أرينب) غرباً ، ويبلغ طوله ما يقارب ٤ أكيال ، وتكثر به البرق على سفوحه الجبلية ، وربما أخذ اسمه صفار من صفرة الرمال التي تغطي وتجلل سفوحه الجبلية وعلى السلسلة الجبلية التي تحد الوادي من الغرب مرقب بارز يسمى مرقب صفار يشاهد تقريباً من كل مكان بالعيينة ، وله درج بارز من صخور المرقب نفسه . وهناك مرقب آخر على السلسلة الجبلية التي تحد الوادي من الشرق ، جنوب خط أنابيب الزيت ببضعة أمتار ، كمثري الشكل أقل جمالاً وشأناً من المرقب الأول . كما يمر خط أنابيب الزيت بأعلى الوادي . وبمدخل الوادي تبدو للعيان آثار مخلفات مبان قديمة مبعثرة على مساحة واسعة من الأرض وخصوصاً الحجارة مما يوحي بأن هذا الموقع كان له شأن . وقال لي الشيخ الراوية محمد اليحيا رحمه الله : بأن هذه المخلفات والآثار هي بقايا بلدة قديمة تدعى (برقه) . وهي برقه التي كان اسمها يغلب على اسم العيينة ، كما ذكر ذلك ابن لعبون في تاريخه إذ قال : «وذكر لنا أن حسن بن طوق بن سيف اشترى

برقة المسماة بالعيينة والجبيلة من آل يزيد أهل الوصيل والنعمية وارتحل من ملهم وسكنها» [١] .

فهل تكون برقة هذه هي التي ذكرها ياقوت الحموي حين قال : «برقة بالضم من نواحي اليمامة» [٢] .

أعتقد ذلك وقد شاهدت أثناء تجوالي بموقع برقة آثاراً صخرية كبقايا أرحية وأدوات حفظ المياه الصخرية المسماة بالقرو وغيرها من الصخور التي كانت تستخدم في البناء وكانت برقة من أكبر أحياء العيينة فيما بين عامي ٨٥٠-١١٧٣هـ .

وبعد أن نخرج من صفار تتربع أمامنا في السهل الزراعي الواسع قارة واضحة كانت جزءاً من إحدى سلاسل جبل طويق ، وبالتحديد السلسلة التي تفصل وادي صفار عن رميلان ، فانفصلت مقدمتها عن الجبل الأم ، وبقيت المقدمة بارزة مشكلة قارة تعرف بقارة ابن معمر ، لها قصة خرافية يتداولها بعض العامة من أهل العيينة . يعلوها مرقب قديم وهي شمال وادي حنيفة ، وشكل هذه القارة قريب من النجمة الثلاثية ، وتحت سفحها الشرقي والشمالي مقابر قديمة ويعلوها بقايا سور العيينة . ونستمر مع الوادي الذي يميل قليلاً نحو الجنوب ونتجاوز مدرجاً كبيراً يعترض وادي حنيفة فيه ثلاث كبشات يحول جزءاً من مياه الوادي لمزارع العيينة ، ويبدو أنه لا يؤدي دوره الآن بسبب تهدمه ويليه مدرج مشابه له ولكنه متهدم بقيت بعض معالمه . وعلى يميننا جل مزارع العيينة ومساكنها ، وعلى يسارنا مزارع وتلاع وبرق يعلوها مرقب ضخم هو أعظم مراقب العيينة وأكبرها ، يلي هذه البرق شعيب يسمى رميلان الجنوبي .

١٨- رميلان الجنوبي :

شعب في وسط العيينة من شعاب وادي حنيفة الجنوبية ويسمى (أم أرينب) لكثرة الأرانب البرية فيه ، والتي كانت تهاجم المزارع منذ مدة وإن كانت تتناقص

---

(١) عبد الرحمن عبد الله التويجري ، الإفادات عما في تراجم علماء نجد من التنبيهات ، الرياض : ١٤١١هـ ، ص ٦٠ .

(٢) معجم البلدان ، ج ١ ، ص ٣٩٠ . رسم (برقة) .

تدريجياً . يقع رميلان الجنوبي بين وادي صفـار من الشـرق وأم كثير من الغرب ، ويبلغ طوله ما يقارب ٣ أكيال ، وأرضه زراعية رملية ، ويمر خط أنابيب الزيت فيه . وفي الجهة المقابلة لرميلان الجنوبي شعب يسمى رميلان الشمالي ، وبينه وبين المجينينة تلعة يصل طولها حوالي ١٢٠٠ متر .

١٩- رميلان الشمالي:

يقابل رميلان الجنوبي من الشمال ، وينحدر من الجزء الجنوبي من ظهرة سدحة لا يتجاوز طوله ٢,٢ كيل ، تحده المجينينة من الشمال ووادي حنيفة من الجنوب ، ويفصله عن وادي حنيفة بعض المزارع ، وهو الآن أرض زراعية ، تغمره السيول ، وإلى الجنوب منه تلعه ينقسم أعلاها إلى قسمين ولا يتجاوز طولها ١٥٠٠متر . وبعد أن نتجاوز رميلان الشمالي والجنوبي متجهين غرباً فعلى يميننا سهل واسع فيه مزارع وبساتين ، وعلى يسارنا تلاع أكبرها لا يتجاوز طوله ١,٥كيل وبعد أن نتجاوزها نكون قد تجاوزنا آخر مزارع العيينة ، ووصلنا للملاقي التي تلتقي فيها أودية الخمر وبوضه وأم كثير .

٢٠- أم كثير:

رافد كبير من روافد وادي حنيفة الجنوبية يقع غرب وادي الأحيرش ، وشرق وادي (الهديدير) ويبلغ طوله ما يقارب من ١٢ كيلاً ، ومجراه المائي يقع في جانبه الجنوبي ، ويبلغ ارتفاع بطن الوادي عن سطح البحر ما يقارب من ٧٥٢ متراً ، ويمر خط أنابيب الزيت أمام مدخل الوادي ، وتنتشر أشجار الطلح والحرمل والعوسج والعشر في الوادي مع غيرها من النباتات وتدفع سيول أم كثير في وادي حنيفة في الملاقي ، وإلى الغرب من أم كثير هناك تلاع عديدة يصل طول بعضها إلى كيلين تسمى مدوخلات أم كثير ، أمامها بعض القور مفردها قارة وفيها برق قليله . ومن هذا المكان «الملاقي» يعرف هذا الموضع من وادي حنيفة باسم الحيسية ، وسنأخذ طريقنا من الملاقي مع بوضة ثم نعود إليها لنأخذ الحيسية .

٢١- بوضة (أباض):

(بوضة) واسمها قديماً (أباض) كانت بلدة عامرة قديماً منذ الجاهلية ، قامت على أرض واسعة جيدة التربة تسمى رحبة الهدار يدفع فيها سيل وادي بوضة وهو

واد كبير ورافد مهم من روافد وادي حنيفة . ومجرى وادي بوضه هو المجرى الأوسط من الملاقي .

فنتجه صاعدين فوق بطحائه النضرة وحولنا على حافات وجنبات الوادي أشجار الطلح والعشر والحرمل وغيرها من النباتات والأعشاب الموسمية ، واتجاهنا للغرب وعلى يميننا مزارع تسقى بأجهزة الري الحديثة (الري المحوري) وعلى يسارنا تلاع فيها برق تسمى مدوخلات أم كثير ، وبعد سيرنا بما يقارب ٤ أكيال ، نجد يميننا هجرة بوضة التي تقوم على أنقاض بلدة أباض ذات التاريخ والشهرة القديمة ، وترتفع بوضة عن سطح البحر بـ ٧٥٤ متراً . ودارت حول هذه البلدة معارك طاحنة بين جيوش المسلمين وجيوش المرتدين في العام الحادي عشر للهجرة . وحينما فرغ خالد بن الوليد رضي اللّه عنه من هذه الحرب أقام في وادي أباض (بوضة) واستقبل الناس فيه[1] ، ورتب الأوضاع السياسية والأمنية في المنطقة قبل انصرافه ، وقال الهمداني عنها : «وفوق ذلك قرية يقال لها : أباض بها كانت وقعة خالد بن الوليد ومسيلمة . . لبني عدي بن حنيفة» [2] .

وقال ياقوت الحموي عن أباض (بوضه) ما يلي : «أباض : بضم الهمزة وتخفيف الباء الموحدة وألف وضاد معجمة : اسم قرية بالعِرْض ، عِرْض اليمامة ، لها نخل لم ير نخل أطول منها . وعندها كانت وقعة خالدَ بن الوليَد ، رضي الله عنه ، مع مسيلمة الكذاب ؛ قال شبيب بن يزيد بن النعمان بن بشير يفتخر بمقامات أبيه :

أتنسون يوم النعف نعف بزاخة ... ويوم أباض ، إذ عتا كل مجرمِ
ويوم حنين في مواطن قتلة ... أفأنا لكم فيهن أفضل مغنمِ

وقال رجل من بني حنيفة في يوم أباض :

فللّه عينا من رأى مثل معشر ... أحاطت بهم آجالهم والبوائق
فلم أر مثل الجيش جيش محمد ... ولا مثلنا يوم احتوتنا الحدائق
أكر وأحمى من فريقين جمعوا ... وضاقت عليهم في أباض البوارق

(١) محمد بن جرير الطبري ، تاريخ الأمم والملوك ، دار القلم ، بيروت ، ج٢ ، ص ٢٤٦.
(٢) صفة جزيرة العرب ، ص ٣٠٧.

وقال الراجز :

يـوم أبـاض إذ نـسـن الـيـزنـا والمشـرفـيات تـقـد الـبـدنا

وقال آخر :

كأن نخلاً من أباض عوجا أعناقها ، إذ حمت الخروجا

وأنشد محمد بن زياد الأعرابي :

ألا يا جارنا بأباض ! إنا وجدنا الريح خيراً منك جاراً

تغذينا ، إذا هبت علينا وتملأ وجه ناظركم غباراً»[١]

وقال البكري : (أباض هو واد باليمامة وبه قتل زيد بن الخطاب) ، واستشهد عليه ببيت جرير حين قال :

زال الجمال بنخل يثرب بالضحى أو بالرواجح من أباض العامر

واستشهد أيضاً بقول عمرو بن كلثوم :

كـأن الخـيـل أسـفـل مـن أبـاضٍ بجنب عويرضٍ أسرابُ دبرِ[٢]

كما ذكرها ابن بليهد وقال عنها :

« . . أباض باقية إلى هذا العهد بهذا الاسم . . ولكنه حرف تحريفاً فأصبح يُقال له الآن : (بوضى) والنخيل التي ذكرها صاحب المعجم والتي قال فيها : إنه لم يُر نخل أطول منها فالنخل الآن لم يبق منه إلا أصوله . . وسيلُ هذا الوادي يصب في وادي الجبيلة »[٣](*) .

أما حمد الجاسر فتساءل بقوله : « فأين موقع أباض؟ !» وذلك بعد أن ناقش أقوال كل من البلاذري والهمداني والبكري وأحد شعراء بني حنيفة الذي قال :

(١) معجم البلدان ، ج١ ، ص ٦٠ ، ٦١ .
(٢) عبد الله بن عبد العزيز البكري ، معجم ما استعجم من أسماء المواضع ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ، ج١ ، ١٣٦٤هـ ، ص ٩٤ ، ٩٥ .
(٣) صحيح الأخبار ، ج٣ ، ص ٤٧ .
(*) والصحيح أنه يصب في وادي حنيفة ، والجبيلة أحد قراه ولا ينسب الوادي لها .

فلم أر مثل الجيش ، جيش مُحمد ولا مثلنا يوم احتوتنا « الحدائقُ »
أكرّ وأحمي من فريقين جمعوا وضاقت علينا في (أباض) البوارق (١)

ثم حدد الجاسر موقع أباض غرب العيينة وشرق الهدار وبيَّن موقعها على الخريطة(٢) ، كما يرى الجاسر أن العيينة إحدى محلات أباض وأن العيينة كانت متصلة بها (*) .

وأقـــول : إن موقعة اليمامة التي وقعت في العام الحادي عشر للهجرة بين جيوش المسلمين التي جندها الخليفة الأول أبو بكر الصديق رضى الله عنه وبين المرتدين من بني حنيفه وغيرهم ، لم تدر في موقع واحد بل في مواقع متقاربة وأشهرها رحبة بوضة والهدار وعقرباء وهي مواقع تتصف بأنها سهلة وواسعة ومناسبة للأسلوب الحربي القديم الكر والفر والطراد .

وأباض (بوضة) تقوم اليوم على أرضها هجرة بوضة ، وربما قديماً كانت تطلق أباض على موقعها الآن إلى ما دون عقرباء من باب إطلاق اسم الجزء على الكل ، وهذا في وقت قديم إبان تلك المعارك وبعدها ، مثلما هو حاصل الآن من إطلاق اسم الحيسية ابتداء من ثنية الأحيسى إلى أول مزارع العيينة .

أما موقع أباض الحقيقي فهو موقعها الآن كما أشرت وما حوله ، بدليل وجود البرق (أبارق) غرب هجرة بوضة ، وخصوصاً على الجبل المعروف باسم (مصيقره) حيث البرق وهي الرمال المختلطة بالحجارة ، ومصيقرة سلسلة جبلية يصل طولها إلى ٦ أكيال غربي أباض (بوضة) كما يقع إلى الجنوب منها بعض البرق . فأرجح أن هذه الأبارق هي التي عناها الشاعر بقوله : «وضاقت علينا في أباض البوارق» فهي قد ضاقت بالجيوش والفرسان والرجال الذين انتشروا في أرض المعركة . بعد أن ضيق عليهم جيش المسلمين الأرض رغم اتساعها . وموقعها الفلكي عند نقطة تقاطع خط عرض ٢٤,٥٣,٥٢° شمالاً ، وخط طول ٤٦,١٧,٥٣° . وأول روافد بوضة هو :

---

(١) الرياض عبر أطوار التاريخ ، ص ٥٦ .
(٢) حمد الجاسر ، ابن عربي ، موطد الحكم الأموي في نجد ، ص٤٢ ، ٤٣ .
(*) تنظر صفحة ٣٦ .

١/٢١ عشيران:

من الزوافد الجنوبية لوادي بوضة يقع بين أم كثير شرقاً وأبو صفي غرباً ، يبلغ طوله ٤ أكيال ، وأهم أشجاره الطلح والعشر والتي اكتسب اسمه منها ، وأمامه رحبة الهدار . وإذا تجاوزناه مصعدين في الوادي فعلى يسارنا قارة واضحة كبيرة يبلغ ارتفاعها عن سطح البحر حوالي ٨٨٠ متراً بعدها مباشرة شعيب أبو صفي .

٢/٢١ أبو صفي:

من الروافد الجنوبية لوادي بوضة يقع بين عشيران شرقاً وقرى البارود غرباً ، ويبلغ طوله ما يقارب خمسة أكيال ، ويدفع سيله في وادي بوضة ، وأمام مدخله يمر خط أنابيب الزيت ، وتتناثر فيه بعض أشجار الطلح وبعض أشجار العشر .

وبعد أن نتجاوز أبو صفي يميل الوادي إلى الجنوب الغربي إلى أن نصل للملاقي الثانية ، وهي التي تلتقي فيها سيول وادي بوضة مع سيول وادي الهديدير .

٣/٢١ الهدار (الهديدير):

قرية قديمة جاهلية درست وأصبحت أثراً بعد عين ، وصغّر اسمها واقتصر على الوادي ، وهو واد كبير ذو شهرة واسعة ويعتبر أكبر روافد وادي بوضة ، يدفع سيله في وادي بوضة في مكان يسمى الملاقي من التقاء سيل الواديين ، وهي غير الملاقي التي تلتقي فيها سيول كل من بوضة والخمر وأم كثير . ويبلغ طول وادي الهديدير ما يقارب ١٩ كيلاً .

قال ياقوت في مادة (هدر) : « يجوز أن يكون من الهدر وهو إبطال الدم ، أو من هدر البعير إذا شقشق بجرّته ، والحمامة تهدر أيضاً ، وأصلهما الصوت» (١) .

وأعتقد أن سبب تسميته بـ «الهدار» تعود لكثرة العشب بالوادي ؛ قال الفيروزآبادي : (العشب هدوراً وهديراً : طال جداً ، وكثر ، وتمَّ . وأرضٌ هادرةٌ : كثيرة العشب متناهية)(٢) . ووادي الهدار يعتبر أشد أودية حنيفة انحداراً ، إذ إن أعلى نقطة فيه ترتفع عن سطح البحر بـ ١٠٣٠ متراً في أعلى الجبل الذي ينحدر فيه شعب أم الشبا وأدنى نقطة فيه ترتفع عن سطح البحر بـ ٧٦٥ متراً وهي نقطة عند الملاقي أي التقائه بوادي بوضة ، فيكون الفرق بين أعلى نقطة فيه وأدنى نقطة

(١) معجم البلدان ، جـ٥ ، ص ٣٩٤ .

(٢) الفيروزآبادي ، القاموس المحيط ، مادة هدر

هو ٢٦٥ متراً ، وحينما تكلم ياقوت عن الهدار قال : « الهدار : من نواحي اليمامة بها كان مولد مسيلمة بن حبيب الكذاب ؛ وقال الحفصي : الهدار قرية لبني ذهل ابن الدؤل ولبني الأعرج بن كعب بن سعد ؛ قال موسى بن جابر العبيدي :

فلا يَغُرَّنَّك فيما مضى جخيف قريش وإكثارها

غداة علا عرضنا خالد وسالت أباض وهدارها

قالوا : أول من تنبأ مسيلمة بالهدار ، وفيه ولد وبه نشأ ، وكان من أهله ، وكان له عليه طوى فسمعت به بنو حنيفة فكاتبوه واستجلبوه فأنزلوه حجراً ، ولما قتل خالد مسيلمة دخل أهل قرى اليمامة في صلح الهدار في عدة قرى فسبى خالد أهلها وأسكنها بني الأعرج وهم بنو الحارث بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم فهم أهلها إلى الآن . . »(١) .

وقال في موضع آخر : «ثم الهدار وهي ذهلية من الذهل بن الدؤل ، والهدار حصون ونخول وقصور عادية» (٢) .

وذكر الهمداني أن سكان الهدار بنو هفّان بن الحارث بن الدول ، بالإضافة لبني ذهل(٣) . وأمام الهدار رحبة واسعة تضاف للهدار فيقال : رحبة الهدار .

وقد ذكر ياقوت هذه الرحبة فقال : « (رحبة الهدار) باليمامة ، قال الحفصي : الأبكين جبلان يشرفان على رحبة الهدار ، ثم تنحدر في النقب ، وهو الطريق في الجبل ، فإذا استويت على (تل الرحبة) فهي صحراء مستوية ، وفي أطرافها قطع جبل يدعى (زغرب)(*) و(المروغة) و(ذات اسلام) و(النوطة)(**)

---

(١) معجم البلدان ، ص ٣٩٤ .

(٢) المصدر نفسه ، ص ٢٨٥ .

(٣) الحسن بن أحمد الهمداني ، صفة جزيرة العرب ، تحقيق محمد بن علي الأكوع ، دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر ، الرياض ، مطبعة نهضة مصر ، ١٣٩٧هـ ، ص ٣٠٧ . والصواب أن بني هفّان بطن من ذهل بن الدول بن حنيفة . انظر جمهرة أنساب العرب لابن حزم ، ص ٣١١ .

(*) الزَّغْرَبُ هو الماء الكثير ، القاموس المحيط ، مادة زغب .

(**) أناط : الأرض يكثر بها الطلح ، القاموس المحيط , مادة نوط.

و(غيطلة)(*) ، قال مخيس بن أرطاة : تبدلت ذات إسلامٌ فغيطلة ، ثم تمضى حتى تخرج من الرحبة فتقع في العقير»[١] .

وقد وصف عبد الله بن خميس هذه الرحبة فقال : «رحبة الهدار : الرحبة متسع الأرض وفسيحها ، والهدار بفتح الهاء ، وتشديد الدال المفتوحة ، فألف ، وراء . . رافد كبير من روافد (وادي حنيفة) مما يسيل على (أباض) (بوضة الآن) مما يسيل عليها من الجنوب ، بل هو أكبر روافدها . وهذه الرحبة هي أوسع مكان في وادي حنيفة وأخصبه ، يحدها جبل (مصيقرة) من الشمال ، وجال (بوضة) من الجنوب وفوهة بوضة من الغرب ، وأسفل وادي (الخمر) وروافده من الشرق»[٢] .

ويورد ابن خميس بيتاً لشاعر شعبي مستسقيًا خاصًا للهديدير وما حوله يقول :

يالله على واد (الهديدير) نوّه

غزير ويسقي فيض ماه (العتايق)(**)

ثم يضيف قائلاً : وهو الآن لا يعرف إلا بـ (الهديدير) بالتصغير ، وهو اصطلاح جديد . . وإلا فهو (الهدار) ، وشهرته قديماً ربما تفوق شهرة (هدار الحريش) بـ (الافلاج) ، ولكنه الآن خلاء من أهله ، يباب من عمرانه[٣] . قلت : ويدفع في وادي الهديدير عدد من الشعاب والأودية أكثرها تنحدر من ضفته الشرقية وهي :

١/٣/٢١ قري البارود :

أول شعاب الهديدير ينحدر من الجنوب للشمال ، وهو واد ضيق طويل يقارب

(*) غيطل : الشجر الكثيف الملتف ، القاموس المحيط ، مادة غطل .

(١) معجم البلدان ، ص ٢٨٦ . ويبدو أن الأسماء التي ذكرها ياقوت الحموي هي أسماء شعاب وأودية وليست جبالاً .

(٢) معجم اليمامة ، ج١ ، ص ٤٦٥ ، ٤٦٦ .

(**) قلت : والعتايق اختفى اسمها الآن وموقعها فيما بين أم صوى غرباً ومريطل شرقاً ، وتسمى الآن أم أرينب ، وكانت مزارع ونخيلاً فيما مضى .

(٣) معجم اليمامة ، ج٢ ، ص٤٥٧ ، ٤٥٨ .

٧ أكيال ويدفع سيله في وادي الهديدير قبل التقائه مع وادي بوضة ، ويقع بين أبو صفي شرقاً وأبو خيسة غرباً .

٢/٣/٢١ أبو خيسة :

الخيس صغار النخل ، وهذا الشعب أحد روافد الهديدير ، يقع فيما بين قري البارود شرقاً وأبو فريدة غرباً ، وهو واد ضيق طويل يبلغ طوله ما يقارب من ٦ أكيال ، ينحدر من الضفة الشرقية لوادي الهديدير وفيه بعض أشجار الطلح .

٣/٣/٢١ أبو فريدة (أبو قويرة) :

والفريدة هي القارة المنفصلة عن الجبل ، والقويرة تصغير قارة . وهي والفريدة بمعنى واحد . هذا الشعب أحد روافد وادي الهدار ينحدر من ضفته الجنوبية فيما بين أبو خيسة من الشرق وحمران غرباً ، وفي مدخله قارة أو فريدة أخذ اسمه منها ، ويبلغ طوله حوالي ثلاثة أكيال ونصف .

ويعد أن نخرج من أبو فريدة فعلى يميننا تلاع ودعوب تسمى (أو قيصرات) الهديدير يقابلها على يسارنا وادي حمران .

٤/٣/٢١ حمران :

من أشهر أودية الهديدير وأطولها يبلغ طوله حوالي ١٠ أكيال وينحدر من الجنوب للشمال ، ويتفرع إلى ثلاثة أودية ، الغربي منها يسمى أم الوعول أو حمران الأعلى وهو شعب ضيق شديد الانحدار كثير الصخور . ثم حمران الأوسط وهو أطول فروع حمران ثم أم طليح أو حمران الأسفل فيها بعض الطلوح وبها قلته ماء مشهورة ، وتجتمع سيول هذه الشعاب الثلاثة في موقع من وادي حمران ثم تنحدر لمسافة ثلاثة أكيال لتدفع في وادي الهديدير .

ولحمران شهرة خاصة عند أهل المنطقة فأشجاره طيبة ونباتاته الموسمية كثيفة وغنية ، وينفرد بوجود أشجار الحماط أحد فصائل أشجار التين ، وعدد هذه الأشجار حوالي عشرين شجرة في مواقع متقاربة . يزيد ارتفاعها عن أربعة أمتار وحدثني بعض كبار السن أنهم كانوا يأخذون في جمع ثمرة الحماط وقت نضوجها ويأكلونها ، وهي ذات طعم حلو كما ذكروا . وكان المكان الذي توجد به

أشجار الحماط محميا عن الرعـي بل كل حمـران حيث يخصص نباته للعـضد دون الرعـي .

وأرضه خصبة منبتة للكمأ (الفقع) قال عنه ابن خميس : « هذا الرافد (حمران) يدفع في (بوضة)(*) وهو أحد روافدها الكبار . . وهو الذي عناه الشاعر الشعبي (العريني) حينما أخذ يستغيث ويطلب السقيا لوادي حنيفة ، قال من قصيدة له في هذا الغرض :

عساه لي جافوق (حمران) راض وهبت شمال وكن يقفاه عراض

يسقي لنا شعبـان واد الريـاض ياحيث به لمغيزل العين مقيـاض

وفي أعلى حمران (ثمد) ويتعانق الرأس مع (أبو حماط) و (أم الحمام) بمزيرعة من أودية العمارية . وهو الذي عناه حمدان بن محمد بقوله :

يارجم حمـران سميتـك مسلي يازبن من جاه جافينه دناياه»[1]

٥/٣/٢١ شعيب القارة :

عندما نغادر حمران ونتجه يساراً لأعلى الوادي يأخذ الوادي عند ذلك في الاتساع وتبرز في هذا المتسع قارة متوسطة الارتفاع خلفها على يميننا شعيب يسمى شعيب القارة لا يتجاوز طوله كيلاً ونصف ينحدر من الضفة الغربية لوادي الهديدير .

٦/٣/٢١ شعبا السحيلة :

بعد تجاوزنا لشعيب القارة يظهر على يسارنا شعبان صغيران متجاوران يسميان شعبا السحيلة ينحدران من الضفة الشرقية لوادي الهدار يحدهما من الشرق أم الوعول أحد روافد حمران لا يتجاوز طول الشرقي منها كيلين والغربي أقل طولاً وأكثر اتساعاً . ويقابل شعبا السحيلة في مجرى وادي الهديدير حجارة كبيرة منهارة من السلسلة الجبلية الغربية واستقرت على جانب مجرى الوادي وعليها نقوش واضحة .

(*) قلت : الأصح يدفع في الهديدير ثم بوضه .

(١) معجم اليمامة ، ج١ ، ص ٣٤٤ .

٧/٣/٢١شعاب الدغم:

بعد شعيب السحيلة ينعطف وادي الهدار يساراً ناحية الجنوب ، ويظهر على يميننا شعبان صغيران ينحدران من الضفة الغربية لوادي الهدار باتجاه الشرق يسميان الدغم الشمالية يقابلهما شعبان ينحدران من الجهه المقابلة يسميان الدغم الجنوبية لا يتجاوز أطولهما كيلين . وبعد تجاوزنا الدغم الشمالية يظهر في السلسلة الجنوبية لوادي الهدار صوح واضح على يميننا يسمى صوح الضبعة فيه مغارة صغيرة يليه على يسارنا برقة تسمى برقة مسيكة .

٨/٣/٢١ مسيكة:

إحدى روافد الهدار المنحدرة من ضفته الجنوبية ، أهم ما يميزها قارة كبيرة تتربع في مدخل الوادي ويتفرع مسيكة لفرعين الشرقي يأخذ نفس الاسم (مسيكة) أما الغربي فيسمى أم الشبا ، وفيه قلات عديدة تحفظ الماء لمدة طويلة فيكثر فيها الشبا وهو يكثر في المياه الراكدة ومنه سمي الشعب بهذا الاسم . ويبلغ طول وادي مسيكة ٥ أكيال ومسيكة هي شجرة موسمية ذات رائحة عطرية تشبه رائحة المسك تكثر في الوادي .

٩/٣/٢١المستظلة:

دعب صغير ينحدر من الجهة الجنوبية لوادي الهديدير يحده من الشرق مسيكة ومن الغرب أم ثعبة .

١٠/٣/٢١أم ثعبة:

بعد أن نجتاز المستظلة صاعدين فعلى شمالنا ينحدر وادي أم ثعبة من الجهة الجنوبية للهدار لا يزيد طوله عن كيل ونصف وعلى يميننا تلاع غير ذات شأن .

١١/٣/٢١أم زنقره:

وهي أعلى روافد الهديدير ، وسميت أم زنقرة بهذا الاسم لوجود قارة غرب مجرى وادي الهديدير فوق قمة القارة صخرة كبيرة كأنها عمامة أو كرة تسمى زنقرة وهي عند أهل نجد : بعرة البعير تغرس في عود وبعدها ينتهي وادي الهدار بالقرب من أكثر المواقع ارتفاعاً في العيينة فوق أم ثعبة إذ يبلغ ارتفاع هذه المنطقة ١٠٣٠ متراً فوق سطح البحر كما أشرنا .

ثم نغادر وادي الهدار (الهديدير) الذي وصفناه وأخذناه من الملاقي حتى أعلاه عندئذ ونعود عند مدخله للملاقي حيث نأخذ الوادي الأيمن متجهين غرباً فثمة مدخل بوضة ، وعلى شمالنا منطقة صخرية تسمى قليتات الماء ، هي امتداد لحافة الجبل الفاصل بين بوضة والهديدير وفي هذه المنطقة قلتات ماء موسمية ، تسمى قليتات الماء ، ثم نتجه مع الوادي مصعدين باتجاه الغرب وبنفس الاتجاه يسير خط أنابيب الزيت وعلى يسارنا في الضفة الجنوبية للوادي خمس تلاع متجاورة أكبرها الغربية منها والتي يصل طولها حوالي كيل ونصف . تنقسم في أعلاها إلى قسمين ، وهذه التلاع تسمى أمهات عويذران ويقابل الثانية منها في الجهة الشمالية للوادي قري أبا الهبايا .

٤/٢١ أبا الهبايا :

قري أبا الهبايا - جمع هبيّه وهي الآبار المندفنة - أحد روافد وادي بوضة الغربية يبلغ طوله ما يقارب ٤ أكيال فيه عدد كثير من التلاع أكثرها في الضفة الشمالية منه أقيم على مدخل هذا الشعب حاجز ترابي لحجز مياه السيول بارتفاع يقارب مترين وبطول ٤٠٠ متر تقريباً ، وفي هذا الوادي بعض أشجار الطلح القليلة .

إذا خرجنا من هذا القري مصعدين في الوادي نمر فوق خط أنابيب الزيت الذي مد في بطن وادي بوضة فأمهات عويذران على يسارنا وإذا انتهت تلاع أمهات عويذران فثمة وادي غرور المشهور على يميننا .

٥/٢١ غرور :

أحد الروافد الغربية لبوضة وأشهرها يبلغ طوله حوالي ١٢ كيلاً ، يسمى هذا الوادي وادي غرور ويحده من الشمال أودية أبا الهبايا وسدير وقري الحيسية ومن الجنوب المحيملات وحذين . وهو واد كثير التلاع والكهوف وفيه العديد من أشجار الطلح وعلى طول امتداد أنابيب الزيت فيه الذي يبلغ حوالي ٩ أكيال من مدخله حتى ثنية غرور أزيلت جميع أشجار الطلح الذي صادف وجودها في طريق خط سير الأنابيب .

وفي أعلى أحد شعاب غرور الشمالية الغربية ثنية غرور وهي ثنية مشهورة تسلكها القوافل بكل صعوبة ولكنها الآن أصبحت أثراً بعد عين . بعد أن شق خط

الأنابيب تلك الثنية ومحا معالمها وأصبح مكانها طريقاً سهلاً تسلكه السيارات .
وثنية غرور تقع على يمين الصاعد من ثنية الأحيسى (سبع الملفات) بحوالي كيل واحد . وذكر ياقوت أن ثنية غرور هي ثنية الأحيسى ، وهذا غير صحيح فثنية غرور شيء وثنية الأحيسى شيء آخر ولكن قرب بعضهما من بعض هو الذي أوقع ياقوت في الخطأ وحينما تكلم ياقوت عنها قال : «غرور : بضم أوله ، وتكرير الراء ، وهي الأباطيل كأنه جمع «غر» مصدر غررته غراً . . إلى أن قال : والغرور : ثنية باليمامة وهي ثنية الأحيسى ، ومنها طلع خالد بن الوليد ، رضي الله عنه ، على مسيلمة الكذاب» (١) .

وقال ابن بليهد عن غرور ما يلي : « وقد ذكر أهل المعاجم والتاريخ أن خالد ابن الوليد طلع على بني حنيفة من ثنية الأحيسى وسلك غروراً . . وغرور إذا طلعت مع ريع الأحيسى فهو على يمينك ، وبلغني أن سبب تسميته غروراً هو أنه لما طلع خالد بن الوليد معه وكانت عيون بني حنيفة في الوادي الثاني قالوا : (غريتنا يا غرور) فبقي هذا الاسم إلى هذا العهد » (٢) .

وقال أيضاً : « ثنية غرور ، وهي التي سلكها خالد بن الوليد - رضي الله عنه !» (٣) .

أما ابن خميس فقال : « وغرور ثنية معروفة الآن ، وتقع بين فرعي (وادي الأحيسى) الكبيرين (بوضة) - أباض قديماً - ووادي (الخمر) و (أبي الهشم) ، يتطامن الجبل في منطقة قصيرة بينهما ، فيأخذ معه طريق وعر تمر منه الدواب بكلفة ، فتلك هي (ثنية غرور) . . وواصل ابن خميس الحديث عن الثنية إبان حروب الردة بين خالد ومسيلمة إلى أن قال : فجعل خالد طائفة من جيشه تشاغل جيش مسيلمة القتال وتناوشهم الحرب مناوشة ، بينما قسم من جيش خالد قد أوعز إليهم بأن يتسلقوا هذه الثنية ، ويجعلوا الجبل الجنوبي بينهم وبين عدوهم ، ويمعنوا حتى يظهروا عليهم من خلفهم فيقطعوا عليهم خط الرجعة

---

(١) ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج٤ ، ص١٩٦ . رسم « غرور » .
(٢) ابن بليهد ، محمد بن عبد الله ، ما تقارب سمعه وتباينت أمكنته وبقاعه ، تحقيق د . محمد بن سعد بن حسين ، الرياض ، مطابع الاشعاع ، ١٤٠٢هـ ، ص ١٢٩ .
(٣) صحيح الأخبار ، ج٢ ، ص ١٦٩ .

ويطوقوهم . . وهكذا فعل جيش خالد لتحل الهزيمة بجيش مسيلمة ، ويلوذوا بشعاف الجبال ، ويرددوا كلمتهم المأثورة : غررتنا يا غرور . .» (١) .

وأعتقد أن في كلام ابن خميس شيئاً من التوقع والخيال ، وسبب ما ذهب إليه ابن بليهد وابن خميس من أن خالدًا سلك غرور بجيشه أو ببعض جيشه مرده إلى أمرين :

الأول : أن ياقوت ذكر ذلك رغماً أنه عد غرور والأحيسى ثنية واحدة .

والثاني : القول المأثور وهو : غريتنا يا غرور . وهو كما سمعته بيت شعر شعبي يقول :

غريتنا يا غرور وأثرك مغرة   غرك اللّه من السيل ياغرور

وحين نخرج من وادي غرور لبوضة نحتاج للتوقف بعد مسيرنا المرهق ، ونتفقد في موقفنا هذا نباتاً معمراً يظهر على سفح الجبل عندما يحف به الوادي من جهة بوضة ثلاث شجرات كبار رائعة الخضرة ملفتة للنظر في موقعها وشكلها ولونها وتسمى هذه الأشجار بالآثأبُ مفردة «أثَابةٌ» يتراوح ارتفاع الشجرة ما بين ٣-٤ أمتار وجذوع هذه الأشجار متقاربة كل شجرة لها عدد من الجذوع ولا يأكل ورقها إلا الإبل ، ولا يوجد في بوضة من هذه الأشجار إلا هذه المجموعة كما يوجد في الهديدير شجرة واحدة من هذا النوع هي أصغر حجماً من أثاب بوضة ، وتوجد شجرة صغيرة من الأثاب في إحدى تلاع الطرف بمدينة العيينة . وهذه الأشجار من النباتات الصخرية التي تنمو في شقوق الصخور القريبة من مجاري المياه الموسمية وحبذا لو استنبتت هذه الشجرة فهي جميلة المنظر ودائمة الخضرة . إذًا لنترك أشجار الأثاب ونستمر صاعدين في وادي بوضة متجهين غرباً في بطن الوادي وبين أشجار الطلح ذات المنظر الخلاب ويصادفنا على يميننا على الجهة الغربية تلعة صغيرة وأمامنا قارة تتوسط مدخل وادي المحيملات .

٦/٢١ المحيملات :

تتميز المحيملات بوجود قارة في مدخلها تسمى قارة المحيملات وهما واديان المحيمل الشمالي والآخر جنوبي ويسميان المحيملات وهما من روافد بوضة الغربية . والشمالي منهما يسمى أحياناً المحيمل الأعلى يبلغ طوله ٦ أكيال والجنوبي أو

(١) معجم اليمامة ، ج٢ ، ص ٢٢٠ ، ٢٢١ .

الأسفل أقل طولاً إذ يبلغ ما يقارب ٤ أكيال وأشهر نباتاتهما أشجار الطلح وهما غير محيملات الخمرة .

وبعد تركنا مدخل المحيملات صاعدين في وادي بوضة يميل الوادي باتجاه الجنوب وبعد مسيرنا بحوالي كيل تظهر على يميننا برقا بوضة وهي كثيب صغير من الرمل . وبعد البرقة قريان واسعان نسبياً على يميننا أيضاً يسميان قريات المحيملات أو دحو المحيملات ، بعد أن نتجاوزهما ينعطف وادي بوضة لجهة الغرب مرة أخرى وعلى يسارنا مباشرة تلعتان تسميان اقيصرات دعلج وهما دعبان قصيران يليها بنفس الاتجاه وادي دعلج .

٢١/٧دعلج:

أحد روافد بوضة الجنوبية يبلغ طوله ما يقارب من ٦ أكيال ، والدعلج حيوان ليلي صغير يسمى القنفذ يغطي جسمه أشواك وبرية يصل طولها إلى حوالي ٣ سم ، وهو مزدوج التغذية يتغذى على الحيوانات الصغيرة والزواحف كالثعابين وعلى النباتات . ولعل الوادي اكتسب اسمه من كثرة هذا الحيوان فيه أو من كثرة نباتاته والتفاف بعضها على بعض . ووادي دعلج وادي كثير التلاع فيه بعض أشجار الطلح .

وعندما نترك دعلج متجهين غرباً مع بوضة فعلى يميننا دعبان متجاوران صغيران يسميان وقيصرات بوضة الشمالية ، بعدهما يميل وادي بوضة وينعطف إلى جهة الجنوب الغربي ، ويتطامن الجبل على يسارنا بين بوضه ودعلج ، ويسمى هذا المكان بقصم دعلج والقصم هو الريع ونترك قصم دعلج على يسارنا مصعدين في وادي بوضه وبعد مسيرنا بحوالي كيل ونصف يتسع الوادي وتقابلنا في بطن الوادي قاره كبيرة تسمى قارة حذين إلى الغرب منها وادي حذين .

٢١/٨حذين:

من الروافد الغربية لبوضة وهو واد واسع يبلغ طوله حوالي ٧ أكيال ، عند دخولنا هذا الوادي نجد يسارنا شعب صَغير من روافد حذين يسمى الخويش لا يتجاوز طوله كيلاً ونصف ينقسم في أعلاه إلى قسمين يدفع سيله شمالاً يقابله في الجهة الشمالية لحذين تلعتان صغيرتان ، ونستمر مع وادي حذين حوالي كيلو متر

واحد بعدها يتسع الوادي ويصبح أعرض من مدخله ويميل إلى جهة الجنوب الغربي وتقل أشجار الطلح ويضيق مجرى الوادي ويزداد عمقه وينتهي إلى صفحة (حافة) جبل طويق ، وأهم أشجاره الطلح والعوسج وفيه ثنيتان الأولى في الشمال بينه وبين غرور والأخرى في الجنوب بينه وبين ذويبان .

وأمام مدخل حذين تلاع عديدة تسمى أمهات قضقاض تقع جنوب شرق مجرى وادي بوضة ، حيث تكثر الحجارة المنهارة من أعلى الجبل والمتناثرة على سفحه وعلى ضفة وادي بوضة الجنوبية الشرقية ، ومن تناثر هذه الصخور وسقوطها أخذت التلاع تسميتها بأمهات قضقاض ، وقد بينت سبب انهيار الصخور وانزلاقها عند الكلام عن المنطقة الجبلية ، ونستمر مع وادي بوضة متجهين جنوباً بميل قليل إلى الجنوب الغربي ويأخذ الوادي في الاتساع بينما يأخذ مجراه في الضيق والعمق وترتفع السلسلة الجبلية التي على يسارنا إلى ما يقارب من ٩٧٥ متراً فوق سطح البحر وتظهر على يميننا قارة تسمى قارة ذويبان يليها شعب ذويبان .

٢١/٩ذويبان:

أحد روافد بوضة الغربية تظهر أمامه قارة تحمل اسمه هي ثالث قارة بعد قارتي المحيملات وحذين وهذا الرافد صغير لا يتجاوز طوله ١,٣٠٠ متر وسمي بذلك لكثرة الذئاب فيه قديماً ، ونتجاوز ذويبان مستمرين في بوضة فعلى يسارنا درب قديم يسمى درب «أبو حصاة» يصل ما بين أعلى وادي الهديدير « الهدار » وبوضة مروراً بأعلى وادي دعلج ، وحول هذا الدرب عدد من الرجوم المتهدمة وينحدر منه شعيب صغير يسمى شعيب أبو حصاة يصب في بوضة . ونستمر صاعدين وتأخذ بوضة في الاتساع إذ يبلغ اتساعها حوالي كيلين وطولها حوالي ٤ أكيال ، وتسمى هذه المنطقة بصحصاح بوضة أو قاع بوضة والنباتات المعمرة في هذه المنطقة قليلة ، وفي أقصى الجنوب الغربي من قاع بوضة ينحدر شعبان صغيران متجاوران يسميان العدل .

٢١/١٠العدل:

وهما شعبان صغيران ينحدران من الغرب يقعان بين ذويبان من الشمال

والنظيمات من الجنوب ، وبينهما وبين النظيمات قارة على شكل تل مرتفع يليها جنوباً شعبا النظيمات .

٢١/١١النظيمات:

وهما شعْبَان ينحدران من الغرب لجهة الشرق ، ويتميزان بوجود مجموعة من القلات الصَغيرة فيهما . وقد طُمرت أكثر من نصف هذه القلات بالأتربة وتأخذ النظيمات بعد القلات بالميل لجهة الجنوب بانحدار شديد ثم الجنوب الغربي ، وسيلها ينحدر جنوب غرب ناحية قصور سمحان في ضرماء ، وإلى الغرب من قاع بوضة تنحدر السيول إلى ضرماء كذلك مع شعاب تسمى الدفاين .

٢١/١٢الدفاين:

وهي منحدرات أودية على شكل شقوق عميقة في التربة تنحدر معهما سيول أكثر أجزاء قاع بوضة الغربي باتجاه ضرماء ، والدفاين منطقة مكونة من البطحاء والتي سرعان ما تجرفها السيول لقلة تماسكها وشدة انحدار المكان مما تسبب في تكون المجرى العميق والذي يصل عمقه في بعض الأماكن إلى ١٢ متراً .

وتتميز الدفاين بالانهيارات على جانبي المجرى وعلى ارتفاع يقارب ١٢ متراً مكونة من البطحاء التي سرعان ما تنهار فتجرفها السيول بعيداً عن مجرى الماء ، ويظهر عليها أثر اندفاع المياه ، كما أن في جوانبها (الجروف) تظهر للعيان مقاطع بطحاء رائعة ، تأسر النفوس بجمالها الممزوج بالرهبة .

وتوجد في الدفاين الكثير من أشجار السلم والطلح والحماط الذي يصل ارتفاع بعضه إلى ٤ أمتار وغيرها من الشجيرات المعمرة والموسمية مثل سواس والنقد والقرضية والقصبة وغيرها .

وتشتهر الدفاين بقلاتها الكبيرة الحجم التي كان يعتمد على مياهها في الشرب قديماً ، وإذا امتلأت بالمياه فإنه يمكث بها مدة طويلة تصل إلى عدة أشهر تطول وتقصر تبعاً لكيفية استخدام مياهها وشدة الحرارة والبخر .

أما عن أصل تسمية الدفاين بهذا الاسم فنظراً لأن المنطقة كلها بطحاء فهي كما أشرت تنجرف مع السيول وتدفن القلات فيقوم المستفيدون بحفرها مرة ثانية واستخراج البطحاء التي تدفنها حتى تستوعب كمية أكبر من المياه ثم ما تلبث أن

تندفن ثم تنظف وهكذا ، ومن اندفانها اشتق الاسم فسميت الدفاين ، ويقدر عمق القلات الكبيرة بثلاثة أمتار ، وقريباً منها في العرض .

وإلى الجنوب من الدفاين شعب ينحدر في نفس الاتجاه يسمى أم هيشة فيه طريق وعر ، كان يستخدم قديماً وهو خرب الآن بفعل عوامل التعرية .

وإلى الجنوب من أم هيشة ينتهي أعلى وادي أباض (بوضة) إذ يبلغ طوله من الملاقي غرب العيينة إلى أعلاه قريباً من ٢٨ كيلاً ، وبعد أن انهينا وصف وادي بوضة سنعود إلى الملاقي الأولى لنصف وادي الحيسية .

٢٢- الحيسية:

الحيسية هي ذلك الجزء من وادي حنيفة والذي يبدأ من غرب مدينة العيينة مباشرة وبالتحديد من الملاقي وبطول ٢٥ كيلاً مارًا بالروضة التي تقع شمال جبل مصيقرة وحتى ثنية الأحيسى (سبع الملفات) .

والأحيسى هو القري الذي تقع في أعلاه ثنية الأحيسى ، ويطلق هذا الاسم (الحيسية) على أعلى وادي حنيفة ، من باب إطلاق اسم الجزء على الكل[١] . وقد حدد ابن بليهد الحيسية من العيينة إلى أبا الهيش[٢] . وابن خميس قال : «والأحيسى يعرف الآن (بالحيسية) وهو ما فوق (العيينة) من وادي حنيفة . .» . وقال في موضع آخر : «وأحياناً يطلقون (الحيسية) على ما سال من وادي حنيفة مشرقاً ابتداءً من ثنية الأحيسى (سبع الملفات) ويطلقون الحسيان على ما سال من هذه الثنية مغرباً»[٣] . وللحيسية شهرة واسعة قديماً وحديثاً وهي مكان واسع كثير أشجار الطلح يعتبر متنفساً لأهالي العيينة وقراها وللعاصمة الرياض وما حولها .

وفي هذه الدراسة سنعتبر الحيسية تبدأ من الملاقي غرب العيينة إلى ثنية الأحيسى وكل الأودية التي تصب فيها سنعدها من أوديتها .

يبدأ وصفنا للوادي من الملاقي ويسمي هذا الفرع أحياناً بالخمر والأصح أسفل

(١) الرياض عبر أطوار التاريخ ، ص ٥٤ .
(٢) ما تقارب سماعه ، ص١٢٩ .
(٣) معجم اليمامة ، ج١ ، ص ٣٦٣ .

الخمر وتتناثر هنا وهناك على جنبات وحافات الوادي نباتات وأشجار كبيرة معمرة أشهرها الطلح والعشر والحرمل والعوسج ، ونصعد مع الوادي والأراضي التي نتجاوزها ترتفع تدريجياً ، وبعد مسيرنا بقرابة كيل واحد نجد على يميننا أن بعض أهالي العيينة أقاموا صنوع ومسايل لسقيا مزارعهم وخصوصاً مزارع العيينة الشمالية الغربية ، فإذا أخذوا كفايتهم منها أغلقوا المسيل لتجري المياه في بطن الوادي ، يلي الوادي على يميننا طريق العيينة سدوس المعبد الذي يليه تلاع غير ذات شأن ، وعلى يسارنا خرز العين كما يسميه الأهالي ، ويستمر من الملاقي وحتى جبل مصيقرة بطول ٥ أكيال ، وهو عبارة عن عقم فيه تلال من الطين ذات أبعاد متساوية يبلغ ارتفاعها ما يقارب من ٥ر١ متر وعرضها حوالي ١٥ متراً ، وقفت عليها وصورتها قبل إزالتها عام ١٤١٣هـ . وبقى الخرز الذي غرب طريق هجرة بوضة على وضعه السابق ، أما الذي شرق طريق هجرة بوضة فأزيل لاستصلاحه زراعياً ، وبعد المسيل على يميننا تقع إحدى منتزهات العيينة بين الطريق المعبد وحافات الجبل الشمالي ، وبعد أن نتجاوزها نمر ونحن في بطن الوادي من أسفل (جسر) طريق هجرة بوضة وعلى يسارنا رحبة الهديدير يفصل بيننا وبينها خرز العين ، والذي يقال : إن عيناً في جبل مصيقرة كانت تروي بلدة العيينة ، وأن الخرز هذا هو مجراها ، رجح الشيخ عبد الله بن خميس أن العين التي ذكرها الهمداني حين قال : «العيين لبني عامر»[1] . هي عين مصيقرة التي سميت عليها العيينة ، وأن الخرز هو مجراها الذي يسقي بلدة العيينة[2] . بينما ذكر الشايع أنه بقايا سيح آل إبراهيم بن عربي .

نعود لوادي الحيسية فنذكر أن الوادي ينخفض عن رحبة الهدار التي ذكرنا أنه يمتد فيها خرز العين بحوالي ٣ أمتار وطوله حوالي ١٠٠ متر في أخفض نقطة والتي تقع بين الجسر وجبل مصيقرة ، ويجري فيها سحق يوازي مصيقرة ، ويصب في هذا المكان من الوادي ، ونستمر مع الوادي فعلى يميننا طريق العيينة سدوس يليه العراقيب وهي سلسلة جبلية فيها تلاع بها طرق تؤدي إلى ظهرة سدحة تسمى

(١) الحسن بن أحمد الهمداني ، صفة جزيرة العرب ، تحقيق محمد الأكوع ، منشورات دار اليمامة ، الرياض ، ١٣٩٧هـ ، ص ٢٨٥ .

(٢) معجم اليمامة ، ص١٩٧ ، ٣٧٢ .

العراقيب تستمر حتى الأبكين ، وتشتهر العراقيب بكثرة بقايا المراقب القديمة بأعلاها ، والتي كان لها دور أمني فعال في العصور القديمة ، وبعضها قبور قديمة .

وتحت العراقيب بينها وبين الطريق المعبد الذي أشرنا إليه أقامت وزارة الزراعة مشروع إعادة تشجير شعيب الحيسية في منطقة واسعة سهلة ، وهو مشروع جيد ، ويبلغ عدد الشتلات التي زرعت فيه أكثر من ٢٧ ألف شجرة .

وعلى يسارنا يظهر خشم مصيقرة الشرقي ، ومصيقرة سلسلة جبلية تمتد وسط السهل الواسع الذي يقع غرب العيينة إلى الابكين ، والذي سماها ياقوت برحبة الهدار ، وطول مصيقرة من الشرق للغرب قريباً من ٦ أكيال وارتفاعها عن سطح البحر يبلغ ٨٢٧ متراً . وبأعلاها ثلاثة مراقب قديمة متهدمة ، وعلى سفوحها تختلط الحجارة بالرمال وتسمى برق مصيقرة ، وفي طرفها الجنوبي الشرقي مما يلي بوضة قارة شامخة فيها كهوف صغيرة مليئة بأعشاش الطيور من ضمنها الصقور ، والتي أخذت القارة منها اسمها ، قال ابن بليهد «المصيقرة هي هضبة صغيرة محيط بها آبار موقعها غربي الخراب ، خراب العيينة وشرقي الأبكين وأودية الخمر»[١] .

وقال عنها ابن خميس : «مصيقرة هضبة في طرف سلسلة جبال ، تنقاد بين شقي وادي (حنيفة) ، (الخمر) وما حولها شمالاً و (بوضة) وروافدها جنوباً تتوسط ما يسمى قديماً برحبة (الهدار) وكانت تنطلق من جبالها عين تنحدر على (العيينة) وما حولها ، لا تزال بقايا رسومها بادية» [٢] .

وبعد أن نجتاز خشم مصيقرة الشرقي نلاحظ انحدار مجاري مائية قادمة من الغرب من الروضة ومن سفوح مصيقرة الشمالية الغربية لتصب في الوادي أوضحها سحقان ، تكثر فيهما نباتات الحرمل وبعض الأعشاب الموسمية ، والطبقة العليا من تربتها رملية إلى حد كبير ، ونستمر مع الوادي وبعد كيل واحد تقريباً يتفرع الوادي إلى فرعين أحدهما ينحدر من الشمال الغربي ويسمى الخر أو (الوصيّل) والآخر ينحدر من الروضة وهو أحد المجاري المائية الواضحة التي تنحدر منها سيول الخمرة بعد انتشارها في الروضة وسنأخذ طريقنا متبعين مجرى الخر .

---

(١) ما تقارب سمعه ، ص ١٢٠ .

(٢) معجم اليمامة ، ج٢ ، ص ٣٧٢ .

٢٢/١الخرُّ(الوصَيل):

نسلكه نحو الشمال الغربي وعلى يميننا أرض منبسطة سهلة قليلة النباتات الدائمة يليها طريق سدوس العيينة ، ثم مشروع تشجير الحيسية ، وعلى جانبي مجرى الخر تنتشر أشجار الطلح وبعض النباتات الأخرى ، ثم ما نلبث أن يميل الوادي إلى جهة الشمال ثم ينعطف بقوة إلى الغرب في منطقة ضيقة وصخرية تقع بين طريق العيينة سدوس شمالاً وبين قارة الرحل جنوباً (أو قويرة الرحال) نسبة للرحال بن عنفوة أحد أبرز قادة بني حنيفة أثناء حروب الردة . فيحتمل أنه كان معسكراً بها أو أنه قتل عندها فنسبت إليه ، وهذا الموقع وما حوله من الساحات التي دارت فيها حروب الردة في العام الحادي عشر للهجرة .

نعود لوصف الوادي فنستمر متجهين مع الوادي للغرب مع ميل يسير باتجاه الشمال الغربي ، والطريق المعبد على يميننا يفصلنا عنه سهل مكشوف ، وعلى يسارنا الروضة ينحدر منها إلى الخر خلال هذه المسافة أربعة مجار مائية ضيقة تكونت بفعل نحت مائي شديد يصل عمقها ما بين ١-٢ متراً وتنتشرّ على جانبيها بعض أشجار الطلح والعوسج والحرمل والعرفج والشبرم والحنظل والعديد من النباتات الموسمية ، وحين نقترب من الأبكين يبدأ الوادي ليأخذ في العمق قليلاً ومجاري المياه المتجهة إليه من الشمال تكون على شكل شقوق يصل عمقها أحياناً إلى مترين وتقل أشجار الطلح بعد أن نصل إلى منطقة تكون القويرات على يسارنا جنوباً ــ وهي مجموعة من القور كانت تقطع منها الصخور إلى عهد قريب ــ والأبكين على يميننا شمالاً ، وتربة الوادي طيبة وسميكة كثيرة الأعشاب والأشجار الموسمية بالإضافة لأشجار الحرمل والعوسج ، وعرض الخر ما بين ٦ - ٨ أمتار ثم نواصل السير بعد أن نتجاوز الأبكين للغرب بميل قليل نحو الجنوب الغربي عندها يتسع الوادي حتى يقترب من شكل القري حيث تتسع الأرض مشكلة سهلاً خصباً طيب النبات ، وإلى الشمال منه سلسلة جبلية عالية بعكس الجنوبية فهي متطامنة ، وفيها طريق تسلكه السيارات يؤدي إلى قرى أبو خشبة جنوباً ، وتقل أشجار الطلح في هذا المكان وبعد سيرنا بحوالي ٢,٥ كيلين ونصف ينتهي الوادي بفرعين رئيسين يطلق عليهما الوصيلات من باب تصغير الجمع ، والفرع الشمالي أطيب أرضاً وأكثر أعشاباً وأوسع مدى من الفرع الجنوبي ، وفيه طريق ترابي يربطه

مع رميلان من أودية سدوس وطولها متقارب يصل إلى حوالي ٣ أكيال ، ولاحظت وجود بعض أشجار السدر البري القليلة قبل انقسام الوادي إلى فرعين . وطول وادي الوصيلات مع الخر من أعلاه الذي يعانق أعالي وادي أبو السدر إلى أن يلتقي مع الخمره مقابل خشم مصيقرة الذي بدأنا منه رحلة وصف الوادي ما يقارب ١٢ كيلاً .

وبعد أن أنهينا وادي الخر نعود إلى مصبه لنأخذ وادي الحيسية ونصعد معه متجهين للجنوب الغربي وسط أرض واسعة خصبة تسمى الروضة أو المغثاة تبلغ أطوال هذه الروضة من الشمال للجنوب حوالي ٦ أكيال ومن الشرق للغرب حوالي ٤,٥ أكيال أرضها خصبة طيبة النبات طينية صفراء وهي جزء من رحبة الهدار ، أما مجاري المياه فهي بطحاء صافية كحبات اللؤلؤ وأهم نباتاتها الطلح بأنواعه والعشر والحرمل والشيح والعرفج وغيره من النباتات الموسمية ويخترق هذه الروضة خمسة أودية الشمالي وصفناه وهو الوصيل أو (الخر) يليه أبو خشبة ، والذي استغلت المنطقة التي يدفع فيها قديماً للزراعة والبعلية وتسمى البعول ، يليه إلى الجنوب وادي الحيسية ثم يليه مباشرة من الجنوب الباطن الأوسط ، والباطن هذا لا تجري معه سيول الخمر والأحيسى إلا إذا كانت كمية المياه كبيرة ، ويضيق بها وادي الحيسية عندها تتجه المياه لجهة الجنوب لتسلك الباطن الأوسط وتستمر معه إلى أن تغطي أغلب أرض الروضة وطول الباطن الأوسط حوالي ٧ أكيال يليه قَريّ الحباري .

٢/٢٢ قري الحباري:

وهو خامس الأودية التي تنحدر في الروضة ، وقري الحباري ينحدر من الضفة الجنوبية للروضة وينحدر باتجاه الشرق ويميل إلى الشمال الشرقي ، ويتلقى جميع السيول التي تنحدر من الجبال التي تقع جنوباً عنه ، وكذلك سيول جبل مصيقرة ، وله رافد بينه وبين مصيقرة يسمى أبا الهبايا الشمالي وبهذا الوادي أشجار طلح صغيرة نسبياً وليست بحجم طلوح الحيسية .

ونستمر مع الحيسية مصعدين وسط هذه الروضة الغناء الغنية بالنباتات المعمرة والموسمية ، فنمر بالبعول على يميننا يليها من الغرب قري أبو خشبة .

٣/٢٢ أبو خشبة:

قـري واسع جيد التربة من أودية الحيسية الغربية يقع بين الوصيلات شمالاً وأبا الملح جنوباً ، ويبلغ طوله حوالي ٣,٥ أكيال ، ومرتفعاته يمر فيها طريق بينه وبين الوصيلات تسلكه السيارات بسهولة ، ويوجد به بعض أشجار الطلح والحرمل والعوسج ، وتنحدر سيوله مع سيول التلاع الثلاث التي تقع عنه جنوباً عبر الروضة ، حيث أقيم عقم لحجز المياه ليستفيد منها الأهالي في الزراعة البعلية ، وتنحدر السيول الزائدة أو التي تستطيع اجتياز العقم باتجاه الوصيل والجزء الأكبر يفترش الروضة حتى يفضي على وادي الحيسية .

وبعد أن نتجاوز قري أبو خشبة على يميننا ونتجه للغرب نمر في مكان ضيق إذ يقترب الجبلان من بعضهما بحيث تصل المسافة بينهما إلى حوالي ٦٠ متراً ويسمى هذا المكان المخنق ، وإذا دخلنا المخنق فعلى يميننا منكشف صخري حيث جرفت السيول التربة التي تعلو حافة التل ، وعندما تزيد كمية السيول في المخنق تمر من فوق تلك الصخور ، ويطلق على المكان عاير الصفيات ، تليه تلاع غير ذات شأن ويقابله من الجنوب دعبان يدفعان في المخنق .

ويمكن استغلال هذا المكان (المخنق) بوضع سد ترابي فيه لحفظ مياه السيول ولا أشك أنها ستزيد منسوب وكمية المياه الجوفية السطحية في بوضة والعيينة وربما سدوس وحزوى .

وأول شعب بعد المخنق على يميننا جهة الشمال يسمى أبا الملح :

٤/٢٢ أبا الملح:

أحد الروافد الشمالية للحيسية (الأحيسى) يبلغ طوله حوالي ١٦٠٠ متر وهو قري صغير تزداد نسبة تركيز الأملاح في بعض تربته أكثر من المناطق الأخرى ، لذا اكتسب اسمه من ذلك ، ولا أثر للنباتات المعمرة كالطلح أو العوسج فيه ، ولا يخلو من نباتات موسمية .

وينحدر من مرتفع شبه مثلث ضلعه الجنوبي الشرقي مجرى الحيسية وضلعه الشمالي الشرقي ينحدر منه قري أبو خشبة وضلعه الغربي شعيب أبا السدر .

وبعد مغادرتنا أبا الملح سرعان ما يظهر على شمالنا مدخل وادي سدير.

٥/٢٢سدير:

من أكبر الروافد الجنوبية للحيسية يبلغ طوله ٥ر٥ أكيال وفيه بعض أشجار الطلح والعوسج والحرمل واللصف ، أما أشجار السدر التي أخذ الوادي اسمه منها فقد تناقصت لأسباب طبيعية وبشرية ، ولم أجد في هذا الوادي إلا مجموعة واحدة من أشجار السدر في وسط الوادي تنتشر على مساحة صغيره جداً لا تتجاوز ٣ × ٥ , ١ متر فقط وهي أشجار قصيرة متقزمة وذات أوراق صغيرة كما هي حال أشجار السدر البري لقلة المياه .

وبعد ما يقارب من نصف كيل من مدخل الوادي تظهر على يسارنا تلعه تسمى أم اللصف طولها حوالي ١٥٠٠ متر تقريباً أخذت اسمها من كثرة أشجار اللصف فيها وحين نتجاوز أم اللصف فعلى يميننا تلعتان صغيرتان وعلى يسارنا تلعة كبيرة فيها بعض أشجار الطلح تقارب تلعة أم اللصف في الطول وعلى حافة الضفة الغربية لهذه التلعة مقطع للحجارة يميزها عن غيرها ثم نستمر صاعدين في الوادي فينقسم إلى فرعين الشرقي منهما يصل طوله إلى حوالي كيلين وسبعمائة متر يتفرع أعلاه إلى تلعتين وفيه بعض أشجار الطلح والفرع الغربي على يميننا وهو أطول من الشرقي بحوالي ٥٠٠ متر وتتناثر فيه أشجار الطلح على جانبي مجراه ، وفي هذين الفرعين يضيق مجرى الوادي ويزداد عمقه إذ يبلغ عمقه ما بين ٥ , ١ إلى ٥ , ٢ متر ، وفي أعلى الفرع الغربي طريق يتصل بالأحيسى (أبا الهشم) . ووادي سدير كان مرتعاً للوعول (الماعز الجبلي) منذ ٦٠ عاماً مضت ، ولعل موقعه بين وادي غرور من الجنوب وأبا الهشم من الشمال والشمال الغربي وكثرة أشجار السدر فيه قديماً هي من أسباب كثرة وعوله .

وعند خروجنا من سدير فأمامنا على الضفة الشمالية لوادي الحيسية شعيب أبا السدر .

٦/٢٢أبا السدر:

أحد الروافد الشمالية لوادي الحيسية يقع شرقيه أبا الملح ، وبينهما ثلاث تلاع فيها درب يؤدي إلى رميلان من أودية سدوس ، وقد سُهِّل هذا الدرب لتسلكه السيارات في عهد الملك عبد العزيز ، وإلى الغرب منه شعيب المصيدير ويعانق أعلاه أعالي الوصيلات .

يبلغ طول أبا السدر ما يقارب ٤ ,٣ أكيـال ، وأهم نباتاته الطلح وشيء من سدر قليـل ، ويقابل مدخله في وسـط وادي الحيسـية « العلامة» وهي بناء مربع صغير أعلاه بناء دائـري لا يتجـاوز ارتفاعه ٥ , ١ متـر هو عـلامة وبناء إرشادي للطريق يوم أن كان يسلكه المسافرون والحجاج إلى الحجاز مع ثنية الأحـيسى (سبع الملفات) ويعرف السائقون والأدلاء اتجاه طريق الحجاز بـوضع هذه العـلامة على اليمين والاتجاه مع وادي الأحيسى (أبـا الهشـم) جهـة اليسـار . ونمر من جانب العلامة متجهين جنوباً وندخل وادي الأحيسى (الحيسيه) وأحيـاناً يسمى أبا الهشـم .

٧/٢٢ الأحيسى (أبا الهشم):

بعد أن نتجاوز العلامة نسلك الطريق باتجاه اليسار تاركين وادي الخمرة على يمينا حينئذ ندخل وادي الحيسية أو الأحيسى وأحيـاناً يسمى أبا الهشـم ، وهو واد يبلغ طوله ما يقارب من ٨ أكيال نسير في مجرى الوادي بين أشجار الطلح المتناثرة على جانبيه متجهين معه جنوباً ، ثم ما يلبث أن ينعطف لجهة الغرب ، ثم ينعطف لجهة الجنوب فتظهر لنا برقا على اليمين تبعد عن مدخل الوادي ما يقارب كيلين بعدها ينقسم الوادي إلى فرعين هما :

١/٧/٢٢ أبا الهشم:

هو الفرع الأيمن من وادي الأحيسى (الحيسية) ، ويطلق البعض على وادي الحيسية أبا الهشم ، وهو واد تكثر فيه أشجار الطلح الباسقة المعمرة ، كثير النباتات في موسم الربيع ، وهو في اعتقادي من أجمل أودية العيينة طلوحاً وأفضلها متنزهاً ، اكتسب اسمه من الهشم والهشيم وهو الكلأ اليابس بفعل الشمس أو الرياح أو كلاهما ، قال ابن خميس : «الهشم والهشيم . . الشجر اليابس أصبح هشيماً [١] » ، ومنه قوله تعالى : ﴿كهشيم المحتظر﴾ [٢] .

قال لي بعض كبار السن : إن نباتات هذا الوادي الموسمية هي أول نباتات أودية الحيسية تأثراً برياح الصيف الجافة . قلت : لعل تكوين هذا الوادي التضاريسي

---

(١) معجم اليمامة ، ج ٢ ، ص ٤٦١ .
(٢) سورة القمر ، آية (٣١) .

جعله منطقة هبوب رياح تعمل على تهييج نباتاته فتصبح هشيماً تذروه الرياح مصداقاً للآية الكريمة .

عود على بدء ، فطول وادي أبا الهشم قريباً من ٥ أكيال ، وتكثر في سفوحه الجبلية الكهوف ، وفيه رافدان مهمان على ضفته الجنوبية ، الأول يسمى (أم البواريد) يبلغ طوله كيلين ، وفيه بعض أشجار الطلح وفيه درب للمشاة والإبل يصله بقري الحيسية . والآخر يبلغ طوله ٣ أكيال ، فيه أشجار طلح وبينه وبين الأول تلعة صغيرة ويتطامن الجبل بين هذين الرافدين . وفي هذا الجزء المتطامن طريق للإبل .

وينخفض مجرى وادي أبا الهشم تدريجياً ويزداد عمقاً وضيقاً كلما صعدنا إلى أعلاه ، كما تقل أشجار الطلح ، ويصل عمق المجرى في أعلى الوادي إلى قرابة ٥ أمتار تتناثر على جانبيه أشجار الطلح وبين أبا الهشم والخميرة طريق للإبل .

٢/٧/٢٢ قري الحيسية :

وهو من أهم طرق اليمامة قديماً وإلى عهد قريب ، أما الآن فأصبح طريقاً هامشياً وهو الفرع الثاني والرئيس لوادي الأحيسى ، يبلغ طوله قرابة خمسة أكيال ، وفي أوله على السفح الشرقي منه برقة واضحة أكثر رمالاً من الأولى ، ثم نشاهد على اليمين انزلاقات وانهيارات صخرية على سفح الجبل وحجارتها تميل إلى السواد يليها مقطع للحجارة ثم يليه برقا كذلك ، يقابلها على الشمال أيضاً مقطع للحجارة ، ثم نسير في الوادي فيقابلنا نتوء جبلي يشبه القارة بعده برقا وهي ثالث برقا في قري الحيسية ثم يتسع القري إلى أن نصل إلى منتهاه حيث توجد ثنيتان من أهم ثنايا طويق وهما : ثنية الأحيسى (سبع الملفات) أمامنا ، وثنية غرور على يسارنا .

وأهم نباتات قري الحيسية الطلح والعوسج والحرمل والعشر وغيرها .

ثنية الأحيسى « سبع الملفات » :

تعتبر أهم وأشهر ثنايا طويق ، وهي من أهم ممرات طرق وسط شبه الجزيرة قديماً ، وتتصف بالوعورة والتعرج والانحدار الشديد كانت تسلكها الدواب بصعوبة بالغة ، وتتعهد بالإصلاح على مر التاريخ بعد نزول الأمطار أو عند مرور

قوافل كبيرة فيها ، وأشهر من مر فيها جيش خالد بن الوليد ، إبان حروب الردة عام ١١هـ . وقد سهلت عندما أراد إبراهيم باشا عبورها ليتمكن من سحب عربات المدافع خلالها عام ١٢٣٣هـ وسهلت في عهد الملك عبد العزيز آل سعود لتمر منها السيارات ، وهي كما أسلفت ممر ومنحدر وعر جداً ، يتعرج بين حافات شديدة الانحدار ، ذات تربة تكويناتها حصوية (بطحاء) ويظهر عليها أثر اندفاع المياه .

ومنذ سنوات قليلة شقت ثنية الأحيسى شقاً غَيَّرَ معالمها ، وأضحت وعورتها لا توجد إلا في كتب التاريخ ، وذاكرة كبار السن ، وسهلت لتمر منها أنابيب الزيت فأصبحت طريقاً سهلاً ، ويبلغ طول هذه الثنية الآن ٣ أكيال ، وذلك من خط تقسيم المياه في أعلاها مقابل ريع غرور إلى نهايتها .

وسنورد ما اطلعنا عليه من أقوال الرحالة والمؤرخين الذين أشاروا لثنية الأحيسى فيما يلي :

قال عنها الحسن الأصفهاني صاحب كتاب بلاد العرب : « وفي العارض ثنايا ، فمنها ثنية (الهدار) وثنية (أكمة) ، وثنية (برك) ، وثنية (نساح) وثنية (الأحيسى)» وذكرها في موضع آخر وهو يعد مياه (الرباب) من تميم قال : «ثم غبراء ، ثم طحبل ، ثم ثنية الأحيسى ، ثم ثنية مسعط» وفي موضع ثالث ، حين وصف الطريق من حجر اليمامة لمكة قال : « ثم تصير إلى ثنية الأحيسى ، وهي ماء عليها نخيل لولد الشماخ مولى أمير المؤمنين ، ثم تجوزها فتقع في ناحية من قَرْقَرى اليمامة . . »[1] .

وقال الهمداني : « ثم تمضي بفرع العرض والعيين وهي لبني عامر وعن يسارها ثنية الأحيسى»[2] .

والطبري في تاريخ الأمم والملوك : « أسماها ثنية اليمامة وذكر قصة أسر جيش خالد بن الوليد لمجاعة بن مرارة الحنفي وصحبه وهم نائمون قرب ثنية الأحيسى ، فقتلهم خالد واستبقى مجاعة عنده»[3] .

---

(١) الحسن بن عبد الله ، الأصفهاني : «بلاد العرب» .
(٢) صفة جزيرة العرب ، ص ٢٨٥ .
(٣) تاريخ الأمم والملوك ، ج٢ ، ص ٢٤٦ .

وقال ابن بشر : « ثم إن الباشا لما نهب البلد (يقصد ضرما) وأخلاها من أهلها ارتحل عنها وسار إلى الدرعية ، فصار مسيره مع الحيسية ثم إلى وادي حنيفة من عند بلد العيينة وبلد الجبيلة . .» [١] .

ومما قاله سادلير أثناء مروره بها في ٢٣/ ١٠/ ١٢٣٤هـ : « تابعنا طريقنا عبر الوادي الذي انفتح على سهل ، فتجاوزناه ودخلنا وادياً ضيقاً شديد الانحدار ، ثم صعدنا سلسلة أخرى من التلال هبطنا منها بطريق وعر جداً (يقصد بهذا الطريق ثنية الأحيسى) إلى سهل حيسية الذي تحيط به تلال متكسرة ومتفسخة . ولكن الطريق كان بشكل عام متماسكاً ، ولا تزال آثار مدافع الباشا فيه واضحة» [٢] .

ولوريمر ذكر ثنية الأحيسى عندما قال : « يعتبر جزءاً من أحد الطرق الرئيسية التي يخترق الجزيرة العربية» [٣] .

وقال عنها ابن بليهد : « وثنية الأحيسى هي آخر الريع الذي يقال له في هذا العهد (حُوّجان) وغرور إذا طلعت مع ريع الأحيسى فهو على يمينك » [٤] .

وقال عنها حمد الجاسر : « تعرف الآن باسم (الحيسية) ويطلق هذا الاسم أيضاً الآن على أعلى الوادي ، من باب إطلاق اسم الجزء على الكل ، و(الحيسات) وقد سهلت الثنية فأصبحت تجتازها السيارات ، وتسمى : (السبع الملفات) لأنها كانت متعرجة» [٥] .

وقال عنها عبد الله بن خميس : «ووادي (الحيسية) هذا ينحدر من ثنية تفرع (جبل طويق) فما سال من هذه الثنية مشرقاً يصب في (وادي حنيفة) وما سال منها مغرباً يصب في سمحان من (قرقرى) ، وهذه الثنية هي التي سلكها جيش خالد بن الوليد في قتاله لبني حنيفة في حروب الردة ، وهي التي سلكها جيش

---

(١) ابن بشر ، ج١ ، ص ٣٩٦ .

(٢) الكابتن ج فورستر سادلير ، مذكرات عن رحلته عبر الجزيرة العربية ، ترجمة أنس الرفاعي ، مطابع دار الفكر ، دمشق ، ١٤٠٣هـ .ويتضح من وصف سادلير أنه سلك وادي غرور .

(٣) دليل الخليج ، ص ٩٥٠ .

(٤) ما تقارب سمعه ، ص ١٢٩ .

(٥) الرياض عبر أطوار التاريخ ، هوامش ، ص ٥٤ .

(إبراهيم بن محمد علي) في حربه للدرعية ، وتدعى قديماً (ثنية الأحيسي) ، ويتناوح (*) على مدخل هذه الثنية من اليمين واليسار أنفان بارزان من (طويق) يقال للجنوبي منها : (خشم خرشا) ويقال للشمالي : (خشم الميركه) وما بين هذين الأنفين منطقة تدعى (الهيش) حيث توجد صيران من النخيل العالقة في هذه المنطقة بدون غرس ولا سقيا . . وتوجد سلان من السلم وحراج من الطلح ، وتوجد بئر عليها حام يحمي الأشجار من العضاد الذين يحتطبونها ، وهي حديثة ، والذي استخرجها حامي الشجر (حمد بن حديجان) في عهد الملك عبد العزيز . . وعلى جنبي هذا المدخل عقاب تفرعها إلى (وادي بوضة) أباض قديماً ، وشمالاً إلى (الخمر) (وأبي الهشم) ، وينتهي هذا المدخل بثنية وعرة هي الحد الفاصل بين ما يسيل شرقاً على وادي حنيفة ، وما يسيل غرباً على وادي الحيسية الغربي ، وتدعى هذه الثنية حالياً (سبع الملفات) ، يعني سبع المنعطفات لما بها من الوعورة» [1] .

٨/٢٢ المعيقل :

يقع هذا الوادي خارج حوض العيينة الذي حددناه سابقاً ولكنه إدارياً تابع للعيينة وهو شعب متعرج عميق يصل طوله إلى ما يقارب ٣ أكيال تنحدر سيوله إلى الحيسية مما يلي ضرما أعلى هذا الشعب ينقسم إلى قسمين صغيرين مما يلي القرنة إحدى روافد الخميرة ، وفيه طريق إلى القرنة تسلكه السيارات والسلسلة الجبلية الشمالية مرتفعة نسبياً تفصل بينه وبين أبا الهشم ، أما السلسلة الجنوبية فأقل ارتفاعاً وتوجد فيه أشجار الطلح والهيش - نخل بري - وفي آخره قبل ثنية الأحيسى (سبع الملفات) توجد قارة بارزة مدببة الرأس تعلوها صخرة كبيرة كأنها عمامة على رأس القارة . وعند اقتراب شعب المعيقل من سبع الملفات يزداد عمق المعيقل ويظهر جانباه على شكل جروف ارتفاعها حوالي سبعة أمتار تشكل جروفاً قائمة تظهر مقاطع رائعة وموحشة من البطحاء السميكة السريعة الانهيار تماماً مثل الدفاين في أعلى بوضة . وكان بهذا الوادي قلات كبيرة طمرت بعد مد خط أنابيب الزيت مع ثنية الأحيسى وأصبحت أثراً بعد عين .

(*) يتقابل .

بعد أن أنهينا وادي الأحيسى أو أبا الهشم نعود إلى نقطة التقائه مع الخمرة لنأخذها وصفاً مصعدين إلى أعلاها .

٢٣-الخمرة:

الخمرة هي ذلك الوادي الضارب في الشهرة طلوحاً وسيولاً ومدى ومتنزهاً وتسمى الخُمر بصيغة الجمع ، وهما اثنتان : الخمرة وهي الأصل والخميرة وهي إحدى روافدها الشهيرة .

ويبلغ طول الخمرة من أولها الذي يقع أمام مدخل الحيسية ويسمى (الأحيسى) أو (أبا الهشم) إلى ثنية فهرين غرباً ما يقارب ٢٠ كيلاً ، وفيها أكثر من عشرين رافداً وشعباً وقريا ودعبا جميعها ذات أسماء معروفة وفيها ثنيتان مشهورتان ، هما فهرين وأم الغبطان ، وهناك درب في صفحة جبل طويق في وادي أبو نخلة يسمى جمهور الثنيتان بالإضافة له من أهم طرق الخمر قديماً .

والخمر من أشهر أودية الحيسية ، وفيها أشجار كثيرة منها الطلح بأنواعه المختلفة والعشر والسدر والحرمل وغيره من النباتات المعمرة والموسمية والأعشاب ، وفيه أكبر أشجار وادي حنيفة على الإطلاق وهي شجرة طلح تسمى شجرة (المعامرة) يبلغ محيط جذعها ٣,٧٠ متراً وارتفاعها قرابة سبعة أمتار وظلها ظهراً يقارب من ٢١ × ١٨ متراً .

وعنها قال ابن خميس : « الخُمَر بالضم ، فالفتح . . جمع خُمْرة ، وهي أعلى وادي حنيفة حينما ينقسم إلى فرعين كبيرين في كل منهما روافد أودية وشعاب . . القسم الجنوبي (بوضة) (أباض) سابقاً ، والقسم الشمالي (الحيسية) (الأحيسى) سابقاً . . فالخمر هي أعلى الحيسية وأكثرها شعاباً وأطولها مدى وأغناها سيلاً ، وسميت الخمر من باب جمع المثنى وإلا فهما اثنتان الخمرة والخميرة ، والبعض يسميها الخمرة فقط . . وهو واد ملتف بشجر الطلح كأنه البساتين متنزه لكل من حوله ولمن يقصده من الرياض ، فيه طلوح بواسق معمرة ، وتذهب الخمر حتى تعانق رؤوسها ، وادي حريملاء من الشمال ، وصفحة جبل طويق من الغرب ، لدى عقبتين مشهورتين في هذه الصفحة هما (أم الغبطان) و (فهرين) ، ويضرب المثل بسيلهما إذا سالت قوةً وعنفواناً . . غرس أحدهم فسيلة على شفير

وادي حنيفة مما يلي الدرعية في مكان صالح جداً ، ولكن إذا جار وادي حنيفة بالسيل يعلوه ويشذ به . . فقال عند غرسه لفسيلته :

إما غدا بها سيل الخمر وإلا تعجب الملا من ثمرها

ولم يمهلها سيل الخمر حتى يتعجب الملأ من ثمرها .

وفي الخمر يقول الشاعر الشعبي ناصر العريني :

عسى على الخمرة تموه ربابه

يسقي لنا ذيك الفروع النجيبة»[١]

وعندما نترك الأحيسى يسارنا ونأخذ وادي الخمرة متجهين للشمال الغربي يتسع وادي حنيفة وينفرج أمامنا ، حيث أرض منبسطة طيبة التربة كثيرة النبات ، وخصوصاً أشجار الحرمل وغربي هذا السهل شعب أم الحرمل .

١/٢٣ أم الحرمل :

تتكون من شعبين الأول : أقل طولاً من الثاني الذي قدرت طوله بـــ ١٨٠٠م وسمي بهذا الاسم لكثرة شجر الحرمل أمامه وفيه ، ويقع هذا الشعب بين أم رجيم شمالاً وأبا الهشم (الأحيسى) جنوباً ، وإلى الشمال من سهل أم الحرمل طريق في الجبل للسيارات التي كانت تنقل الحجارة للرياض من هذا الموقع .

وبعد تجاوزنا أم الحرمل نتجه مع الوادي شمالاً ويشكل الجبل على يميننا شبه قوس يعلوه بقايا مرقب ثم أربع تلاع متجاورة قصيرة أمام هذه التلاع أكبر أشجار الطلح في العيينة وهي شجرة المعامرة السابق ذكرها وهي من نوع الرميثي يليها على يسارنا دعب يسمى :

٢/٢٣ أم رجيم :

رجيم تصغير رجم ، وهو بناء حجري اسطواني عادة يكون في أعلى الجبال له أكثر من غرض . وأم رجيم دعب يصل طوله ما يقارب ٧٠٠ متر يقع بين الخميرة وأم الحرمل . وفي جانبها الغربي أعلى الجبل بقايا مرقب قديم كبير أقيم على أنقاضه ومن حجارته رجم . والدعب من الروافد الجنوبية للخمرة ويكثر به نبات

(١) معجم اليمامة ، جـ١ ، ص ٣٩٦

الحرمل . ويتسع الوادي بعد أم رجيم ويقع مدخل الخميرة على يسارنا وهو مدخل أقل وضوحاً من غيره .

٣/٢٣ الخميرة:

الخميرة تصغير خمرة ، وهي أكبر الروافد الجنوبية للخمرة وأطولها مدى يبلغ طولها ما يقارب ١٥ كيلاً وأكثرها وأغناها طلوحا (*) . يفصلها عن أم رجيم تلعة صغيرة ، ثم مدخل الخميرة يقابله من الشمال شعيب المصيدير ، ومدخل الخميرة فيه انحناء باتجاه الجنوب وأول شعاب الخميرة على يسارنا في جانبها الشرقي شعب يصل طوله حوالي كيلين يدعى أم البن (أي بعر الإبل) يليها في نفس الجهة تلاع متجاورة أمامها قارة وفيها أشجار الطلح الكثيرة ، بعد هذه التلاع ينعطف الوادي باتجاه الشمال ثم يميل بشدة باتجاه الجنوب الغربي ، وعلى يمين الوادي بعض التلاع وعلى يساره قارة ممتدة مستطيلة تليها أرض خصبة ، ثم برقا على الجانب الشرقي للوادي ، بعد ذلك بحوالي كيلين تظهر قارة مرتفعة هي ثالث قارة في الخميرة ، ثم ينقسم الوادي إلى قسمين رئيسين : الأول بعدها مباشرة وهو الشمالي ويسمى لوذان والجنوبي يسمى القرنه ، وفيها كثير من أشجار الطلح وإن كانت أقل مما كان عليه في أول الوادي ، ويأخذ مجرى الوادي في العمق ، ويبلغ طول القرنه ما يقارب من ٥ أكيال . أما لوذان وهو الفرع الأخر للخميرة فإن شكله أقرب ما يكون بعلامة الاستفهام ، قاعدته صفحة جبل طويق في الجنوب الغربي وأعلاه شمال شرق ، ولعله اكتسب اسمه من «لوذان» رجل من بني سدوس ، وتكثر به أشجار الطلح والمساقط المائية (الشلالات الموسمية) كما تكثر الأحجار المتساقطة على سفحيه ويبلغ طوله ما يقارب ٩ أكيال ، وينتهي بثنية غير ذات شأن ، وبين لوذان وأبو نخلة طريق تسلكه السيارات . وبعد أن نخرج من الخميرة فأمامنا وادي المصيدير .

٤/٢٣ المصيدير:

من الروافد الشمالية للخمرة ، ويتميز بمجموعة من التلاع ذات السفوح المرتفعة

(*) قامت وزارة الزراعة عام ١٤١٤هـ بوضع شبك لحماية هذا الوادي ، كما قامت مشكورة بحماية روضة الحيسية بوضع سور شائك حولهاأدى إلى نمو أشجارها وكثرتها .

ويبلغ طوله ما يقارب كيلين ، يحده أبا السدر من الشرق والقراين غرباً ، وفيه قليل من أشجار الطلح والعوسج ، وفيه طريق يؤدي إلى رميلان من أودية سدوس ، وبعد أن نتجاوز المصيدير فعلى يسارنا أم الرمرام .

٥/٢٣ أم الرمرام:

دعب يصل طوله إلى ما يقارب ١٣٠٠ متر يقع بين الخميره والمحيمل الأسفل وهو من الروافد الجنوبية للخمرة والرمرام(*) شجر معروف يكثر في هذا المكان فسمي به وبين الخميرة وأم الرمرام تلعتان صغيرتان .

وبعد أن نتجاوز أم الرمرام صاعدين مع الخمرة فعلى يميننا شعبان متجاوران هما :

٦/٢٣ القراين:

شعبان متقارنان أحدهما شرقي والآخر غربي ، وهما من الروافد الشمالية للخمرة يبلغ طول كل منهما ما يقارب ١,٥ كيلاً ، وبهما أشجار العوسج وفي الغربي منهما مسقط مائي (شلال موسمي) واضح لانحدار السيول ، وله منظر جميل أخَّاذ . وإلى الجنوب من القراين مدخل المحيمل الأسفل .

٧/٢٣ المحيملات:

محيملات الخمرة وهما شعبان متجاوران ومتقاربان في الطول ، وهما من الروافد الجنوبية للخمرة ، الأول منهما يسمى المحيمل الأسفل ويبلغ طوله ما يقارب ٥ أكيال وفيه بعض أشجار الطلح . والمحيمل الأعلى يقع إلى الشمال الغربي للمحيمل الأسفل وبينه وبين النمير إلى الشمال منه طريق للدواب ، وفيه بعض الكهوف وصخور منهارة ، وينخفض مجرى الوادي كلما اتجهنا إلى أعلاه ، وينقسم في أعلاه إلى فرعين طول كل منهما ما يقارب ١,٥ كيلاً ونصف تقريباً .

(*) الرمرام شجر موسمي قال لي عدد من الأشخاص إن الورل من الزواحف معروف إذا دخل في صراع مع ثعبان ولدغ من الثعبان أنه يسرع لهذه الشجرة فيتحكك بها ويمرر جسمه عليها . قلت : ولعلها تحتوي على مادة تبطل مفعول السم أو تقلل من فعاليته ، ولعل الباحثين أن يدرسوا هذا الموضوع ويوفوه بحثا واستقصاء.

٢٣/٨النتقة:

إحدى الروافد الشمالية للخمرة ، يبلغ طولها ما يقارب ٥ ,٣ أكيال ، تقع فيما بين القراين شرقاً وأم قري غربًا ، وفي النتقة بعض أشجار العوسج والحرمل ، والوادي يتجه شمالاً ثم يميل باتجاه الشرق ، وفي جانبه الشمالي ثلاث تلاع واضحة ، وفيه طريق إلى وادي غويمض من أودية سدوس ، وسمي بالنتقة لأنه من أقصر الطرق التي تربط سدوس بالخمرة ، وبعد أن نتجاوز النتقة يميل الوادي للغرب ، ثم الجنوب الغربي فعلى يميننا :

٢٣/٩أم قري:

من الروافد الشمالية للخمرة ، تقع فيما بين النتقة شرقاً والرخيمة السفلى غرباً ، ويبلغ طولها كيلَيْن ، وعند مدخلها شجرة طلح كبيرة متميزة بجمالها وظلالها عما حولها وهى من نوع السيال ، وأكثر أشجار أم قري العوسج ، وأمام مدخل أم قري على الضفة الجنوبية للخمرة دعب يسمى :

٢٣/١٠النمير:

وهو تعبير يوصف به الماء العذب الصافي جارياً كان أم راكدا[١] ، وهو دعب صغير يبلغ طوله حوالي ٦٠٠ متر ، يقع بين الحيمل الأعلى والنويس ، وبينه وبين النويس ريع واضح ، وبالدعب بعض أشجار الطلح ، وتكثر به الكهوف والصخور الكثيرة والكبيرة المتساقطة التي تنتشر على سفوحه وباطنه ، وأعتقد أن كثرة الصخور فيه هي التي حفظت لمائه ذلك الصفاء والعذوبة في الفترة التي تلي نزول الأمطار . وبعد أن نتجاوز النمير ينعطف وادي الخمرة باتجاه الغرب ، ثم الجنوب الغربي ، وتبدو الجبال هناك أكثر شموخاً وارتفاعاً في هذه المنطقة .

٢٣/١١النويس:

شعب ذو طلوح جميلة لا يكاد الكثرة يفرقون بينه وبين وادي الخمرة لتداخلهما وذلك لسعة مدخل النويس ، ويبلغ طوله ما يقارب ١٥٠٠ متر ، وعلى جانبه الشرقي كهوف أشهرها [كهف (غار) أم معمر] ، و [شجرة أم معمر] تحته ،

---

(١) د . يحيى جبر ، معجم الألفاظ الجغرافية الطبيعية ، ص ١٦٦ .

وهـي شجرة طلح كبيرة ذات جـذعين منفصلين فوق سـطح الأرض ، كان معمـر ابن عبد الله بن معمر (*) رحمه الله متخذاً هذا الموقع سكناً له في فصل الربيع من كل عام ، هو ووالدته ومواليهم ، فعرفت عند أهل المنطقة بشجرة أم معمر .

وأمام النويس من الجهة الشمالية للخمرة شعبا الرخيمات .

١٢/٢٣ الرخيمات :

وهما شعبان من الروافد الشمالية للخمرة يسمى الأول الرخيمة السفلى والآخر الرخيمة العليا . وبينهما مسافة تقدر بـ كيل ونصف ، فيها تلاع متجاورة يعلو أحدها رجم واضح .

١/١٢/٢٣ الرخيمة السفلى :

يبلغ طول هذا الشعب ما يقارب كيلين وجباله مرتفعة وعلى سفوحها انهيارات صخرية وفيها الكثير من الكهوف الجبلية وتكتسي أرضية الوادي بالصخور الجلمودية ، وبعد مدخلها على اليمين نحت سيلي في سفح الجبل وحفر جانبي تستقر فيه مياه السيول على شكل غدير ، ويستمر لفترة طويلة قبل أن يجف ، كما يوجد فيها بئر مطوية قديمة ، وفي مدخلها قارة صغيرة واضحة ، وينقسم أعلى الوادي إلى قسمين في الشرقي منهما قلته ماء وفيها بعض أشجار الطلح .

٢/١٢/٢٣ الرخيمة العليا :

إلى الغرب من الرخيمة السفلى يبلغ طول هذا الشعب حوالي ٣ أكيال ، وهو ينقسم إلى فرعين : الفرع الشرقي أكثر اتساعاً ، والفرع الغربي أكثر طولاً ، وفيه بعض أشجار الطلح وجباله أكثر ارتفاعاً وشموخاً ، ويزداد عمق الوادي بحيث ينخفض عن سطح الأرض بما يقارب ٢ متر ، وفيه (قلته) أيضاً ، وأعتقد أن هذين الشعبين أخذا اسمهما من طيور الرخم التي كانت تعيش فيها لارتفاع جبالها وكثرة الكهوف الصغيرة والكبيرة فيها والتي تضع فيها أعشاشها ، أو من نبات الرخامى أو الرخامة ، وأمام الرخيمتان جنوب الخمرة مدخل وادي أبو نخلة .

(*) توفي عام ١٣٨٣هـ .

١٣/٢٣ أبو نخلة:

أحد الروافد الجنوبية للخمرة ، وهو رافد كبير واسع عريض يبلغ طوله ما يقارب عشرة أكيال ، أخذ اسمه من نخلة كانت في مدخله مع صيران من النخيل لا أثر لها الآن . وتكثر في الوادي أشجار الطلح والحرمل والعوسج ، وفي حوافه وسفوحه الجبلية تكثر الكهوف المختلفة المقاسات قليلة العمق ، وبعد مدخل الوادي بما يقارب ٤ أكيال تظهر غرب مجرى الوادي قارة كبيرة بارزة يليها بما يقارب كيلين طريق للسيارات بين أبو نخلة وأبا الغبطان ، وتكثر في أعلى الوادي التلال ، ثم يتسع الوادي حتى يصبح قاعاً واسعاً ذا تربة جيدة ، ويزداد عمقه وتظهر الصخور في مجراه ، وفي أعلى الوادي أرض متسعة ذات تربة لينة (خفاس) تتضح آثار الماشي عليها بعمق ١-٢ سم حسب ثقل الماشي ، يلي هذا المكان صفحة جبل طويق (جرف طويق) الذي يعطي شكلاً جميلاً وموحشاً في آن واحد ، ويشكل نوعاً من التحصينات الطبيعية ويوجد فيه طريق خطر كانت تسلكه الإبل قديماً ، يسمى جمهور باسم الشعب الذي ينحدر فيه ، وهو أحد روافد أبو صفي ، أحد أودية طويق الغربية ، وهو غير أبو صفي الذي هو أحد روافد بوضة . وبعد أن نترك أبو نخلة متجهين غرباً مع وادي الخمرة ، نجد يميننا الرخيمة العليا التي سبق وصفها ، وبعدها يميل الوادي لجهة الجنوب الغربي ، فعلى يميننا شعب أبو القصوم .

١٤/٢٣ أبو القصوم:

أحد الروافد الشمالية للخمرة ، وهو قري واسع يبلغ طوله حوالي كيلين ، أعلاه عبارة عن ثلاث تلاع فيها بعض أشجار الطلح وجباله مرتفعة وتتطامن في بعض المناطق ، ويسمى المكان المتطامن من الجبل (قصم) ولكثرتها فيه سمي أبا القصوم ، وتكثر الانهيارات الصخرية والكهوف الجبلية على سفوحه ، وهي ظاهرة عامة تشترك فيها أغلب أعالي أودية حوض العيينة .

وبعد أبو القصوم ينفرج وادي الخمرة على قاع واسع فيه ثلاث قارات : الأولى قارة أبو القصوم وقارة حريبان ثم جنوبهما أبا الغبطان فيه قارة عظيمة .

١٥/٢٣ أبا الغبطان(*):

و «أبا الغبطان» اكتسب اسمه من ثنية تسمى ثنية «أبا الغبطان» ، قال عنها عبد الله بن خميس : « ثنية (أم الغبطان) هذه تقع قريباً من ثنية (فهرين) جنوبيها يؤدي الطريق معها إلى (الخمر) من أعلى (وادي حنيفة) ، ومنها إلى سطح (الميركة) غرب جبل طويق ، وبها منعطف ضيق يكسر (الغبطان) – جمع غبيط – فوق المطايا ، ومن أجل هذا سميت (أم الغبطان) » (١) .

وهو قري واسع يبلغ طوله حوالي ٤,٥ أكيال ، يقع بين فهرين وأبو نخلة ، وهو من الروافد العليا للخمرة ، وفيه قاع واسع منبت للعشب والكمأ وتتناثر في «أبا الغبطان» أشجار الطلح ويفصله عن فهرين قارة كبيرة مرتفعة واضحة تسمى قارة «أبا الغبطان» ، وأعلى «أبا الغبطان» سهل متسع يليه صفحة جبل طويق حيث ينحدر في أقصى شمال هذا السهل مما يلي قارة أبا الغبطان ، وجنوبيها شعب باتجاه الغرب ليكون وقت نزول الأمطار شلالاً موسمياً كبيراً وهو أكبر وأوسع شلال موسمي في المنطقة ، وهو مسقط نصف دائري على هيئة حدوة الفرس .

وينحدر سيل «أبا الغبطان» ويدفع في الخمرة مقابل شعب «أبا القصوم» وجنوبي «أبا الغبطان» طريق بينه وبين أبو نخلة ، ثم نعود إلى الخمرة لنأخذها متجهين لأعلاها غرباً حيث نتجاوز قارة «أبا القصوم» فثمة قارة واضحة ينحت في سفحها الشمالي شعب حريبان .

١٦/٢٣ حريبان:

من شعاب الخمرة الشمالية يبلغ طوله ما يقارب ٣ أكيال ، يقع بين أبا القصوم وفهرين ، وهو واد ذو طلوح تنتشر على جانبي مجراه الذي ينخفض تدريجياً عن سطح الأرض بما يقارب ٣ – ٤ أمتار ، وجبال حريبان مرتفعة فيها بعض الكهوف الجبلية أشهرها غار حريبان شرق الوادي وأمام مدخله قارة مرتفعة واضحة تسمى قارة حريبان ، ويبلغ ارتفاعها عن سطح البحر ٨٢٦ م ، وبعد تجاوزنا حريبان ندخل أرضاً واسعة سهلة منبته للكمأ تسمى الصحنة يشقها مجرى فهرين .

(*) ويسمى كذلك بـ «أم الغبطان» .

(١) معجم اليمامة ، ج١ ، ص٢٤٧ ، ٢٤٨ .

١٧/٢٣ فهرين:

وادي فهرين أعلى رافد من روافد الخمرة بل أعلى وادي حنيفة ، ويبلغ طوله ما يقارب ٤ أكيال ينخفض مجرى الوادي فيه من متر إلى مترين وتنكشف الصخور في مجراه ، وعلى جانبيه أشجار الطلح ، وهو واد ذو تربة جيدة وفيه روضة تنبت الكمأ ، وينتهي بثنية معروفة مشهورة تسمى ثنية فهرين ، ويبلغ أقصى ارتفاع الفهر الجنوبي منها ما يقارب ٩٣٤ متراً فوق سطح البحر ، وكان أهالي المنطقة يسلكون هذه الثنية للسفر للحجاز وبعض البلدان كالعويند والبرة وغيرهما ، وهي خربة الآن يستطيع العابر المرور من هذه الثنية بصعوبة ، ولا تزال بقايا آثار الرصف الحجري لطريقها باقية إلى الآن إلا أن عوامل التعرية السيلية جرفت أجزاء منها ، ولم تعد الإبل قادرة على سلوكها في الوقت الحاضر . وعندما ينظر المرء من خلال الثنية التي بين الفهرين فإن باستطاعته مشاهدة مباني بلدة البرة بالعين المجردة ، وعن الثنية قال ابن خميس :

« ثنية (فهرين) . . تثنية فهر هذه تصل ما بين أعلى (الخمر) من (وادي حنيفة) وما بين أعلى (وادي أبي صفي) مما يلي : (هضبة أم الرحال) ، وهي ثنية لها من اسمها نصيب ، أشرفت منها مرة فوجدتها تقع بين رأسين شاخصين من صفحة (طويق) الغربية كأنهما فهران ، وهي ثنية وعرة تجتازها المطايا بمشقة» [(١)] .

---

(١) معجم اليمامة ، جـ ١ ، ص ٢٤٧ .

٣ - مناخ العيينة

لا يختلف مناخ العيينة اختلافاً واضحاً عن المناطق المحيطة بها ، فمناخها نفس مناخ المنطقة الوسطى من المملكة إلا أن طبيعة العيينة قد أعطتها صفات تميزها قليلاً عما حولها بحكم تأثير بعض العوامل التي تؤثر وتتحكم في المناخ وهي :

١- الموقع:

أشرنا إلى موقع العيينة الفلكي ، وهذا الموقع يجعلها تصبح ضمن نطاق الإقليم المداري الحار ، وساعد بعدها عن المسطحات المائية من بحار وأنهار وبحيرات في وضعها ضمن المناخ القاري المتطرف ، وعلى هذا يمكن وصف مناخها بأنه مناخ حراري جاف شديد الحرارة صيفاً بارد شتاءً يتميز بندرة المطر وارتفاع نسبة التبخر وساعات الصحو .

٢- التضاريس:

للتضاريس تأثير فعال على مناخ العيينة فوجودها في أعالي جبال طويق وإحاطة الجبال بها قد تخفف عنها قليلاً من قوة الرياح التي تهب عليها إذ تقع بعض أجزائها عند هبوب الرياح في منطقة ظل الرياح . إلا أن اتساع السهل الذي يجري فيه وادي حنيفة غرب العيينة يساعد على وقوع بعض أجزائها في منطقة هبوب الرياح المتجهة من ذلك الموقع والمارة على أرض جرداء وتكوينات رملية (برق) كل ذلك يساعد على إثارة بعض الأتربة والرمال وهي ظاهرة كثيراً ما تحصل في فصلي الربيع والخريف . ويؤثر ارتفاعها الذي يزيد عن ٧٠٠ متر فوق سطح البحر على الحرارة فيها فهي تقل بدرجة إلى درجتين مئوية عن مدينة الرياض في فصل الصيف بينما تنخفض ما بين ٤-٦ درجات مئوية في فصل الشتاء .

٣- الضغط الجوي:

يرتبط مناخ العيينة ارتباطاً وثيقاً بالضغط الجوي والدورة الهوائية على قارتي آسيا وأفريقيا وكل من المحيط الهندي والبحر الأبيض المتوسط ، فهي تقع في منطقة الضغط المرتفع وراء مدار السرطان الذي يتميز بأن هواءه يميل دائماً للهبوط مما يساعد على جفافه .

ففي فصل الشتاء يكون هذا الضغط واسع الامتداد والارتفاع فيسود على كل من منطقة الضغط المرتفع على غرب إيران ومنطقة الضغط المنخفض جنوب خط الاستـــواء[١] ، لهذا فإن الرياح التي تهب على وسط المملكة تكون شمالية أو شمالية شرقية جافة باردة ، ومع ذلك فإنها تتعرض لاضطرابات بسبب تقدم المنخفضات الجوية التي تتعرض لها في هذا الفصل من الشمال إلى الشرق فتؤدي إلى اشتداد قوة الرياح إذ تصاحبها أحياناً بعض الأمطار الرعدية ، كما أن أعاصير البحر المتوسط المتجهة من الغرب للشرق قد تتعمق على وسط المملكة وتؤثر على الرياح وتتسبب في هبوب الرياح الشمالية الغربية ، وهذه المنخفضات تظهر كذلك في فصلي الخريف والربيع وقد تصاحبها في هذين الفصلين عواصف رملية أو ترابية وتتأثر العيينة بعواصف الربيع أكثر من الخريف .

أما فصل الصيف فإن الضغط المرتفع وراء مدار السرطان ينتقل شمالاً فوق البحر الأبيض المتوسط ويختفي عن شبه الجزيرة العربية ليحل محله ضغط منخفض نسبي كما يتسبب مركز الضغط المنخفض الآسيوي في هبوب رياح شمالية شرقية على وسط المملكة معظم أيام فصل الصيف[٢] ، وغالباً ما تسود أواسط المملكة رياح شمالية غربية جافة وتتكون عليها أحياناً منخفضات جوية حرارية بسبب ارتفاع درجة حرارتها فتؤدي تلك المنخفضات إلى بعض التغيير في اتجاه الرياح وغالباً ما تكون هذه الرياح محملة بالأتربة والرمال [٣] .

٤- الكتل الهوائية :

تعد الكتل الهوائية من العوامل المؤثرة في المناخ إذ تتسبب في معظم التقلبات الجوية وما يعتري الرياح من تغيير في السرعة والاتجاه كما تساعد بإذن الله على تكون السحب ومن ثم سقوط الأمطار مصداقاً لقوله تعالى : ﴿ وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ حَتَّىٰ إِذَا أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ كَذَٰلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَىٰ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ الأعراف / ٥٧ .

---

(١) جغرافية شبه جزيرة العرب ، جـ٢ ، ص ٦٧ .

(٢) د . عبد الرحمن صادق الشريف ، جغرافية المملكة ، ط٤ ، جـ١ ، الرياض ، ص ٩٠ ، ٩٢ .

(٣) إمارة حريملاء ، جـ١ ، ص ١٤٩ .

وأحياناً تحدث عواصف رعدية وترابية ورملية ، وتؤثر كتل هوائية عديدة على مناخ المملكة .

ففي **فصل الشتاء** في (ديسمبر ويناير وفبراير) تسود المملكة كتلة هوائية قارية باردة وجافة تزحف إليها من وسط آسيا فتؤدي إلى رفع الضغط الجوي وتنخفض الحرارة ويسود جو صاف وجاف[1] .

وعندما يبدأ تأثير هذه الكتلة في التلاشي فإن كتلة أخرى من مصدر أطلسي عابرة البحر الأبيض المتوسط تتسم بالدفء والرطوبة تتقدم للمملكة وتصبح الرياح شمالية غربية تساعد على سقوط بعض الأمطار الشديدة على شمال ووسط المملكة ، وقد تنشأ جبهة بين الكتلة القارية والأطلسية على أجواء المملكة تتسبب في عواصف وطقس متقلب يسهم أحياناً في سقوط أمطار ، وتتسرب أحياناً رياح شمالية على شمال وشرق ووسط المملكة مصدرها الكتلة الهوائية القطبية السيبيرية الباردة فتؤدي إلى خفض درجة الحرارة إلى الصفر أو ما دونه على المناطق التي تهب عليها بما فيها العيينة التي تنخفض حرارتها مما يؤدي إلى تجمد المياه وتأثر الأشجار والمحاصيل الزراعية بتلك البرودة .

وفي **فصل الصيف** (يونيه ، يوليو ، أغسطس) تسيطر كتلة هوائية مدارية قارية جافة على أغلب أجزاء المملكة بما فيها المنطقة الوسطى وتستقر الأحوال الجوية ويصبح الجو صحواً وجافاً شديد الحرارة ، وتتسبب هذه الكتلة في انخفاض الضغط (وتهب الرياح من أواسط آسيا وهي رياح جافة) في وسط وشرق المملكة وتصل النهاية العظمى إلى ٤٩° درجة مئوية على مدينة الرياض ومدينة العيينة كما حدث في شهر يوليو عام ١٩٨٧م[2] .

أما في **فصل الخريف** (سبتمبر ، أكتوبر ، نوفمبر) ففي بداية هذا الفصل تؤثر الكتلة الهوائية الجافة الصيفية على المملكة ثم تبدأ بعض التيارات الهوائية الرطبة نسبياً والمعتدلة الحرارة تحل محل الجافة[3] ، ويؤثر منخفض البحر الأبيض

---

(١) جغرافية المملكة ، جـ ١ ، ص ٩٤ .
(٢) نشرة وزارة الزراعة والمياه ، إدارة تنمية موارد المياه ، قسم الهيدرولوجيا ، عام ١٩٨٧م .
(٣) الشريف ، ص ٩٤ .

المتوسط على الأجزاء الشمالية والوسطى من المملكة ، ويتسبب في هطول بعض الأمطار التي يطلق عليها الأهالي مطر «الوسمي» إذا هطلت في النصف الأخير من فصل الخريف وأوائل الشتاء .

أما في فصل الربيع (مارس ، أبريل ، مايو) فتبدأ درجة الحرارة في الارتفاع التدريجي ويحل منخفض محل المرتفع الجوي ، وهذا المنخفض هو امتداد للمنخفض الجوي الآسيوي والأفريقي ، ثم تتقدم كتلة هوائية متوسطية رطبة إلى أجواء المملكة وتتسبب في عواصف رعدية تهطل منها أمطار غزيرة في فترة قصيرة قد تتكرر لعدة أيام ، كما يحدث في هذا الفصل صراع وتداخل بين كتل هوائية على الربع الخالي من المملكة يتسبب في هبوب رياح حارة هي رياح السموم وتحمل معها الغبار والتراب وتحجب الرؤية (١) .

خصائص مناخ العيينة :

حيث لا يوجد في العيينة محطة للأرصاد الجوية فقد اعتمدتُ في دراسة مناخها على المعلومات والبيانات المناخية لمحطة الرياض التابعة لوزارة الزراعة والمياه – إدارة تنمية موارد المياه – قسم الهيدرولوجيا – ولقرب العيينة من محطة الرياض مما يجعل استخدام بياناتها ملائمة وصادقة التمثيل إلى حد قريب .

وأهم عناصر المناخ في حوض العيينة هي :

١- الحرارة :

إن وقوع المملكة ضمن دوائر العرض المدارية وبقاء سمائها خالية من السحب في أغلب أيام العام جعلها من أكثر مناطق العالم استقبالاً لأشعة الشمس الأمر الذي أسهم في رفع درجة الحرارة فيها كثيراً (٢) .

ويزيد معدل درجة الحرارة السنوية في المنطقة الوسطى عن ٢٥° مئوية بينما في فصل الصيف (يونيه ، يوليه ، أغسطس) ترتفع معدلات درجة حرارة شهور الصيف ارتفاعاً كبيراً يصل ما بين ٣١-٣٢ درجة مئوية (انظر خريطة خطوط الحرارة المتساوية معدلات شهور الصيف) «خريطة رقم (٤)» ، ويعتبر شهر يوليو

(١) إمارة حريملاء ، ص ١٥١ .

(٢) جغرافية المملكة ، ص ٨٢ .

من أعلى شهور الصيف حرارة فقد وصلت درجة الحرارة نهاراً في أحد أيامه عام ١٩٨٧م في مدينة الرياض إلى ٤٩°مئوية[١] وتنخفض ليلاً بشكل واضح .

أما في فصل الشتاء (ديسمبر ، يناير ، فبراير) فتتمتع أغلب مناطق المملكة بنهار دافئ ، ويساعد على الدفء نهاراً خلو السماء من السحب . وتنخفض درجة الحرارة ليلاً وتقترب من الصفر المئوي (درجة التجمد) وربما تتعداها ، وفي أحد أيام شهر ديسمبر عام ١٩٩٠م هبطت درجة الحرارة في مدينة الرياض إلى الصفر المئوي [٢] . وتنخفض معدلات الحرارة في شهور الشتاء لتصل ما بين ١٤-١٥ درجة مئوية ، انظر خريطة (خطوط الحرارة المتساوية معدلات شهور الشتاء) خريطة رقم(٥) . أما في فصلي الخريف والربيع فتأخذ درجة الحرارة في الانخفاض أو الارتفاع حسب الظروف المناخية للفصل بصفة تدريجية .

٢-الرطوبة النسبية:

من المألوف أن يكون الهواء في مدينة العيينة جافًا معظم أيام العام وفي أشهر الصيف بشكل خاص ، بسبب انقطاع الأمطار وقلة الغطاء النباتي ثم جفاف التربة ، ومرد ذلك يعود للارتفاع الشديد في درجة الحرارة وما يترتب عليها من تبخر . وبالرغم من وجود غطاء نباتي طبيعي لا بأس به (غابات العيينة) بالإضافة للنباتات المزروعة ، إلا أن تأثيرها في رفع الرطوبة النسبية ضعيف . وعند حلول المساء ترتفع نسبة الرطوبة في العيينة ، وتستمر حتى وقت شروق الشمس أو بعده قليلاً ، ويتكون الندى في بعض الليالي ، وفي فصل الشتاء ترتفع نسبة الرطوبة بسبب هطول الأمطار ، مع انخفاض درجة الحرارة ، وقد تتغير الرطوبة النسبية وتذبذب معدلاتها بين يوم وآخر وخلال شهور السنة حسب هطول الأمطار واتجاه الرياح ودرجة الحرارة .

٣-الأمطار:

يعتبر هطول الأمطار بصفة عامة على مدينة العيينة قليلاً جداً ، لكونها تقع في منطقة مدارية جافة والرياح التي تهب عليها جافة في أغلب الفصول ، أما الرياح

(١) نشرة وزارة الزراعة ، قسم الهيدرولوجيا

الرطبة التي تهب على العيينة فهي الرياح القادمة من حوض البحر الأبيض في فصلي الشتاء أو الربيع .

ويختلف موسم وكمية سقوط الأمطار على العيينة من فصل إلى آخر ومن عام لعام ؛ فقد تكون الأمطار مبكرة في فصل الخريف وقد تكون شتوية وقد تتأخر وتهطل في فصل الربيع وقد تهطل في جميع الفصول مثلما حدث عامي (١٣٦٠هـ) (١٣٦١هـ) كما يذكر ذلك كبار السن وهو العام المسمى (جبار) وقد تمر جميع الفصول والشهور دون سقوط أمطار تذكر .

ويبلغ المتوسط السنوي لسقوط الأمطار في العيينة ما بين ١٠٠-١٥٠ملم ، انظر خريطة المتوسط السنوي للأمطار خريطة رقم (٦) ، وتتصف أمطارها بأنها عاصفية يبدأ هطولها بإذن الله تعالى في فصل الخريف وبالتحديد في شهر أكتوبر ، ويزداد في فصل الشتاء ، ويصل إلى القمة في فصل الربيع خصوصاً في شهر مارس الذي يعتبر أكثر شهور السنة أمطاراً ، وتستمر خلال أبريل ومايو وتتوقف الأمطار في فصل الصيف فجميع شهوره جافة ، كما يمكن أن يضاف شهر سبتمبر للشهور الجافة . وقد تهطل الأمطار في فصل الصيف وهذا نادر ، ولكنه حدث عام ١٢٢٤هـ حينما هطلت الأمطار على العيينة وغيرها من بلدان نجد في شهر يوليو(تموز) وامتلأ حكر العيينة (سدها) بالسيول [١] . وكما حدث عام ١٢٣٤هـ وبالتحديد في الثامن من شهر شوال المصادف لشهر يوليو (تموز) حيث هطلت الأمطار على أغلب البلدان النجدية [٢] .

والأمطار التي تهطل على حوض العيينة عندما تكون غزيرة فإنها تنحدر بشدة على شكل سيول جارفة قد تكتسح كل ما يقع أمامها وحتى مدينة العيينة نفسها تقع تحت دائرة خطر تلك السيول فتعيث في مزارعها ودورها خراباً وهدماً كما حصل عام ١١١٦هـ وعام ١٢١١هـ [٣] .

٤- الرياح:

تؤثر مناطق الضغط الجوي على سرعة واتجاه الرياح على منطقة الدراسة ،

(١) ابن بشر ، جـ١ ، ص ٣٠٢ .
(٢) المصدر نفسه ، ص ٤٤١ .
(٣) ابن بشر ، جـ٢ ، ص ٣٥٤ ، جـ١ ، ص ٢٣٦

هذه المناطق تتغير من فصل لآخر ؛ ففي فصل الشتاء نجد الرياح السائدة هي الرياح الجنوبية الشرقية وقد تهب الرياح الشمالية الباردة أثناء مرور الجبهات الباردة للمنخفضات الجوية [١] .

أما في فصل الربيع فإن معدلات سرعة الرياح تكون أعلى منها في فصل الشتاء وتكون الرياح متقلبة الاتجاه ، وتسود الرياح الشمالية والشمالية الغربية غالباً .

وفي فصل الصيف تستمر الرياح متقلبة في بداية الفصل ثم تسود الرياح الشمالية بقية شهور الصيف وتثير هذه الرياح أحياناً العواصف الرملية والترابية .

وفصل الخريف تماماً كفصل الربيع تكون الرياح متقلبة وتسود الرياح الجنوبية الشرقية والجنوبية ، وبشكل عام فإن الرياح على العيينة تكون معتدلة السرعة ، ويبلغ أقصى مدى لها خلال فصلي الربيع والصيف حيث تزيد سرعتها عن المعدل السنوي العام من بداية الربيع إلى نهاية الصيف ، وفي بقية الفصول تكون سرعتها أقل .

(١) إمارة حريملاء ، ص ١٦١ .

٤ - الموارد المائية

تعتبر مدينة العيينة واحدة من المدن الصحراوية التي اعتمدت اعتماداً كلياً في نشأتها ونموها وتطورها في المجالات كافة طوال تاريخها على ما يتوفر فيها من موارد مائية محدودة . ورغم محدوديتها فإنها تعد من أوفر حواضر أعالي وادي حنيفة في تلك الموارد ، لكثرة أوديتها ولوجود سد (حكرّ) قديم ، وعين مرتبطة به يحفظ ويمد البلد بكمية من المياه لمدة يحدد طولها أو قصرها كمية الأمطار التي يختزنها السد .

وأهم موارد المياه المتاحة في العيينة حالياً هي :

١- مياه الأمطار .

٢ - مياه العيون .

٣- المياه الجوفية السطحية .

٤- المياه الجوفية العميقة .

٥- المياه المعالجة .

١ - مياه الأمطار:

من المعروف بأن مياه الأمطار تعتبر المصدر الرئيس لجميع الموارد المائية .

والمقصود بمياه الأمطار هنا هي تلك المياه التي تجري في أودية وشعاب وروافد وسهول حوض العيينة ، والتي تتجمع كمية منها في السد أو منخفضات الأودية على شكل غدران وقلات تطول مدة حفظها للمياه وتقصر تبعاً لدرجة الحرارة التي تعمل على التبخر ، وكذلك على قدرة نفاذية أو تماسك أرضية السد والغدران والقلات .

وأسلفنا القول بأن المعدل السنوي للأمطار في العيينة يتراوح ما بين ١٠٠-١٥٠ ملم كما حددنا موسم سقوطها وأوضحنا التباين في كمياتها وفي توزيعها الشهري من عام لآخر ، وتؤثر الزيادة والنقصان في كمياتها على سكان العيينة ونباتاتها وحيواناتها بالإضافة إلى تأثيرها على ثروة المياه الجوفية المتجمعة في التكوينات الرسوبية التي تنتمي إلى الزمن الجيولوجي الرابع أو في فراغات وشقوق الصخور الجيرية التابعة لتكوين حنيفة أو تكوين طويق .

ولموقع العيينة في المنطقة المدارية الجافة تأثير ملحوظ على قلة أمطارها التي تتفاوت في كمياتها من عام لآخر وعندما تهطل بكميات كبيرة يكون جريانها قوياً وسريعاً ، لذا فإن الاستفادة منها لسكان العيينة وقراها بهذا الشكل غير مجد بدرجة كبيرة .

لذا اهتم سكانها قديماً بعمل الحواجز للسيول وأبدعوا في إقامة المشاريع الخاصة بالاستفادة منها وصرف الزائد عن الحاجة ، وتسمى هذه الأعمال بهندسة الاستفادة من مياه السيول ، وهذه الهندسة تعتمد بدرجة كبيرة على الاستفادة القصوى من السيول والوقاية من أخطارها . ولما كانت العيينة هي أول بلدان وادي حنيفة استقبالاً لسيوله كانت أكثرها عرضة لجرف السيول وتخريباً للمزارع والمساكن متى كانت قوية كما حصل عام ١١١٦هـ وعام ١٢١١هـ حيث جرفت وهدمت السيول بيوتاً في العيينة [١] . مما حدا بسكانها إلى الاستمرار في تطوير هندسة السيول لمواجهة ذلك . وفعلاً فقد طور سكان العيينة هندسة السيول واستفادوا قديماً من مياه الأمطار استفادة كبيرة ووزعوها توزيعاً سليماً . وعندما زار الكولونيل «لويس بلي» العيينة في الرابع من مارس عام ١٨٦٥م الموافق لعام ١٢٨١هـ لم يستطع أن يخفي إعجابه بجهود أهالي العيينة في التحكم بمياه الأمطار وقال : «إن مجهوداً عظيماً كان قد بُذل في وقت من الأوقات للتحكم بمياه السيول التي تجري بعد هطول الأمطار الغزيرة عبر الوادي بعمق عدة أقدام ، ومن ثم تخترق قلب البلدة من البداية للنهاية ، وكانت هناك جدران حاجزة من الحجر الجيري المشذوب ، ولكن بدون ملاط ، تتبع مجرى السيل ، وهي في حالة لا بأس بها وكانت تلك الجدران تعاود الظهور بين الحين والآخر لمسافة تقرب من الميلين لقد كانت حواف الجدران الحاجزة ممهدة بطريقة تشبه رصيف الميناء ، الذي بنيت على طوله بيوت البلدة القديمة»[٢] . ولقد اختفت بعض آثار هذه الهندسة بسبب هجرة سكان العيينة لها وعدم الصيانة ثم فتح مجاري الأودية للسيارات على حساب السدود والمدارج .

---

(١) ابن بشر ، جـ٢ ، ص ٣٥٤ ، الفاخري ، ص ١٢٨ .

(٢) بلي ، لويس ، رحلة إلى الرياض ، ترجمة د . عبد الرحمن الشيخ ، د . عويض الجهني ، طبعة مطابع جامعة الملك سعود ، ١٤١١هـ ، ص ٦٩ ، ٧٠ .

إلا أن العيينة الآن لا تخلو من آثار هندسة السيول التي شيدت قديماً لتحافظ على المياه من الضياع والانتفاع منها كثروة عظيمة وتتمثل في الآتي :

أ- حكر ابن معمر (السد) :

يقع هذا السد في أعلى وادي غالة شمال العيينة ويعتبر أقدم سد في المنطقة ، لقد لاحظ سكان العيينة قديماً أن تجمع المياه في منخفض هذا الجزء من الوادي يفجر عيناً قريبة من بلدتهم صافية عذبة الماء ، ففكروا بإنشاء سد يزيد كمية المياه المخزونة أمامه وبالتالي يزيد كمية المياه المتدفقة عبر العين إلى المزارع والحقول .

فتم تخطيط السد (الحكر) وتشييده ، ولا شك أنه استغرق وقتاً وجهداً ومالاً كثيراً ويبقى العائد منه أكبر بكثير ، ورغم عدم معرفتنا بتاريخ ذلك العمل ومن قام به إلا أننا نرجح أنه بني في عهد أحد أمراء العيينة من آل معمر ، ولعله عبد الله ابن محمد بن معمر المتوفي عام ١١٣٨هـ الذي تزخرفت العيينة في عهده وبلغت عصرها الذهبي في كثير من المجالات . فعرف السد بحكر ابن معمر أو سد ابن معمر[١] . واختصاراً باسم الحكر ، أما عن أقدم ذكر للحكر في المصادر التاريخية فهو عام ١٢٢٤هـ حيث أشار الفاخري وابن بشر إلى امتلاء الحكر بالسيول[٢] . وعنه قال لوريمر : « وعلى حوالي ١٠ أميال من سدوس يسد غاله سد حجري مكوناً خزاناً يسمى (حكر) قريب جداً من الطريق من سدوس إلى العيينة على جانبه الشمالي الشرقي . وعندما يملأ المطر هذا الخزان فإنه من المتوقع أن يبدأ ينبوع عند العيينة يسمى (عيينة ابن معمر) في الانسياب»[٣] . ويبلغ طول السد ٤٠٠ متر وأقصى ارتفاع له خمسة أمتار وسعته التخزينية مليون متر مكعب[٤] . وتختلف سماكته من جهة إلى أخرى فحين تصل في بعض الجهات إلى أربعة أمتار تصل في بعض الأماكن حوالي ثمانية أمتار حيث يبرز في حوض السد جزء

---

(١) معجم اليمامة ، جـ ٢ ، ص ٢١٢ .
(٢) محمد بن عمر الفاخري ، ص ١٣٧ ، ابن بشر ، جـ ١ ، ص ٣٠١ .
(٣) لوريمر ، دليل الخليج ، جـ١ ، ص ٢٢٩ .
(٤) وزارة الزراعة ، قائمة بالسدود عام ١٤٠٥هـ ، الرياض .

مقوس من البناء يشكل دعامة للسد في ثلاثة مواقع وسط السد ، هي عبارة عن ثلاثة كبوش حيث يزداد ضغط الماء ، وفي شمال السد مكان مخصص يصرف معه الفائض من المياه بعد أن يأخذ السد ويستوعب قدرته التخزينية وتتجمع كمية من مياه ظهرة سدحة في حوض أمام السد وبعد أيام من امتلاء السد تنساب المياه عبر مجرى طبيعي في باطن الأرض ، وعندما يصبح المجرى المائي القادم من الحكر باتجاه الجنوب في مستوى سطح الأرض وبالتحديد في تلعة العين إحدى تلاع وادي المجينينة بسبب انخفاض التضاريس في ذلك الموقع تتدفق مياه ذلك المجرى على هيئة عين ماء صافية نقية ، فتسقي المزارع والبساتين .

ولا أستبعد أن السد رمم عدة مرات خلال تاريخه الطويل سيما وأن آثاراً للجص كانت واضحة على الحكر قبل ترميمه عام ١٣٨٨هـ بالخرسانة المسلحة حيث كسي من جهاته الثلاث بها ، وحوض الحكر عالي النفاذية لوجود شقوق في أرضيته يقوم السكان قبل هطول الأمطار بردم تلك الشقوق حتى يحفظ الحكر المياه ويستمر تدفقها بالعين مدة طويلة • ويربط الحكر بالعيينة طريق معبد طوله ستة أكيال تقريباً .

ب- المداريج (المدرجات) :

مفردها مدرج وهو بناء حجري متدرج يشبه السد يقام بعرض مجرى الوادي وبحجارة كبيرة نسبياً على شكل صفوف ومداميك أكثر عرضاً عند القاعدة من أعلاه . والهدف منه تحقيق أمرين أولهما تكوين بحيرة أمام المدرج تتسرب لباطن الأرض لترفع منسوب المياه الجوفية ، والآخر وهو الأهم إذ إن مياه السيول ترتفع أمام المدرج لمستوى معين تنساب عبر قناة أو قنوات على أحد جانبي الوادي أو كليهما تسمى مسيل أو (وضيمة) فتسقي مزارع وبساتين يكون مستوى سطحها أقل من مستوى سطح المدرج وهذا يفسر بُعد المدرج عن المزرعة التي تسقيها وضيمة متفرعة منه ، والتي يصل طولها في بعض الأحيان حوالي ٤٠٠ متر من المدرج حتى المزرعة .

وتبدأ الوضيمة أو المسيل من أحد طرفي المدرج وقد تتقدم إلى داخله وغالباً تكون مقدمتها بناءً دائرياً يسمى كبشة .

والمدرج يطول ويقصر تبعاً لعرض المكان الذي يقام فيه من الوادي فقد يكون قصيراً وقد يكون طويلاً ، وهو البناء الذي يقام بعرض الوادي ليعترض سيوله ، وكلما طال المدرج وضعت له دعائم لتساعد في تثبيته ومقاومته لقوة دفع المياه ، والدعائم تكون مخروطية الشكل مبنية من الحجر تشبه المرقب إلى حد كبير ومتداخلة في البناء مع المدرج وتكون هذه الدعائم والتي تسمى (كبشات) أو كبوش مفردها (كبشة) أكثر ارتفاعاً من المدرج وتكثر كلما زاد طوله وتختلف المسافات بين الكبشة والأخرى ، ولكنها تقترب من منتصف مجرى الوادي حيث ضغط المياه ، ويبلغ عرض المدرج عند القاعدة حوالي مترين وفي أعلاه حوالي المتر وتكثر المداريج في العيينة ، وما شاهدته وصورته بقايا أربعة مداريج .

أولها ونحن صاعدون في الوادي يقع في حي الطرف على وادي حنيفة ويبلغ طوله حوالي ٢٧ متراً ، وقد تهدم أغلبه ويقى منه أجزاء بقرب مطاوي وادي حنيفة وفي شمالي المدرج وضيمة عرضها حوالي ١,٥ متر بطول ١٠٠ متر تقريباً يقطعها من شرقها طريق الطرف المعبد والمتفرع من طريق العيينة الجبيلة ، فإذا حجز المدرج السيول فإنها تنساب عبر هذه الوضيمة لتسقي مزارع الطرف شمال وادي حنيفة .

وثانيها يقع غرب المدرج الأول عند صعودنا مع الوادي بعد التقاء وادي المجينينة مع وادي حنيفة بحوالي ٥٠ متراً ، ويبلغ طوله حوالي ٢١ متراً ويستعمل المدرج كجسر للعبور من فوقه بين جانبي الوادي وقت السيول ، وبينه وبين المدرج الأول حوالي ٣٠٠ متر .

أما المدرج الثالث فهو أكثر وضوحاً ولا تزال بعض أجزائه قائمة رغم تهدم بعضها ، كما لا تزال معالمه واضحة ، ويقع جنوبي حي مريطل ويميل هذا المطوى باتجاه الشمال الشرقي ليعترض سيول وادي حنيفة ويحولها شمالاً إلى مزارع العيينة ، ويبلغ طول ما تبقى من هذا المطوى ٩٦ متراً تقريباً وفيه ثلاث كبشات .

أما المدرج الرابع فيقع إلى الغرب من المدرج الثالث وأعلى منه ، حيث يعترض السيول قبله ، والمسافة بينهما ٣٥٠ متراً تقريباً ، وهذا المطوى تهدم أغلبه وبالكاد أن نتوسم بقاياه بعد أن كادت تخفيها بطحاء الوادي . ويميل هذا المطوى باتجاه الجنوب الشرقي ويبلغ طوله أكثر من ١١٠ أمتار ويوجه السيول عبر وضيمة (قناة)

وقد شاهدت بقاياها تسقي مزارع صفار والسويدي والطرف الجنوبي حتى وادي الأحيرش .

كما توضح الخريطة رقم (١٠) مواقع المدارج في العيينة .

وتعرضت هذه المدارج للتلف الجزئي أو الكلي بسبب عوامل الفناء البشرية والطبيعية .

جـ- الطوي (المطوى):

وهو بناء من الحصى على شكل جدار يحيط بالمزارع من جهة الوادي لحماية التربة من جرف السيول .

وهو مبني بحجارة مشذوبة على شكل صفوف ومداميك متراصة ، وقد يستعمل الجص بين الحجارة ليساعد على التماسك ، والطوي يختلف من مكان لآخر حسب ارتفاع المزرعة عن بطن الوادي ، ويأخذ شكلاً متعرجاً أو مستقيماً حسب شكل المزرعة ، وبه أماكن لصرف مياه السيول الفائضة عن حاجة المزرعة ، وتأخذ أماكن صرف الماء أحياناً شكل درج ، كما يستفاد منها للنزول للوادي أو الصعود منه .

وكانت الجدران المطوية حول المزارع آية في الإبداع والإتقان وقد تبرز أجزاء من الجدران (المطاوي) ويكون بروزها بشكل دائري أو بزوايا وتسمى هذه البروزات «حنيّه» ودورها هو تغير اتجاه السيول إلى وسط الوادي حتى لا تحفر تحت الجدار (المطوي) وتعرضه للانهيار .

أما الآن فإن أغلب هذه المطاوي قد تهدم والبعض الآخر طمر تحت التراب وبعضها تآكل وأثرت فيه ملوحة التربة وتقادم العهد وانعدام الصيانة وحل محل بعضها الآن جدران من الخرسانة المسلحة • ولقد كانت أحسن حالاً حينما مر بها لويس بلي عام ١٢٨١هـ وقال عنها : «إن مجهوداً عظيماً قد بذل في وقت من الأوقات للتحكم بمياه السيول التي تجري بعد هطول الأمطار الغزيرة عبر الوادي بعمق عدة أقدام ، ومن ثم تخترق قلب البلدة من البداية للنهاية . وكانت هناك جدران حاجزة من الحجر الجيري المشذوب ، ولكن بدون ملاط ، تعاود الظهور بين الحين والآخر لمسافة تقترب من الميلين . لقد كانت حواف الجدران الحاجزة

ممهدة بطريقة تشبه رصيف الميناء الذي بُنيت على طوله بيوت البلده القديمة»[١] .

د- المسيل:

هو مجرى ترابي ينقل مياه السيول من الأودية إلى المزارع ويوجد بالعيينة عدد من المسايل : **أولها** مسيل العيينة وهو عبارة عن عقم ترابي غرب العيينة يعترض سيول جزء من وادي حنيفة كما يستقبل سيول تلاع ظهرة سدحة ، وتجري جميع هذه السيول في مجرى ترابي باتجاه البلد تتفرع منها وظائم وخرائم لسقيا المزارع ويستمر المسيل مخترقاً العيينة باتجاه الشرق ويمر من تحت أسوار العيينة من خلال جسور ترفع السور تسمى (العراض) وتأخذ كل مزرعة حاجتها ويصرف الفائض عبر المسيل باتجاه شرق العيينة أمام التقاء وادي حنيفة مع رافدة المجينينة وأحياناً عند الاكتفاء من السيول يصرف المسيل باتجاه وادي حنيفة عند أعلى المسيل فيتوقف جريان الماء باتجاه البلد .

ويبلغ طول المسيل تقريباً سبعة أكيال وعرضه يتراوح ما بين ٥ و ١٠ أمتار ويعتبر هذا المسيل طريقاً من العيينة باتجاه الحيسية ، والآن اعترضت المباني مجرى المسيل واقتصرت الاستفادة من مياهه على المزارع التي تقع شمال غرب العيينة وحتى المزارع التي حول ثنية المجينينة وللوضائم أسماء مثل وضيمة أم الجميمات وغيرها .

ويلي هذا المسيل إلى الشرق منه بقايا مسيل حجري على وادي حنيفة وهو **المسيل الثاني** ويقع جنوب خزان المياه ، ومعظم هذا المسيل تهدم وجرفت السيول أغلب حجارته . وهذا المسيل يسقي مزارع العتايق والتي تسمى الآن أم أرينب الشمالية ، وتمنى صاحب هذه المزارع جريان المياه بهذا المسيل لتسقى العتايق فقال :

يا للّه على وادي الهديدير نوّهْ   غزير ويسقى فيض ماه العتايق

والمسيل الثالث حجري يقع شرق حي مريطل وجنوب المدرج الثالث ويروي المزارع التي تقع غرب القارة .

والمسيل الرابع حجري وبقاياه أكثر وضوحاً من المسيل الثاني وأقل من الثالث

---

(١) لويس بلي ، ص٦٩-٧٠ .

ويقع على وادي حنيفة أمام وادي صفار وجنوب شرق القارة وهو يسقى المزارع التي تقع شرق القارة وبه بقايا كبشتان .

والمسيل الخامس مسيل الغديرية وهو يلي مباشرة المدرج الأول إلى الشرق منه ويسقى مزرعة الغديرية .

والمسيل السادس يسقي مزارع الطرف الشمالية ويقع جنوب مسجد الطرف .

جميع هذه المسايل تقع على وادي حنيفة كما تقع مسايل ترابية على المجينينة تنقل السيول مع وضائم وخرائم إلى المزارع أهمها خريمة أبو ناصر وتسقي مزرعة الحديثية ومسيل أبو حمد ومسيل مزرعة المطوع المسماة بـأم حمار .

وتوجد مسايل عديدة تنحدر من الأودية وتسقى المزارع مثل مسيل وادي صفار ومسيل وادي السويدي ومسيل رميلان الشمالي والجنوبي ، وتنحدر مسايل أخرى على العيينة من الجبال الشمالية والجنوبية ، ويلاحظ المتتبع لهذه المسايل أنها تمتد لمسافات طويلة تصل إلى حوالي كيلين كما أنها مرصوفة بحجارة مسندة على مجرى ترابي وتحتضن هذه المسايل أغلب الأمطار التي تهطل على تلك المرتفعات ، وتوجهها عبر المسايل إلى المزارع وقد تنحدر المسايل على شكل شلالات مثل مسايل الطرف الشمالية أما مزارع الجبيلة فقليلاً ما تستفيد من سيول وادي حنيفة لارتفاع مزارعها عن مجرى الوادي ، ولها مسايل من وادي غالة وعقرباء وسلام والتلاع الشمالية والجنوبية ومن وادي الأحيرش .

هـ- الصنوع:

مفردها صنع وهو عبارة عن بناء من الحصى على شكل صفوف متراصة ترتفع جوانبه ويكون على شكل متدرج كالدرج أو على شكل جدار قصير يبلغ اتساعه من متر إلى مترين . ويرتفع بمقدار ١٠-٢٥ سم فوق سطح المزرعة القادم منها السيل ليضمن بقاء كمية كافية من المياه للمزروعات ، ويحمي تربة المزرعة من الانجراف . والغرض من الصنع تصريف مياه السيول من مزرعة لأخرى بعد أن تأخذ المزرعة الأولى كفايتها من المياه . وحديثاً جددت بعض الصنوع القديمة بالخرسانة بدلاً من الحجارة .

هذه الأعمال الهندسية أسهمت في الاستفادة من مياه السيول وحماية المزارع

في العيينة حتى يخيل لمن يرى بقايا تلك الأعمال أنهم لا يفرطون بنقطة ماء واحدة .

والرواية المحلية تقول : إن مياه وادي حنيفة لم تتجاوز العيينة والجبيلة وبقية حواضر الوادي لمدة أربعين عاماً لحسن التدابير المتخذه للاستفادة منها ، وقد أشار إلى شيء من هذا عبد اللّه بن خميس بقوله : «ولقد نقل لنا أنه ظل أكثر من أربعين سنة لم يقم سيل هذا الوادي (يقصد وادي حنيفة) من رأسه إلى مصبه لانشغال شعابه وروافده بالسدود والحرث والعمران فيستوعب كل وادي سيله»[١] .

وعلى الرغم من ضخامة هذه الأعمال التي بذلها أهل العيينة للاستفادة من مياه الأمطار فإن أغلبها يضيع بسبب التبخر الشديد الذي يلي عملية سقوط الأمطار سيما وأن أغلب الأمطار تهطل في فصل الربيع مع الارتفاع التدريجي في درجة الحرارة .

كما أن نسبة من هذه المياه تتسرب خارج حوض العيينة عبر الطبقات الصخرية أو عبر مجرى الوادي إلى الوصيل حيث يحتضن سد العلب بعضها . وقسم يسير يتسرب إلى باطن الأرض ليسهم في تكوين وزيادة الرصيد المائي الجوفي . وقام بعض السكان بحفظ كميات كبيرة من المياه في مزارعهم بإنشاء السدود الخاصة أو حواقن لحفظ السيول بهدف الاستفادة من الطمي أولاً ثم تغذية المياه الجوفية ، وأهم هذه السدود السد المقام في مزرعة سعد بن عبد الرحمن بن معمر رحمه الله ، وطاقة هذا السد التخزينية تقدر بثلاثمائة ألف متر مكعب تقريباً .

وأمام المفقود الكبير من مياه السيول لا بد من عمل سدود على بعض مضايق الأودية التي تنحدر منها كميات من مياه السيول مثل المخنق وبوضة والهديدير وأمام خشم مصيقرة إلى الطريق المعبد المتجه لسدوس ، وفي وادي الأحيرش وفي المجينينة غرب الطريق المعبد المتجه للحكر ، وقد بذل جهد جيد بإقامة حاجز ترابي على شكل سد أمام قرى أبا الهبايا أحد روافد وادي بوضة بطول ٤٠٠ متر تقريباً وبارتفاع يصل إلى مترين .

ولا تقتصر الاستفادة من السيول على تخزين المياه بل إنها تحمل معها الطمي والغرين والذي يمد التربة بأحد أهم مقومات الخصوبة الضرورية للإنتاج الزراعي .

---

(١) معجم اليمامة ، جـ١ ، ص٣٤٩ .

كما أن السيول تقوم بدور جيد لغسيل التربة من الأملاح التي تتراكم عليها بفعل التبخر مما ينشط التربة ويزيد من خصوبتها .

٢- مياه العيون :

لقد اشتق اسم العيينة من عين الماء التي تسقيها فعليها قامت وبها عرفت ، ومياه العيون في العيينة من أضعف وأقل موارد المياه فيها لسببين : الأول نضوب العين الأولى منذ مئات السنين ، والآخر كون العين الأخرى موسمية مرتبطة بمياه الأمطار التي يحتضنها الحكر . والعينان هما :

الأولى : عين مصيقرة :

تقع مياه هذه العين حول جبال (مصيقرة) غرب العيينة بوادي الحيسية أعلى وادي حنيفة .

ويأخذ مجراها خطاً مستقيماً باتجاه الشرق بجانب مجرى وادي حنيفة حتى تفيض في العيينة فتقسم بين مزارعها وبساتينها .

لقد رجح عبد اللّه بن خميس أنها هي عين العيينة التي سميت بها[1] . ولا تزال آثار مجراها باقية إلى الآن ، ويطلق الأهالي عليها (خرز العين) وهي الآن عبارة عن مرتفعات من الطين على شكل أكوام متقاربة ومتصلة بارتفاع مترين في بعض الأماكن وتختلط ببعض الحجارة ، وقد أثرت عوامل التعرية فيه بشكل واضح وبقي من مجرى العين الآن ١٨٠٠ متر طولاً ، وعرضها قريباً من ١٥ متراً وهو مهدد الآن بالزوال بسبب التوسع الزراعي ، وذكر الأستاذ/ عبد الله الشايع أن هذه الكظائم هي سيح آل إبراهيم بن عربي[2] .

الثانية : عين ابن معمر :

هي عين موسمية تقع شمال مدينة العيينة في السفح الغربي لإحدى تلاع وادي

---

(١) معجم اليمامة ، جـ٢ ، ص١٩٧ .

(٢) عبد الله بن محمد الشايع ، بين اليمامة وحجر اليمامة . الرياض : ١٤١٩هـ ، ص١١٧ . وقد ذكر لي والدي ، رحمه الله (وكان أميراً للعيينة والجبيلة بين عامي ١٣٦١هـ - ١٣٦٩هـ) أن الملك عبد العزيز أرسل جماعة للتنقيب عن منبع هذه العين وقد توقعوا مكانه . المؤلف .

المجينينة ، وتسمى هذه العين بعين ابن معمر [١] واختصاراً باسم العين ، ولها خزان تجميعي لا نعرف متى شيد ، ولكن نرجح أنه بني في نفس الفترة التي بني فيها الحكر ، والغرض من خزان العين هو حفظ مائها من الضياع في الوادي ، ولضمان تدفقه مع مجرى العين نحو مزارع العيينة .

والخزان بني بالحجارة وغطي من الداخل بطبقات من الجص في فترات زمنية مختلفة لمنع تسرب المياه إلى خارج الخزان بين صفوف الحجارة .

وفي عام ١٣٩٢هـ قامت الجهات المسؤولة بعمل خرسانة مسلحة حول الخزان من جانبيه وأعلاه واختفت البناية القديمة للخزان داخل الخرسانة المسلحة .

ويأخذ خزان العين شكلاً مستطيلاً يحده من الجانب الغربي الجبل بطول ٢٣,٦٠ متراً ومن الشرق بطول ٢٣,٠٥ متراً ومن الشمال بطول ١٤,٧٥ متراً ومن الجنوب بطول ١٣,٨٠ متراً .

وسماكة الخزان تبلغ ما بين ١,٦٠ متراً إلى مترين ، وأقصى ارتفاع له من الخارج يبلغ ٢,١٠ متر ومن الداخل متر إلى متر ونصف ، وتقدر المياه التي يختزنها خزان العين التجميعي بحوالي ٣٥٠ متراً مكعباً ، وتقع الفتحة التي تخرج منها مياه العين داخل هذا الخزان وبالتحديد في منتصفه تحت جرف صخري بارز من الجبل .

تتدفق المياه في خزان العين بعد خمسة إلى سبعة أيام من امتلاء الحكر بالسيول وتطول مدة تدفق المياه وتقصر تبعاً لكمية المياه في الحكر وتمر المياه في شقوق وقنوات طبيعية تحت الأرض من الحكر باتجاه العين بمسافة تقدر بستة أكيال .

وتستمر العين بالجريان حتى بعد نضوب مياه الحكر لفترة قد تصل إلى شهرين يقل تدفق المياه خلالها تدريجياً حتى تنضب تماماً .

وعندما تهطل الأمطار ويمتلئ الحكر بالسيول تماماً تنفجر عينان في التلعة غرب العين الرئيسة بمسافة ٢٠٠ متر ولكنهما أقل شأناً من العين الرئيسة ويستفاد من مياههما حيث تجري عبر قناة لتصب في العين .

---

(١) دليل الخليج ، جـ٢ ، ص ٩٥٢ ، جـ١ ، ص ٢٢٩ .

وقد تستمر مياه العين بالتدفق عاماً أو أكثر كما حصل عامي ١٣٦٠/ ١٣٦١هـ لكثرة الأمطار .

أما عن رحلة المياه من العين للمزارع فبعد امتلاء خزان العين بالمياه تتدفق المياه من مكان مخصص يقع في الطرف الجنوبي الشرقي من خزان العين لتجري عبر ساقي العين الترابي المحاذي للجبل باتجاه الجنوب مسافة ١٩٠ متراً ثم ينعطف باتجاه الشرق مسافة ٧٠ متراً فوق جسر تمر من تحته سيول تلعة العين عبر عرصات العين ، وقد أهمل الجسر الحجري القديم وبني جسر جديد من الخرسانة المسلحة على نفقة الشيخ محمد بن حمد بن معمر الذي بنى أغلب الساقي في هذه المنطقة بالخرسانة المسلحة أيضاً عام ١٤١٠هـ . ثم يستمر ساقي العين في مسيره باتجاه الجنوب الشرقي ثم الجنوب مخترقاً أرضاً بعليه تسمى (جو) مسافة ٩٠٠ متر ، فيجتاز مجرى وادي المجينينة بجسر قديم من الحجارة جدد عدة مرات وبني بالخرسانة المسلحة يبلغ ارتفاعه مترين وطوله ٧ أمتار ثم ينعطف باتجاه الشرق مع نهاية السلسلة الجبلية جنوب وادي المجينينة ثم باتجاه الجنوب ، وينقسم إلى قسمين : قسم يتجه غرباً موازياً للسلسلة الجبلية التي يقع شمالها وادي المجينينة ليسقي مزارع شمال العيينة بطول كيلين تقريباً .

والآخر يتجه جنوباً ليبدأ في سقيا المزارع ويمر من تحت سورَي العيينة الاثنين ويسير موازياً لوادي المجينينة حتى يقترب من وادي حنيفة عندها ينعطف موازياً لوادي حنيفة بينه وبين جبل القارة متجهاً للغرب ليسقى المزارع هناك ، وتمر قناة من ساقي العين متفرعة من الساقي الشمالي أمام الثنية متجهة جنوباً لتسقي المزارع التي تقع غرب القارة ، ويتفرع ساقي العين تفرعات عديدة في طريقه من البعول إلى آخر مزرعة ، ولكل مزرعة نصيبها من ماء العين قسمة بين المزارعين (*) .

وفي وقتنا الحاضر فإن المزارع التي تستفيد من مياه العين أقل عدداً ومساحة من المزارع في عهود العيينة القديمة بسبب ترك بعض الأراضي الزراعية الآن التي يمر فيها الساقي بدون زراعة أو تقسيمها لأراضٍ سكنية .

(*) كانت المزارع التي تستفيد من مياه العين تدفع مقابل ذلك جزءاً من محصولها لأمراء العيينة (آل معمر) .

ومهما يكن من أمر فإن هذه العين تسهم مع غيرها من موارد المياه الأخرى في زيادة رقعة الإنتاج الزراعي في العيينة .

٣- المياه الجوفية:

توجد هذه المياه حيث تكثر تجمعات الرواسب الحصوية والرملية الخشنة التي تراكمت خلال الزمن الجيولوجي الرابع حيث تختزن هذه التجمعات المياه لما تتميز به من نفاذية عالية .

وقد اعتمد سكان العيينة على هذه المياه في الماضي لقربها من السطح ولسهولة ويسر الوصول إليها بوسائل الحفر اليدوية . وهذه المياه كمياتها قليلة قد تنفد إذا لم تهطل الأمطار سنويًا أو كل عامين على الأكثر ، حيث تتغذى هذه المياه من جريان الأودية ومن مياه الري التي تغمر الأراضي الزراعية ومن السدود والغدران ، والاعتماد عليها وحدها لا يضمن زراعة مستقرة ، وفي تاريخ العيينة الطويل تبين أن الاعتماد على هذه المياه غير مضمون العواقب فقد جفت أغلب آبار العيينة عام ١١٣٠هـ[1] حيث انقطعت الأمطار عن نجد منذ عام ١١٢٨هـ وحتى عام ١١٣٦هـ وساد القحط والجفاف مما أدى إلى هجرة بعض سكان العيينة ، كما جفت جل آبارها في أواسط القرن الثالث عشر للسبب ذاته .

وتتميز هذه المياه بالتغير في مذاقها فمنها المياه العذبة (القراح)[*] ومنها المياه المالحة (الهماج) ويعتمد على الآبار اعتماداً كلياً للحصول على هذه المياه ، وكانت العيينة في القديم أكثر آباراً مما هي عليه الآن حيث دفن عدد كبير منها في السنوات الأخيرة .

وتكثر الآبار بمدينة العيينة وقد تفوق بلدان وادي حنيفة بكثرتها وطيب مائها .

قال عنها الرحالة ابن علوان أثناء زيارته لها عام ١١٢٢هـ : « أما المياه فلا تقاس بغيرها طيباً وصفاء وهضماً ، سألنا عنها فقيل : كلها آبار وبعضها مالحة »[2] .

وتحفر الآبار لاستخراج المياه الجوفية السطحية ، ويتم الحفر بعد تحديد الموقع

---

(١) تاريخ ابن عباد ، حوادث عام ١١٣٠هـ .

(*) الماء القَرَاحُ هو الذي لا يشوبه شيء .

(٢) رحلة مرتضى بن علوان عام ١١٢٢هـ .

بواسطة أشخاص لهم خبرة ودراية بالأماكن التي يرجح العثور على المياه فيها وللحظ دور كبير في ذلك . وللحفر أساتذة اكتسبوا بالممارسة الخبرة اللازمة ويبذلون جهداً كبيراً في الحفر وعندما يعثرون على المياه ، يبدأ جهد آخر لطي البئر يقوم به الحفارون أنفسهم أو آخرون متخصصون في هذا العمل ، وذلك بعد أن تحضر حجارة الطي من مقاطع الصخور المنتشرة في السلاسل الجبيلة شمال وجنوب العيينة ، لا تزال آثارها واضحة للعيان الآن ، ويبدأ الطي بالحجارة من قاعدة البئر أو من منطقة صخرية صلبة فوق القاعدة إلى أعلى .

ويستخدم الحصى المهذب والمشذوب (شكله قريب من المثلث) ثم يرص على شكل صفوف ومداميك متماسكة وبشكل عملي ومتناسق وجميل ، وتأخذ الآبار بعد انتهاء الطي أشكالاً مربعة أو دائرية ، وعند مستوى سطح الأرض تبنى فوق الطي الزرانيق على جانبي البئر من الطين أو الحجارة أو بهما معاً . وأمام البئر حوض تجميعي لاستقبال الماء يسمى اللزا ثم المنحاة ، وهو المكان الذي يسير فيه الحيوان ذهاباً وإياباً لسحب الماء من البئر ويزيد طول المنحاة قليلاً عن عمق البئر وينحدر بزاوية تقدر بثلاثين درجة تقريباً ، تساعد الحيوان في السير عند سحب الماء .

وتختلف آبار العيينة من حيث السعة والعمق فتتراوح أعماقها ما بين ١٥-٥٠ متراً ويحدد عمق البئر كمية المياه ، فكلما كانت المياه قريبة قل العمق والعكس .

كما تختلف سعة الآبار من بئر لآخر وهناك آبار ضيقة تسمى المساقي أو (الركية) وتعتبر مصدر المياه للبلدة في الغالب ، فمنها يشربون ويغتسلون كما يستعملونها في احتياجاتهم الأخرى . والمساقي تحفر وتطوى مثل الآبار وغالباً ما يبنى حولها حجرة تشمل (قرو) وهو حجارة مجوفة كالإناء يستعمل للغسيل والوضوء كما يوجد بها حوض أصغر من القرو وفي مكان مرتفع به فتحة تستعمل للاستحمام . وترفع مياه المساقي بالمجهود العضلي للإنسان بواسطة الدلو ، وتنتشر المساقي داخل البيوت الكبيرة وبجانب المساجد وفي أماكن معروفة داخل الأحياء السكنية .

ولا يزيد قطر المسقاة أحياناً عن ٧٠ سم ، وقد أحصيت في العيينة عام ١٤٠٩هـ أكثر من ١٦٠ بئراً ومسقاة قديمة ومهملة أو جديدة ودفن أكثر من ضعف هذا العدد

من قبل المزارعين والجهات المسؤولة . وكثرة الآبار دلالة على التوسع الزراعي كما أنه مؤشر على تفتت ملكية الأراضي وتجزئتها .

وتوجد المياه الجوفية أيضاً في مستوى أعمق وبالتحديد في الشقوق والفجوات والتجاويف الطبيعية الموجودة في بعض الأماكن من تكوين طويق أو تكوين حنيفة أو تكوين الجبيلة ، وتستخدم وسائل حفر حديثة للوصول إلى هذه المياه وهو ما يسمى بالآبار الارتوازية .

ومياه هذه التكوينات أكثر من مياه التكوينات الرباعية وتكون هذه المياه أوفر إذا صادف الحفر شقاً أو فجوة أو تجويفاً مملوءاً بالمياه ، وقد يحفر بئران ارتوازيان متقاربان بعمق واحد ، ويتوفر بأحدهما مياه بينما لا يصادف الآخر منهما شيئاً لعدم مصادفته لشقوق أو غيرها من خزانات المياه الأرضية ، ويتراوح عمق الآبار التي تصل لهذه المياه ما بين ١٢٠ إلى ٢٠٠ متر ، وزادفي السنوات الأخيرة الحفر للوصول لهذه المياه ، وهي تسهم إسهاماً كبيراً في تغطية الاحتياج في مجال الزراعة في العيينة ويعتمد عليها كثيراً .

٤- المياه الجوفية العميقة :

تتربع العيينة فوق حوض ماء ضخم يسمى تكوين المنجور ، إذ تقدر كمية المياه المخزونة فيه فوق مستوى سطح البحر بحوالي ٦٠٠,٠٠٠ مليون متر مكعب . أما مخزونة تحت سطح البحر فهو أكثر من ذلك وحدد عمر مياه هذا التكوين بحوالي ٢٥ ألف سنة وتبلغ درجة حرارة مياهه بنحو ٥٠ - ٦٠°م[١] .

ويبلغ عمقه تحت مدينة العيينة ما بين ١٠٠٠ إلى ١٢٠٠ متر من سطح الأرض ويبلغ سمك طبقاته ما بين ٣٥٠ إلى ٤٩٠ متراً .

وهو تكوين رملي خشن متكون من طبقتين رئيستين هما المنجور الأعلى والمنجور الأسفل ، وأغلب الآبار المحفورة فيه تستمد مياهها من الأعلى .

وترتفع مياه هذا التكوين في الآبار المحفورة بالعيينة إلى حوالي ٢٠٠ متر تحت سطح الأرض مع بعض التغير الطفيف حسب تضاريس الأرض . تنظر الخريطة رقم (٧) .

(١) أطلس المياه ، وزارة الزراعة والمياه عام ١٤٠٥هـ ، ص٥٣ .

وتعتمد مدينة الرياض اعتماداً رئيساً على مياهه ، وإن كان هذا الاعتماد قل في السنوات الأخيرة بسبب وصول المياه المحلاة ومياه الوسيع ، وقد أثر استنزاف مياهه على الكميات المختزنة إذ هبط منسوبها وارتفعت ملوحتها وصدر أمر ملكي سام بعدم استخدام مياه هذا التكوين في الأغراض الزراعية .

ويبلغ عدد الآبار المحفورة في العيينة والتي تستمد مياهها من المنجور حوالي خمسة آبار منها ثلاثة آبار حكومية تقع شمال العيينة .

٥- المياه المعالجة :

بدأ وصول المياه المعالجة إلى العيينة منتصف عام ١٤١٣هـ ، وغطت شبكة هذه المياه مزارع الجبيلة ومزارع الطرف والمزارع التي تقع شرق العيينة ، ويبلغ عدد المزارع التي تم توصيل المياه المعالجة إليها حوالي ٤٠ مزرعة ، وتبلغ كمية المياه المعالجة التي تضخ لمزارع العيينة والوصيل والعمارية ٤٥ ألف متر مكعب يومياً ، وهذه المياه عولجت على مرحلتين ومسموح بسقيا الأعلاف مثل البرسيم والقمح والأشجار ذات الساق منها .

ويمنع سقيا الخضار منها ويقوم مفتشون من وزارة الزراعة بالتأكد من ذلك باستمرار ، وبعد شهور سوف تعالج هذه المياه معالجة المرحلة الثالثة والتي يسمح بعدها بسقي جميع المزروعات منها .

وتسهم هذه المياه إسهاماً جيداً في اتساع الرقعة الزراعية ورفع مخزون المياه الجوفية السطحية ، ولا زال بعض المزارعين يحجمون عن استخدام هذه المياه ما دامت مياه آبارهم تكفي أغراضهم الزراعية .

٥-التربة

التربة من العوامل المهمة في الإنتاج الزراعي ، ففيها تمتد جذور النباتات وتمدها بالاغذية اللازمة لنموه وبدونها لا يستطيع النبات أن ينمو ويثمر مما يؤدي إلى حرمان الإنسان من أهم مصادر غذائه النباتي والحيواني . وتتكون هذه التربة نتيجة لتضافر عوامل عديدة معقدة من الصعوبة فصل بعضها عن بعض ، ومن أهمها نوع الصخور التي نتجت منها والظروف المناخية التي سيطرت على المنطقة منذ القدم وكذلك عمليات التجوية الكيميائية والميكانيكية التي أسهمت في تكوينها وعمليات النحت والنقل والإرساب . . إلى غير ذلك من العوامل .

وتربة العيينة تتشكل بصفة عامة من تربة مصاطب وادي حنيفة وروافده التي يرجع تاريخها إلى عدة آلاف من السنين حيث كانت الأمطار أكثر مما هي عليه الآن . واستمدت تلك التربة من تفتت الصخور الجيرية لتكويني حنيفة وطويق بالإضافة لتكوين جبيلة في شرق العيينة ، وتحتوي تربتها على كربونات الكالسيوم وتعرضت للغسل في أماكن كثيرة على أعماق مختلفة ، وأضافت لها السيول طبقات من الطمي والحصى وأسهمت الرياح في إضافة ترسبات رملية ريحية .

ويمكن أن توصف تربتها بأنها رملية طفلية ، وتشكل الرمال نسبة كبيرة من تركيب التربة في العيينة وخصوصاً في جنوبها حيث التكوينات الرملية «البرق» التي تكونت نتيجة التسفية الريحية ، لذا فإن تربتها رملية خشنة ، أما تربة مجاري وادي حنيفة وروافده فتتميز بحصويتها ورمالها ويختلف حجم الحصى من مكان لآخر .

ورغم حرارة الجو وشدة التبخر فمن المستبعد أن تكون تربة العيينة ملحية ، إذ لا توجد مناطق منخفضة تتجمع فيها المياه وبالتالي ترتفع نسبة التبخر وتزداد الأملاح . كما أن حسن تنظيم الاستفادة من مياه السيول ساعد على عملية غسل التربة .

وتربة العيينة بوجه عام تربة جيدة تعد من أفضل أنواع التربة الصالحة لنمو كثير من أنواع الحاصلات الزراعية وتزداد خصوبتها مع استعمال الأسمدة ، وتتكون الإرسابات السطحية لمدينة العيينة والجبيلة وما حولهما من إرسابات رملية ريحية وسهول من الطمي وركامات حصوية «إرسابات وانجرافات سيول» . تنظر الخريطة رقم(٨) .

٦ - النباتات الطبيعية والحيوانات البرية

النبات الطبيعي هو الذي ينمو بدون تدخل الإنسان . ولقد استطاعت نباتات العبينة الطبيعية أن تتكيف مع ظروف البيئة من قلة أمطار وجفاف الهواء والإشعاع الشمسي الدائم والرياح والعواصف الترابية .

وتؤثر كمية الأمطار ونوعية التربة على كثافة ونوعية النباتات الطبيعية فمجاري الأودية والشعاب والروافد والرياض تحتضن أغلب النباتات والأعشاب كما أن بعض أنواع التربة غني بالنبات والبعض الآخر فقير ، علماً بأنه توجد مساحات واسعة من الأراضي خالية من أي نبات إلا بعد سقوط الأمطار ونمو النباتات الموسمية وتتوفر في العبينة نباتات وأشجار دائمة وكثيفة مشكلة غابات صحراوية تغطي ما يقارب من ١٥٪ من مساحة حوض العبينة .

وتنقسم النباتات الطبيعية في العبينة إلى :

أولاً - نباتات دائمة :

وهي النباتات التي استطاعت التأقلم مع البيئة لتتحمل الجفاف والحرارة الشديدتين أكثر من غيرها من الأشجار وهي التي اعتمدت على جذورها الطويلة للحصول على الرطوبة من مساحات واسعة وعميقة من باطن الأرض ، كما استطاعت التقليل من النتح والتبخر لصغر ورقها أو تحوره إلى أشواك أو سقوطه أو تكون ذات أوراق شمعية مقاومة للنتح والتبخر . وأهم النباتات الدائمة في العبينة هي :

١ - الطلح :

الاسم العلمي لشجر الطلح هو « أكاسيا » ، وهي أشجار معمرة عظيمة الارتفاع قياساً بالأشجار الصحراوية الأخرى إذ يبلغ ارتفاعها إلى ما يقارب سبعة أمتار ، وتمتد أغصانها أفقياً أكثر من ضعف ارتفاعها ، وهي شجرة كثيرة الفروع ذات أشواك طويلة قد تصل إلى ١٠ سم . وتعتبر أطول الأشجار الصحراوية أشواكاً ، ويميل لون الأشواك إلى الأبيض الناصع ، وحينما تزهر فزهرها أصفر اللون كروي الشكل يحمله ساق يصل طوله لحوالي ٤ سم ويسمى الزهر (بله) وهو غذاء جيد للإبل والأغنام ، ولها ثمر شبيه بثمر الفاصوليا ، ويسمى ثمر

الطلح بـ (برام) ، ولمعظم الطلح ساق واحد سميك يصل محيط أكبرها ٣,٨٠ متر لأحد طلوح الخمره جنوب وادي المصيدير . وللطلح فوائد عديدة منها حماية التربة من الانجراف ثم فائدة ظله وكذلك يعتبر مصدر رعي طوال العام تقريباً ، كما يستفاد من سيقانها وجذورها وجذوعها وفروعها كوقود ، بالإضافة إلى استخدامه في بعض الصناعات الخشبية والاستفادة من عصارته الصمغية . . إلى غير ذلك من الفوائد العديدة . ويكثر الطلح في أودية العيينة ويشكل غابات طبيعية كثيفة ومتشابكة ، قال ابن خميس عن أحد وديانها : « وهو واد ملتف بشجر الطلح كأنه البساتين منتزه لما حوله ولمن يقصده من الرياض ، فيه طلوح بواسق عم معمرة»(١) . وينقسم الطلح إلى أنواع عديدة أهمها :

أ- الرميثي:

وهو ذو لحاء بني قريب من الأسود سميك ، وتتميز الشجرة بأنها قليلة الأشواك وأغصانها وفروعها سهلة الكسر قليلة المرونة ، وإذا قُطعت فمقطعها أحمر .

ب- السيال:

ذو لحاء أحمر اللون أقل سماكة من لحاء الرميثي ولشجرته أشواك كثيرة وطويلة وأغصانها وفروعها أكثر مرونة من الرميثي ، أما مقطعها فأبيض اللون ولها دخان كثير عند اشتعالها .

جـ- شبهان:

أقرب شبه بالسيال عنه للرميثي إلا أن مقطعه أحمر .

د- السلم:

يختلف عن غيره بأن له جذوعاً «سيقان» عديدة متقاربة معتدلة الارتفاع .

هـ- السمر:

ذو لحاء أصفر ومقطع أبيض وهو أكثر ارتفاعاً من السلم وأقل من الثلاثة الأولى وأخشابه مفضلة كوقود لقلة الدخان المتصاعد منها ثم لأن رائحتها أفضل من غيرها وأكبر شجرة سمر في المنطقة في وادي حذين أحد أودية بوضة .

---

(١) معجم اليمامة ، ص ٣٩٦ .

٢- الغاف:

وهو شجر يصل طوله إلى حوالي ٤ أمتار ينفض أوراقه في فصل الشتاء ، ويوجد في شرق حوض العيينة مما يلي وادي الأبيطح ولكنه انقرض الآن من ذلك الموضع(*) .

٣- الأثاب:

وهو شجر ينمو على حافات الأودية ويفضل شقوق الصخور ، دائم الخضرة جميل المنظر يصل ارتفاعه إلى حوالي ٤ أمتار ، وأشجاره في حوض العيينة قليلة تكاد تعد على أصابع اليد الواحدة(**) .

٤- السدر:

يكثر السدر البري بأودية العيينة حتى اكتسبت بعض الأودية في العيينة اسمها منه ولكنه تعرض للعضد مما أدى إلى تناقص أعداده ، وهو شجر متوسط الارتفاع كثير الأشواك صغير الأوراق تفضل الإبل والأغنام التهامها .

٥- العوسج:

شجرة شوكية قد يصل ارتفاعها في أفضل الأحوال إلى حوالي ٣ أمتار ، وأوراقها شمعية صغيرة ، وأزهارها ذات لون وردي صغيرة الحجم ، وثمرها أحمر صغير تأكله الطيور وطعمه مستساغ ، وتستخدم جذورها في بعض العلاجات الطبية ، وأحياناً تسمى العوسجة (خضبة) .

٦- العشر:

وهو نبات يصل ارتفاعه إلى حوالي ٣ أمتار ، ذو أوراق عريضة شمعية وساق أصفر ذو لحاء أصفر به شقوق طولية سهل الكسر يحرق ويستخدم في صناعة البارود وإذا قطعت أوراقه يخرج منها سائل أبيض سام يستخدم في علاج عقم النساء قديماً وبعض القروح ، وزهرته وردية أما ثماره فهي كبيرة بحجم قبضة اليد تسمى سدوم[١] ويكثر العشر في أودية العيينة وخصوصاً وادي عشيران والملاقي

(*) طالع ص ٥٦ .   (**) طالع ص ٨٥ .

(١) مجلة العرب ، جـ٩ ، ١٠ ، س ٢٨ الربيعان عام ١٤١٤هـ ، ص ٦٣٧ .

غرب العيينة ، وللعشر صمغ حلو يقال له : سكر العشر[١] .

٧- اللصف:

نبات مداد يكثر في المناطق الصخرية وتشكل الجبال مناطق مناسبة لنموه وله أوراق خضراء شمعية دائمة الخضرة ، وله ثمار كمثرية الشكل عندما تنضج تتحول إلى اللون الأحمر وتتفتح وتتغذى عليها الطيور والحيوانات والحشرات ، ويفضل بعض الناس أكلها ، ويكثر اللصف في سفوح أودية العيينة وتسمى إحدى تلاع وادي سدير في الحيسية بأم اللصف لكثرته فيها .

٨- الشفلح:

قريب الشبه باللصف ولكن أوراقه أقل خضرة لونها باهت شمعية ، تنمو في الأراضي المنبسطة وحول الآبار وفي الأودية وزهورها تجمع بين اللون الأبيض والوردي ولها ثمر طيب المذاق وتقول العامة : « الحماط ابن عم التين والشفلح ولد خاله» .

٩- الحماط:

وهو التين البري ، ينمو الحماط في أودية العيينة ويكثر في وادي حمران أحد روافد وادي الهديدير (الهدار) وأشجاره متقاربة يصل طولها إلى حوالي أربعة أمتار ، وحدثني بعض كبار السن أنه حينما كان الوادي يخضع للحماية قديماً ، وتمنع الإبل من الاقتراب من شجر الحماط ، فإنهم كانوا يجمعون ثمر الحماط في أوانٍ معدنية من كثرة دبسه .

١٠- الحرمل:

شجيرات لايتجاوز ارتفاعها متراً واحداً . وتمتد على مساحة واسعة من الأرض قد تصل إلى ثلاثة أمتار وأوراقها طويلة خضراء شمعية ولها زهور بيضاء ، تتغذى الحيوانات على أوراقه بعد جفافها ، وتكثر سيقانها وتتقارب من بعضها ، وتنتشر على مساحة كبيرة نسبياً وتجمع حول سيقانها كمية من الرمال ، وتستخرج من الحرمل بعض الأدوية .

---

(١) معجم البلدان ، مصدر سابق ، جـ٤ ، ص ١٢٥ .

١١- الرمث والأرطى والطرفاء:

هي نباتات تنمو في أودية العيينة وتعتبر جميعها من « الحمض » الذي تقبل الحيوانات على أكلها لأخذ حاجتها من الأملاح ، إلا أن الأرطى اختفى في الوقت الحاضر وكان يكثر في السفوح الرملية والبرق ، والطرفاء تستعمل في بعض الأدوية .

١٢- قرضي:

وأحدها قرضية ، وهي شجرة يصل ارتفاعها ما بين متر إلى متر ونصف ، وذات أغصان خضراء وأوراق صغيرة تسقط في فصل الجفاف .

١٣- العرفج: وهو نبات عطري طيب الرائحة ذو زهور صفراء .

١٤- الشيح: وهو نبات عطري وطبي .

١٥- العاقول: نبات شوكي له أوراق صغيرة ويستخدم في علاجات أمراض الكبد .

١٦- الشبرم: نبات شوكي زهوره بنفسجية (ويستعمل في بعض الأدوية) .

١٧- النصي، قتاد ، قيصوم.

هذه أهم الأشجار والشجيرات المعمرة التي تعيش في بيئة العيينة الطبيعية .

ثانياً - النباتات الموسمية:

وهي النباتات والأعشاب التي تنمو بعد هطول الأمطار ، وتمتد دورة حياتها لفترة موسمية قصيرة حيث تنمو وتزهر وتثمر وتجف خلال أسابيع .

وتزيد أنواعها في أودية العيينة عن مائة نوع وقد يكون لكل نوع أكثر من اسم واحد وأهمها :

١- آذان الحمار ٢- البختري ٣- البروق ٤- البسباس ٥- البعثيران

٦- البقراء ٧- الثغام ٨- الثمام ٩- الثيّل ١٠- الجرجير البري

١١- الجعد ١٢- الحسك ١٣- الحمراء ١٤- الحميّض ١٥- الحنوة

١٦- الحوَّاء ١٧- الحوذان ١٨- الخبّيز ١٩- خرمان ٢٠- الخروع

٢١- الخزام ٢٢- الخنيز ٢٣- الذعلوق ٢٤- الربلة ٢٥- رجل الغراب
(لحية التيس)

٢٦- الرشد ٢٧- الرقروق ٢٨- الرمرام ٢٩- السّبَط ٣٠- السخبر

٣١- السندة ٣٢- سُوّاس ٣٣- شجرة ٣٤- شدقه ٣٥- الشرشير
الكلب

٣٦- الشرْي ٣٧- شقائق ٣٨- الطرثوث ٣٩- العشرق ٤٠- العليق
الحنظل النعمان بن المنذر

٤١- العُميّد ٤٢- العنصل ٤٣- عين الجمل ٤٤- الغرز ٤٥- الغريراء

٤٦- الفطر ٤٧- الفقع ٤٨- القُرقاص ٤٩- القطينة ٥٠- كف مريم
(عش الغراب) (كمأة)

٥١- اللُّبيد ٥٢- اللبيناء ٥٣- مُسيكة ٥٤- المريراء ٥٥- النفل

٥٦- النقد ٥٧- نُويّرْا ٥٨- الهراس ٥٩- الهشوة ٦٠- اليهق
(الرشوة)

ويمكن تقسيم النباتات الطبيعية إلى مجموعات خمس حسب استخدامها وصفاتها وهي :

١- المجموعة الأولى (النباتات الطبية) :

لقد توارث الناس عبر أجيال عديدة فوائد طبية لنباتات صحراوية تستخدم كعلاج ، إما مباشرة بعد سحق أوراقها وأغصانها وسفها ، أو بغليها في الماء وشرب منقوعها ، أو باستخلاص علاجات مركزة من بعض عصارات هذه النباتات ، ولا أستبعد أن معظم نباتات الصحاري مفيدة طبياً (وستكشف لنا البحوث العلمية الطبية في المستقبل عن فوائد طبية جمة لهذه النباتات بإذن الله تعالى .

أما أهم النباتات التي يستخدمها الإنسان كعلاج فهي :

أ- الشيح ب- الحرمل جـ- القيصوم د- اللصف هـ- الجثجاث و- البسباس ز- الشري (الحنضل) حـ- النقد ط - الجعد ي- الجرجير البري ك- الخروع ل - العشرق م- مسيكه ن- العوسج س - الطرفاء ع - الشبرم .

٢- المجموعة الثانية (نباتات عطرية) :

وهي تلك النباتات ذات الرائحة العطرية وأهمها :

أ- مسيكة (شجرة الريح) ب- الحرف جـ- النفل د- العرفج هـ- البسباس و- الجعد ز- البختري ح - الخزاما .

٣- المجموعة الثالثة (نباتات زيتية) :

وهي النباتات التي تستخرج منها زيوت وأهمها الخروع .

٤- المجموعة الرابعة (نباتات غذائية للإنسان) :

وهي النباتات التي يتناولها الإنسان على شكل فطر أو ورقيات أو ثمار مثل :

أ- الفقع (الكمأ) ب- القرقاص جـ- الحميضاء د- الحواء هـ- البقراء و- الذعلوق ز- الخبيزاء حـ- البسباس طـ- الجرجير البري ي- ثمار اللصف ك- ثمار الحماط ل - ثمار السدر م - ثمار الشفلح ن - الرشوة . . وغيرها كثير .

٥- المجموعة الخامسة (نباتات أعلاف) :

وهي جميع نبات الصحراء بلا استثناء فالحيوانات تتغذى عليها ، إما خضراء أو جافة سواء كانت موسمية أو دائمة ، وإن كانت الحيوانات تفضل بعض النباتات على بعضها الآخر إلا أن فصول القحط والجفاف تجبرها على أكل أوراق بعض النباتات المرة والتي تفضلها جافة . وكان سكان العيينة قديماً يقومون بعضد الأعشاب وحفظها أعلافاً لحيواناتهم في فصل الصيف ، أما أفضل نباتات الأعلاف فهو السعدان وتقول العرب : «مرعى ولا كالسعدان» والربل الثمام وغيرها من النباتات التي سبق وأن ذكرناها .

وتختلف كثافة الأشجار المعمرة والموسمية في أودية العيينة فوادي الخمرة وأبا الهشم من أكثف أودية العيينة بأشجار الطلح وأكبرها حجماً إذ تفوق أشجار الطلح في بقية الأودية مثل بوضة والهديدير ، بينما تكثر النباتات الموسمية في الروضة غرب مصيقرة وفي وادي الخمرة ووادي حمران وروضة عقرباء ويقدر كبار السن من أهالي العيينة أعمار بعض أشجار الطلح بحوالي ٢٠٠ عام . أما عن تعداد الأشجار الدائمة في حوض العيينة فيقدر بحوالي ٢٠٠٠٠٠ شجرة ومنذ القدم وأهالي العيينة يحافظون على أشجارها من العضد ، واستمر الحال في عهد الملك عبد العزيز إلى أن تولت وزارة الزراعة المحافظة على غابات العيينة ، وتتعرض غابات العيينة إلى التناقص ، بالرغم من تلك المحافظة فالإنسان لا يزال العدو الأول لهذه النباتات يليه العوامل الطبيعية من أمراض مثل النمل الأبيض (الأرضة) وجرف السيول أو عصف الرياح أو شدة الجفاف أو البرد أو الحرارة والتي تسهم جميعها في إنقاص أعداد الأشجار المعمرة ، بالإضافة للرعي الجائر .

وفي عام ١٤١٣هـ بدأت وزارة الزراعة مشروعاً ضخماً لإعادة تشجير شعيب الحيسية حيث بدأت المرحلة الأولى والثانية بزراعة ٢٧ ألف شجرة ، وهو مشروع جيد سيسهم في تحسين الحياة النباتية في حوض العيينة وسيكون هذا المشروع متنفساً طبيعياً ورئة خضراء لمدينة الرياض ، انظر خريطة النباتات الطبيعية لمدينة العيينة وما حولها خريطة رقم (٩) .

الحيوانات البرية:

لقد كانت الحياة الحيوانية الطبيعية في العيينة قديماً أفضل مما هي عليه الآن فكانت قطعان الغزلان والوعول - الماعز الجبلي - وغيرها من الحيوانات البرية الأخرى تشاهد بكثرة في أودية وشعاب العيينة ، واستطاعت تلك الحيوانات التعايش وسط بيئة نباتية فقيرة ، وكانت أعدادها تزيد وتنقص تبعاً لفصل الجفاف وانقطاع الأمطار أو استمرار هطولها وبالتالي وفرة الغذاء لها ، وقد أشار لوريمر إلى بعض حيوانات وطيور أعالي وادي حنيفة فقال : « به الغزلان

وطيور الحجل»[1] . ولقد تناقصت تلك الحيوانات خلال خمسين عاماً مضت ، ووصل هذا التناقص لدرجة انقراض بعضها .

ويعتبر الإنسان العدو الأول لهذه الحيوانات إما بطريقة مباشرة باستعمال الأسلحة النارية الفتاكة أثناء حملات القنص ، أو بطريقة غير مباشرة بالرعي الجائر وقطع الأشجار والتأثير على التوازن الطبيعي . وفيما يلي سنتعرف بعض الحيوانات البرية في حوض العيينة ، وسنقسمها أربع مجموعات على النحو التالي :

١- الثدييات (اللبونيات) .

٢- الطيور .

٣- الزواحف .

٤- الحشرات .

أولاً - الثدييات (اللبونيات) :

تعيش في منطقة الدراسة أعداد لا بأس بها من الثدييات ، ويمكن تقسيمها ثلاثة أقسام هي :

أ- ثدييات مفترسة .

ب- ثدييات آكلة أعشاب .

جـ- ثدييات قوارض .

أ- الثدييات المفترسة :

تنتشر في حوض العيينة أعداد لا بأس بها من تلك الحيوانات والتي تناقصت أعدادها في السنوات الأخيرة بسبب قتلها من قبل سكان المنطقة ، أو بسبب تناقص غذائها نظراً للصيد الجائر للحيوانات التي تتغذى عليها ، مما أدى إلى موتها أو نزوحها عن المنطقة . وأهم الثدييات المفترسة في العيينة ما يلي :

(١) دليل الخليج ، جـ٢ ، ص ٩٥١ .

أ/١ الذئاب:

هي أخطر الحيوانات المفترسة على الإطلاق في منطقة الدراسة وأكثرها عدداً ، يسمى الذكر منها (ذئب) والأنثى (ولبه) تعيش في الكهوف الجبلية وبين الأشجار الكثيفة وتتغذى على جميع الحيوانات البرية التي تستطيع افتراسها ، وعندما يقل غذاؤها تهاجم حظائر الأغنام سواء الخاصة بالبدو أو لسكان العيينة ، ولا تكتفي بما يسد رمقها بل تفتك بجميع الأغنام في الحظائر وتهاجم الإنسان أحياناً .

وبدأ عددها يقل منذ خمسة عشر عاماً مضت إذ يفتخر سكان المنطقة بصيدها وإلى عهد قريب كنا نراها معلقة في أشجار الطلح بعد قتلها ولم يشاهد في المنطقة أي ذئب منذ ثلاثة أعوام . ويلقب الذئب بـ (سرحان) وهو ذو لون رمادي ويعرف بشدة الحذر والتيقظ حتى اشتهر عند العامة بأنه عندما ينام يفتح إحدى عينيه وتنام الأخرى ، وفيه قال الشاعر :

ينام بإحدى مقلتيه ويتقي ... بأخرى المنايا فهو يقظان هاجعُ

وكان شعيب ذويبان في أعلى بوضة من الشعاب التي تكثر بها الذئاب .

أ/٢ الضبع:

حيوان قوي يتغذى على الجيف وبقايا أطعمة الحيوانات المفترسة ، ويقال : إنه ينبش القبور ، ويعتبر من الحيوانات المنظفة اعتماداً على ما يأكله .

لونه رمادي ذو بقع سوداء ويديه أطول من قوائمه الخلفية ، والناس تستبشع منظره لخبث مأكله ، وكانت شعاب العيينة تحتضن هذا الحيوان ، وتعيش الضباع في الكهوف والأماكن الآمنة ، وفي وادي الهديدير (الهدار) صوح فيه كهف يسمى صوح الضبعة نسبة لضبعة كانت تعيش فيه ، وفي الوقت الحاضر تناقص عدد الضباع ولم تشاهد في حوض العيينة منذ مدة وتكنى الضباع (بأم عامر) .

أ/٣ الأتفة جمعه (التفات):

حيوان أصغر من الكلب وأكبر من الثعلب يفترس الأرانب والطيور وبعض السحالي ، ويهاجم المزارع ليفترس الحيوانات الداجنة ، ولا يزال يشاهد في بعض مزارع العيينة إلى وقتنا الحاضر .

أ/٤ الثعلب:

حيوان معروف يشبه القط ولكنه أكبر حجماً كما أنه كثيف شعر الذيل ورأسه قريب الشبه برأس الذئب ، يتغذى على الأرانب والوبران وغيرها من الحيوانات الصغيرة كالقوارض والسحالي ، كما يأكل بعض الثمار كالعنب والتمر ، ويهاجم الدواجن وله حيل في طلب الغذاء وعند إحكام الحصار عليه . وتفترسه الذئاب والكلاب ، ويوجد بكثرة في شعاب وأودية العبينة .

أ/٥ القط البري:

يشبه القط الأهلي ولكنه أكثر شراسة وأكبر حجماً وآذاناً ، ويتغذى على نفس الأغذية التي تتناولها الثعالب ، ويوجد بكثرة في العبينة ، ويتجول ليلاً في مزارعها طلباً للغذاء .

أ/٦ الضربون (الظربان):

وهو حيوان مفلطح الشكل يغطي جسمه الشعر الأسود ذو خطوط بيضاء .

ووسيلة دفاعه عن نفسه إطلاق رائحة منتنة وكريهة من غدد في جسمه تجعل أعداءه يتركونه ، وهو مزدوج التغذية يتغذى على الزواحف والقوارض وبعض الأعشاب والثمار .

ب - ثدييات آكلة أعشاب:

ينطبق على آكلات الأعشاب ما ذكرناه عن الثدييات المفترسة . ويوجد بحوض العبينة أنواع عديدة من آكلات الأعشاب أهمها :

ب/١ الوعول:

ويسمى الماعز الجبلي وكان يعيش بكثرة في أودية وشعاب العبينة ، وخصوصاً في أعالي الأودية والمناطق الوعرة فيها والتي تعتبر ملاذاً آمناً لهذا الحيوان ، وتساعده رشاقته الفطرية بسرعة التحرك فيها رغم وعورتها . وسميت بعض الشعاب في أودية العبينة باسم هذا الحيوان لكثرة وجوده فيها ، مثل شعيب أم الوعول أحد روافد وادي حمران في الهديدير ، وهو حيوان يشبه الماعز إلا أنه أقوى بنية ولونه يميل للون الأسود أو البني الغامق كما أن له قرنين طويلين مقوسين ،

ويذكر بعض سكان المنطقة والمترددين على أودية العيينة وجود الوعول فيها .

ب/٢ الغزال:

الغزلان من الحيوانات التي تعيش في جماعات وقطعان كانت تجوب المنطقة بكثرة ولكن الصيد الجائر قضى عليها ، وانقرضت من شعاب العيينة .

ب/٣ الأرانب:

هي أكثر أنواع الثدييات من آكلة الأعشاب أعداداً في العيينة رغم حملات الصيد ، ولا تزال ترتاد مزارع العيينة والجبيلة تحت جنح الظلام لتتغذى على بعض منتجاتها الزراعية .

ب/٤ الوبر:

وهو حيوان صغير أصغر من الأرنب وأقل عدداً منها في حوض العيينة .

ب/٥ الدعلج (القنفذ):

وهو حيوان صغير يغطي جسمه أشواك يتراوح طولها ما بين ٣ - ٤ سم ويتكور ليقي نفسه من أعدائه ، وهو من الحيوانات المزدوجة التغذية ويكثر في حوض العيينة .

ب/٦ النيص:

حيوان أكبر من القنفذ وله أشواك أطول من أشواك القنفذ يصل طولها إلى حوالي ١٥ سم ويقوم بإطلاق الأشواك على أعدائه لحماية نفسه ، وهو مزدوج التغذية كذلك ، ويوجد في حوض العيينة ولكن أقل عدداً من القنفذ ويبلغ طوله من مقدمة رأسه إلى آخر ذيله حوالي ٨٠ سم .

جـ - القوارض:

وهي حيوانات صغيرة تعتبر غذاء لبعض الحيوانات مثل الثعالب والقطط البرية الآنفة وغيرها وبعض جوارح الطيور ؛ وأهم القوارض :

جـ/١ الجرابيع (اليرابيع):

وهو حيوان صغير يشبه الفأر ، وقوائمه الخلفية أطول من الأمامية كما أن له ذيلاً طويلاً تزيد كثافة الشعر في نهايته ، وهو من أكثر الحيوانات قدرة على العيش أثناء

الجفاف والجدب فهو يتمكن من العيش حوالي ثلاث سنوات متوالية معتمداً على البذور الجافة والتي قد لا تتجاوز ما تحتويه من مياه على ١٠٪ من وزنها .

ج/٢ الجرذان:

وهي حيوانات أكبر من الفأر تعيش في جماعات وأعدادها قليلة في حوض العبينة .

ثانيا - الطيور:

تعيش في منطقة العبينة مجموعة لا بأس بها من الطيور ، وقد أسهم موقع العبينة ومناخها في تحديد أنواع تلك الطيور وأعدادها . ويوجد بها طيور دائمة وطيور مهاجرة وأخرى مستوردة .

أ- الطيور الدائمة:

تزين سماء العبينة بصفة دائمة بعض الطيور المألوفة التي تفرض هيبتها على جميع الطيور وكثير من الحيوانات الأخرى ، وأهم هذه الطيور .

١- الصقر:

رمز القوة ورفيق الصيدكان يكثر في العبينة ، ساعد على ذلك وفرة الغذاء ووجود أماكن التعشيش المنيعة في كهوف أودية وسفوح جبال طويق ولكثرتها في العبينة أطلق على أحد جبالها جبل «مصيقره» حيث تتخذ من سفوحه الشديدة الانحدار الممتنعة أوكاراً لها تضع فيه فراخها .

ومنها أيضاً : ٢- الباز ٣- النسر ٤- الحدأة ٥- الرخم ٦- الحمام ، وأنواعه عديدة منها : السوادي والقماري ٧- الحجل ٨- القطا ٩- الهدهد ١٠- البوم ١١- أبو حقب ١٢- الغراب ١٣- القنبر ١٤- القويع ١٥- الحباري ١٦- البلابل ١٧- الحمر ١٨- القراقر ١٩- الشوال ٢٠- أم سويد . ٢١- الدوري - العصفور المعروف محلياً ٢٢- المسلق .

وغيرها من الطيور . غير أن بعض هذه الطيور بدأ يقل في العبينة ، ويخشى عليه من الانقراض لأسباب طبيعية وأخرى بشرية .

ب - الطيور المهاجرة:

تمر في منطقة العيينة أسراب من الطيور المهاجرة والتي يسميها العامة «النزل» في فصلي الربيع والخريف في طريق هجرتها من الشمال للجنوب أو العكس . وأهم هذه الطيور البط بأنواعه الخضيري والشهرمان والصواي والغرانيق ودجاج الماء والصفاري والخواضير والقوارير والدخل والصعو .

جـ- الطيور (المستوردة):

وهي طيور زينة نقلت من مناطقها الرئيسة ، وجلبت في أقفاص للزينة أو لجمال أصواتها ، وانطلقت من الأسر أو فك أسرها ، وتكاثرت في المزارع والجبال المحيطة بالعيينة ، واستطاعت التكيف مع البيئة الجديدة ، مثل الكناري والحسون وطيور الجنة والببغاء الأخضر والأحمر والرمادي والأبيض وهذه الببغاوات لها تأثير مدمر على ثمار الأشجار في المزارع ولم تستطع العودة لبيئتها الأصلية لعدم مقدرتها على ذلك واستطاعت بعد تكيفها مع مناخ العيينة أن تتكاثر وعدت من طيور المنطقة والتي أدخلت بأصواتها الجميلة وألوانها الزاهية البراقة إضافة بيئية جديدة .

ثالثاً- الزواحف:

لا يخلو حوض العيينة من أنواع عديدة من الزواحف ، التي تكيفت مع مناخ المنطقة .

وأغلب الزواحف لها جلد ذو حراشف وقشور تساعدها على التكيف مع مناخ المنطقة وخصوصاً أنها لا تحتاج لسوائل فتكتفي بالسوائل الموجودة في أوراق الأشجار أو ثمارها أو الحبوب أو الحيوانات التي تتغذى عليها ، فتأخذ ما تحتاج من سوائل عن طريق غذائها . وأهم الزواحف في حوض العيينة هي :

أ- الضب:

حيوان معروف يتغذى على النباتات الرطبة والجافة ، يتحمل الحرارة العالية والبرودة المنخفضة ، وجسمه مغطى بحراشف يتغير لونها للأصفر عندما يتعرض للحرارة وللأسود أو البني الفاتح عندما يبرد جسمه ، ويدافع عن نفسه بذيله وبفكه ، ويعيش في حفر قد يصل عمقها إلى مترين حسب تضاريس المنطقة التي

يعيش فيها ، وغالبًا ما يحفر جحره تحت حجر أو قريباً من شجر حتى يسهل عليه معرفته ويتعرض الضب للصيد من قبل الإنسان أو الحيوانات المفترسة .

ب- الورل:

يشبه الضب ولكنه أطول رقبة وله ذيل طويل أملس ولسان يشبه لسان الأفعى ، وله فحيح يخوف به أعداءه ، ويتغذى على الثعابين والفئران ، وقد يصل طوله إلى ٧٠ سم أو أكثر .

جـ- الثعابين:

الثعابين من الزواحف السامة بشكل عام إلا أن بعض أنواعها غير سامة ، وهي معروفة للمختصين ولكن العامة لا يفرقون بين السام وغير السام ، فيقتلون الاثنين رغم أن الأفعى غير السامة مفيدة فهي تتغذى على الفئران والجرذان وعصافير الدوري وتعيش في حوض العيينة العديد من الثعابين منها :

١- **أم جنيب** (أم قرون) : وهي منتشرة بكثرة وعالية السميّة ، ومسيرها زحف على أحد جنبيها لذا سميت أم جنيب ، وللذكر منها قرنان فتسمى أم قرون .

٢- **الرقطاء** : لونها بني وبها بقع بيضاء ونقط سوداء ويبلغ طولها حوالي ٧٥ سم وهي عالية السمية ، وقد تقذف رذاذ السم إذا أحدق بها الخطر(١) .

٣- **الصل الأسود** : ذو لون أسود لامع يبلغ طوله حوالي المتر وهو من الثعابين الشرسة التي تهاجم متى ما شعرت بالخطر كما أنه من ذوات السموم الخطيرة(٢) .

٤- **الثعبان الأسود** (أو الحنش) : ذو لون أسود يشبه الصل ولكنه أقصر طولاً من الصل ، كما أن حجم رأسه بنفس حجم العنق بعكس الصل ؛ إذ إن رأسه أعرض من عنقه . وهذا الثعبان من الثعابين السامة والخطيرة(٣) .

كما تنتشر أنواع أخرى من الثعابين كالداب ذي اللون الرملي والزاروق والثعبان البني الطويل الذي يتجاوز طوله المتر الواحد ، أما الثعابين غير السامة فهي الثعبان

(١) د . السعدون ، محمد وسعود الفراج ، الثعابين السامة في المملكة ، الطبعة الثانية ، ١٤١٣هـ ، ص٤٤ .

(٢) المصدر نفسه ، ص ٥٠ . (٣) المصدر السابق ، ص ٥٨ .

المرقط ولونه أصفر به بقع سوداء يفصل كل بقعة عن الأخرى أكثر من واحد سم والثعبان الأرقم ذو لون يجمع بين الأخضر والأسود ويصل طوله إلى حوالي متر ونصف .

وتوجد زواحف صغيرة تنتمي لعائلة السحالي العادية والتي تتغذى على الحشرات .

رابعاً- الحشرات:

تعيش بعض الحشرات في منطقة الدراسة وتنتشر غالباً حول المدينة ومزارعها لوفرة المياه والأشجار والضل إلا أن للصحراء حشراتها المتأقلمة مع ظروفها .

والحشرات تنقسم إلى نوعين نوع نافع كالنحل الذي جلب للمنطقة في السنوات الأخيرة ، وقد ترك بعض أماكنه وأصبح ينتقل كما يحلو له ، فيقوم بتلقيح الزهور وإنتاج العسل في الجبال أو المنازل أو الأشجار أو حيثما أراد والبعض الآخر لا يزال يحافظ على بيوته التي أعدت له • والفراش الذي يساهم بعضه في تلقيح أزهار الأشجار وأنواع الفراش عديدة منها الدائم والموسمي الذي يظهر في فصل الربيع .

والنوع الآخر من الحشرات ضار ويكافح على المستوى الرسمي والشعبي كالذباب والبعوض المسبب للملاريا والعناكب السامة وعناكب الأشجار الضارة والأرضة - النمل الأبيض - والنمل بأنواعه ، والجراد الذي يعتبر أكثر الحشرات ضرراً على المزارع والمراعي سواءً كان الجرادُ جراداً كبيراً ، أو الدبا وهو صغاره . وتذكر بعض الأساطير الشعبية أن الجراد هو سبب فناء العيينة وأنه هاجمها وتسبب في تدميرها . وهذه من الحكايات والأخبار التي لا سند لها حيث لم يذكرها المؤرخون ، سواء من نشرت مؤلفاتهم أو من لا تزال مخطوطة ، أن العيينة تعرضت للجراد وسبب لها ذلك التدمير ، وقد سئل (حمد الجاسر) في جريدة الجزيرة عن قصة الجراد الذي أصاب العيينة فأجاب بقوله : « أما قصة الجراد فكثيراً ما تأتي أسراب الجراد على زروع أهل القرى في نجد فتتركها جرداء خالية من النباتات فيصيبهم من ذلك الفقر لعدم وجود محصول لزراعتهم ، ولكنني لا أعرف أنه كان سبباً في خراب شيء من القرى .

أما الخراب الذي حل ببلدة العيينة فسببه حدوث وباء عظيم في سنة ١١٣٨هـ ذكره (ابن بشر) في كتابه عنوان المجد ، في السوابق ، ووصفه بقوله عن تلك السنة : «أوقع الله سبحانه وتعالى الوباء العظيم المشهور الذي حل بالعيينة ، فأفنى غالبهم ومات فيه رئيسها عبد الله بن محمد بن معمر ، الذي لم يذكر في زمانه ولا قبل زمنه في نجد من يدانيه في الرئاسة وقوة الملك والعدد والعدة والعقارات والأثاث» .

ولكنها بعد هذا الوباء لم تخرب بصفة عامة بل بقيت قاعدة في هذه المنطقة حتى انتقلت القاعدة للدرعية سنة ١١٦٠هـ على وجه التقريب»[1] .

---

(١) حمد الجاسر ، جريدة الجزيرة ، العدد ٤٨٣٩ في ١٦/ ٤/ ١٤٠٦هـ ، ص ٧ .

الفصل الثاني

سكان العيينة

- تطور النمو السكاني في العيينة
- توزيع السكان في العيينة
- تركيب السكان وحيويتهم في العيينة
- الأسَر في العيينة

الفصل الثاني

سكان العيينة

مقدمة:

اعتمدت في هذه الدراسة على البيانات والمعلومات والمصادر المتوفرة عن سكان العيينة (المدينة والحوض) ويمكن تقسيمها قسمين هما :

أولاً - المصادر والمراجع التاريخية التي لا تعدم إشارات مباشرة أو غير مباشرة عن سكان العيينة وهي تعتمد على التقدير المبدئي والتخمين ، وهو الأسلوب الذي كان سائداً في معظم الأحوال بين المؤرخين .

ثانياً - الإحصاءات الرسمية . التعداد العام للسكان الذي أجري في شهر شعبان عام ١٣٩٤هـ الموافق أيلول عام ١٩٧٤م وبعد حوالي عشرين عاماً أجري إحصاء عام للسكان والمساكن في ربيع الثاني عام ١٤١٣هـ سبتمبر (أيلول) عام ١٩٩٢م .

وبلغ عدد سكان العيينة والجبيلة في ذلك التعداد ١٨٧٨٦ نسمة وعدد مساكنها ٢٧٤٨ وحدة سكنية [(١)] ، مضيفين لها ما استطعنا الحصول عليه من معلومات من بعض الدوائر الحكومية في العيينة وهي معلومات ليست بالدقة المطلوبة ، ولكنها مؤشرات قريبة جداً للوضع السكاني فيها ، كما تمت الاستفادة من تقرير نطاق النمو العمراني لمدينة العيينة والجبيلة [(*)] .

---

(١) وزارة التخطيط ، مصلحة الإحصاءات العامة ، النتائج التفصيلية لتعداد العام للسكان والمساكن في منطقة الرياض ، ١٤١٣هـ ، ص١٩ .

(*) وزارة الشئون البلدية والقروية ، وكالة الوزارة لتخطيط المدن ، تقرير نطاق النمو العمراني لمدينة العيينة والجبيلة ، ١٤٠٨هـ .

١ - تطور النمو السكاني في العيينة

العيينة مركز استقرار بشري قديم ورغم عدم توفر معلومات متكاملة عن بداية تاريخ ذلك الاستقرار ، إلا أننا نجزم بقدمه لعوامل عدة ساعدت على الاستقرار فيها أهمها : توفر المياه ثم جودة التربة وتربعها على واحدة من أهم طرق القوافل بوسط شبه الجزيرة العربية . ووجود مناطق رعوية وغابات تعتبر جيدة في شعابها وأوديتها ، ولعل النقوش الأثرية التي عثر عليها كاتب هذه السطور على إحدى الصخور الجبلية جنوبي العيينة عصر الجمعة الموافق ١/ ٨/ ١٤١١هـ وهي أحرف عربية قديمة يقدر عمرها ما بين ٢٠٠٠ إلى ٣٠٠٠ عام تؤكد لنا قدم ذلك الاستقرار .

وأول استقرار ذكرته المصادر التاريخية في وادي العرض الذي تقع العيينة في أعلاه هو لقبيلة هزان الأولى البائدة ، ثم تلاها استقرار قبيلتي طسم وجديس قبل الميلاد بمئات السنين وخلف بنو حنيفة طسماً وجديساً في سكني وادي العرض الذي عرف بعد ذلك بوادي حنيفة ، وكان استقرارهم فيه قبل الإسلام بقرنين من الزمان(١) . وبعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم ارتد بعض بني حنيفة مع من ارتد من قبائل العرب وثارت تبعاً لذلك حروب الردة أو ما يسمى بموقعة اليمامة في حوض العيينة عام ١١هـ ، وقد شارك من مقاتلي بني حنيفة في تلك المعارك ما يقارب ٤٠ ألفاً(٢) كانوا يسكنون الوادي ولا شك أن معظمهم من سكان العيينة وأهم مراكزها السكانية في ذلك الوقت أباض (بوضه) والهدار (الهديدير) والعيين (العيينة) وعقرباء (الجبيلة) وغيرها .

وبعد ذلك بحوالي ٥٠ عاماً قامت في منطقة الدراسة دولة حديثة عاصمتها إباض (بوضة) وزعيمها نجدة بن عامر الحنفي ، واتسعت دولته حتى شملت البحرين (المنطقة الشرقية) والطائف وحضرموت واليمن(٣) ، ودولة بهذا

(١) الجاسر ، مصدر سابق ، ص٢٥-٣٥ .
(٢) علي بن محمد الشيباني (ابن الأثير) الكامل في التاريخ ، دار صادر بيروت ، جـ٢ ، ١٣٩٩هـ ، ص٣٦١ .
(٣) حمد محمد الجاسر ، ابن عربي موطد الحكم الأموي في نجد ، الرياض ، ١٤١٤هـ ، ص٤٧ ، ٤٨ ، ٥٠ .

الاتساع وهـذه القـوة لا بد أن يكون عددُ سكان عاصمتها كبيراً يتناسب مع حجمها وقوتها .

والعيينة كبقية الحواضر النجدية منطقة تخلخل سكاني إذ يؤثر الجفاف والأمراض والحروب على عدد السكان فيتناقصون أو يهاجرون بشكل جماعي فتصبح البلدان عبارة عن أطلال كما حدث لأباض (بوضه) والهدار (الهديدير) والعيين (العيينة) فعندما اشترى حسن بن طوق التميمي جد آل معمر العيينة عام ٨٥٠هـ كانت عبارة عن أطلال فعمرها ، وعقب ذلك استقطبت أعداداً من السكان إلى أن وصل عددهم إلى ما يقارب ٢٥ ألف نسمة[١] . ثم أسهم الجفاف في هجرة كثير من سكان العيينة عنها ، ورحيلهم إلى القصيم عام ١١٣٠هـ[٢] .

ثم أعقب ذلك ــ وبالتحديد في أواخر عام ١١٣٨هـ[٣] ــ انتشار وباء (مرض خطير) فتك بأغلب سكان العيينة ، وأدى إلى نقص عددهم إلى حوالي النصف أو أقل .

وهناك قصص عديدة يتداولها بعض أهالي العيينة عن كبر حجم سكانها قديماً ، ومما قاله بلجريف عن العيينة : « فإنه من المؤكد أن العيينة كانت أكبر مدن نجد في تلك الفترة بل ربما تكون أكبر من أي مدينة في الوقت الحاضر - وقت زيارة بلجريف لها - من حيث الحجم والتعداد السكاني ، وأكبر دليل على ذلك هو أطلالها وآثارها الممتدة إلى الدرعية نفسها»[٤] .

كما ذكر ابن بشر[٥] أن الأمير عثمان بن معمر عندما قرر مع الشيخ محمد بن عبد الوهاب هدم القبة المقامة على قبر الصحابي الجليل زيد بن الخطاب في الجبيلة ، أخذ معه ٦٠٠ ستمائة رجل من محاربي العيينة إظهاراً للقوة ودعماً للدعوة . وهذا الحدث وقع قبل رحيل الشيخ من العيينة للدرعية عام ١١٥٧هـ ،

---

(١) منير العجلاني ، تاريخ البلاد العربية السعودية الدولة السعودية الأولى ، دار الكتاب العربي ، دون ذكر سنة الطباعة ، جـ١ ، ص١٧٠ .

(٢) تاريخ محمد بن عباد ، مخطوط ، حوادث عام ١١٣٠هـ .

(٣) ابن بشر ، جـ٢ ، ص٣٦٧ .

(٤) وليم جيفرد بلجريف ، قصة رحلة إلى العربية لمدة عام ، ص ٣٧٤ .

(٥) ابن بشر ، طبعة القصيم ، جـ١ ، ص١٢ .

وهو يعطي مؤشراً جلياً على عظم حجم التعداد السكاني في العيينة في ذلك الوقت .

وعندما تحدث (ابن غنام) [١] عن موقعة البطين عام ١١٦١هـ والتي قادها الأمير عثمان بن معمر ضد بلد ثرمداء قال : «ومع عثمان الجم الغفير» أي أن أكثر الغزو كان من أهل العيينة وقراها ، وفي عام ١١٧٢هـ حاصر عريعر بن دجين حاكم الأحساء بلدة الجبيلة إحدى قرى العيينة ، وكان بها ٥٠٠ مقاتل وتمكنوا من هزيمته ومقتل بعض رجاله [٢] .

وبعد عام ١١٧٣هـ بدأ عدد سكان العيينة في التناقص فبعضهم انتقل للدرعية والبعض الآخر انتقل إلى حواضر أخرى ، وذلك لأسباب عديدة ، وبقي فيها بعض سكانها ، وقد ذكر (ابن بشر) [٣] أن السيول قد هدمت بعض بيوت العيينة عام ١٢١١هـ وهذا يؤكد أنها لم تخل من السكان . كما أشار ابن بشر [٤] أيضاً إلى أن محمد بن مشاري بن معمر قد نزل العيينة آخر عام ١٢٣٣هـ وحتى آخر عام ١٢٣٤هـ قادماً من الدرعية بعد سقوطها ، وذلك قبل محاولته تأسيس إمارة بعد سقوط الدرعية .

وعندما مر بلجريف[٥] بالعيينة عام ١٢٨١هـ ذكر أنه لا وجود لمخلوق في العيينة وأكد هذا لويس بلي [٦] عندما زارها في الرابع من مارس عام ١٨٦٥م الموافق ١٢٨٢هـ ذكر أنه لم يشاهد فيها إلا فلاحين اثنين في إحدى مزارعها .

وظل وجود السكان في العيينة مرتبطاً بموسم المطر ، وهذا ما أكده لوريمر عندما تكلم عن سكان العيينة فقال : «ليس بها سكان دائمون ولكن يتواجدون بالفصول التي يهطل بها الأمطار»[٧] .

---

(١) ابن غنام ، طبعة أبا بطين ، جـ٢ ، ص١٢ .
(٢) لمع الشهاب ، ص٣٨ .
(٣) ابن بشر ، جـ١ ، ص ٢٣٦ .
(٤) المصدر نفسه ، ص٤٤١ .
(٥) بلجريف ، ص٣٨٠ .
(٦) لويس بلي ، ص٧٠ .
(٧) لوريمر ، جـ٢ ، ص٩٥٢ .

وكان السكان يقومون بالزراعة البعلية على ساقي العين بعد أن يمتلئ الحكر بالسيول .

وكانت الجبيلة أحسن حالاً من العيينة إذ كانت عامرة بمزارع النخيل والبساتين ولكنها تعرضت للتخريب وقطعت بعض نخيلها ، بسبب الحروب . ومعظم النخيل التي دمرت كانت في مزارع البطاحي والصبيخة والشعبة والطالعة والطرفية وجميعها لأسرة آل معمر ، كما دمرت مزارع أخرى ، قال الفاخري : « وفي سنة ١٢٨٨هـ خرج سعود الفيصل بجنوده من الأحساء قاصداً بلد الرياض . ولما سمع الإمام عبد الله بن فيصل بذلك خرج من الرياض فدخله سعود ومعه خلايق من العجمان ، فعاثوا في البلد ونهبوا بلد الجبيلة ، وقتلوا جماعة من أهلها وقطعوا نخيلها وأخربوها»[١] . واستمر الحال في العيينة والجبيلة حياة وزراعة موسمية ثم صمْتٌ مُطبق وأطلال شوامخ غير أن بها آباراً بها بعض المياه يتزود بها المسافرون عندما يمرونَ بالبلدتين ، إلى أن توحدت المملكة على يد الملك عبد العزيز رحمه الله . وعندما تحسن الوضع الاقتصادي والأمني عاد السكان للعيينة ، وتكاثروا بها ، وذلك تحديداً في عام ١٣٥٣هـ وبدأوا في الزيادة منذ ذلك العام إلى يومنا هذا .

(١) الفاخري ، ص١٩٢ .

٢ - توزيع السكان في العيينة

بدأ التحرك والنمو السكاني في العيينة منذ القدم وكان توزيع السكان على أساس زراعي بحت ، وحدد ذلك التوزيع وكثافته عوامل رئيسية أهمها المائية والزراعية والرعوية بالإضافة للعوامل البشرية والاقتصادية .

إن أهم ما يميز التوزيع السكاني في العيينة القديمة هو الميل إلى التوزيع المتمركز في تجمعات سكانية محددة تمتد على سهول الأودية الفيضية .

وتؤثر كمية المياه الجوفية والحماية الطبيعية للمنطقة على هذه التجمعات السكانية واستقرارها وثباتها .

كما تؤثر عوامل أخرى في توزيع السكان في العيينة وأهمها : العامل الطبيعي من حيث مناسبة الموقع للاستقرار والحماية الطبيعية لتلك المواقع وملاءمة السطح والمناخ ومناسبة التربة للزراعة ووفرة الغطاء النباتي المتمثل في نباتات وادي حنيفة وروافده وكونها مورداً للوقود والبناء والأثاث والرعي . والموارد المائية التي يقوم عليها الاستقرار السكاني بالدرجة الأولى . ولهذا كان مكان الاستقرار في العيينة في نواة المدينة في عام ٨٥٠هـ يقع بين واديين مهمين هما : وادي حنيفة من الجنوب ووادي المجينينة من الشرق والشمال حيث وفرة المياه الجوفية وسهولة وصول مياه السيول لسقي المزارع . ولذا كانت منطقة النواة التي يقع فيها قصر ابن معمر أكثر وأول المواضع تركيزاً للسكان في العيينة ، وتسمى الآن حلة ابن معمر ضمن حي السفاله شرق العيينة ، وبجانب العامل الطبيعي ساهمت العوامل الأخرى كالعامل البشري الذي يشمل العامل التاريخي والسياسي والأمني والديني ، وهذا العامل يعتبر من أقوى العوامل التي أسهمت في توزيع سكان العيينة في تجمعات كبيرة ، ثم أسهمت هذه العوامل مرة أخرى في تفريق سكانها وتشتتهم في القرنين الثاني عشر وبداية الثالث عشر الهجري وبعد استتباب الأمن وتوحيد المملكة بدأ السكان في الاستقرار في العيينة وظلت مدينتا العيينة والجبيلة موضع تركيز سكاني لتوفر الخدمات الأساسية ومركز الإمارة بجانب أهميتها التجارية(١) .

وللتنمية الحديثة دور بارز في توزيع السكان في العيينة إذ بدأ الاستقرار والانتقال

(١) إمارة حريملاء ، جـ ٢ ، ص ٢٩٥ .

لها بعد توفر الخدمات مثل المراكز الإدارية والطرق المعبدة وغيرها ، مما سهل الاتصال بين العيينة والعاصمة والحواضر الأخرى القريبة ، وأسهمت التنمية الحديثة في هجرة العمالة ووفودها للعمل في العيينة في مجالات عديدة أهمها الزراعة والتجارة والرعي والصحة والتعليم وغيرها ، ولهذه العمالة أثرها في التوزيع السكاني في العيينة .

وتتركز الكثافة السكانية في العيينة وترتفع في مدينة العيينة نفسها والجبيلة وهجرة بوضة .

وبالرجوع لإحصاءات التعداد العام للسكان عام ١٤١٣هـ نجد أن عدد السكان في العيينة وقراها يبلغ ١٨٧٨٦ نسمة . ويتضح لنا أن متوسط الكثافة السكانية على مستوى الحوض حوالي ٢١ شخصاً لكل كيل مربع .

ويرتكز أكثر من نصف عدد السكان في العيينة المدينة ، والبقية موزع على قراها وصحاريها ، وفي عام ١٤٠٨هـ كان عدد سكان العيينة المدينة ٢٤٩٦ نسمة[(١)] يتوزعون على أحيائها بكثافات مختلفة ، ويوضح الجدول رقم (١) توزيع سكان العيينة على أحيائها وكثافتهم في كل حي :

جدول رقم (١)
الكثافة السكانية في أحياء العيينة

مسلسل	اسم الحي	كثافة السكان فيه
١	حي الشبك	٩٣٠
٢	حي برميلة	٣٦٠
٣	حي برزان	٣٣٠
٤	حي الجبيلة	٣٢٤
٥	حي السفالة	٢٨٨
٦	حي رشدانة	١٥٠
٧	حي مريطل	٩٦
٨	حي الجامع القديم	١٨
	المجموع	٢٤٩٦

(١) تقرير نطاق النمو السكاني في العيينة ، ص ٢٤ .

من الجدول السابق يتضح أن حي الشبك هو أكثر أحياء العيينة كثافة يليه حيّا برميله وبرزان ثم الجبيلة ، وأقل الأحياء كثافة هو حي الجامع القديم يليه حي مريطل . وتجدر الإشارة إلى أنه من المتوقع في السنوات القادمة أن تزيد المساحة السكانية وتنخفض الكثافة السكانية ويزيد عدد السكان ، وفي المستقبل القريب إلى عام ١٤٢٥هـ سيكون ذلك على حساب الأراضي الزراعية إذ إن المخططات السكانية الحديثة في مدينة العيينة تقع في أراض زراعية أو أراض صالحة للزراعة بعكس المخطط السكني في الجبيلة والذي يقع في الحزم شمال غربّ البلدة القديمة .

وتتجه حواضر العيينة في السنوات الأخيرة للتوزيع المنتظم للسكان والمساكن بالمقارنة بالتوزيع المتمركز الذي كان أبرز سماتها .

٣- تركيب السكان وحيويتهم في العيينة

ستبقى إحصاءات تعداد عام ١٤١٣هـ هي المعلومات الأساسية التي نعتمد عليها عند إلقاء بعض الضوء على التركيب السكاني للعيينة الذي يشمل التركيب النوعي والعمري والتعليمي والعملي للسكان .

١- التركيب النوعي :

ويقصد به تقسيم سكان العيينة حسب الجنس ، ومن المعروف من الإحصاءات الدورية أن احتمالات الولادات الذكور تساوي احتمالات الإناث أي أن كلاً منهما تبلغ ٥٠٪ من نسبة الولادات والاختلاف لا يتجاوز ١٪ .

وغالباً ما تكون الزيادة لصالح ولادات الذكور[(١)] ، ولكن الأمر يختلف في المملكة إذ إنها من أكبر مناطق الجذب للعمالة لخطط التنمية الطموحة التي تنفذها الحكومة مما أسهم في زيادة نسبة الذكور بنسبة عالية عن نسبة الإناث ، وهذه الزيادة لها احتمالان لا ثالث لهما :

الأول : أن الزيادة في نسبة الذكور سببها كما أشرنا العمالة الوافدة من الذكور الذين جلبتهم الأعمال التي صاحبت التنمية التجارية والعمرانية والزراعية التي تتطلب أعداداً من الرجال أكثر من النساء .

الثاني : أن زيادة نسبة الذكور هي نتيجة إحجام بعض أولياء الأمور عن إعطاء مسؤولي التعداد الأعداد الحقيقية للإناث لقلة الوعي . ويبين الجدول التالي النسب المئوية للذكور والإناث في العيينة من واقع تعداد عام ١٤١٣هـ .

جدول رقم (٢)

النسبة المئوية للذكور والإناث في العيينة وما حولها

المدينة	ذكور		إناث		المجموع
	العدد	النسبة المئوية	العدد	النسبة المئوية	
العيينة والجبيلة	١١٠٩٦	٪٥٩	٧٦٩٠	٪٤١	١٨٧٨٦

(١) جغرافية المملكة ، ص ١٦٦ .

من الجـدول(*) يتضح أن نسبة الـذكور في العيينة والجبيلة تساوي ٥٩٪ بينما نسبة الإناث هي ٤١٪ ويرجع ارتفاع نسبـة السكان الذكـور لأحـد السـببين اللذين ذكرناهما آنفاً .

كما أن معدل الأنوثة يعتبر منخفضاً عن المعدلات العالمية التي تتراوح ما بين ٤٨ ، ٤٩٪ .

٢- التركيب العمري للسكان :

يقصد به تقسيم السكان حسب فئات العمر . ويتضح من إحصاءات عام ١٣٩٤هـ أن أكثر سكان العيينة يتصفون بالفتوة ، بمعنى أن شريحة كبيرة منهم من صغار السن ومن الشباب وللهجرة الوافدة تأثيرها إذ إن معظمهم من الشباب القادرين على العمل والإنتاج . ويوضح الجدول رقم (٣) النسبة المئوية وإعداد كل فئة عمرية .

جدول رقم (٣)

التركيب العمري لسكان العيينة

فئات السن	العـــدد	النسبة المئوية
صفر - ١٤ عام	١٠٤٨	٤٩,٢٧
١٥ - ٦٤ عام	١٠١٥	٤٧,٧٢
٦٥ عام فأكثر	٦٤	٣,٠١
المجموع	٢١٢٧	١٠٠

نلاحظ من الجـدول(**) أن نسبة الفئة الصغيرة الذين هم صغار السن والذين تتراوح أعمارهم ما بين (صفر - ١٤ عام) والتي تبلغ ٢٧ , ٤٩٪ من مجموع السكان في حوض العيينة . والسبب في ذلك يعزى إلى ارتفاع معدل الخصوبة

(*) الأعداد من إحصاء التعداد السكاني عام ١٤١٣هـ والجدول والنسب المئوية من إعداد المؤلف .

(**) الأعداد في الجدول من إحصاءات عام ١٣٩٤هـ أما النسبة المئوية والجدول فهي من إعداد المؤلف .

والتناقص في الوفيات ، والتقدم الجيد في مستوى الخدمات الصحية ، بالإضافة للوعي الصحي وارتفاع المستوى المعيشي للأسر . أما الفئة الوسطى وهي الفئة الفتية والتي تتراوح أعمارهم بين ١٥-٦٥ عاماً فقد بلغت نسبتها ٤٧,٧٢٪ وهي تضم الفئة المنتجة والمعيلة للفئتين اللتين قبلها وبعدها .

أما فئة كبار السن فقد بلغت نسبتهم ٣,٠١٪ وهي نسبة قليلة تعكس انتشار الأوبئة وسوء التغذية وضعف المستوى المعيشي لجيلهم ، وقد أثر ذلك على أعدادهم ، إضافةً لتقدم العمر ، وسنة الله في خلقه .

٤- الأسر في العيينة

لقد تناوبت على سكنى العيينة على مدى تاريخها الطويل أعداد من القبائل والأسر ، ولسهولة معرفة ذلك سنقسمه زمنياً ثلاث فترات :

١- قبل عام ٨٥٠هـ :

لقد أشرنا إلى أن بعض الكتابات التي عثر عليها كاتب هذه السطور في العيينة والتي يقدر عمرها ما بين ٢٠٠٠ إلى ٣٠٠٠ عام تؤكد قدم الاستقرار فيها ، ولكن لم نستطع تحديد الأسر أو القبائل التي سكنتها في تلك الفترة تحديداً دقيقاً ، وعلى أية حال فقد سكنت قبيلة هزان الأولى المنطقة قبل الميلاد ، ثم تلتها قبيلتا طسم وجديس ، وقبل ظهور الإسلام بقرنين تقريباً استوطن بنو حنيفة هذا الوادي الذي عرف بهم من أوله وحتى الخرج ، إذ سكنوا حواضر في حوض العيينة فأهل الهدار (الهديدير) هم بنو ذهل بن الدؤل من بني حنيفة ومعهم بنو الأعرج الحارث ابن كعب بن سعد من بني تميم ، وبنو هفان بن الحارث بن الدؤل [١] .

وأهل أباض (بوضة) هم بنو عدي من بني حنيفة [٢] .

والعيين (العيينة) لبني عامر من بني حنيفة [٣] .

وعقرباء (الجبيلة) كان بها بنو عامر من بني حنيفة ، وكان كبيرهم محمد ابن عطاء فارسًا مشهورًا[٤] ثم لبني بكر بن ظالم من نمير [٥] ، وكان آل يزيد من بني حنيفة الذين من بقاياهم آل دغيثر يملكون العيينة وما حولها ثم باعوها عام ٨٥٠هـ .

٢- سكانها من عام ٨٥٠هـ وحتى نهاية القرن الثالث عشر الهجري :

في عام ٨٥٠هـ اشترى حسن بن طوق بن سيف التميمي جد (آل معمر) العيينة من آل يزيد من بني حنيفة ، وانتقل من ملهم بأسرته ورجاله وأعاد إعمار العيينة[٦]

---

(١) معجم البلدان ، ص ٢٨٥ ، ٣٩٤ .
(٢) صفة جزيرة العرب ، ص ٣٠٧ .
(٣) المصدر السابق ، ص ٢٨٥ .
(٤) المناسك وطرق الحج ، ص ٦١٦ .
(٥) صفة جزيرة العرب ، ص ٣٠٨ .
(٦) ابن بشر ، جـ ٢ . ص ٢٩٦ ، الفاخري ، ص ٦٠ .

ثم بدأت في الازدهار والتقدم حتى أصبحت قاعدة البلاد النجدية ، وانتقل لها العلماء والتجار والزراع والمهنيون جماعات وأفراداً ينشدون الحياة الأكثر رخاء وأمناً . فزاد عدد سكانها حتى وصل إلى حوالي ٢٥ ألف نسمة[١] ، وتعددت الأسر في العيينة وكان أبرز أسرتين فيها هما أسرة (آل معمر) وهم أهلها وأمراؤها ، وآل مشرف وهم بيت علم وفقه . وأهم الأسر التي سكنت العيينة في تلك الفترة حسب ما توفر للمؤلف من معلومات ما يلي :

١- آل معمر : من بني (سعد من تميم) .

٢- آل مشرف من (الوهبة من بني تميم) منهم الشيخ سليمان بن علي جد الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، وهذه الأسرة هى أسرة علم وفضل .

٣- آل بسام : بيت علم وفقه أول من سكن العيينة منهم جدهم العالم الشيخ أحمد بن محمد البسام - توفى عام ١٠٤٠هـ[٢] وانتقل أحفاده إلى حرمة ، ومنها لعنيزة بالقصيم وهم من الوهبة من بني تميم .

٤- آل رواف : من الوهبة من بني تميم ، ومنهم الشيخ عبد الله بن أحمد الرواف انتقلوا من العيينة إلى بريدة والدرعية وعرقة[٣] .

٥- آل حوشان : أبناء عم آل رواف ، انتقلوا من العيينة لبريدة زمن إمارة حجيلان ابن حمد[٤] .

٦- آل عطوة : من النواصر من بني عمرو من بني تميم ، منهم العالم الجليل الشيخ شهاب الدين أحمد بن عطوة[٥] .

٧- آل سالم من بني تميم ، منهم حمد بن سالم أمير الكتيبة المرابطة في

(١) منير العجلاني ، تاريخ البلاد العربية السعودية ، ص ١٧٠ .

(٢) عبد الله البسام ، علماء نجد خلال ستة قرون ، جـ ١ ، ص ١٨٦ .

(٣) حمد الجاسر ، جمهرة أنساب الأسر المتحضرة في نجد ، منشورات دار اليمامة للبحث والترجمة ، الطبعة الثانية ، الرياض ، ١٤٠٩هـ ، جـ١ ، ص ٢٩١ .

(٤) نفس المصدر ، ص ١٨٢ .

(٥) علماء نجد ، جـ١ ، ص ١٩٩ .

المدينة المنورة عام ١٢٢١هـ، ثم كان أميراً على سدير في عهد الإمام سعود ابن عبد العزيز[١].

٨- آل عفالق : منهم قاضي العيينة الشيخ عبد الله بن عفالق المتوفى عام ١٠١٩هـ وهم من آل عياف من خثعم من قحطان[٢].

٩- الطوال : من بني تميم، منهم حمد الطويل مؤذن العيينة وصاحب نخل أم صوى المشهور في أعلى العيينة، انتقلوا منها إلى الدرعية[٣].

١٠- آل سنان : من بني تميم، ويذكر مؤلف لمع الشهاب أنهم من أقارب الشيخ محمد بن عبد الوهاب[٤] انتقلوا من العيينة للبرة.

١١- آل طوق : انتقلوا منها للدرعية ثم الأحساء، منهم الشيخ الشاعر عبد الرحمن بن طوق ومنهم سليمان بن سيف بن طوق أحد قادة الإمام سعود بن عبد العزيز الذي قاد سرية واستولى على الزبارة وطلب من آل خليفة التوجه إلى نجد لمقابلة الإمام سعود عام ١٢٢٤هـ[٥] ومنهم الشيخ حسن بن عبدالله ابن طوق[٦] وهم من بني سعد من تميم، ويجتمعون مع آل معمر في طوق بن سيف.

١٢- آل سويري : من بني حسين من الأشراف، منهم عدامة السويري أمير سرية الإمام سعود الكبير التي هزمت غزواً لأهل الزلفي عام ١١٨٨هـ[٧] كان بعضهم يسكنون الجبيلة، ويشاركون آل معمر في ملكية مزرعتين فيها هما الشعبة والطويلعة[٨]. وانتقلوا من الجبيلة.

---

(١) ابن بشر، جـ١، ص ٢٩٢، ٢٩٣.
(٢) علماء نجد، جـ٢، ص٥٥٢.
(٣) ابن بشر، جـ١، ص ٧٩، تذكرة أولي النهى، جـ١، ص٢٨٣، ٢٨٤.
(٤) حسن الريكي، لمع الشهاب في سيرة محمد بن عبد الوهاب، ص٢٣-٢٥.
(٥) ابن بشر، جـ١، ص٣٠٧.
(٦) البسام، عبد الله بن عبد الرحمن، علماء نجد خلال ثمانية قرون، الرياض، ١٤١٩هـ، ٦ أجزاء، الجزء ٢، ص٥٠.
(٧) ابن بشر، جـ١، ص١٢٣.
(٨) وثيقة لدى المؤلف.

١٣- آل وطبان : من المردة أمراء الدرعية انتقلوا منها للزبير والعيينة ، وأول من سكن العيينة منهم محمد بن إبراهيم بن عبد الله بن وطبان [١] .

١٤- آل سيف من العجاجات من آل كثير من بني لام سكنوا العيينة ثم تفرقوا منها[٢] .

١٥- آل سيف : من آل أبا الحسين من آل منديل دواسر ، منهم الشيخ محمد ابن عبد الله بن حمد بن طراد الدوسري المتوفي عام ١٢٢٥هـ [٣] .

١٦- آل عقيل من وائل ، قدم جدهم سليم على أمير العيينة حمد بن معمر المتوفي عام ١٠٥٦هـ ، من بلد التويم ونزل عنده في العيينة فأكرمه ، ونشأ ابنه عقيل ابن سليم فصار أشهر من أبيه وله ذرية كبيرة[٤] تفرقوا من العيينة في سدير والزبير .

١٧- الشخيل : من آل مغيرة من بني لام ، انتقلوا من العيينة للاحساء في حدود عام ١٠٨٠هـ منهم آل موسى سكان المبرز ، ومنهم أيضاً آل سَلَيْم سكان مرات انتقلوا من العيينة إليها [٥] .

١٨- الظفير : قبيلة لامية شهيرة كانت تنتقل في بادية نجد ، ولها علاقة جيدة بالعيينة تسكن في أطرافها كروضة عقرباء[٦] ، وفي عام ١١١٣هـ توفي أميرها سلامة بن مرشد بن سويط ودفن في الجبيلة[٧] في عهد أمير العيينة عبد الله بن معمر المشهور . وأقام بعض أفراد هذه القبيلة في العيينة وتركوا حياة البداوة فأصبحوا من سكانها ، ومنهم الفارس (الفريد الظفيري) أحد فرسان الأمير عثمان بن معمر الذين أمرهم بمرافقة الشيخ محمد

---

(١) تحفة المشتاق ، ص ٦ .

(٢) عبد الرحمن المغيري ، المنتخب في ذكر نسب قبائل العرب ، ص ٢٩١ .

(٣) علماء نجد ، جـ٣ ، ص ٨١٠ ، ٨١١ .

(٤) حمد بن محمد بن لعبون ، تاريخ ابن لعبون ، مكتبة المعارف ، مطبعة المدين ، الطبعة الثانية ، ١٤٠٨هـ ، القاهرة ، ص ٩٦ .

(٥) المنتخب ، ص ٢٨٣ ، ٢٨٤ .

(٦) نفس المصدر ، ص ٢٨٦ .

(٧) ابن بشر ، جـ٢ ، ص ٣٥٢ .

ابن عبد الوهاب وحراسته في طريقه للدرعية ، كما استعان الأمير عثمان ابن معمر بشيخ الظفير فيصل بن شهيل بن سلامة بن سويط [١] أثناء تأزم العلاقة بينه وبين معارضيه عام ١١٦٣هـ .

١٩- الحمراني : منهم طوالة الحمراني أحد خيالة العيينة الذين قاموا بحراسة الشيخ محمد بن عبد الوهاب أثناء رحيله من العيينة للدرعية [٢] .

٢٠- آل عواد : من عائذ من عبيدة من قحطان ، قدم أحد أجدادهم إلى العيينة من الغاط في أواسط القرن الثاني عشر واشترى الملك المشهور في العيينة المسمى (أمُّ صوى) من حمد الطويل كما اشترى أيضاً الملك الواقع في حي الطرف المسمى (أمُّ عاير) بعد ذلك انتقل أبناؤه من بعده إلى الملقى ومنه إلى الدرعية في منتصف القرن الثالث عشر ولا زالوا فيها وعميدهم الآن الشيخ عبد الله ابن حمد بن علي العواد [٣] .

٢١- آل عجلان : من المطارفة من السلقا من عنزة منهم الشيخ محمد إبراهيم ابن عجلان المطرفي المتوفى عام ١٢٩٣هـ انتقلوا من العيينة إلى نعام [٤] .

٢٢- آل ذهلان : من آل سحوب من زعب ، منهم الشيخان عبد الله وعبد الرحمن بن محمد بن ذهلان من علماء العيينة ثم الرياض وتوفيا عام ١٠٩٩هـ [٥] .

٢٣- البصير : منهم الشيخ محمد بن موسى البصير أحد علماء العيينة في آخر القرن الحادي عشر الهجري [٦] .

---

(١) نفس المصدر السابق ، جـ١ ، ص ٦٠ ، وعلماء نجد ، جـ٢ ، ص ٦٣٩ .

(٢) ابن بشر ، الصفحة نفسها . وذكر لي الأستاذ عبد الله العسكر أن صواب اسم العائلة الحمر وليس الحمراني وأنهم من الظفير ، بينما ذكر الأستاذ محمد الحمرا أنهم من الحمران أهل الداهنة .

(٣) معلومات زودت بها عن أسرة آل عواد ، موقعة من الدكتورين عبد العزيز وخالد العواد وغيرهما من الأسرة العوادية .

(٤) مجلة العرب ج٩ ، ١٠ س٣٢ الربيعان سنة ١٤١٨هـ ، ص٧٠٩ . ولم يستبعد الجاسر أن آل عجلان من المطارفة من هذيل . .

(٥) علماء نجد ، جـ٢ ، ص ٤٠٨ ، ٦٢٠ .

(٦) المصدر نفسه ، جـ٣ ، ص ٩٤٢ .

٢٤- آل قائد : منهم الشيخ عثمان بن عثمان بن أحمد بن قائد أحد علماء العيينة ، وتوفى رحمة الله عام ١٠٩٧هـ في القاهرة من آل سحوب من زعب من بني سُليم[١] .

٢٥- آل وُدَيّ : في الأحساء من الجبور نزحوا من العيينة للدرعية . ومنها للأحساء[٢] .

٢٦- آل غدير : وهم من البقوم من الأزد من قحطان انتقلوا من العيينة لحريملاء .

٢٧- آل سعيِّد : انتقلوا من العيينة لسدوس وملهم ، منهم الشاعر أبو عدوان عبد الله بن سعيد وأخوه سعد بن سعيد أمير الحائر السابق ومنهم عبد الله بن عبدالرحمن بن سعيد -رحمهم الله- .

٢٨- آل سليم : انتقل بعضهم من العيينة للدرعية ومنها للقصيم والرياض ، ويسمى أهم أبواب العيينة بباب سليم ، ومنهم آل سليم (آل أخو خليف) في سدوس[٣] منهم الدلاق رجل شجاع قتل في كنزان عام ١٣٣٣هـ ومنهم آل سليم علماء القصيم . وهم أسرة علم وفقه .

٢٩- آل جعيثن : منهم الشاعر إبراهيم بن جعيثن والأستاذ راشد بن محمد ابن جعيثن الشاعر المعروف ، قدم جدهم من الجبل واستقر في العيينة ، ثم انتقل منها وسكن ضرماء .

٣٠- آل مهيريس : انتقلوا من العيينة لسدوس ، منهم عبد الرحمن بن رشيد ابن مهيريس الملقب بعكارم شجاع مقدام شارك في عدة معارك وقتل في كنزان عام ١٣٣٣هـ هو وأخوه عبد الله .

٣١- آل عيد : منهم الشاعر الملقب بالعيبدي صاحب القصيدة التي منها هذا البيت :

ملك عمي من ماقف الغاف بيّن   تحده الثنايا وريع غرور

٣٢- آل شايق .

٣٣- آل خزيم .

٣٤- آل شامان .

---

(١) علماء نجد خلال ثمانية قرون ، جـ٥ ، ص ١٢٩ .

(٢) جمهرة أنساب الأسر المتحضرة في نجد ، جـ٢ ، ص ٨٥٩ .

(٣) عبد المحسن بن معمر ، سدوس عبر الماضي والحاضر ، الرياض : ١٤٢٠هـ ، ص٧٤ .

٣- سكان العيينة من عام ١٣٥٣هـ وحتى الوقت الحاضر:

لقد انتقل كثير من أهل البلدان القريبة من العيينة كسدوس وحزوى وملهم وحريملاء والقرينة وصلبوخ إلى العيينة ، بعضهم عادوا إلى بلدهم وأراضيهم ، والبعض الآخر اختاروها سكناً وموطناً لهم ، وفي العيينة عدد من الأسر الكريمة منهم :

- آل أحمد
- آل إدريس
- آل برغش
- البريدي
- الجبيلة
- آل راجح
- الزريعي
- آل زيد
- آل سالم
- السبيعي
- آل سدر
- آل سعد في الجبيلة
- آل سعد في العيينة
- السديري
- آل سعيّد
- آل سفيران
- السمهري
- آل سليمان
- السهلي
- آل سيف
- آل شايع
- الشريدي
- الشعيفي
- آل شقري
- آل شهوان
- آل شومر
- آل الشيخ
- الشيباني
- آل صالح
- آل ضاحي
- آل مسفر
- المشاري
- آل مشعان
- آل معمر
- آل مقبل
- آل مقرن (ثلاث أسر)
- آل موسى
- آل منصور
- آل مهيريس
- آل مهيزع
- آل مهيني
- آل نوح
- الجريسي
- الجميعة
- آل جليهم
- آل حرابي
- آل حمدان
- آل ضبية
- آل عباد
- العتيبي
- آل عجلان
- آل عروان
- العفيصاني
- آل عواد
- آل عيسى
- القحطاني
- آل مبارك
- آل محارب
- آل مخيزيم
- المسعري
- آل داود
- آل دخيّل
- آل دهمش
- آل رشدان
- آل راكان
- الهاجري
- آل هديان
- آل هزاع

وغيرهم من الأسر الكريمة التي لم تحضرني أسماؤهم ، فإليهم أقدم اعتذاري .

الفصل الثالث

الدراسة العمرانية للعيينة

- نشأة العيينة ونموها العمراني
- استخدام الأرض العمراني

الفصل الثالث

الدراسة العمرانية للعيينة

مقدمة:

الهدف من الدراسة العمرانية للعيينة هو إلقاء بعض الضوء على المظهر العمراني الذي كان سائداً فيها قديمًا ، وبقيت بعض شواهده الأثرية بارزة للعيان في كل من العيينة والجبيلة ، كما سنعرض للتطور العمراني الشامل الذي تشهده العيينة في السنوات الأخيرة ، والذي يواكب النهضة الشاملة التي تعيشها المملكة ، وقد بدأ النمو والزيادة في مسطح الكتلة العمرانية نتيجة للزيادة في عدد السكان وازدياد متطلباتهم السكنية خصوصاً بعد الازدهار الاقتصادي الذي بدأ بعد توحيد المملكة وبلغ القمة مع افتتاح صندوق التنمية العقاري ، وقد بلغت المساحة الإجمالية التي شملها العمران ١٩٫٧٠ هكتار(*) عام ١٣٩٠ ثم ٣٢٫٧٢ هك عام ١٤٠٣هـ ثم ٣٤ هك عام ١٤٠٧هـ ويتوقع أن تصل عام ١٤٢٥هـ إلى ٣٣١ هك (١) .

وتمثل مدينة العيينة نموذجاً منفرداً لمدينة كبيرة كانت أعظم مدن نجد وأجملها خلال القرنين الحادي عشر والثاني عشر الهجري ، وقد أسهمت العوامل البشرية والطبيعية في تدمير القسم الأكبر من بقايا مبانيها القديمة ، وظهرت على أنقاضها وحولها في وقت من الأوقات عمارة مبسطة تقليدية أقل من القديم قوة ومتانة وجمالاً ، ثم ما لبثت أن بدأت تختفي شيئاً فشيئاً ليحل محلها عمران حديث مخطط ومنظم .

(*) الهكتار الواحد يساوي عشرة آلاف متر .

(١) تقرير نطاق النمو العمراني ، ص ٣٢ .

١- نشأة العيينة ونموها العمراني

نشأت العيينة على ضفاف وادي حنيفة وبعض روافده ، ولا شك أنها قامت على منطقة سبق الاستقرار البشري عليها وعمرت ، ولكنها في فترات مجهولة كانت تندثر وقد تختفي معالمها بشكل جزئي أو كلي ، ولكن يبقى وادي حنيفة منطقة استقرار بشري ، فكل فترة زمنية ولعدة عوامل وأسباب يعاد تعمير تلك البلدان ، وقد تأخذ اسمها القديم أو تعرف بأسماء جديدة ، وكانت أشهر الحواضر التي ظهرت في حوض العيينة هي أباض (بوضة) والهدار (الهديدير) والنقب وعقرباء (الجبيلة) والعين (العيينة) والعقير وفيشان في مدخل وادي الأبيطح . وقد ذكر بعض المؤرخين استقراراً بشرياً وقلاعاً وحصوناً في تلك البلدان ولكن جلها الآن أضحى أثراً بعد عين .

وفي كل الأحوال كان لنشأة العيينة عوامل وأسباب أهمها توفر المياه والتربة الصالحة للزراعة والموقع والأمن وقدرة السكان على استثمار هذه العوامل بالإضافة لعوامل بشرية وطبيعية أخرى .

تعتبر المياه من أهم العوامل التي تسهم في تطور العمران فيها ، حيث تلتقي سيول وادي حنيفة وفروعه ، ويرتفع بسببها مخزون المياه الجوفية . كما أسهمت مياه عين (مصيقرة) وعين (ابن معمر) مساهمة فعالة في نشأة وتطور البلدة ، وكانت لتربتها الرسوبية الصالحة للزراعة دور فاعل في قيام وازدهار الزراعة فيها ، واختيار مناطق السكنى والتوسع العمراني الذي تلا ذلك .

ولموقع العيينة المتوسط في نجد ، وعلى وادي حنيفة الذي يعتبر من أهم طرق الجزيرة العربية تأثيراً في تطورها . وأسهم دورها السياسي والعسكري الريادي خلال القرون العاشر والحادي والثاني عشر في تطورها العمراني ، حيث زاد عدد سكانها وعمرانها السكني والزراعي ، وأقيمت السدود للتنمية الزراعية ، كما شيدت الأسوار والأبراج كإجراء وقائي لأي هجوم متوقع ، ولا زال موقعها وقربها من العاصمة في عصرنا الحاضر يعطيها بعض التميز والدافع للنمو العمراني ، كما كان في نقل كلية الملك عبد العزيز الحربية وإنشاء القرية الشمسية ومرور خط أنابيب الزيت بها وتوفر الخدمات والطرق المعبدة بالإضافة لكونها متنفساً طبيعياً

لسكان العاصمة ، أسهم كل ذلك في نموها وتطورها العمراني . ولقد مرت العيينة أثناء تطورها بمراحل من النمو كغيرها من الحواضر حتى وصلت إلى ما هي عليه في الوقت الحاضر .

ولكن مرحلة النشأة الأولى لا تزال مجهولة ، كما قلنا ، غير أنها كانت قد أعيد تعميرها قبل الإسلام بقرنين وأصبحت هي وما حولها بلداناً عامرة مدة من الزمن ، ثم مرت بمرحلة الشيخوخة أو الضمور العمراني والبشري حتى عام ٨٥٠هـ حيث أعاد لها حسن بن طوق التميمي (جد آل معمر) حيويتها وشبابها ، وبدأت في النمو العمراني من جديد ، وتدل بقايا آثار عمرانها وأسوارها على مراحل نموها وتطورها ، حيث كانت تشغل مبانيها في القرن التاسع الهجري جزءاً يسيراً من البلدة يحيط بها (حامي) معمر ، ثم تلاه سور آخر أحاط بالسور الأول من الشمال والغرب والجنوب على شكل قوس ، وأرجح أن ذلك كان في عهد حمد بن عبد اللّه بن معمر .

وفي أوائل القرن الحادي عشر توسعت العيينة ، فنشأ حي آخر مستقل بسور وهو حي مريطل ، وذلك في عهد الأمير حمد بن عبد اللّه بن معمر المتوفى عام ١٠٥٦هـ .

وفي بداية القرن الثاني عشر وإبان إمارة عبد اللّه بن محمد بن معمر في العيينة وبلوغها عصرها الذهبي وتطورها وتزخرفها أحاط سور بكامل العيينة والمزارع والمساكن وضم حي مريطل كما سُوِّر حي الطرف وبرقة ، أما الجبيلة فقد أحاط سور صغير(*) بالبلدة ، وقد أضيف له سور آخر من جهة الشرق ، ثم سور على السلسلة الجبلية جنوب البلدة ، وهناك بقايا سور يحيط بشمال وادي حنيفة مما يلي الجبيلة .

وبعد أن بلغت العيينة مرحلة متقدمة في النمو العمراني ، وذلك في القرن الثاني عشر أعقب ذلك مرحلة اندثار عمراني وتشتت بشري لأسباب طبيعية وبشرية ، واستمرت تلك المرحلة من العقد الرابع من القرن الثالث عشر تقريباً ، وحتى بداية العقد السادس من القرن الرابع عشر الهجري ، ثم عادت لمرحلة نشأة جديدة وحديثة اعتباراً من عام ١٣٥٣هـ . وكان العمران عبارة عن مساكن صغيرة

(*) انظر خريطة رقم (١٠) .

منتشرة وسط المزارع ، أو إعادة ترميم بعض الأبراج في الحامي وبعض الغرف في المساكن القديمة والسكنى بها ، تلا ذلك مرحلة عمران متجمع ، وحصل ذلك عام ١٣٦٠هـ تقريباً في حي مريطل والسفالة ، ثم زاد عدد الأحياء والمساكن فيما بين عام ١٣٧٩هـ إلى عام ١٣٩٠هـ في حي الشبك وبرميلة ورشدانة وبرزان .

وبعد ذلك أدخلت مادة بناء جديدة وهي مرحلة البناء المسلح في نفس الأحياء ، إما في شكل بناء جديد أو إحلال مساكن حديثة بدلاً من القديمة .

وفي عام ١٤٠٣هـ بدأت مرحلة العمران المخطط ، وذلك في مخطط عبدالرحمن بن عبدالله ثم مخطط ابن سعيدان عام ١٤٠٨هـ بالإضافة لمخططات أخرى جرى إعدادها في العيينة والجبيلة .

النطاق العمراني :

هو الحد النهائي للتنمية العمرانية اللازمة لاستيعاب الأنشطة السكانية المختلفة . ويشمل كافة التجمعات السكنية وجميع تقسيمات الأراضي حتى عام ١٤٢٥هـ .

مراحل النطاق العمراني :

هناك عوامل تراعى عند تحديد مراحل النطاق العمراني ، منها عدد السكان وكثافتهم والمسافة بين الأحياء السكنية ، ثم توفر المرافق العامة والخدمات المختلفة وأخيراً الاعتبارات الإدارية والمحلية ، وقد تم تحديد مرحلتين للنطاق العمراني :

المرحلة الأولى حتى عام ١٤١٥هـ :

لقد روعي أن تشمل هذه المرحلة التجمعات السكانية كافةً ، سواء ما كان منها مشيداً أو تحت الإنشاء أو المقترح ، وقد حددت مساحتها بـ (١٣١) هكتارا ، أي حوالي (١٣١٠٠٠٠) متر .

المرحلة الثانية حتى عام ١٤٢٥هـ :

تشمل المرحلة الثانية من النطاق العمراني الأراضي المحجوزة في الظهرة جنوب العيينة ، وتقدر مساحتها بـ ٢٠٠ هكتار حوالي (٢٠٠٠٠٠٠) متر ، ليكون مجموع المساحة ٣٣١ هكتاراً[1] .

---

(١) تقرير النطاق العمراني للعيينة والجبيلة ، ص ٣٢ ، ٩٤ ، ٩٧ .

٢- استخدام الأرض العمراني

يقصد به التوزيع المكاني للأنشطة الاقتصادية والاجتماعية المختلفة التي تشغل مساحات تختلف باختلاف نوعية هذا النشاط ، ومن أهم الأنشطة في محيط العيينة ، هي :

١-النشاط الزراعي:

يمارس السكان في العيينة نشاطهم الزراعي على مساحة من الأرض تقدر بـ ٢٧٩٧٦٠٠٠م٢ تقوم عليها حوالي ٢٥٠ مزرعة واستراحة زراعية . وتعتبر مزارع العيينة الموجودة الآن مزارع حديثة ، إذ لا يتجاوز عمرها ٧٠ عاماً ، قامت هذه المزارع على نفس الأراضي الزراعية وبعض السكنية القديمة .

٢- النشاط السكني:

وهي تلك المساحات المبنية أو المعدة للبناء ، وتبلغ مساحتها ٢٩ هكتاراً تقدر بـ ٢٩٠٠٠٠م٢ ، ويمكن تقسيمها قسمين :

أ- **عمران متجمع** : على شكل أحياء سكنية يبلغ عدد وحداتها السكنية حوالي ٤٧٤ وحدة[1] .

ب- **عمران منفرد** : تشكل مباني المزارع أغلب هذا النوع ، ويبلغ عددها حوالي ١٢٦ مبني .

ويمكن تقسيم العمران المتجمع إلى قسمين :

أ- المباني القديمة:

وهي جزء يسير من بقايا المدينة القديمة ، وعمر بعض أجزائها يقدر بحوالي ٦٠٠ عام وبقي بعض شواهده وآثاره متمثلة في قصر ابن معمر وأسوار المدينة المتفرقة وبعض المباني القديمة في حي مريطل ، وهو حي قديم لا زال يحمل اسمه إلى اليوم . وكان يشمل قديماً كامل المنطقة التي يقوم عليها حي برزان وحي الجامع

---

(١) تقرير نطاق النمو العمراني ، ص ٢٣ .

القديم وحي برميلة وحي رشدانة ، وهي تسميات حديثة ، وكان حي مريطل من أكبر أحياء العيينة وأكثرها كثافة سكانية .

وقام على أطلال الأحياء القديمة أحياء سكنية حديثة ، كما حصل في العيينة والجبيلة إذ أعيد بناء وترميم المساكن القديمة بغرض سكناها ، ثم بدأ الإحلال بمبان خرسانية بعد عام ١٣٩٠هـ وزادت كثافتها بعد الاستفادة من قروض بنك التنمية العقاري .

ب- المباني الحديثة (الكتلة العمرانية الحديثة) :

تقوم بعض هذه المباني في الأحياء القديمة بأسلوب إنشائي حديث ، كعملية إحلال بدل القديم ، وخاصة في المواقع المتميزة على الطريق العام أو في وسط الأحياء . كما تقوم هذه المباني على أراض مخططة ومعتمدة ، مثل مخطط الأمير عبد الرحمن بن عبد الله الواقع شرق القّارة ، ويبلغ عدد قطع الأراضي فيه ٢٤٩ قطعة ، ومخطط ابن سعيدان الشرقي ٥٤ قطعة . كما أن هناك مخططين جديدين ، هما مخطط الدخل المحدود في الجبيلة وعدد القطع السكنية فيه ٣٦٣ قطعة ، ومخطط ابن سعيدان الغربي ٩٤ قطعة وجميع مباني العيينة والجبيلة لا تتجاوز الدورين . ويبلغ عدد الدارات (الفلل) في العيينة وقراها ١٤١٧ دارة و٨٥٩ منزل شعبي مسلح و١٣ بيت طين والبقية منازل في عمائر وغيرها (١) .

وفي السنوات الأخيرة أخذ العمران يتجه نحو هذه المخططات . ويتوقع أن يتجه العمران بعد عام ١٤٢٥هـ باتجاه جنوب العيينة « الظهرة » .

الطرق:

تعتبر شبكة الطرق الحديثة القائمة من أهم عناصر التطور العمراني للعيينة ، حيث تربطها بالعاصمة وبالحواضر الأخرى ، كما تشكل شرايين تربط الكتل والأحياء السكنية في العيينة بعضها ببعض .

وقبل أن نستعرض شبكة الطرق الحديثة التي تغطي العيينة نفضل أن نعطي نبذة تاريخية عن طرقها ودروبها القديمة ؛ إذ يعتبر وادي حنيفة من أهم طرق وسط شبه الجزيرة العربية ويمر بالعيينة ذلك الطريق القديم الذي يسلك ثنية الأحيسي (سبع

(١) التعداد العام للسكان ، ١٤١٣هـ ، ص٢٤٩ .

الملفات) وهو الطريق الذي مر به خالد بن الوليد رضي اللهّ عنه في العام الحادي عشر للهجرة أثناء حروب الردة مع بني حنيفة ، وكانت تسلكه الكثير من قوافل الحج الأحسائية من وإلى مكة المكرمة ، ذهاباً وإياباً .

وقد أشار الحربي - وهو من رجال القرن الثالث الهجري - إلى أنه يعتبر من أهم طرق اليمامة لمكة المكرمة فقال : «طريق على مراة فإذا خرجت من مراة فأول منبر يلقاك منبر بعقرباء وهي من أعالي العرض - وذكر في نسخة أخرى - عقرباء من أرض اليمامة في طريق النباج قريب من قرقرى» (١) . ولقد مر إبراهيم باشا من هذا الطريق عام ١٢٣٣هـ أثناء غزوه للدرعية ، وكذا سلك هذا الطريق الكابتن ج . فوستر سادلير عام ١٢٣٤هـ ووصفه بأنه طريق وعر جداً ، وذكر أنه شاهد آثار مدافع إبراهيم باشا واضحة فيه (٢) .

وفي عهد الملك عبد العزيز تم ترميم الطريق بتسهيله ، وإعادة رصفه بالحجارة لتمر فيه السيارات من وإلى الحجاز ، ولكنه بدأ يفقد أهميته بعد أن شق طريق ديراب . وهناك طريق آخر يمر بالعيينة باتجاه سدوس ، أما عن طريق وادي حنيفة عبر ثنية الأبكين (الريع) ثم يسلك وادي حنيفة ، فهو الطريق الذي سلكه بلجريف عام ١٢٧٩هـ أو عن طريق ظهرة سدحة ، وهذا الطريق هو الذي سلكه لويس بلي عام ١٢٨١هـ حيث جعل الحيسية على يمينه وغالة على يساره إلى أن وصل إلى شعيب المجينينة وانحدر مع الدرب القديم (درب سدوس) الذي أنشئ عليه الآن طريق العيينة الحكر إلى الجنوب من العين . وفي المجينينة طريق إلى الشرق من هذا الطريق ، يسمي درب ملهم عبر ظهرة سدحة ، ثم إلى الجنوب الشرقي منه درب قديم جدد في عهد الملك عبد العزيز لتسلكه السيارات إلى الرياض وقت هطول الأمطار ، ثم طريق أو درب الطرف شرقي تلعة الطاقة الشمسية وخلف ورش الحدادة الآن باقية بعض معالمه . وفي أعلى العيينة طريق فهرين وهو طريق في صفحة جبل طويق وعر شديد الانحدار ، لا تزال بعض آثاره واضحة ، كان يسلكه أهالي العيينة والكثير من أهالي سدوس لقربه منها ، ويمر بالبرة والعويند إلى

(١) المناسك وأماكن طرق الحج ، ص ٦١٦ .

(٢) رحلة عبر الجزيرة العربية ، ص ٨٧ .

الحجاز . وإلى الجنوب من هذا الطريق درب يسمى أم الغبطان أو أبو الغبطان ، ثم درب جمهور وهما أقل شأناً من الأحيسي وفهرين .

وبالإضافة لما سبق فإنه لا تخلو العيينة من طرق ودروب أخرى ، كالعراقيب بين الحيسية وظهرة سدحة ، وبعض الطرق والدروب إلى العمارية عبر وادي الأحيرش ، وتظهر بقايا المراقب الكثيرة المنتشرة على جبال العيينة أهمية هذه الطرق فيما مضى ، حيث كان يراقب منها حركة المرور من وإلى العيينة .

وفي العهد الحديث يربط العيينة بالرياض طريقان معبدان الأول : وهو الأقدم عبر طريق صلبوخ تم إنشاء تحويلة منه إلى الجبيلة عام ١٣٩١هـ تقريباً ، ثم شق طريق بين الجبيلة والعيينة عام ١٣٩٣هـ وربطت العيينة بسدوس بطريق معبد عام ١٣٩٤هـ ثم تمت توسعة الجزء الذي يربط الجبيلة بطريق صلبوخ لتصبح مسارين باتجاهين منفصلين وذلك عام ١٤٠٨هـ وتمت إنارتها بالكهرباء عام ١٤١٤هـ . وتم توسعة طريق الجبيلة العيينة ليصبح أيضاً مسارين منفصلين عام ١٤١٨هـ .

والطريق الثاني الذي يربط الجبيلة بالرياض فهو عن طريق الوصيل عبر وادي حنيفة ، ويلتقي مع طريق الجبيلة الرياض المتفرع من طريق صلبوخ شرق الجبيلة ومنها إلى العيينة ، وقد نفذ هذا الطريق عام ١٤٠٢هـ .

وتغطي العيينة والجبيلة الآن شبكة من الطرق المعبدة الحديثة تربط أحياءها بعضها ببعض ، وتربط المزارع بالمدينة ، ويقدر إجمالي أطوال الطرق المعبدة بالعيينة بحوالي ١٠٠كيل .

المرافق العامة:

تغطي المنطقة المعمورة في العيينة شبكة لا بأس بها من المرافق العامة ، أهمها :

الكهرباء:

بدأ دخول الكهرباء بالعيينة عام ١٣٩٠/ ١٣٩١هـ بتمويل شخصي من أحد أبنائها (صالح بن زيد) إذ قام بعمل مشروع توليد الكهرباء الأول في العيينة ، وقام بتمديد أسلاك الكهرباء لبعض الراغبين في ذلك من المواطنين والدوائر الحكومية ، وكانت الكهرباء تعمل على فترات متقطعة .

وفي عام ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م تم توليد الكهرباء من القرية الشمسية بالعيينة . وعام ١٤٠٥/ ١٤٠٦هـ ربطت العيينة بمشروع كهرباء المنطقة الوسطى ، وغطي كامل أحيائها بما في ذلك الجبيلة وهجرة بوضة والمزارع بشبكة الكهرباء بالكامل حيث إن الوحدات السكنية التي استفادت من الكهرباء العامة تبلغ ٣٩٢٥ وحدة وتعتمد ٩٣ وحدة سكنية على مولدات كهرباء خاصة (١) .

الهاتف:

تم ربط مدينة العيينة بالهاتف عام ١٤٠٦هـ ، وغطيت بعض أحيائها بالخدمة الهاتفية ، ثم تلا ذلك إيصال خدمات الهاتف لجميع أحياء العيينة والجبيلة وهجرة بوضة والعديد من المزارع .

المياه:

كان مصدر مياه الشرب في العيينة فيما مضى هو مياه الآبار ، وفي عام ١٣٩٦هـ تقريباً تم إنشاء مركز لمعالجة المياه المستخرجة من بئر وزارة الزراعة بالكلور أعقبه بعد ذلك تمديد المياه عبر شبكة أنابيب توصيل المياه إلى العيينة ومعظم أحيائها عام ١٤٠٤هـ ، ثم تلا ذلك تزويدها بمياه صلبوخ ، وتمت تغطية جميع أحيائها بشبكة المياه عام ١٤٠٦هـ ، ودخلت المياه المعالجة صحياً إلى جل المنازل ، والمباني ، والمنشآت ، حيث يستفيد من شبكة المياه العامة ٢٦٠٤ وحدة سكنية بينما تعتمد ٤٤ وحدة سكنية على الماء المجلوب بالصهاريج وثلاثين وحدة سكنية تعتمد على الآبار وثلاث عشرة وحدة تعتمد على مصادر أخرى (٢) .

---

(١) التعداد العام للسكان والمساكن ١٤١٣هـ ، ص ٢٥٧ .

(٢) المصدر السابق ، ص ٢٦١ .

الفصل الرابع

النشاط الاقتصادي لسكان العيينة

- النشاط التجاري في العيينة
- الإنتاج الزراعي في العيينة
- الصناعات والحرف في العيينة
- الحياة النباتية والرعوية في العيينة
- مصادر أخرى لاقتصاد العيينة

الفصل الرابع

النشاط الاقتصادي لسكان العيينة

مقدمة:

تقع العيينة في بيئة صحراوية شديدة الحرارة قليلة الأمطار ، لذا كان اقتصادها في الماضي مرتبطاً بسقوط الأمطار ، وما يتوقف عليه من زراعة وإنبات عشب ، يكون مصدراً أساسياً للرعي ، وإنتاج محاصيل زراعية متنوعة . تترتب عليها حركة تجارية محدودة ما تلبث أن تتأثر بالجفاف وانقطاع الأمطار ، ثم تعود للازدهار بعد هطول الأمطار مرة أخرى وهكذا .

وقد تنبه سكان العيينة إلى عدم الاعتماد بصفة أساسية على مياه الأمطار ، وإلى ضرورة تنويع مصادر الاقتصاد ، فتطلعت أنظارهم للأعمال التجارية ، ليس في الداخل فقط ، وإنما في الخارج أيضاً ، لذا ازدهرت الحركة التجارية الخارجية مع الهند وإيران والعراق والشام وغيرها ، وكان لتلك الحركة عائد مادي مهم .

كما اهتم سكان العيينة بالاستثمار الزراعي خارج العيينة في مناطق ذات مصادر مياه غنية وثابته كالأحساء ، وذلك بالإضافة إلى أنه كانت هناك مصادر أخرى تدعم اقتصاد العيينة في ذلك الوقت كأعمال الحدادة والنجارة والغزل الذي يقوم بها بعض سكان العيينة . وبعد توحيد المملكة بدأ دخل الفرد في الارتفاع نتيجة للأمن والاستقرار ، ثم لزيادة دخل الدولة من الزيت ، وتوفر فرص العمل ، وانعكس ذلك الرخاء على كافة عناصر النشاط الاقتصادي في العيينة ، والتي سنتطرق لكل منها على حدة ، وسنعطي نبذة تاريخية عن ذلك النشاط الذي كان سائداً في العيينة قديماً وبالتحديد فيما بين عامي ٨٥٠هـ وحتى آخر القرن الثالث عشر الهجري .

ثم نستكمل حلقات ذلك النشاط في العهد الحديث اعتباراً من عام ١٣٥٣هـ حتى الآن .

وهناك عوامل طبيعية وبشرية تؤثر على النشاط الاقتصادي في العيينة ، وأهم هذه العوامل :

١- الموقع:

لموقع العيينة أثره البالغ على أشكال النشاط الاقتصادي ، فتربعها على أعالي وادي حنيفة وقربها من الحواضر ، واختراق وادي حنيفة وروافده أغلب أراضيها واحتضانها كميات من مياهه الجوفية والسطحية ، وهي أهم مصادر الإنماء والنماء ، انعكس ذلك كله على نشاطها الاقتصادي .

٢- المناخ:

يؤثر المناخ على الاقتصاد تأثيراً واضحاً ، فلعوامل المناخ من حرارة وضوء أثره في الإنتاج الزراعي . كما أن كميات الأمطار وأوقات هطولها تؤثر على حجم الزراعة والرعي ، وللرياح تأثيرها كذلك ، ويتم تلافي وتقليل خطرها بعمل مصادات الرياح من أشجار الأثل وغيرها ، وتنمو في مناخ العيينة كثير من الأشجار المعمرة ، وبعض النباتات الموسمية والزراعة البعلية ، وتنوع المحاصيل الزراعية والحاجة للمياه صيفاً وشتاءً كل هذه الأمور تشير إلى تأثير المناخ على النشاط الاقتصادي .

٣- السطح :

يتمثل تأثير السطح على النشاط الاقتصادي في تأثير السلاسل الجبلية المحيطة بالعيينة على أمنها كجزء من الحماية الطبيعية لها ، كما تنحدر السيول التي تهطل عليها على حوض العيينة حسب خط تقسيم المياه ، وتستخدم الحجارة المأخوذة من المحاجر في الجبال في عدة مجالات ، وتدخل في بعض الصناعات وأعمال الإنشاء والتعمير ، وتستخدم الدروب والطرق في الجبال لأغراض النشاط الاقتصادي ، وفي حوض العيينة عدد من الطرق والدروب منها ثنية الأحيسي (سبع الملفات) وثنية غرور وثنية فهرين وأم الغبطان والأبكين ودرب سدوس ودرب الطرف ودرب ملهم وغيرها . كما يستفاد من السهول والمصاطب في

الزراعة والعمران باستخدام الطين ، ويستفاد من الروضات في الرعي والزراعة ، وهكذا يتضح التأثير القوي للسطح على النشاط الاقتصادي .

٤- المياه :

تعتبر العيينة من أغنى بلدان أعالي وادي حنيفة بالمياه سواء السطحية أو العميقة أو السيول أو مياه العيون وهذه المصادر المائية هي عصب الحياة . وقامت فيها مشاريع إنشائية للاستفادة من مياه الأمطار ، مثل حكر (ابن معمر) وخزان العين وغيرهما من الأعمال الإنشائية ، وأثرت وفرة المياه فيها على نشاطها الاقتصادي بشكل واضح .

٥- التربة :

التربة من أهم العوامل المؤثرة في النشاط الاقتصادي والزراعي لأي بلد ، وتربة العيينة تربة زراعية جيدة ، ولا تخلو من تربة رملية بدرجاتها المختلفة ، وبشكل عام فتربة العيينة سهلة الخدمة وجيدة للزراعة والاستصلاح . وقد تمت الاستفادة من تربتها في إقامة بعض المنشآت كالأسوار والمباني لأغراض عديدة .

٦- النباتات الطبيعية :

يتوفر بالعيينة نباتات طبيعية عديدة في وادي حنيفة وروافده ، استخدمت لأغراض اقتصادية كصناعة الأواني والأبواب والوقود ، والرعي عليها وعلى الأعشاب الموسمية ، كما استخدمت لأغراض طبية وعطرية . . إلخ .

٧- العوامل البشرية :

العوامل البشرية هي أهم العوامل المؤثرة على النشاط الاقتصادي باعتبار الإنسان هو العنصر المنتج والمستهلك على حد سواء ، وأسهمت العوامل السابقة مع غيرها من العوامل في دفع اقتصاد العيينة إلى الأمام .

١- النشاط التجاري في العيينة

يعد النشاط التجاري من أهم مصادر اقتصاد العيينة ، وقد أثرت مجموعة من العوامل على نشاط حركة الاستيراد والتصدير منها وإليها فهي تستورد بعض بضائعها بأيدي أبنائها من دول عديدة كالهند وبلاد فارس والشام والحجاز واليمن وبعض البلدان الأفريقية وغيرها ، ويتم الاستيراد من تلك البلدان مباشرة أو عن طريق طرف ثالث وذلك قبل قيام الدولة السعودية الأولى .

وكان لا بد للعيينة من علاقات جيدة فيما مضى مع الإحساء حتى تسهل عملية الاستيراد والتردد على سواحله ، وقد استخدم حاكم الأحساء متاجرة العيينة عن طريق بلدانه في الضغط على أميرها للتخلي عن الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، وذلك أثناء احتضانه للدعوة الإصلاحية ، وهدد بإغلاق سواحل الأحساء والقطيف وسواحل قطر كالزبارة وغيرها أمام تجار العيينة[١] . وكان تجار العيينة يستخدمون تلك السواحل للمتاجرة مع البلدان الآسيوية بشكل عام والهند بشكل خاص . وقد تطرق مؤلف «لمع الشهاب» لبعض تجارة أهل نجد بقوله : « ومن صفات أهل نجد التجارة فإن كثيراً منهم يسافرون إلى أطراف الروم وبقية جزيرة العرب ويأتون من حلب والشام بالبز والحرير وغيره ، وكذا بالنحاس والحديد والرصاص ، كما سار أهل نجد بخيل عتاق إلى أطراف ملك الروم ، بغرض التجارة لأن خيلهم مرغوب فيها ، وقد سافر أهل نجد إلى أرض مصر لكنهم لا يشترون منها إلا السلاح والمرجان ، ويأتون من اليمن بالقهوة . واعلم أن أجناس الهند (أي منتجات الهند) مثل السكر وبلوج والهيل وقرنفل وقرفة والفلفل وكركم ونحو ذلك الأجناس كلها مرغوب فيها عند أهل نجد ، وأكثر هذه يجلبونها من بنادر اليمن ويأتيهم من طريق القطيف والبحرين شيء كثير »[٢] .

هذا عن تجارة أهل العيينة الخارجية ، أما تجارتهم مع البلدان النجدية والبوادي أو ما يسمى التجارة الإقليمية ، فقد كانت تعتمد على تصريف البضائع التي يتم استيرادها من الخارج أو تبادل تجاري بين العيينة والحواضر النجدية أو تموين قوافل

(١) لمع الشهاب ، ص ٣٢ .
(٢) المصدر السابق ، ص ١٩٠-١٩١ .

الحج المتجهة من الأحساء إلى مكة المكرمة والعكس ، وقد تزودت تلك القوافل بالمؤن وأغلب احتياجاتها من العيينة وبعض بلدان العارض ، وحدث ذلك في الأعوام ١١٢٠هـ[١] ، ١١٢٢هـ ، ١١٢٧هـ[٢] ، ١١٣٣هـ[٣] .

وقد أشار مرتضى بن علوان إلى قوتها الاقتصادية حينما زارها عام ١١٢٢هـ مع قافلة الحج الأحسائية ووصف أثناءها الحركة التجارية بالعيينة بقوله : « وفي هذه البلاد أرزاق وخيرات كثيرة »[٤] . وكان ذلك في زمن أميرها عبد الله ابن محمد بن معمر المتوفي عام ١١٣٨هـ الذي قال عنه الفاخري : « لم يذكر في زمنه ولا قبله في نجد من يدانيه في الرئاسة ولا سعة الملك والعدد والعدة والعقارات والأثاثات »[٥] . ودلالة على قوة العيينة الاقتصادية تمكنها من تغطية بعض تكاليف حملة الشريف زيد بن محسن على نجد عام ١٠٥٧هـ بأموال كثيرة وثلاثمائة حمل من الأطعمة والمؤن[٦] .

ونشطت الحركة التجارية المحلية في العيينة نفسها ، وكانت تباع المنتجات المحلية والمحاصيل الزراعية والبضائع المستوردة بين السكان أنفسهم أو بين أهل العيينة والبلدان التابعة لها والقريبة منها ، كسدوس وحزوى والجبيلة وحريملاء وملهم والقرينة والعمارية وغيرها من البلدان .

كما كانت حركة التبادل التجاري نشطة مع البوادي ، إذ يقصد العيينة عدد من القوافل البدوية لشراء ما يحتاجونه منها ، فهذه قافلة الظفير القبيلة المشهورة تُيمم شطر العيينة للتزود بالأطعمة وذلك عام ١١٠٧هـ[٧] . وكان أغلب إقامتها حول

---

(١) محمد بن ربيعة العوسجي ، تاريخ ابن ربيعة ، تحقيق عبد الله الشبل ، إصدارات النادي الأدبي بالرياض ، ١٤٠٦هـ ، ص ٨٣ .
(٢) ابن بشر ، جـ٢ ، ص ٣٦١ .
(٣) الفاخري ، ص ٩٧ .
(٤) رحلة مرتضى بن علوان ، مخطوطة في مكتبة برلين برقم ٦١٣٧ ، حوادث عام ١١٢٢هـ .
(٥) الفاخري ، ص ١٠٠ .
(٦) ابن بشر ، جـ٢ ، ص ٣٢٥ ، الفاخري ، ص ٧١ .
(٧) تاريخ ابن عباد ، حوادث عام ١١٠٧هـ .

العيينة ، لتكون على مقربة من التزود باحتياجاتها ، والبيع والشراء ، وكذا غيرها من البوادي .

ويقصد أهل البوادي العيينة للتزود بالاحتياجات الضرورية والملابس والأطعمة وخاصة التمور والحبوب ولبيع منتوجاتهم وخاصة السمن والأقط والأصواف وبعض الحيوانات .

وكانت طرق القوافل التجارية من وإلى العيينة آمنة في ذلك الزمن ولم تسجل المصادر التاريخية ما يعكر صفو ذلك إلا حادثتين عام ١٠٧٢هـ[١] ، وعام ١١٤٤هـ[٢] والتجارة سواء كانت محلية أو إقليمية أو خارجية تعتبر العمود الفقري لاقتصاد العيينة التي تربعت على قمة التجارة بين البلدان النجدية في ذلك الوقت .

أما بعد عودة الحياة للعيينة عام ١٣٥٣هـ بعد توحيد أجزاء البلاد على يد المغفور له الملك عبد العزيز ورجاله المخلصين وانتشار الأمن ، بدأ سكان العيينة نشاطهم التجاري من خلال الترابط مع التجار الآخرين ببلدان ومناطق المملكة الذين تجمعهم الوحدة الاقتصادية لنظم وتعليمات الدولة . فقاموا بجلب كل ما يحتاجونه من خارج العيينة ، وقامت بعض المحلات التجارية التي توفر بعض الاحتياجات للسكان ، ثم توسعت تبعاً لتوسع البلد وكثرة سكانه ، ومع التنمية الحديثة التي شملت جميع مدن وقرى المملكة انتشرت الأعمال التجارية في العيينة وتنوعت مؤسسات الخدمات التجارية والعمرانية والزراعية ، وانتشرت المحلات التجارية على الشارع العام ، وكذلك المطاعم ومحطات الوقود ، والتي يبلغ عددها الآن أربع محطات نصفها في الجبيلة وافتتح فرع لأحد البنوك ، ثم في عام ١٣٨٥هـ أنشئت الجمعية التعاونية متعددة الأغراض التي قامت بدور كبير في المجال التمويني والتجاري ، كما أسهمت كلية الملك عبد العزيز الحربية في الازدهار التجاري ، وبالتالي انتشار المحلات التجارية في العيينة ، إذ يفضل بعض منسوبي الكلية التسوق من محلات ومتاجر العيينة ، ويعمل كثير من سكان العيينة في الأعمال الحكومية ، وخاصة في الدوائر الحكومية التي أقيمت في العيينة ، كالمركز الإداري (الإمارة) - والشرطة والتعليم والزراعة والمحكمة والبريد والبلدية وغيرها .

---

(١) الفاخري ، ص ٧٣ .

(٢) ابن بشر ، جـ٢ ، ص ٣٧٤ ، والفاخري ، ص ١٠٣ .

٢- الإنتاج الزراعي في العيينة

يعتبر الإنتاج الزراعي ثمرة التفاعل بين قدرات المزارع الفنية وبين عوامل البيئة الطبيعية التي يعيش فيها . تلك العوامل هي التي تحدد أنواع الإنتاج الزراعي وكميته (١) .

وقد استثمر سكان العيينة جهودهم بما يتوافق مع طبيعة الأرض ، ونوعية تربتها ، والنبات الذي ينمو فيها مما ساعد على زيادة الإنتاج الزراعي فيها كماً وكيفاً .

وتتأثر الزراعة في العيينة سلباً وإيجاباً بمقومات وعناصر الإنتاج الزراعي كما تتأثر المزروعات بالأمراض والآفات الزراعية ، كما حصل عام ١١٠٠هـ حيث أصاب زروع العيينة مرض الصفار (٢) .

وفي عام ١١١١هـ اضطر سكان العيينة إلى نقل الطعام من سدير (٣) . ربما لتأثر الموسم الزراعي ذلك العام بآفات الأمراض الزراعية ، والزراعة في العيينة تدخل تحت نوع الزراعة المستقرة ، كما تقوم فيها زراعة بعلية وهي زراعة موسمية بعد سقوط الأمطار في فصل معين من فصول السنة ، وتنتشر الزراعة البعليه في العيينة وقراها في روضة عقرباء ، وفي جو حول ساقي العين وبعض الرياض في ظهرة سدحة وروضة الحيسية .

أما عن المحاصيل الزراعية في العيينة فلا تختلف عن المحاصيل الزراعية في بقية الأقاليم النجدية ، هناك مزروعات معمرة ومزروعات موسمية ، أشهر الأولى شجرة النخيل التي توفرت لها التربة الجيدة والماء الوفير والعناية المناسبة حتى جادت ثمرتها ، حيث بلغ إنتاج النخلة من نوع الجفير خمسمائة وزنة والتين والرمان والعنب والخوخ والمشمش والأترج والمحاصيل الموسمية مثل القمح والذرة والشعير والخضار والثمار والورقيات والبقوليات وحينما زارها مرتضى بن علوان

(١) جغرافية شبة جزيرة العرب ، جـ٢ ، ص ٢٥٥ .

(٢) تاريخ ابن عباد ، حوادث عام ١١٠٠هـ .

(٣) أحمد بن محمد المنقور ، تاريخ ابن منقور ، تحقيق عبد العزيز الخويطر ، الرياض ، ١٣٩٠هـ . ص ٧٤ .

عام ١١٢٢هـ قال : «وفيها من الحمض الكباد (الأترج) والنفائل ما لا يوجد مثله إلا في صالحية دمشق الشام»(١) . كما تنتشر زراعة البرسيم «القت» فيها ، ولقد أشار الرحالة الذين زاروا العيينة إلى بعض منتجاتها الزراعية فقال عنها الكابتن سادلير الذي مر بها عام ١٢٣٤هـ : «وفي العيينة مساحات واسعة من مزروعات النخيل والتين» (٢) . ولوريمر قال عن محصولات العيينة والجبيلة : «بها الحبوب كالقمح والذرة البيضاء والشعير والبرسيم والبطيخ الأصفر والأحمر» (٣) .

وحينما تطرق مؤلف كتاب لمع الشهاب لأمير العيينة عثمان بن معمر قال : «بلاده أكبر مدن نجد وأكثرها محصولاً وخراجاً»(٤) ، فكثرة محصولها دليل على وفرة إنتاجها الزراعي . ولم يقتصر أهل العيينة على الإنتاج الزراعي فيها وفي قراها وذلك تلافياً للجفاف أو أمراض أو آفات زراعية بل تجاوزوا ذلك إلى الاستثمار الزراعي في بلدان قريبة وبعيدة كضرماء وملهم والقرينة والأحساء ، وقد أشار إلى بعض تلك الاستثمارات مؤلف كتاب لمع الشهاب بقوله : « وكان لابن معمر عثمان في الأحساء ملك نخيل وأرض رز ، توارثها عن أكابره وأجداده ، يبلغ محصولها كل عام ستين ألف ريال ذهب» (٥) . واطلعت على وثائق عن أملاك زراعية لأسرة آل معمر في ملهم والقرينه وضرما والأحساء من زمن قديم . ولا شك أن بيت مال العيينة استفاد من النهضة الزراعية فيها على شكل زكاة تدعم اقتصادها في ذلك الوقت .

وبعد عام ١٣٥٣هـ إثر عودة الحياة من جديد للعيينة ، وكان أكثر سكانها في ذلك الوقت قد عملوا بالزراعة واعتمدوا عليها اعتماداً كلياً فنشطوا في الزراعة ، وفي تنوعها أيما نشاط ، وكان الاعتماد على القوى البشرية والحيوانية كعنصر أساسي في الزراعة ، وفي آخر عام ١٣٦٧هـ دخلت العيينة أول آلة لاستخراج

(١) ابن علوان ، حوادث عام ١١٢٢هـ .
(٢) سادلير ، ص ٨٦ .
(٣) دليل الخليج ، ص ٩٥٢ ، ٩٥٣ .
(٤) لمع الشهاب ، ص ٣١ .
(٥) نفس المصدر السابق ، ص ٣٢ .

المياه من الآبار في مزرعة الحديثية ، التي تخص والد المؤلف بمشاركة عبد الله ابن عثمان ، وبدأ بعد ذلك بعض المزارعين الميسوري الحال بإدخال الآلة الزراعية الخاصة باستخراج المياه مما زاد في كمية الإنتاج . وبعد دعم الدولة للقطاع الزراعي أخذت الزراعة في العيينة شكلاً آخر ، إذ دخلت مرحلة جديدة من الإنتاج والتوسع في الإنتاج الزراعي والحيواني ، واتسعت الرقعة الزراعية فيها فوصلت في حوض العيينة ما يقارب من ٢٧٩٧٦٠٠٠م٢ وبلغ عدد المزارع ٢٥٠ مزرعة .

وبلغت مساحة المزارع والأراضي الزراعية في مدينة العيينة ١٥٩٧٦٠٠٠م٢ كما اعتمدت بعض المزارع على القوى الميكانيكية مع القوى البشرية في الأعمال الزراعية والإنتاج الزراعي ، وتنوعت المحاصيل الزراعية ودخلت محاصيل جديدة وأشجار جديدة مجال الزراعة والاستثمار الزراعي ، وكان أهم محاصيلها الزراعية التمور إذ بلغ عدد أشجار النخيل في حوض العيينة ٢٧ ألف نخلة وأشجار الفاكهة ١٩ ألف شجرة(*) وأهم أنواعها العنب والرمان والخوخ والمشمش والحمضيات والتين والجوافة وغيرها ، كما تشتهر العيينة كذلك بإنتاج محاصيل زراعية كالحبوب والخضار والثمار التي تأخذ طريقها لأسواقها والأسواق الأخرى القريبة منها ، وإن كانت العاصمة تستأثر بنصيب الأسد من ذلك الإنتاج الزراعي .

(*) مصدر هذه المعلومات فرع وزارة الزراعة والمياه بالعيينة .

٣- الصناعات والحرف في العيينة

تواكب الصناعة في العيينة تطور البلد في شتى المجالات ، فانتشرت الحرف والصناعات اليدوية فيها وفي قراها ، وأسهمت في سد حاجة السكان من بعض المصنوعات التي تستلزمها حياتهم ، ويتم تصدير الفائض إلى الحواضر القريبة ، واشتهرت بعدد من الصناعات والحرف اليدوية ، أهمها الصناعة المعدنية ، والتي تقوم بها طبقة اجتماعية تتوارث هذه الحرفة ، وتستورد معظم المواد والخامات الأولية أو نصف المصنعة من خارج العيينة . وأهم الصناعات المعدنية الصناعة العسكرية (الحربية) والتي تحظى برعاية أمراء البلد كصناعة الأسلحة وذخائرها والسيوف والأسهم والرماح وأحذية الخيول وغيرها من الصناعات العسكرية ، وقد ذكر بلجريف أن عدد الحدادين بلغ ستمائة رجل في العيينة [١] .

كما صنع بها كثير من الأدوات النحاسية ، وتقوم فيها صناعة الحلي الذهبية والفضية ، وغيرها .وتبرز الصناعات الخشبية كإحدى أهم الصناعات في العيينة ، وتعتمد على الأشجار المتوفرة في مزارعها وأوديتها كالأثل والنخيل والطلح والسدر ، وتقوم عليها صناعات الأبواب والشبابيك وسقوف المنازل وأدوات استخراج الماء من الآبار كالمحال وغيرها ، كما تصنع الهوادج والشداد والأواني الخشبية والسلال والحبال من جريد النخيل وسعفه وليفه وغيرها من الصناعات الخشبية .

وهناك صناعات فخارية وحجرية كأدوات حفظ الماء وتبريده ومطاحن الحبوب الحجرية وحرفة قطع الحجارة من الجبال المحيطة ، وصناعة الجص وغيرها .

كما تنتشر الصناعات الجلدية والمنسوجات مثل الدّلاء والغُروب لاستخراج المياه من الآبار ، والقرب لحفظ الماء ، والأحذية والأحزمة والخروج . . وغيرها من الصناعات الجلدية ، وكذا الصناعات القطنية والصوفية والوبرية كل هذه الصناعات أسهمت في إيجاد عمل لشريحة كبيرة من سكان البلدة ، وترتب عليها زيادة في دخلهم ورفع مستواهم المعيشي ، كما أسهمت في سد احتياج العيينة وقراها من هذه الصناعات ، ويقوم الصناع والحرفيون بصيانة المنتجات كل في مجاله .

---

(١) بلجريف ، ٣٧٤ .

٣-الصناعات والحرف في العيينة

تواكب الصناعة في العيينة تطور البلد في شتى المجالات ، فانتشرت الحرف والصناعات اليدوية فيها وفي قراها ، وأسهمت في سد حاجة السكان من بعض المصنوعات التي تستلزمها حياتهم ، ويتم تصدير الفائض إلى الحواضر القريبة ، واشتهرت بعدد من الصناعات والحرف اليدوية ، أهمها الصناعة المعدنية ، والتي تقوم بها طبقة اجتماعية تتوارث هذه الحرفة ، وتستورد معظم المواد والخامات الأولية أو نصف المصنعة من خارج العيينة . وأهم الصناعات المعدنية الصناعة العسكرية (الحربية) والتي تحظى برعاية أمراء البلد كصناعة الأسلحة وذخائرها والسيوف والأسهم والرماح وأحذية الخيول وغيرها من الصناعات العسكرية ، وقد ذكر بلجريف أن عدد الحدادين بلغ ستمائة رجل في العيينة (١) .

كما صنع بها كثير من الأدوات النحاسية ، وتقوم فيها صناعة الحلي الذهبية والفضية ، وغيرها .وتبرز الصناعات الخشبية كإحدى أهم الصناعات في العيينة ، وتعتمد على الأشجار المتوفرة في مزارعها وأوديتها كالأثل والنخيل والطلح والسدر ، وتقوم عليها صناعات الأبواب والشبابيك وسقوف المنازل وأدوات استخراج الماء من الآبار كالمحال وغيرها ، كما تصنع الهوادج والشداد والأواني الخشبية والسلال والحبال من جريد النخيل وسعفه وليفه وغيرها من الصناعات الخشبية .

وهناك صناعات فخارية وحجرية كأدوات حفظ الماء وتبريده ومطاحن الحبوب الحجرية وحرفة قطع الحجارة من الجبال المحيطة ، وصناعة الجص وغيرها .

كما تنتشر الصناعات الجلدية والمنسوجات مثل الدّلاء والغُروب لاستخراج المياه من الآبار ، والقرب لحفظ الماء ، والأحذية والأحزمة والخروج . . وغيرها من الصناعات الجلدية ، وكذا الصناعات القطنية والصوفية والوبرية كل هذه الصناعات أسهمت في إيجاد عمل لشريحة كبيرة من سكان البلدة ، وترتب عليها زيادة في دخلهم ورفع مستواهم المعيشي ، كما أسهمت في سد احتياج العيينة وقراها من هذه الصناعات ، ويقوم الصناع والحرفيون بصيانة المنتجات كل في مجاله .

(١) بلجريف ، ٣٧٤ .

٤ - الحياة النباتية والرعوية في العيينة

تطرقنا إلى أودية العيينة وشعابها وما فيها من حياة نباتية غنية أسهمت في إمداد اقتصاد العيينة بمورد هام ودائم من الأخشاب التي استعملت في الأعمال الزراعية ، وفي صناعة الأواني والأدوات المنزلية وفي أعمال الإنشاء والتعمير وكوقود وبالأخص أشجار الطلح ، وفي فصل الربيع وخاصة بعد موسم سقوط الأمطار تزدهر الحياة النباتية الموسمية والمعمرة وتقوم عليها حرفة الرعي ، ولا يكتفي السكان بالرعي بل يقومون بعضد النباتات الموسمية وحفظها وتجفيفها في أماكن خاصة ليطعموها لحيواناتهم عند قلة المرعى في فصل الصيف ، وانتشرت تربية الضأن والمعز في العيينة وتربية الإبل وتركها ترعى في شعاب البلد ووديانها ، كما يشارك البوادي الاستفادة من نباتات المنطقة فيقومون برعي حيواناتهم فيها . واقتصرت تربية الأبقار في الدور والمزارع بشكل استثماري للاستفادة من إنتاجها الحيواني ، والألبان .

وكان الاهتمام بالخيل يفوق الاهتمام ببقية الحيوانات الأليفة الأخرى ، واشتهرت سلالات من الخيل في العيينة مثل سلالة (المعمرية) نسبة لأسرة آل معمر ، والتي كان يتوارثها فرسان الأسرة وأمراؤها إلى أن انقرضت بعد عام ١٢٨٣هـ وكانت الخيل تربى في اسطبلات خاصة في العيينة ، بقى بعض آثار هذه الاسطبلات ، وأحدها يسمى اليوم بحوش الخيل الواقع في حي الطرف على الطريق العام ، وهو بناء مستطيل يبلغ أقصى ارتفاع لسوره ٥,٧٠ متراً وطول ضلعه الشمالي ٤٦,٨٠ متراً والجنوبي ٤٧,٢٠ متراً والشرقي ٣٢,١٠ متراً والغربي ٣١,٢٠ متراً . وفي فصل الربيع يتم اختيار مناطق رعوية معينة ترسل لها الخيل للرعي .

وقد مدح الشعراء خيل العيينة وفرسانها يقول حميدان الشويعر من قصيدة يمدح بها أمير العيينة عبد الله بن معمر :

وأن دلبحت ركاب خيله عن القنا وراحن طفح عن حنايا كرايسه
له سابق لا شافت الخيل مدبحه فهي فيه عرجاً للملابيس دايسه

وكانت حيوانات العيينة وخاصة الإبل والأغنام توضع عليها علامة تسمى

وسمًا حتى تسهل معرفتها ، وكان لكل قبيلة وأسرة وسم خاص بهم ووسم آل معمر المطرق والباكورة على هذا الشكل ( ) يوضع على الفخذ الأيمن للجمل أو الناقة .

لقد أسهمت الحياة النباتية والرعوية في إمداد اقتصاد العيينة بمورد مهم ، أسهم في تحسين مستوى اقتصادها في ذلك الحين ، وفي السنوات الأخيرة تأثرت الحياة النباتية نتيجة القطع الجائر للأشجار والنباتات المعمرة ، واختفت غابات كاملة كغابة أشجار الغاف ، وتضررت أشجار الطلح ونقص عددها ، وقامت وزارة الزراعة والمياه في عام ١٤١٣هـ بمشروع جيد وهو إعادة تشجير شعيب الحيسية حيث تمت زراعة ٢٧ ألف شجرة ، وحمي جزء من شعيب الخميرة عام ١٤١٤هـ وجزء من الروضة في العام نفسه ، ولا تزال عملية الرعي جارية في شعاب العيينة بالرغم مما تسببه من تلف وتعرية للغطاء النباتي .

وتطورت أساليب تربية الحيوانات عما كانت عليه قديماً ، وأصبحت تلقى دعماً وتشجيعاً من الدولة وعناية بيطرية من فرع وزارة الزراعة والمياه فيها ، ولا تزال غابات العيينة تشكل منطقة ترويحية ومتنزها لسكانها ، ولبعض من سكان العاصمة الرياض ، إلا أنها بحاجة ماسة للحماية من بعض عوامل الفناء البشرية والطبيعية التي تسهم في تدميرها .

٥- مصادر أخرى للاقتصاد وأوجه الإنفاق في العيينة

إن تعدد مصادر اقتصاد العيينة ضمن لخزينتها دخلاً كافياً ، وكفل لها مكانة اقتصادية مرموقة ، ويقتصر الكلام هنا على العيينة قديماً ، ومن مصادر الدخل الأخرى في ذلك الوقت للفترة من عام ٨٥٠هـ إلى آخر القرن الثالث عشر الهجري الآتي :

أ- الزكاة :

تعتبر الزكاة من الموارد المهمة لخزينة العيينة ، فهي تؤخذ من الأغنياء سواء كانوا تجاراً أو مزارعين أو رعاة . وترد للخزينة التي تصرفها في قنواتها ومجالاتها .

وكانت الزكاة تجبى بأمر من أمير العيينة ، ولقد أنكر بعض خصوم الدعوة الإصلاحية على أمير العيينة عثمان بن معمر جباية الزكاة[١] والتي يظهر أن الأمير توسع في جمعها مع بدء تطبيق الدعوة في العيينة .

ب- الغنائم :

وهي الأموال والممتلكات المنقولة والثابتة والتي كان يغنمها أمراء العيينة عند الحروب والاستيلاء على بعض البلدان ، وخاضت العيينة أكثر من ٥٠ معركة أو مواجهة بينها وبين بعض القبائل أو البلدان ، وكسبت العيينة جل هذه المعارك . وتشكل الغنائم دخلاً جيداً لخزينة واقتصاد العيينة .

جـ- العقوبات :

تؤخذ العقوبة التعزيرية المالية كردع وجزاء على كل من ارتكب جرماً ليس فيه قصاص ، أوحد أو أخل بالأمن أو مساعدة خصوم أو نتيجة تمرد أو نقض صلحاً ، سواء كان فرداً أو قبيلة أو بلداً . فقد صادر أمراء العيينة زروع بعض البلدان وثمارها وبعض حيواناتها عقوبة لأهلها[٢] على سبيل الردع والتنكيل .

---

(١) ابن غنام ، طبعة أبابطين ، جـ١ ، ص ٣٨ .

(٢) ابن ربيعه ، ص ٨٢ ، المنقور ، ص٧٩ ، ابن بشر ، جـ٢ ، ص ٣٦٢ ، ٣٤٠ ، ٣٥١ ، ابن عباد ، حوادث ١١٣٦هـ .

د- الغروبية :

وكان أمراء العيينة يدفعون الأرض لمن يقوم بزراعتها ، وفي المقابل يدفع لهم ربع الإنتاج ، وذلك مثل ما حصل في حريملاء عندما زرعها آل أبو ريشه ، وكذا في بعض مزارع الجبيلة [(١)] .

لقد تطرقت لمصادر الاقتصاد في العيينة ، والتي تميزت بتعددها وتنوعها مما كفل بقاء العيينة في مستوى اقتصادي متميز بين البلدان النجدية بالرغم من أوجه الإنفاق العديدة التي تواجهها خزينة إمارة العيينة وأهمها :

١- الإنفاق على الغزوات والحروب :

تحظى تعبئة الجيوش (المواجهات العسكرية) باهتمام أهل البلد ، فتنفق الأموال بسخاء وترخص من أجلها الدماء والأنفس ، سيما إذا كانت لرد العدوان وإحقاق الحق .

٢- الإنفاق على العلم وطلابه :

لقد استقطبت العيينة العلماء حتى زاد عددهم على الثمانين عالماً ، يؤلفون ويفتون ويعلمون ، وللقارئ الكريم أن يتخيل عدد الطلاب الذين يتلقون العلم عن أولئك العلماء ، وما يحتاجونه من نفقة طيلة فترة التعليم ، ولا شك أن خزينة إمارة العيينة أسهمت في ذلك الإنفاق سيما في عهد أميرها عبد الله بن معمر الذي جهد في إظهار الدين ونشره بتشجيع تعلمه وتعليمه . وأثنى حميدان الشويعر على جهود الأمير لنشر العلم حينما وصفه بأنه «أحيا من الدين دارسَه» [(٢)] .

٣- الإنفاق على الأعمال الإنشائية :

لا ريب أن الأعمال الإنشائية العامة كالسدود والأسوار والطرق والمسايل وغيرها ، والتي يستفيد منها كافة سكان المدينة أو غالبيتهم ، يكلف تموينها وصيانتها نفقات مالية كبيرة ، وقدمت العيينة الكثير من تلك الأموال لإنشاء السدود والمسايل وإقامة الأسوار وغيرها .

---

(١) وثائق المؤلف .

(٢) خالد محمد الفرج ، ديوان النبط ، مطبعة الترقي بدمشق ، ١٣٧١هـ ، ص ٤٣ .

٤- نفقات أخرى:

هناك نفقات عديدة أهمها استضافة بعض أمراء البلدان ، وخصوصاً عندما ينتقلون للعيينة ، فهم يحتاجون لنفقات كبيرة تناسب مكانتهم الاجتماعية والسياسية ، ووفد للعيينة عدد منهم أهمهم وأبرزهم :

أ- ربيعة بن مانع المريدي:

انتقل ربيعة بن مانع أمير الدرعية إلى العيينة بعد خلاف على السلطة بينه وبين ابنه موسى بن ربيعه ، فانتقل إلى العيينة ، فآواه وأكرمه أميرها حمد بن حسن بن طوق التميمي جد آل معمر واستقر عنده لحسن العلاقة بينهما (١) .

ب- محمد وناصر آل شقير:

هم أهل وأمراء بلدة حوطة سدير غدر بهم آل عهبول عام ١١٠٧هـ فخرجا من بلدتهم واتجها للعيينة في زمن أميرها عبد الله بن معمر وأقاما فيها حتى عام ١١١١هـ حيث خرجا باتجاه سدير فاعترضهما أهل عودة سدير وقتلوهما (٢) .

جـ- موسى بن ربيعه:

تولى موسى إمارة الدرعية عام ١١٢١هـ ثم حصل خلاف على السلطة في الدرعية فاتجه الأمير موسى إلى أمير العيينة عبد الله بن معمر واستقر عنده ، إلى أن قتل في العيينة عام ١١٣٩هـ إبان إمارة محمد بن حمد بن معمر بعيار طائش أثناء مقتل أمير الدرعية زيد بن مرخان (٣) .

---

(١) ابن بشر ، جـ٢ ، ص ١٤ ، ابن عيسى ، تاريخ بعض الحوادث الواقعة في نجد ، الرياض ، ١٣٨٦هـ ، ص ٣٦ ، ٣٧ .

(٢) الفاخري ، ص ٨٧ ، ٨٩ ، المنقور ، ص٧٢ ، ٧٥ ، ابن بشر ، جـ٢ ، ص٣٤٧ ، ٣٤٩ .

(٣) ابن بشر ، جـ٢ ، ص ٣٦٨ ، ٣٦٩ .

الفصل الخامس

معالم العيينة

▪ أولاً - المعالم القديمة :

- الكتابات القديمة
- مقبرة الصحابة (رضي الله عنهم)
- أسوار العيينة (الحوامي)
- مسجد العيينة القديم
- قصر الأمير عثمان بن معمر
- حكر ابن معمر (السد)
- عين ابن معمر
- خرز عين مصيقرة
- المَراقب

▪ ثانياً - المعالم الحديثة :

- القرية الشمسية
- كلية الملك عبد العزيز الحربية
- أنابيب الزيت

الفصل الخامس

معالم العيينة

مقدمة:

احتضنت العيينة العديد من المعالم التي تميزها عن غيرها من البلدان ، وقد انفردت ببعض المعالم ، كما اشتركت مع بعض الحواضر في معالم أخرى ، لكن بقي لمعالمها طابعها الخاص ، ويمكن تقسيم معالم العيينة قسمين :

أحدهما : معالم قديمة مثل :

١- الكتابات القديمة .
٢- مقبرة الصحابة .
٣- أسوار العيينة (الحوامي) .
٤- مسجد العيينة القديم .
٥- قصر الأمير عثمان بن معمر .
٦- حكر ابن معمر (السد) .
٧- عين ابن معمر .
٨- خرز عين مصيقرة .
٩- المراقب .

وثانيهما المعالم الجديدة ؛ وأهمها :

١- القرية الشمسية .
٢- كلية الملك عبد العزيز الحربية .
٣- أنابيب الزيت .

وسنفصل القول عن كل هذه المعالم لنعطي عنها فكرة للقارئ الكريم(*) ، وسنربط ذلك ببعض الخرائط والصور الفوتوغرافية في آخر هذا الكتاب ، والتي قام المؤلف بتصويرها أو حصل عليها من الجهات المختصة .

(*) بعض هذه المعالم تطرقنا لها في فصول سابقة سنشير إلى ذلك عند الحديث عنها .

أولاً : المعالم القديمة

١- الكتابات القديمة :

يدل وجود الكتابات والنقوش القديمة على قدم التحضر في المنطقة ، وتكشف جوانب تاريخية مهمة عن المنطقة قديماً ، إذا تمت دراستها من قبل المختصين ، وقد عثر مؤلف هذا الكتاب بتاريخ ١/ ٨/ ١٤١١هـ على حروف قديمة في أعلى السلسلة الجبلية التي تقع جنوب وادي صفار في العيينة وقد أشرنا لذلك آنفاً (١) .

وقد نقشت هذه الحروف على صخور كبيرة ملساء ، يغطي جزءٌ كبيرٌ منها بقايا رجم أو مرقب قديم لا أستبعد أن بعضاً من هذه الحروف تقع تحت حجارته . وبين الأحجار التي نقشت عليها الحروف وبين سفح الجبل أماكن كانت توجد بها قديماً صخور امتداداً لتلك التي عليها الكتابات ، ولكنها نقلت في فترات زمنية مجهولة لاستخدامها لأغراض البناء والتشييد ، ولا أستبعد أيضاً أن تلك الصخور المنقولة كانت تحمل بعض الكتابات والنقوش .

وتنتشر في أماكن إلى الشرق من هذا الموقع حروف قليلة منقوشة على صخرتين .

وفي اعتقادي أن المنطقة لا تخلو من كتابات ونقوش ، ولو قدر أن تقوم الجهات المختصة بمسحها لظفرت ببعض منها .

والحروف المنقوشة هي حروف مسند جنوبي ، يقدر عمرها بحوالي ثلاثة آلاف عام .

وحبذا لو تمت حمايتها وتسويرها إذ تعتبر من الآثار المهمة في بلادنا ، فربما تعطى دلالة تاريخية للعرب البائدة التي كانت تستوطن المنطقة في سالف الزمن .

٢- مقبرة الصحابة :

لقد دارت رحى حروب طاحنة في العام الحادي عشر للهجرة النبوية في مواقع متقاربة في اليمامة بين الجيوش الإسلامية وقوات بني حنيفة ، ومن معهم بقيادة مسيلمة الكذاب ، وأشهر تلك المواضع وادي حنيفة في أعلاه حول قريتي أباض

(١) انظر ، ص٧١ ، ص ١٥٤ من هذه الدراسة .

(بوضة) والهدار (الهديدير) وعقرباء (الجبيلة) وسلام وغيرها من المواقع كموقعة ملهم .

وسقط خلال هذه المواجهات عدد كبير من الشهداء غسلت دماؤهم الزكية كل آثار الردة فعاد أهالي المنطقة إلى الدين الخالص الذي لا تشوبه شائبة . وكان عدد الشهداء ألفاً ومائتي رجل[١] منهم عدد كبير من حفاظ القرآن الكريم ، وقتل من المهاجرين والأنصار من أهل المدينة ثلاثمائة وستون ، ومن المهاجرين من غير المدينة المنورة ثلاثمائة رجل[٢] . ومن أشهر هؤلاء الشهداء :

١- الصحابي الجليل زيد بن الخطاب أخو الخليفة الراشد عمر بن الخطاب رضي الله عنهما[٣] الذي كان قبره معروفاً لدى سكان المنطقة قديماً ، فقد دفن بجواره الشيخ أحمد بن يحيى بن عطوة التميمي قاضي العيينة الذي توفي عام ٩٤٨هـ[٤] وأقيمت قبة على قبر زيد هدمها الشيخ محمد ابن عبد الوهاب ، ومعه قوة من ستمائة رجل من أهل العيينة بقيادة الأمير عثمان بن معمر[٥] وكان ذلك في أثناء وجود الشيخ في العيينة ، وقبل مغادرته لها عام ١١٥٧هـ .

٢- ثابت بن قيس .

٣- عباد بن بشر الأنصاري ، وقد شارك في معركة بدر الكبرى .

٤- عباد بن الحارث الأنصاري ، وقد شهد موقعة أحد .

٥- عمير بن أوس بن عتيك الأنصاري ، وقد شهد أحداً .

٦- عامر بن ثابت بن سلمة الأنصاري .

٧- عمارة بن حزم الأنصاري .

---

(١) تاريخ الأمم والملوك ، جـ٢ ، ص ٢٥٤ .
(٢) الكامل في التاريخ ، جـ٢ ، ص ٣٦٥ .
(٣) المصدر نفسه ، ص ٣٦٦ .
(٤) علماء نجد ، جـ١ ، ص ٢٠٣ .
(٥) عنوان المجد ، طبعة مطابع القصيم ، جـ١ ، ص ١٢ .

٨- علي بن عبيد الله بن الحارث من بني عامر بن لؤي .

٩- عائذ بن ماعص الأنصاري ، وقيل : إنه قتل يوم بئر معونة .

١٠- فروة بن النعمان الأنصاري .

١١- قيس بن الحارث بن عدي الأنصاري عم البراء بن عازب .

١٢- سعد بن جماز الأنصاري .

١٣- سلمة بن مسعود بن سنان الأنصاري .

١٤- السائب بن عثمان بن مظعون الجمحي ، وهو من الذين هاجروا للحبشة ، وشارك في معركة بدر الكبرى .

١٥- السائب بن العوام أخو الزبير بن العوام لأبويه .

١٦- الطفيل بن عمرو الدوسي .

١٧- زرارة بن قيس الأنصاري .

١٨- مالك بن عمرو السلمي .

١٩- مالك بن أمية السلمي .

٢٠- مالك بن عوس بن عتيك الأنصاري .

٢١- معن بن عدي البلوي .

٢٢- مسعود بن سنان الأسود .

٢٣- النعمان بن عصر بن الربيع البلوي .

٢٤- صفوان بن عمرو السلمي .

٢٥- مالك بن عمرو السلمي .

٢٦- ضرار بن الأزور الأسدي .

٢٧- عبد الله بن الحارث بن قيس بن عدي السهمي ، وقيل : إنه قتل بالطائف .

٢٨- عبد الله بن مخرمة بن عبد العزى العامري .

٢٩- عبد الله بن عبد الله بن أبيّ بن سلول .

٣٠- عبد الله بن عتيك الأنصاري .

٣١- شجاع بن أبي وهب الأسدي .

٣٢- هريم بن عبد الله المطلبي القرشي .

٣٣- جنادة بن عبد الله المطلبي القرشي .

٣٤- الوليد بن عبد شمس بن المغيره المخزومي ابن عم خالد بن الوليد .

٣٥- ورقة بن إياس بن عمر الأنصاري .

٣٦- يزيد بن أوس .

٣٧- أبو حبة بن غزية الأنصاري .

٣٨- أبو عقيل البلوي .

٣٩- أبو قيس بن الحارث بن قيس بن عدي السهمي من المهاجرين إلى الحبشة .

٤٠- يزيد بن ثابت أخو زيد بن ثابت .

٤١- أبو دجانة الأنصاري ، وقيل : مات بعد ذلك (١) .

موقع مقبرة الصحابة :

لا أستبعد أن الشهداء من الصحابة الذين قتلوا في تلك المواقع دفنوا في عدة مقابر ، وأشهرها في عهدنا الحاضر هي مقبرة الصحابة التي في الجبيلة ، وخصوصاً التي تقع إلى الجنوب من البلدة القديمة ، وجنوب الوادي في جبانة مرتفعة مشهورة ، هذه المقبرة كانت أكبر مساحة مما هي عليه الآن ، وخصوصاً من الجهة الغربية التي تطل على وادي حنيفة ، وقد جرفت السيول الكثير من تربة هذه المقبرة ، وبالتالي جرفت العديد من القبور على مرور السنوات ، وقد وقفت عليها مراراً وكانت بقايا الهياكل العظمية الآدمية واضحة في فجوات القبور (اللحود) ومتساقطة على ضفة الوادي الشرقية تحت المقبرة . وفي حوالي عام ١٣٩٨هـ

---

(١) الكامل في التاريخ ، ص ٣٦٦ ، ٣٦٧ .

وضع سور يحمي تربة المقبرة من السيول ، ثم في عام ١٤١٥هـ شيد سور خرساني أحاط بكامل تربة المقبرة بارتفاع يزيد عن ستة أمتار من الجهة الغربية لها ، وأخفى هذا السور رفات الموتى . علماً بأنه تم تسوير المقبرة بسور خرساني بدلاً من سورها الطيني القديم ، وذلك عام ١٤٠٩هـ ، ويتضح أن الجزء الشرقي من المقبرة كان مزرعة ، وبها بئر تم ضمها للمقبرة وفيها قبور حديثة .

وقد وصف (هاملتون) هذه المقبرة حينما مر بالجبيلة في الثاني عشر من نوفمبر عام ١٩١٧م الموافق لـ ٢٦ من ذي الحجة عام ١٣٣٥هـ ، فقال : «تعتبر مقبرة الجبيلة شديدة الغرابة ، فالقبور كانت مكشوفة من ناحية الوادي بفعل جرف السيول ، وقيل : إن تلك القبور تضم أتباع حملة خالد بن الوليد وغيرهم من الصحابة في بداية عصر الإسلام»[1] .

وبعد ٨ سنوات في الثالث عشر من ربيع الثاني عام ١٣٤٣هـ وصف يوسف ياسين قبور الصحابة عندما مر بالجبيلة فقال : «ولا تزال آثار قبور الصحابة ، رضوان الله عليهم ، ظاهرة وقد أكل السيل من أطرافها ، حتى إن الجالس في أسفل الوادي يرى من علو خمسة عشر متراً داخل القبور ولحدها»[2] .

وقد حدثني الشيخ عبد الرحمن بن فارس من أهل الدرعية فقال : «في عام ١٣٦٠هـ جاءت سيول جارفة فجرفت أجزاء من غربي هذه المقبرة ، فظهرت اللحود وفي أحدها ظهر جزء أمامي من جثة لرجل لم تتآكل ، واضحة الملامح فتناقل الناس ذلك . وكنت شاباً - الكلام لابن فارس - أقوم بزراعة بعلية في روضة عقرباء شمال الجبيلة فدفعني حب الاستطلاع إلى الذهاب لرؤية الجثة ، فصعدت على بعض الأخشاب على القبر من جهة الوادي فشاهدت جثة الرجل

---

(١) السيد علي ، عصام ضياء الدين (١٤٠١هـ) يوميات هملتون عن رحلته إلى نجد ١٣٣٥هـ/ ١٩١٧م ، الكتاب السنوي الأول ، الأمانة العامة للمراكز والهيئات العلمية المهتمة بدراسات الخليج العربي والجزيرة العربية ، دارة الملك عبد العزيز ، ص١٢٢-١٢٣ .

(٢) يوسف ياسين ، الرحلة الملكية ، ١٣٤٣هـ ، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، الرياض ، ١٤٠٤هـ ، ص٥٧ . لقد بالغ يوسف ياسين في ارتفاع القبور عن بطن الوادي ، إذ لا تتجاوز الأمتار السبعة .

ذو لحية وعوارض ولمست وجهه فإذا هو جاف متماسك وشعر رأسه بطول ذراع ، بقي على أجزاء من جسده قماش هو ملابس أو كفن مشدودة على جسمه بخوص جاف لم يفقد بعد لونه الأخضر تماماً ، فلما كثر مرور الناس لمشاهدة الجثة أمر الشيخ محمد بن عبد اللطيف آل الشيخ رجالاً بنقل الجثة من موقعها إلى قبر آخر في المقبرة نفسها ففعلوا ذلك ليلاً حتى لا يعرف مكان القبر .

وقد تكلم عدد من الرحالة والمؤرخين عن قبور الصحابة ومنهم :

١- الهمداني الذي قال : « وبعقرباء من العرض قبور الشهداء» (١) . ومعلوم أن الجبيلة كانت تسمى قديماً عقرباء .

٢- ونقل الشيخ عبد الله بن بسام عن الشيخ المنقور قوله في مجموعة صحيفة ١٥٠ حين تكلم عن وفاة قاضي العيينة الشيخ أحمد بن عطوة قال : «توفي شهاب الدين أحمد بن يحيى بن عطوة بن زيد التميمي الحنبلي ليلة الثلاثاء (الثاني) . من شهر رمضان سنة ثمان وأربعين وتسعمائة ، ودفن في الجبيلة ضجيع لزيد بن الخطاب - رضي الله عنه - وجه أحمد ورأسه حيال كتفي زيد» (٢) .

٣- وذكر ابن غنام قبور الصحابة التي في الجبيلة ، عندما تكلم عن إزالة القبة عن قبر زيد فقال : « أمر الشيخ محمد الأمير عثمان بهدم القبب والمساجد المبنية في الجبيلة على قبور الصحابة . . . وبادر عثمان لذلك وامتثل وخرج الشيخ معه وجماعتهم على عجل وخرجوا بالمعاول . . . وأزالوا جميع المحظور عن جميع تلك القبور . . . » (٣) .

٤- وعندما تطرق ابن بشر للحادثة نفسها قال : « ثم إن الشيخ أراد أن يهدم قبة قبر زيد بن الخطاب - رضي الله عنه - التي عند « الجبيلة» فقال لعثمان (ابن معمر) : دعنا نهدم هذه القبة التي وضعت على الباطل وضل بها الناس عن

---

(١) صفة جزيرة العرب ، ص ٣٠٨ .

(٢) علماء نجد ، مصدر سابق ، جـ١ ، ص ٢٠٣ ، لم يحدد الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن البسام تاريخ يوم وفاته وهو اليوم الثاني الذي وضعته بين مربعين ونقلته عن تحفة المشتاق لعبد الله بن محمد البسام ، حوادث عام ٩٤٨هـ .

(٣) ابن غنام ، جـ١ ، ص ٣٠ ، نسخة أبابطين .

الهدى ، فقال : دونكها فاهدمها . فقال الشيخ : أخاف من أهل الجبيلة أن يوقعوا بنا ، ولا أستطيع هدمها إلا وأنت معي . فسار معه عثمان بنحو ستمائة رجل . فلما قربوا منها ظهر عليهم أهل الجبيلة يريدون أن يمنعوهما ، فلما رآهم عثمان علم ما هموا به فتأهب لحربهم ، وأمر جموعة أن تتعزل للحرب ، فلما رأوا ذلك كفوا عن الحرب وخلوا بينهم وبينها . ذكر لي أن عثمان لما أتاها قال للشيخ : نحن لا نعترضها . فقال : أعطوني الفأس ، فهدمها الشيخ بيده حتى ساواها»[١] .

ويتضح أن هناك فارقاً بين ما ذكره ابن غنام وابن بشر وهما أقدم مؤرخي الدعوة حيث ذكر ابن غنام القبب بصيغة الجمع ، وزاد بأن هناك مساجد أيضاً على تلك القبور ، أما ابن بشر فلم يذكر إلا قبة على قبر زيد بن الخطاب .

وأرجح أن رواية ابن بشر أدق من رواية ابن غنام الذي صور الوضع بصيغة الجمع ليعطي القارئ فكرة عن عظم انتشار البدع وكثرتها .

٥- وقد تطرق بلجريف لوجود قبر يعظم في العيينة حينما قال : «بالقرب من أسوار البلدة يوجد نصب تذكاري لأحد أبطال العصور القديمة ويدعى سعد (زيد) حيث يعتقد أنه دفن في تلك البقعة . لقد كان هذا القبر ونزيله الحقيقي أو الخيالي محل التبجيل والتعظيم من قبل عامة الشعب»[٢] . أطلق بلجريف اسم سعد على زيد وذكر أن قبره قريب من أسوار البلدة .

٦- هاملتون ويوسف ياسين ، وسبق أن ذكرنا ما قالاه عن قبور الصحابة في الجبيلة في ص٢٠٨ .

٧- وقال الجاسر عن مقبرة الصحابة : «وقد استشهد في وقعة (عقرباء) ألف ومائتا شهيد ، منهم زيد بن الخطاب ، أخو الخليفة عمر بن الخطاب ، وبقي قبره معروفاً مع قبور أولئك الشهداء إلى عهد قريب ، في الضفة الجنوبية من الوادي ، المقابلة لقرية (الجبيلة) التي كانت قديماً محلة من محلات بلدة (عقرباء) التي وقعت فيها تلك الوقعة»[٣] .

---

(١) ابن بشر ، نسخة مطابع القصيم ، جـ١ ، ص ١٢ .
(٢) بلجريف ، ص ٣٧٤ .
(٣) مدينة الرياض عبر أطوار التاريخ ، ص ٥٧ .

٨- وعندما تطرق ابن خميس لشهداء حروب الردة قال : «وهذه بقايا قبورهم موجودة الآن في جزع (وادي حنيفة) الجنوبي ، قبالة (الجبيلة) التي هي جانب (عقرباء) على ما هو شائع لدى الناس» [١] .

ولكن ابن خميس في الجزء الأول من كتابه قد شكك في أن مكان قبور الصحابة تقع جنوب الجبيلة وذكر أن مكانها شمال البلدة فقال : «والمشهور بين الناس أن قبور هؤلاء الصحابة رضي الله عنهم تقع في الجبانة المقابلة للجبيلة بينهما وادي حنيفة على عدوته الجنوبية ، طغت السيول في سنين متعاقبة فأكلت الجرف الذي فوقه الجبانة ، وذهبت ببعض القبور وبعضها بقيت لحودها بيّنة ترى العظام خلالها . . المستفيض بين الناس أن هذه هي قبور الصحابة . . ولكن والدي حدثني وقد ذهبت معه في زيارة للجبيلة وأنا تقريباً في الثانية عشرة . . قال : إن الناس يخطئون حينما يقولون : إن هذه القبور هي قبور الصحابة . . تعال أريك قبور الصحابة ، فأخذني إلى تلعة شمال بلدة الجبيلة قريب منها تسيل على طرف عقرباء الجنوبي ، فقال : إن هذه القبور هي قبور الصحابة ، وهي قبور دارسة إلا أنني أستبعد أن تكون مضت عليها هذه الأحقاب ولا تزال محتفظة ببعض معالمها رغم أنها مكشوفة ، وتلح عليها عوامل التعرية وهي أيضاً في مسيل تلعه !» [٢] .

قلت : ومعلوم أن شهداء الصحابة لم يقتلوا في مكان واحد ، وأنهم قتلوا في مواقع متقاربة أشرنا لبعضها في أول حديثنا . وقد ذكر ابن غنام أن هناك قبوراً للصحابة منهم (ضرار بن الأزور) تقع في شعيب غبيرا في الدرعية ، وكذلك قبور بعض الصحابة في قريوه في الدرعية [٣] .

ولا أشك في أن المقبرة التي تقع جنوب الجبيلة هي مقبرة الصحابة ، لتواتر ذلك بين سكان العيينة والجبيلة والمناطق القريبة منهم ، أما المقبرة التي تقع في شعيب الدم غرب بلدة الجبيلة والتي فيها قبور قديمة أسهمت الأمطار عبر السنوات الطويلة

---

(١) معجم اليمامة ، جـ٢ ، ص ١٦٦ .
(٢) المصدر نفسه ، جـ١ ، ص ٢٦٤ .
(٣) ابن غنام ، جـ١ ، ص ١١، ١٢ .

في جرف التربة التي تعلوها حتى أظهرت رفات الموتى ، وقد عملت بلدية العيينة والجبيلة على وضع أتربة فوق القبور المكشوفة عام ١٤١٢هـ ، وتم تسوير المقبرة عام ١٤١٥هـ والسور يشمل شعيب الدم كاملاً ، ويخترق طريق الجبيلة العيينة هذا الشعيب من أعلاه فلم يقل : إنها قبور للصحابة ، أما المقبرة التي ذكر ابن خميس أن والده ذكر أنها هي مقبرة الصحابة والتي تقع شمال الجبيلة وبالتحديد تقع على شمال طريق الجبيلة العيينة المعبد شمال غرب جامع الجبيلة . وقد سورت منذ مدة طويلة ، ثم تم زيادة ارتفاع سورها عام ١٤١٥هـ ، فهي عبارة عن قبور قديمة وقد تكون بعضها قبوراً للصحابة .

على أية حال ، فإن قبور الصحابة رضي الله عنهم موجودة في بلدة الجبيلة في المكان الذي حددناه ومعروفة منذ القدم وهي معلم من معالمها . ومؤكد أن شهداء الصحابة قد دفنوا في ملهم وبوضة والهدار وغيرها ، ولكن جهلت قبورهم وبقي قبر زيد بن الخطاب رضي الله عنه ، معروف لدى الناس عبر العصور ، وشاهد إثبات على أن قبور الصحابة في الجبيلة ؛ علماً أن المقابر بالعيينة والجبيلة عددها (١٧) مقبرة عدا مقبرة الصحابة ، كما يوجد بالعيينة مقابر عادية وقديمة تنتشر على رؤوس الجبال وتغطيها الحجارة على شكل دائري قريبة من المراقب أو الرجم .

كما شاهدت قبوراً في الجبيلة وهي قديمة جداً على شكل دوائر من الحجارة ، ولكنها أزيلت بفعل التوسع الزراعي عام ١٤١٣هـ . صورتها رقم «٩» .

٣- أسوار العيينة (الحوامي) :

قبل أن ننعم بالأمن وفي زمن الحروب والغارات المتبادلة كان لا بد لكل بلد من سور ، وهو عبارة عن منشأة أمنية وقائية تزود باستحكامات دفاعية قوية كالأبراج المملوءة بفتحات يتم الرمي من خلالها ، وتسمى (مزاغيل) وكانت الحوامي تحيط بالمباني السكنية ، وقد تحيط كذلك بالمزارع والحقول الزراعية . وتؤثر طبيعة كل بلد وقوتها البشرية والعسكرية والاقتصادية وموقعها في شكل وقوة أسوارها .

أ- أسوار العيينة :

أحيطت العيينة بعدد من الأسوار عبر تاريخها الطويل ، وشيدت تلك الأسوار في مراحل زمنية مختلفة :

السـور الأول : يسمى حامي ابن معمر : عندما اشترى حسن بن طوق العيينة عام ٨٥٠هـ ، كانت عبارة عن أراض قاحلة ، فزرعها وأقام عليها مساكنه ، وأنشأ حامياً يحيط بتلك المباني التي شيدها والأراضي التي زرعها .

ويعتبر هذا الحامي الذي بني في عهد الأمير حسن بن طوق التميمي جد الأسرة المعمرية ومؤسس إمارة العيينة ، أقدم أسوار العيينة وأولها ، ولا أشك أنه تم ترميمه وصيانته في عهود بعده إذ يطلق عليه الآن حامي ابن معمر . ويبلغ طول المنطقة التي أحيطت بهذا الحامي من الشمال للجنوب حوالي (١٥٠٠) متر ومن الشرق للغرب حوالي (١٠٠٠) متر . ويحد الحامي من الشرق وادي المجينينة التي تطل عليه بوابة المدينة المسماة باب (سليم) . وهذه المنطقة تقدر مساحتها بما يزيد عن مليون ومائتي ألف متر ، وكانت العيينة في تلك الفترة صغيرة في حجمها قليلة في سكانها قبل أن تنمو فتصبح أكبر البلدان النجدية وأكثرها سكاناً .

لقد بني الحامي بالطين بطريقة العروق ، على شكل ثلاثة جدران متجاورة ، سمك كل جدار حوالي (٩٠ سم) ويبلغ سمك أعرض جزء من الحامي بجدرانه الثلاثة عند القاعدة في الوقت الحاضر (٢,٣٠) متر . ويقل سمكه كلما ارتفع البناء ، حتى إن سماكته على ارتفاع أربعة أمتار تبلغ (١,١٤) متراً ، ويبلغ أقصى ارتفاع له عام ١٤١٤هـ (٤,٣٥) أمتار ، ولا شك أنه كان أكثر ارتفاعاً إبان تشييده ، وهذه المقاسات أخذتها بعد مئات السنين من إنشاء الحامي وتأثره خلال هذه الفترة بعوامل التعرية التي أدت إلى تآكله حتى أصبح أقل سماكة وارتفاعاً وتحملاً .

سأبدأ بوصف الحامي من جهته الغربية عند أحد أبراجه على يمين القادم من الرياض وشمال القارة المعروفة بوسط العيينة ، يبلغ ارتفاع هذا البرج من الخارج (٤,٢٠) أمتار وسماكته (١,٢٨) متراً ، وهو مبني على شكل حجرة دائرية حول الحامي من الخارج مما يدل على أنها بنيت بعد إنشاء الحامي ، تبلغ أبعادها (٢,٨٠×٣,١٠) متراً .

والبرج مبني بالعروق – طين سميك – على ارتفاع (٢,٥٠) متر ثم بالطوب (اللبن) حتى أعلاه الذي تهدم ، وهو سترة الغرفة ، وبه فتحات للاستطلاع والرمي . وأزيل هذا البرج في شهر رمضان عام ١٤١٤هـ من قبل بلدية العيينة ،

ويمتد الحامي من هذا البرج باتجاه الشمال ثم ينعطف باتجاه الشمال الشرقي على شكل قوس حتى البرج الأوسط ، ويبلغ طول الحامي بين البرجين (٣٤٤) متراً .

وقد تهدم جزء منه وتآكلت قاعدته بفعل عوامل التعرية وأملاح التربة ، كما سقط أحد الجدران الثلاثة التي يتكون منها وبقي الجزء الأوسط مع أحد الجدارين الذي لا يزال صامداً أمام عوامل التعرية ، وفي رمضان عام ١٤١٤هـ أزيل هذا الحامي كاملاً بسبب الجهل وعدم الحماية من الجهات المختصة . ولم يبق من آثاره إلا ما كان عالقاً بذاكرة من شاهده ، أو الصور التي التقطتها له .

وقد حدثني والدي رحمه اللّه أنه إلى عام ١٣٦٩هـ كان لا يزال واضحاً أن الجدار الخارجي للحامي أكثر ارتفاعاً من الجدارين الأوسط والداخلي ، وكان في الجزء الخارجي المرتفع فتحات (مزاغيل) باستطاعة المدافع عن البلدة أن يمشي على أعلى الجدارين الآخرين بسهولة لسماكتهما ، ويحتمي بالجدار الثالث ، ويصوب أسلحته باتجاه المعتدي عبر الفتحات التي فيه ، وأضاف أنه كان يصعد له بدرج ملاصق للحامي من الداخل . وكانت تشاهد بقايا الدرج على طول الحامي بينها مسافات متقاربة ، وإن كانت تتركز عند الأبراج ، كما أن هناك فاصلاً (أراض غير معمورة) بين الحامي من جهة وبين البيوت والمزارع من جهة أخرى ، يقدر بثلاثة إلى أربعة أمتار ، يخدم المدافعين ويمنع المهاجمين في حالة تسلقهم السور من الوصول لبيوت البلدة . كما يعتبر طريقاً عاماً يشكل حزاماً حول البلدة .

أما البرج الثاني في هذا السور فهو بناء ضخم ذو شكل دائري يبلغ ارتفاعه (٥,٨٠) أمتار وسماكته (١,٦٧) متراً ، وداخله يشكل غرفة أبعادها (٢,٧٣×٤,١٠) متراً وارتفاعها (٢,٦٧) متراً ، وقد انهار سقفها بعد تآكل أخشابه . وللغرفة باب عرضه ٨٦ سم ، وارتفاعه (١,٧٤) متراً . وتراكمت أتربة السقف والجدران بالغرفة فارتفعت بمقدار (١,٣٠) متراً عن سطح الأرض . وقد بنيت سترة الغرفة والتي تشكل الجزء الأعلى من البرج باللبن ، ولها فتحات في جوانبها الثلاثة للاستطلاع وتصويب النيران على المعتدي . ويصعد لسطح البرج عن طريق الدرج الملاصق له من داخل السور بعد هذا البرج يواصل الحامي امتداده باتجاه الشرق بطول (٨٣) متراً إلى البرج الثالث ، وأقصى ارتفاع للحامي في هذا الجزء يبلغ (٤,٧٠) أمتار وأقصى سماكة له تبلغ (١,٦٠) متراً .

وقد تهدمت أجزاء كبيرة من هذا الجزء وتآكلت قاعدته ، وأعيد في عام ١٤١٣هـ بناء جزء منه .

والبرج الثالث برج دائري مبني بنفس أسلوب بناء البرجين السابقين ، ويزيد عنهما بالارتفاع الذي يبلغ (٦,٨٥) أمتار وسماكته نفس سماكة البرج الأوسط (الثاني) ، وداخل هذا البرج مستغل كغرفة أبعادها (٣,١٦ × ٣,٤٩) متراً بها فجوة تسمى «فغرة»(*) ، تقع في الجزء الشمالي الشرقي منها ، وترتفع عن أرضية الغرفة بمقدار (٦٥ سم) وعمق هذه الفغرة (٩٠ سم) وعرضها (٤٥ سم) وارتفاعها (٦٥سم) تستعمل لحفظ الأغراض أو مكان للسراج ، وبالغرفة صف من الحجارة يشكل حزاماً داخلها بارتفاع (٧٠ سم) . كما يوجد بها عمود مقابل للباب ، ومستند على الجدار الغربي مبني من الحجر والطين بني ليسند أحد أخشاب السقف الذي يرتفع عن أرضية الغرفة بمقدار (٤,٦٠) أمتار وترتفع سترة الغرفة التي هي الجزء الأعلى من البرج بمقدار (١,٨٠) متراً ، وهي مبنية من اللبن وبها عدد من الفتحات (مزاغيل) دفاعية .

وترتفع أرضية البرج عن سطح الأرض بمقدار (٤٠ سم) وللغرفة باب ارتفاعه (١,٧٠) متراً وعرضه (٧٠ سم) ولم يكن مصير هذا الجزء أحسن حالاً من سابقه إذ الجهل والطمع وأمن العقوبة ساعدت على هدمه في جمادى الأولى عام ١٤١٥هـ . ويمتد الحامي بعد هذا البرج باتجاه الشرق حتى يختفي عند ساقي العين ، وهذه المسافة تبلغ (٩٦) متراً ، وسماكة الحامي في هذا الجزء (١,٦٢) متراً وارتفاعه (٣,٨٠) متراً وحالته رديئة جداً ، وعرضه للانهيار في أي وقت .

وفي شعبان عام ١٤١٤هـ كان الجزء القائم من السور طوله ٥٦٣ متراً ، وبعد ساقي العين يختفي الحامي تماماً ، ويظهر مرة أخرى على مجرى وادي المجينينة ويبلغ طول هذا الجزء المندثر حوالي (٢٠٠) متر ، ثم يمتد الحامي موازياً لوادي المجينينة متجهاً للجنوب إلى أن يصل إلى باب سليم ، وبعض أجزائه مختفية تماماً ، وبعضها متهدم تهدماً شديداً ، ويبلغ سماكة الحامي في هذا الجزء (١,١٤) متراً ، وأقصى ارتفاع له (٢,١٠) متراً . وبهذا الجزء من الحامي عدد من

(*) فغرة : جمعها فواغر .

الأبراج اندثرت وضاعت بقي منها بعض الأساسات ، وكذلك بقايا باب يسمى باب المجينينة . والباب الأشهر هو باب سليم : كان يقع هذا الباب أمام التقاء وادي المجينينة بوادي حنيفة على يمين القادم من الرياض بعد تجاوزه جسر وادي المجينينة .

يعتبر باب سليم أهم أبواب العيينة وأشهرها ، بقيت آثاره ومعالمه واضحة إلى عام ١٣٦٤هـ ، حيث أزيل من قبل أحد المزارعين الذي زرع الأرض التي حوله ، وهي بداية شارع طويل يشق المدينة من الشرق للغرب .

حدثني من شاهدوا بقاياه(*) فقالوا عنه بأنه باب محصن كبير يمثل المدخل الرئيس للمدينة من الجهة الشرقية ، واستخدم في بناء عضادتي المدخل الحجر والطين والجص إلى مستوى السقف ، وبالعضادتين على ارتفاع (٥٠ , ١) متراً فتحتان منحوتتان في الصخر تستعملان لإغلاق مجرى الباب ، وأضافوا أنه يتضح أن للبوابة بابين خشبيين ، كل منهما يفتح في اتجاه معاكس للآخر إمعاناً في زيادة الإجراءات الدفاعية للبوابة . ويبلغ اتساع فتحة الباب أربع خطوات أي مايقارب ثلاثة أمتار وارتفاعها أكثر من ذلك ، وعلى جانبي الباب بقايا برجَيْن شُيِّدا مع الباب للحماية من أي محاولة لاقتحامه .

لقد اكتسب الباب اسمه من اسم الرجل الذي كان يتولى حراسته ويدعى (سليم) جد أسرة آل سليم علماء القصيم ، وأقاربهم سكان الرياض ، وجرت العادة ألا توكل حراسة الأبواب المهمة إلا لمن يتصف بالأمانة واليقظة والإخلاص ويحظى بثقة أهل البلد .

فكان يتنبه لكل من يدخل البلدة من غير أهلها ، وربما يأخذ سلاح الرجل الذي يريد الدخول إن كان يحمل سلاحاً ، ويعيده له عند الخروج من البلدة .

وكان يتولى إغلاق الباب ليلاً وفتحه صباحاً ، ويتحقق من أسماء الداخلين للبلدة ليلاً إذا سمح بذلك لظروف معينة . وقال بلجريف عن باب سليم : «عبرنا بوابة السوق الوحيدة والتي مازالت قائمة ومفتوحة على فراغ وصمت مطبق» [1] .

(*) أخذت وصفه من العم سعود بن عبد الرحمن بن معمر ووالدي رحمهم الله ومن عبد الله أبو رشيد .

(١) بلجريف ، مصدر سابق ، ص ٣٨١ .

بعد الباب يستمر الحامي في الاتجاه جنوباً ثم ينعطف إلى جهة الغرب حتى البرج الأول ، وهذا الجزء من الحامي اختفى تماماً الآن . وكان هذا الحامي يشكل حصناً بأبراجه المتعددة وبأسواره القوية المرتفعة السميكة ، وداخله مزارع وقصور آل معمر . أما الآن فإن أغلب هذا الجزء مزارع عدا شريط من المساكن يمتد على طريق العيينة العام .

السور الثاني : بعد ازدياد عدد سكان العيينة كثرت دورها وتوسعت مزارعها ، وكان لابد من التوسع خارج سور ابن معمر ، ولم تسمح طبيعة المنطقة بالتوسع جهة الشرق حيث يمتد وادي المجينينة ، وإنما كان التوسع في الجهات الثلاث الأخرى . وأرجح أن هذا السور بني في عهد الأمير معمر بن حمد في أول القرن العاشر الهجري .

ويبدأ هذا الحامي من نقطة التقاء الحامي الأول بوادي المجينينة ، ثم يستمر موازياً لوادي المجينينة على حافته الغربية متجهاً شمالاً ، ثم ينعطف إلى الجهة الغربية على شكل قوس يوازي الحامي الأول ، وبقي الآن من هذا السور بعض الأجزاء على وادي المجينينة ، وأجزاء أخرى تشكل سور مزرعة الحديثية بطول ١٢٣,٤٠ متراً ، وبارتفاع يصل إلى ٥,٢٠ متراً ، ويمر من خلال فتحة فيه ساقي العين ، ويختفي جزء منه تحت سور حديث نسبياً ، ثم يظهر مرة أخرى بارتفاع قليل بطول ١٦ متراً . وينعطف للجنوب إلى أن يصل إلى القارة وفي هذا الجزء من السور باب سدوس ، وبعد ذلك تظهر بقية السور ، وقد امتد فوق القارة باتجاه الجنوب ، منعطفاً باتجاه الجنوب الشرقي إلى أن يصل إلى وادي حنيفة ، ويتجه مع الوادي شرقاً ، حيث يميل باتجاه الشمال حتى يلتقي مع السور الأول ، وفي هذا الجزء من السور باب يسمى باب برقة باتجاه حي برقة إلى الجنوب من وادي حنيفة .

أسوار أخرى للعيينة :

- **سور حي مريطل** : أكبر أحياء العيينة الشعبية يقع غرباً عن حي ابن معمر وله سور محكم اندثر ولم يبق منه إلا جزء يسير على جانب مجرى وادي حنيفة الشمالي ، مع برج طيني مربع ، ولا أستبعد أن هذا السور قد أنشئ حول مريطل في أول القرن الحادي عشر الهجري .

- تم إنشاء سور آخر يربط حي مريطل بالأحياء الشرقية : ويدخل

أغلب مزارع العيينة وتجمعاتها السكانية ضمنه ، وهذا السور يبدأ من سور معمر ابن حمد شمالاً باتجاه الغرب موازياً للتلاع التي تقع شمال العيينة ، بقي من هذا السور الآن حوالي (٩٠٠) متر ، وأقصى ارتفاع للجزء المتبقي حوالي أربعة أمتار ، وسماكة السور قريباً من (٥ , ١) متراً وفيه برجان ، وهذا السور يتكون من ثلاثة جدران متلاصقة .

وبعد أن يضم بداخله مزرعة أم صوى يتجه السور إلى الجنوب ، وبه بقايا برج يقع الآن جنوب طريق العيينة سدوس ، ممتداً باتجاه الجنوب الشرقي حيث برج آخر كان موقعه في مزرعة سعد بن معمر ، ثم يمتد السور على ضفة وادي حنيفة الشمالية إلى أن يحيط بحي مريطل من الجنوب ، ثم يستمر إلى أن يلاقي سور معمر بن حمد جنوب القارة .

– **سور برقة** : برقة هي إحدى أحياء العيينة الجنوبية ، وهو حي كبير عليه سور محكم يحيط بالمساكن والمزارع ويمتد سوره الشمالي بمحاذاة وادي حنيفة مقابل حي مريطل من جنوب ، ويستمر مشرقاً حتى حي الطرف وبالتحديد إلى قبل وادي الأحيرش وسلسلة السور الجنوبية بقي منها جزء صغير حول وادي السويدي ، كما أسهمت السلسلة الجبلية جنوب العيينة في حماية أجزاء من السور امتدت على تلك السلسلة وباقية بعض آثارها حتى الآن .

– **سور الطرف** : وهو اسم يطلق على الجزء الشرقي من العيينة ، يتوسطة حي سكني اشتهر بحي الطرف هو الحي الذي يقع مابين وادي حنيفة جنوباً ، وطريق العيينة الجبيلة العام شمالاً ، ويحده من الغرب مزرعة الغديرية وحوش الخيل (الإسطبل) الذي لاتزال أطلاله باقية . ويمتد شرقاً حتى يقابل وادي الأحيرش شمالاً موازياً لحي برقة من الشمال ، ويشمل اسم الطرف أحياناً الجزء الشرقي من برقة ، وفيه بقايا برج مربع وجزء متهدم من الحامي وبعض المنازل . علماً أن مزارع العيينة وبعض دورها تمتد على جانبي وادي حنيفة على شكل تجمعات سكانية صغيرة .

– **سور الجبيلة** : الجبيلة بلدة صغيرة دارت حولها بعض حروب اليمامة – الردة – وهي جزء من عقرباء قديماً ، وكانت تسمى قديماً الجبيل لبروز تشكيلات من الصخور شمال مجرى وادي حنيفة ، أسهمت مياه السيول في تعريتها من

التربة ولا تزال واضحة الآن ، وتقوم عليها قلاع ومنازل الجبيلة القديمة ، ويحيط سور محكم وجيد بالجبيلة لا تزال بعض أبراجه وبقاياه ظاهرة ، وجزء السور الغربي الذي يطل على شعيب الدم عبارة عن جدران منازل البلده ، وإلى الجنوب مما يلي وادي حنيفة يظهر بقايا برج ضخم ، ثم يمتد السور إلى الشمال الشرقي مروراً بمركز الشرطة القديم ، ويميل إلى الشمال حيث منازل البلدة القديمة التي تشكل جزءاً من السور ، ويمتد شمالاً إلى جنوب المسجد الجامع الحديث في الجبيلة ، حيث بقيت آثار برج قديمة ، ثم يتجه للغرب فيلتقي مع السور الغربي على الضفة الشرقية لشعيب الدم . وهذا السور يحيط بمنازل البلدة فقط .

وفي عام ١١٧٢هـ عندما هاجم عريعر بن دجين الخالدي بلدة الجبيلة ، استطاعت ببسالة رجالها وقوة ومناعة أسوارها أن ترده على أعقابه ، بعد أن كبدته عدداً من القتلى [١] . ووصف حسن الريكي سورها أثناء تلك المواجهة بقوله : « إن حربه معهم بالهجوم على السور وهي بلدة صغيرة ، ولها سور محكم يسع دائرة ستة أكوات» [٢] .

ولا تزال توجد بقايا سور قديم يشكل قلعة فيها برج قوي تقع غرب شعيب الدم على أكمه مرتفعة . كما يحيط سوران ببعض مزارع الجبيلة الأول يقع شرقها وبقي فيه أجزاء من السور من الشرق والشمال الغربي وبقايا برجين ويتصل بسور البلدة في البرج الذي يقع جنوب مسجدها الجامع الآن ، وكان يحيط بالمزارع المسماة الطويلعة ، والطرف كما يحيط السور الثاني ببعض المنازل والمزارع جنوب الجبيلة بقيت بعض آثاره على السلسلة الجبلية الجنوبية .

أما أسباب تهدم أسوار كل من العيينة والجبيلة فتعود إلى عوامل طبيعية وبشرية أكثرها تأثيراً السيول الجارفة التي تعرضت العيينة لها عام ١٢١١هـ . وهدمت بعض المنازل[٣] فيها ولا أستبعد أن أجزاء أسوارها تعرضت لنفس المصير من جراء السيول .

وفي عام ١٢٣٤هـ تعرضت أسوار بلدان نجد للهدم المتعمد من قبل جيوش

---

(١) ابن غنام ، جـ١ ، ص١١٢ . (٢) لمع الشهاب ، ص ٣٨ .
(٣) ابن بشر ، جـ١ ، ص ٢٣٦ .

إبراهيم باشا [١] . وأعتقد أن أسوار العيينة والجبيلة نالت نصيبها من ذلك التدمير حتى وإن كانت في ذلك الوقت قليلة السكان ، وحينما مر بلجريف بالعيينة قال : «ولفرسخ ونصف كانت الطريق غير سالكة حيث تعترضنا جدران مهدمة وأكوام من حطام الأبراج والقصور» [٢] .

وفي عام ١٢٨٨هـ تعرضت الجبيلة للتخريب على يد قوات الإمام سعود الفيصل أثناء خلافه مع أخيه عبد الله على السلطة [٣] . ثم أسهمت العوامل الطبيعية من أمطار وحرارة ورياح وعوامل تجوية أخرى في تدمير أجزاء كبيرة من تلك الأسوار .

وفي عام ١٣٥٣هـ وبعد عودة الحياة للعيينة والجبيلة أسهم جشع بعض المزارعين في تدمير أجزاء أخرى عديدة من الأسوار على حساب التوسع الزراعي وحيازة الأراضي ، كما تم في شهر رمضان المبارك عام ١٤١٤هـ هدم حوالي ٣٤٤ متراً من سور العيينة الأول (حامي ابن معمر) بهدف إقامة أسوار جديدة للمزارع التي يحيط بها والاستفادة من قاعدة السور والتي قد تصل إلى حوالي ٣ أمتار من قبل بعض المزارعين لضمها لأراضيهم . وفي جمادي الأولى عام ١٤١٥هـ أتى الجشع والجهل على بقية هذا الحامي حيث هدم منه ١٢٣ متراً مع البرجين الثاني والثالث . وكان مجموع ماهدم خلال عام واحد ٤٦٧ متراً من الحامي الأول . ولو تم الحفاظ على تلك الأسوار من قبل الجهات المختصة لشكلت معلماً مهماً من معالم العيينة ، ولما استطاع الجهلة والطامعون تدميرها .

٤ - مسجد العيينة القديم :

يعتبر هذا المسجد أكبر وأشهر جوامع العيينة قديماً ، ويحتل موقعاً وسطاً بين أبنية البلدة القديمة ، داخل حاميها الأول «حامي ابن معمر» وشمال قصر الأمير عثمان بن معمر الذي لا تزال أطلاله باقية إلى الآن .

---

(١) المصدر السابق ، جـ١ ، ص ٤٢٩ .
(٢) بلجريف ، ص ٣٨١ .
(٣) الفاخري ، ص ١٩٢ .

نسب ابن غنام المسجد للأمير عثمان بن معمر ، فعندما ذكر قصة مقتله عام ١١٦٣هـ قال : «فلما انقضت صلاة الجمعة وخرج سرعان الناس مسرعين قتلوه في مسجده ومصلاه» (١) .

لقد كان لهذا المسجد دور بارز في الحياة الدينية في العيينة قديماً ، فكان طلاب العلم يضربون له أكباد الإبل من أغلب الحواضر النجدية للدراسة وأخذ العلم عن علماء العيينة .

وتخرج من هذا المسجد عدد من العلماء كان لهم دور ريادي في النهضة الدينية أبرزهم الشيخ المجدد محمد بن عبد الوهاب الذي تعلم القرآن ودرس العلوم الدينية فيه ومنه بدأ ينشر آراءه الإصلاحية .

لم يبق من المسجد الآن إلا أطلاله وآثاره ، وكانت معالم هذا المسجد منذ خمسين عاماً ، أوضح مما هي عليه الآن بالرغم من أنه كان خربا ، وكان محرابه ومنبره مزينين بالجص ، كما أن جداره القبلي كان أرفع مما هو عليه الآن ، وبه عدد من (الفواغر) فتحات في الجدار توضع فيها المصاحف والمصابيح للإنارة ، وكان يربطه بقصر الأمير عثمان جسر يصل لسطح المسجد ، وكانت الزخارف الجصية تزين أعمدته وجدرانه أيضاً وباقية آثارها إلى عهد قريب .

وقد تبنى الشيخ محمد بن عبد الله بن عبد اللطيف آل الشيخ خال الملك فيصل ، فكرة إعادة تعمير مسجد الأمير عثمان ، والذي تعلم فيه جده الشيخ محمد بن عبدالوهاب حسب قوله ، فدفع مائة وخمسين ريالاً ، منذ أكثر من خمسين عاماً ، لحمد ابن زيد أحد سكان العيينة وطلب منه إعادة بناء ما تهدم من المسجد ، ونظراً لقلة السكان حول المسجد في تلك الفترة فقد اكتفي ببناء الجزء الشمالي الغربي منه عام ١٣٦٦هـ واستخدمت في بنائه بعض حجارة المسجد القديم فأصبح مسجداً صغيراً . ثم رمم بعد فترة على نفقة الشيخ

(١) ابن غنام ، جـ٢ ، ص ١٤ ، نسخة أبابطين بينما أسماه ابن بشر بمسجد العيينة طبعة مطابع للصيم ، في طبعة الدارة قال قتل في المسجد ولم ينسبه للأمير أو للبلد ، وحتى لو نسب للأمير فأرجح أن المسجد أقدم عهداً من عثمان ، وربما نسبته إليه لأنه رممه أو لأنه أمير البلد وقتل فيه ، ويعرف الآن بمسجد ابن معمر .

نفسه ، وأشرف على الترميم عبد العزيز المسعري المعروف بـ (غويزي) من أهل العيينة [1] .

وفي جمادي الآخرة عام ١٤١١هـ رممت بلدية العيينة المسجد وهو الترميم الثاني بعد ترميم الشيخ ، أما المسجد القديم فقد اعتراه بعض النقص من أطرافه وقلّت مساحته ، فأخذ الطريق من طرفه الجنوبي وأثر التوسع الزراعي في جهته الشرقية ، وبقي من مساحته الآن (٨٥٢,٥٥) متراً ، وأطواله الآن من الشمال ٢٤,٤٠ متراً ، ومن الجنوب ٢٦ متراً ، ومن الشرق ٢٩و٩٠ متراً . ومن الغرب ٤٢ متراً والمسجد الصغير يدخل ضمن هذه الأطوال والمساحة . ولا تزال بعض بقايا أعمدة المسجد قائمة إلى وقت قريب ، وبقيت قاعدة محرابه بارتفاع متر تقريباً ، والشارع الجنوبي للمسجد والذي ذكرت أنه جزء من المسجد أقل ارتفاعاً من بقايا المسجد ، ويتضح في القطاع الممتد على طول الشارع من الشرق للغرب وجود بقايا البطحاء التي كانت تغطي أرضية المسجد على شكل خط سماكته ما بين ١٠-١٨ سم . وحول المسجد ثلاث ركايا « مساقي » إحداهن تقع جنوبي شرق المسجد والآخريان تقعان شمال المسجد ، كانت هذه الركايا تسد حاجة المصلين من المياه ، ولا تزال تلك الركايا باقية للآن . وحبذا لو اهتمت الجهات المسؤولة بهذا المسجد فعملت على ترميمه وعمارته وقد أعيد بناء جزء من المسجد بالأسمنت المسلح عام ١٤١٨هـ ، وأزيلت بقية المسجد القديم .

٥- قصر الأمير عثمان بن معمر :

يحتضن سور (حامي ابن معمر) قصور ومنازل أسرة آل معمر والتي كانت متراصة كأنها قصر واحد ، كما يحتضن منازل غيرها من الأسر القديمة التي كانت مستقرة في العيينة ، ويتربع وسط هذا الحي مسجد ابن معمر الذي أسلفنا الحديث عنه ، وإلى الغرب من المسجد تقوم أسواق العيينة ومحلاتها التجارية القديمة ، تتوسطها ساحة السوق . وأصبحت الساحة مع المحلات التجارية التي حولها الآن مزرعة غرب المسجد ، ولم يبق منها إلا بعض الحجارة من خرز وغيره على أطراف تلك المزرعة .

---

(١) معلومات من والد المؤلف ، وقد ذكر بعضاً منها في مقابلة معه في جريدة الجزيرة العدد ٧٧٥٠ في ٤/ ٧/ ١٤١٤هـ ، ص ٤ .

ويقع شمال المسجد ركيتان (بئران صغيران) لا تزالان موجودتين إحداهما وهي الركية الشرقية تابعة للمسجد ، أما الركية الغربية فهي تابعة للمضافة ، وهي عبارة عن غرفة كبيرة تقوم على عشرة أعمدة (سواري) وأمامها مصابيح على عشر سواري أيضاً وواجهتها للجنوب مقابلة للمسجد [1] . وإلى الجنوب من المسجد يقوم قصر الأمير عثمان بن معمر ، ولا تزال بقاياه شامخة رغم عوامل الفناء الطبيعية والبشرية التي تعرض لها القصر في تاريخه الطويل ، وتوحي ضخامة المبنى وقوته بأن جهداً هندسياً ومهنياً وفنياً قد بذل في إنشائه ، وأن مبالغ مالية ضخمة أنفقت لبناء هذا الصرح المعماري الذي تدل بقية آثاره على أنه من أعظم القصور الطينية في وادي حنيفة ، ويصدق عليه قول الشاعر الشعبي :

قصر بناه العز ماهوب فاني　　لو فنيت أركانه بقى به شواميخ

وفعلاً بقي من هذا القصر بعض الأبراج والجدران التي بلغ عرضها على ارتفاع مترين من الأرض ٢,٢٠ متر ، ومؤكد أنها أعرض عند القاعدة بينما يتناقص سمكها كلما ارتفع الجدار ، ويساعد هذا السمك على الحماية وتحمل المباني في الأعلى كما يساعد على العزل الحراري للمبنى .

وأهم أبراج القصر هو البرج الجنوبي الغربي ، والذي يقال : إن الإمام محمد بن سعود تحصن فيه عام ١١٣٩هـ . وكان هذا البرج أعلى مما هو عليه الآن ، إذ كان ارتفاع المبنى ثلاثة أدوار ، وكان البرج أرفع من المبنى وفيه الكثير من المزاغيل والطرم ، وكان للقصر أربعة أبراج . وكانت آثار الروشن (مجلس القصر) واضحة في الدور الثاني وهو مليء بالزخارف الجصية والفتحات المثلثة للتهوية والإنارة .

ويرتبط القصر بالمسجد القريب من خلال جسر يصل الدور الثاني منه بسطح المسجد وهو طريق الأمير للمسجد إمعاناً في الإجراءات الأمنية الوقائية ؛ إذ لا يفصل المسجد عن القصر إلا حوالي ثلاثة أمتار .

---

(١) وصف لي السوق والمضافة والدي والعم سعود بن عبد الرحمن بن معمر رحمهما الله . وقالا : إن بالمضافة قدراً كبيراً يسع حوالي ثلاثة من الإبل ويسمى هذا القدر (بالعيلم) قالا : إن قوات إبراهيم باشا استولت عليه .

وفي القصر بئر يزوده بالمياه ، وحوش إلى الجنوب من القصر يظهر أنه للخيول والإبل ، ويربطه بالقصر باب باتجاه الغرب وسط كتلة عمرانية بارزة من مبنى القصر لا تزال باقية تتوسطها سارية (عمود) طينية ضخمة ربما تكون الكتلة غرفة تابعة لذلك الحوش .

إن بقايا القصر الموجودة الآن بسماكة جدرانه وضخامة بنائه وأبراجه العالية تشكل سكناً يشبه إلى حد كبير قلعة حربية محصنة قوية البناء جميلة العمارة والزخرفة . وإذا لم تتدارك الجهات المختصة هذا البناء وتتعهده بالصيانة وتحافظ عليه فليس بعيداً أن يصبح أثراً بعد عين ، ويختفي معه نمط خاص ومتميز من أنماط العمارة النجدية التي كانت سائدة قبل قيام الدولة السعودية الأولى .

وقد وصف (لويس بلي) قصر الأمير عثمان بالقلعة حينما مر به عام ١٢٨١هـ فقال : «ويقع الحصن أو القلعة القديمة الذي يقيم فيه الرئيس (الأمير) في واحد من الفرج الشرقية للوادي محصوراً بين مرتفعات العارض ومجرى السيل» [(١)] .

ووصف يوسف يس قصورها تلك بعد خرابها عام ١٣٤٣هـ بقوله : «وآثار قصور ضخمة» [(٢)] .

وفي قصر عثمان[(٣)] هذا عقد اجتماع للتفاهم في بداية الدعوة الإصلاحية ، وكان يمثل إلى حد كبير مؤتمر قمة نجدي ، حضره أمير ثرمداء وأمير الرياض برعاية أمير العيينة عثمان بن معمر وطلبوا من الشيخ حضور الاجتماع ، ولكن الشيخ اعتذر .

٦- حكر ابن معمر :

هذا الحكر (السد) يعتبر من معالم العيينة وآثارها الخالدة ، وهو من أقدم السدود في نجد إن لم يكن أقدمها على الإطلاق ، ولا يزال قائماً بدوره الذي أنشئ من أجله[(٤)] .

---

(١) بلي ، لويس ، رحلة إلى الرياض ، ترجمة عبد الله الشيخ ، عويضه الجهني ، جامعة الملك سعود ، ١٤١١هـ ، ص٧٠ .

(٢) الرحلة الملكية ، ص ٥٧ .

(٣) ابن غنام ، نسخة أبابطين ، جـ٢ ، ص ١٠ .

(٤) سبق الحديث عنه في ص١١٩ .

٧- عين ابن معمر:

هي عين ماء موسمية مرتبطة بما يختزنه حكر ابن معمر من مياه الأمطار ، وهي من المظاهر الطبيعية المتميزة [١] .

٨- خرز عين مصيقره:

وهذا الأثر عبارة عن كظائم طينية هي بقايا ساقي عين كانت قديماً تسقى أطراف مدينة العيينة ، وهي من الآثار والمعالم البارزة في العيينة [٢] وذكر أنها سيح آل إبراهيم بن عربي .

٩- المراقب:

تزدان مرتفعات العيينة الشمالية والجنوبية والقارة التي تتوسط المدينة بمجموعة جيدة من المراقب التي شيدت في عصور قديمة كإجراءات أمنية يتم منها مراقبة الطرق من وإلى المدينة ، إلى أبعد مدى بالعين المجردة ، كما يستفاد منها لأغراض أخرى .

وتأخذ هذه المراقب أشكالاً أسطوانية أو كمثرية أو أشكالاً مربعة ، وتستخدم الحجارة المشذوبة في بنائها على شكل صفوف (مداميك) متراصة مثبتة بعضها فوق بعض مباشرة أو باستخدام حجارة صغيرة ، ويستخدم الطين والحجارة الصغيرة في الحشوة الداخلية لها ، وقد يبنى المرقب بالطين كمرقب الجبينينة الشرقي أو يستخدم الطين والحجارة في بنائه كمرقب القارة .

وقد تشيد هذه المراقب على شكل حصن له باب وفتحات مراقبة تستخدم كذلك للرمي بالسهام أو بالأسلحة النارية كمرقب عقرباء ، ومرقب القارة ، ومرقب الجبينينة الشرقي .

وحالة هذه المراقب تتراوح بين الجيدة والمتوسطة والرديئة ، وحبذا لو قامت الجهات المختصة بصيانتها وحمايتها .

ويبلغ عدد المراقب في العيينة والجبيلة خمسة عشر مرقباً ، منها أربعة حول

(١) ينظر : ص ١٢٦ وما بعدها من هذه الدراسة .
(٢) ينظر : ص١٢٦ من هذه الدراسة .

الجبيلة وثلاثة في الطرف ، والباقي في العيينة وجميعها بأشكالها المختلفة وبأسلوب بنائها المتميز تشكل معلماً مهماً في المنطقة .

ثانياً - المعالم الحديثة :

١- القرية الشمسية :

قام معهد بحوث الطاقة بمدينة الملك عبد العزيز للعلوم والتقنية بتنفيذ العديد من مشاريع أبحاث الطاقة الشمسية ، وتعد القرية الشمسية في مدينة العيينة أحد هذه المشاريع المهمة في مجال الطاقة المتجددة .

الموقع :

تقع القرية الشمسية على بعد ٤٥ كيلا شمال غرب مدينة الرياض ، وتتربع فوق امتداد جبلي مسطح على طرف ظهرة سدحة مما يلي العيينة ، يقع بين وادي حنيفة جنوباً ووادي الجبينية غرباً .

المساحة :

تبلغ مساحة المنطقة المقام عليها مشروع القرية الشمسية (١٨٠ ,٧٦) متراً مربعاً .

تاريخ إنشائها :

أنشئت القرية الشمسية في العيينة بين عامي ١٤٠٠ - ١٤٠١هـ (١٩٧٩- ١٩٨٠م) .

بدء التشغيل :

بدأ التشغيل للقرية الشمسية في عام ١٤٠٢هـ/ ١٩٨١م .

الهدف من المشروع :

عند إنشاء المشروع كان الهدف منه إمداد القرى القريبة التي لا يصلها التيار الكهربائي بمصدر للطاقة الكهربائية من الطاقة الشمسية ، والهدف البعيد لهذا المشروع هو إقامة نظام للطاقة الشمسية قادر على إنتاج ألف كيلو وات من الكهرباء إلى غير ذلك من مشاريع يمكن إقامتها مستقبلاً .

وقد صممت وحدة المجمع الشمسي وصنعت وأنشئت لإمداد العيينة والجبيلة وهجرة بوضة بالتيار الكهربائي .

أجزاء المشروع:

أهم أجزاء المشروع هي :

١- حقل المجمعات الشمسية : يتكون من (١٦٠) مجمعاً (لاقطاً) شمسياً كل مجمع يحتوي على (٢٥٦) خلية شمسية كهربائية سليكونية ، ويبلغ عدد الخلايا الشمسية (٤٠٩٦٠) خلية شمسية سليكونية مستديرة قطر كل منها (٧,٥) ستيمتر تقريباً والتي تنتج الكهرباء عندما تسقط عليها أشعة الشمس ، وتزداد كمية الكهرباء الناتجة بزيادة شدة أشعة الشمس التي تسقط على الخلية . وهذا النوع يستخدم فيه عدسات (فرزنل) لتكثيف أشعة الشمس . وهي عبارة عن شرائح بلاستيكية مسطحة في صورة دوائر متمركزة ، وهذه العدسات تكثف أشعة الشمس أربعين مرة . وتنتج المجمعات (٣٥٠) كيلو وات وتغطي مساحة قدرها (٤٠,٠٠٠) متر مربع من مساحة المشروع الكلية .

٢- أجهزة المراقبة والتحكم : تشتمل على وحدات استقبال إشارة التشغيل وجهاز لوحة التحكم وجهاز كمبيوتر للمراقبة وجهاز كمبيوتر آخر لقياس المعلومات وتسجيلها ولوحة عرض بإرشادات ضوئية .

٣- أجهزة تخزين الطاقة : يتم تخزين الطاقة في بطاريات حامضية قدرتها (١١٠٠) كيلو وات ، تكون مصدراً للطاقة الكهربائية أثناء الليل ، وأثناء فترة احتجاب الشمس بسبب الغيوم ، وفي حالات العواصف الجوية .

٤- جهاز تجميع بيانات الطاقة الشمسية : يعمل هذا الجهاز ذاتياً على تجميع وتسجيل بيانات الطقس ، بما في ذلك الإسقاط الشمسي ، والمنطقة ذات طقس صحراوي لا يخلو من بعض العواصف الرملية ودرجة الحرارة تتراوح ما بين ١٥ إلى ٤٥ درجة مئوية .

مواصفات التصميم الأساسية:

ينتج حقل المجمعات الشمسية قدرة كهربائية مقدارها (٣٥٠) كيلو وات ، تيار كهربائي مستمر ، وذلك في حالة أن تكون قدرة الاشعاع الشمسي ٨٠٠ وات على المتر المربع ، ودرجة حرارة الجو ٤٠ درجة مئوية ، وسرعة الرياح ١,٠ متر في الثانية . علماً أن تنظيف أسطح المجمعات يتم باستخدام الماء .

التشغيل:

يتم تشغيل محطة الطاقة الشمسية ذاتياً بواسطة الكمبيوتر أو بواسطة التشغيل اليدوي عن طريق لوحة تحكم ، وفي أي من الحالتين تقوم الـ ١٦٠ مجمعاً شمسياً باستقبال الطاقة الشمسية وتحويلها إلى طاقة كهربائية ذات تيار مستمر ، يسلك هذا التيار مسلكين أحدهما يغذي البطاريات بالطاقة اللازمة ، والآخر يجري تحويله إلى تيار متردد بواسطة المحول الرئيسي ليتم تغذية القرى به عن طريق محولين .

حقائق عن المشروع:

يُعَدُّ حقل المجمع الشمسي ذو القدرة (٣٥٠) كيلو وات أكبر حقل إشعاع بالخلايا الضوئية في العالم ، وتبلغ طاقته الإنتاجية أكثر من ثلاثة أضعاف ثاني أكبر مجمع شمسي .

لقد قيس المعدل العام لقدرة وكفاءة المجمع الشمسي فكان أكثر من ١٠٪ وهذه نتيجة ممتازة إذا ما قورن هذا المجمع بجميع المجمعات الشمسية التي أنشئت حتى الآن في العالم ، حيث إن كفاءة أي منها لا تزيد عن ٥-٨٪ ، إن هذه هي أول مرة يتم فيها تشغيل مجمع شمسي تستخدم فيه عدسات لتركيز أشعة الشمس . لذلك فإن هذا النظام ينتج عنه استخدام ١/ ٣٥ فقط من مساحة الخلايا الضوئية المطلوبة لإنتاج نفس الكمية من الطاقة الكهربائية لو كان المجمع من النوع المسطح . هذه المزايا تجعل هذا المشروع من أحدث المشروعات التي أنشئت لتجميع الطاقة الشمسية في العصر الحالي .

ويُعَدُّ هذا النظام معقداً جداً مقارنة بما هو متيسر حالياً في العالم ويرجع هذا لحجمه من ناحية ، وإلى التداخلات المختلفة للتشغيل (التشغيل المتفرد ، التشغيل المزدوج) من ناحية أخرى . أضف إلى ذلك حمولة التشغيل (ثلاث قرى) ونظم المراقبة المختلفة (المراقبة اليدوية ، المراقبة الذاتية بالكمبيوتر) .

الطبق الشمسي:

يوجد بالمشروع طبقان شمسيان ينتج كل منهما ٥٠ كيلو وات ، حيث يتم تركيز أشعة الشمس بواسطة الأطباق الشمسية للحصول على درجة حرارة عالية جداً يمكن استخدامها لتوليد الطاقة الميكانيكية التي يتم تحويلها إلى طاقة كهربائية .

إنتاج الهيدروجين بالطاقة الشمسية :

تم إنشاء وتشغيل محطة لإنتاج الهيدروجين بالطاقة الشمسية بقدرة ٣٥٠ كيلو وات كما يوجد بالمشروع معمل استخدامات الهيدروجين يقوم بعمل البحوث الخاصة باستخدامات غاز الهيدروجين مثل الإنارة بغاز الهيدروجين ، وعمل خلايا الوقود التي تعمل بغاز الهيدروجين وغيرها (*) .

مرصد المراقبة بالليزر :

هو أحد برامج معهد بحوث الفلك والجيوفيزياء التابع لمدينة الملك عبد العزيز للعلوم والتقنية ، ويقع بالقرية الشمسية في مدينة العيينة ، والهدف من هذا البرنامج هو تحديد مقدار واتجاه حركة الصفيحة العربية وعلاقتها بالصفيحتين المجاورتين الآسيوية والإفريقية ودراسة تغير مجال الجاذبية الأرضية . ويتكون المرصد من خمسة أجزاء رئيسة هي : الليزر ، المنظار ، جهاز الاستقبال ، أجهزة التوقيت والتحكم الإلكتروني ، الكمبيوتر (١) .

٢- كلية الملك عبد العزيز الحربية بالعيينة :

تحتضن مدينة العيينة أول كلية عسكرية تنشأ في المملكة العربية السعودية وهي كلية الملك عبد العزيز الحربية .

إنشاء الكلية :

صدر مرسوم ملكي في ٢٧ صفر عام ١٣٧٤هـ يتضمن إنشاء كلية عسكرية تحت اسم (كلية الملك عبد العزيز الحربية) وتم افتتاحها في مدينة الرياض في جماد الأولى عام ١٣٧٥هـ .

انتقالها لمدينة العيينة :

انتقلت كلية الملك عبد العزيز الحربية من الرياض إلى مقرها الجديد بمدينة

(*) نقلت المعلومات عن القرية الشمسية من منشورات مدينة الملك عبد العزيز للعلوم والتقنية ومن المقابلة الشخصية لمدير المشروع .

(١) عطية الغامدي ، جريدة الرياض ، العدد ١٠٩١٠ ، السنة الخامسة والثلاثون ١٢ محرم ١٤١٩هـ ، صفحة ٥ .

العيينة في عام ١٤٠٤هـ حيث توفر لها في هذا المقر كل المرافق التعليمية والإدارية والاجتماعية الحضارية التي تحتاجها .

وبدأ العمل في الموقع الجديد في ٢ محرم ١٤٠٤هـ .

شروط قبول الطلاب في الكلية :

أ - أن يكون المتقدم سعودي الأصل والمنشأ والولادة .

ب- ألا يقل عمره عن سبعة عشر عاماً وأن لا يتجاوز الرابعة والعشرين حسب ما يرد بحفيظة نفوس الطالب أو شهادة الميلاد .

جـ- أن يكون حاصلاً على شهادة الثانوية العامة من أحد قسميها العلمي أو الأدبي .

د- أن يكون حسن السيرة والسلوك وغير محكوم عليه بحد شرعي أو في جريمة مخلة بالشرف والأمانة ، وأن لا يكون قد طرد من أي سلك حكومي .

هـ- أن يجتاز المقابلة الشخصية .

و- أن ينجح في الكشف الطبي .

مدة الدراسة بالكلية :

مدة الدراسة بالكلية في الوقت الحاضر هي ثلاث سنوات .

المزايا بعد التخرج :

أ - يمنح المتخرج شهادة البكالوريوس في العلوم العسكرية وهذه الشهادة معادلة لشهادة الجامعة .

ب- يعين ضابطاً برتبة ملازم في القوات البرية أو قوات الدفاع الجوي أو بعض القطاعات العسكرية الأخرى ، ليكون له شرف الدفاع عن دينه ومليكه ووطنه .

جـ - يتمتع بكامل المميزات الواردة في نظام خدمة الضباط .

د- تأمين الرعاية الصحية للضابط ومن يعولهم شرعاً .

هـ- تأمين السكن للضابط وعائلته حسب مشاريع إسكان وزارة الدفاع والطيران (*) .

٣- أنابيب الزيت :

يمر خط الأنابيب الذي ينقل الزيت الخام من الجبيل إلى ينبع في حوض العيينة ويبدأ الخط المذكور بدخول حوض العيينة في أعلى وادي سلام قبل تقاطع خط الأنابيب مع طريق الرياض صلبوخ السريع ، ويمتد في الضفة الشرقية لوادي سلام متجهاً من الشمال إلى الجنوب حتى يصل لوادي حنيفة بطول خمسة أكيال ، ثم يمر عبر مجرى الوادي صعوداً إلى السلسلة الجبيلة الجنوبية بعدها يأخذ في الاتجاه للغرب ماراً بشعيب أبا الحصى ثم بوادي الأحيرش مروراً بأعلى وادي السويدي وصفار ، ثم يمر خلال مزرعة سعد بن معمر في وادي رميلان الجنوبي (أم أرينب) كما يمر أمام مدخل وادي أم كثير ويستمر غرباً محاذياً لوادي بوضة ماراً من أمام أودية عشيران وأبو صفي والهديدير حيث يمتد عبر وادي بوضة ، ويأخذ ببطن رافده وادي غرور حتى يصل لثنية غرور ، وبعد ذلك ينحدر من الثنية متجهاً للجنوب الغربي من ثنية الأحيسى (سبع الملاف) وطول خط الأنابيب من دخوله حوض العيينة حتى خروجه منها يبلغ (٤٥) كيلاً .

وأسهم تنفيذ هذا المشروع في تغيير بعض مظاهر التضاريس إذ طمس ثنيتي غرور والأحيسي وغير معالمهما تماماً ، وأتى على قلات فيها فدفنت وغطت مخلفات الحفريات من الصخور بعض الأماكن ، كما أثرت سلباً على الحياة النباتية فقطعت بعض أشجار الطلح وغيرها من الأشجار المعمرة الأخرى .

إلا أن إيجابياته إذا ما قورنت بآثاره السلبية تعتبر عالية جداً ، لعائدها الاقتصادي بالنسبة للمملكة ، وبالتالي للعيينة وسكانها .

(*) نقلت هذه المعلومات عن (كتيب معلومات عن كلية الملك عبد العزيز الحربية) طبعة ١٤١٣هـ .

الفصل السادس

الدوائر الحكومية في العيينة

- مركز العيينة والجبيلة (الإمارة)
- شرطة العيينة
- بلدية العيينة
- محكمة العيينة
- هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر
- التعليم في العيينة

الفصل السادس

الدوائر الحكومية في العيينة

١- مركز العيينة والجبيلة (الإمارة):

بعد الاستقرار الأخير في العيينة عام ١٣٥٣هـ وبعد أن كثر عدد سكانها، تم تعيين سعد بن إبراهيم بن سفيران رحمه الله[١] أميراً لها، كما عين محمد ابن سعد البرازي رحمه الله أميراً للجبيلة .

وفي غرة محرم عام ١٣٦٤هـ ضمت إمارة الجبيلة لإمارة العيينة وعين محمد ابن عبد العزيز بن ناصر بن معمر رحمه الله[٢] أميراً لها، واستمر أميراً فيهما حتى الثلاثين من رجب عام ١٣٦٩هـ وخلفه على إمارتهما محمد بن عبدالله بن محمد ابن معمر[٣] وظل أميراً لهما حتى وفاته رحمه الله عام ١٣٧٥هـ .

بعد ذلك عين سعد بن سفيران أميراً للعيينة للمرة الثانية، وعبد الله بن عياف رحمه الله أميراً للجبيلة بعد أن فصلت إمارة البلدتين .

وفي رجب عام ١٣٧٧هـ عين محمد بن عبد العزيز بن علي الشنيفي أميراً للجبيلة حتى عام ١٣٧٩هـ، عندما تم ضم إمارة الجبيلة لإمارة العيينة، وبقي الشنيفي أميراً لهما حتى الثلاثين من جمادى الآخرة عام ١٣٩٣هـ، عندما عين عبد الله بن عبد العزيز بن ناصر بن معمر رحمه الله[٤] أميراً للعيينة والجبيلة حتى عام ١٤٠٠هـ .

ثم عين علي بن محمد بن سلطان أميراً لهما خلفاً لابن معمر، وبقي ابن سلطان أميراً حتى وفاته رحمه الله عام ١٤٠٦هـ وخلفه على إمارتها سعد

---

(١) توفي سعد بن سفيران في ٥/ ٩/ ١٤٠٠هـ .

(٢) ينظر ترجمته، ص ٢٨٩ .

(٣) ينظر ترجمته ص ٤٨٧ .

(٤) ينظر ترجمته، ص ٤٩٣ .

ابن محمد بن تويم اعتباراً من ٤/ ١٢/ ١٤٠٦هـ وفي ١/ ١٢/ ١٤٢١هـ كلّف سعد ابن محمد بن معمر رئيساً لمركزها ، ولا يزال رئيساً لمركزها حتى الآن .

٢- شرطة العيينة :

أنشئ في عهد الملك عبد العزيز رحمه الله مركز للشرطة في بلدة الجبيلة حوالي عام ١٣٥٧هـ ، حيث يتحكم موقعها في أهم الطرق التي تربط العاصمة الرياض بالأقاليم الشمالية والغربية ، وشيد مبنى الشرطة فوق بروز جبلي إلى الجنوب من سور الجبيلة القديم وهي أرض تعود ملكيتها لأسرة السويلم(*) ، ولا يزال المبني الذي شغلته الشرطة في بداية نشأتها قائماً إلا أنه يحتاج إلى ترميم .

ثم انتقلت شرطة الجبيلة إلى مدينة العيينة عام ١٣٨٦هـ بعد أن فقد موقعها قيمته الاستراتيجية عقب افتتاح طريق ديراب ، ولا تزال شرطة العيينة والجبيلة تقوم بدورها بكفاءة .

٣- بلدية العيينة والجبيلة :

أنشئت بلدية العيينة والجبيلة في غرة عام ١٤٠٢هـ وعين سليمان بن محمد السلطان رئيساً لها ثم عين فهد بن محمد بن حمد بن معمر خلفاً له بتاريخ ٢٨ صفر ١٤٠٣هـ ، ومنذ تأسيسها وهي تقوم بالدور الذي أنشئت من أجله ، وأسهمت في تطوير وتنظيم مدينة العيينة وقراها - الجبيلة وهجرة بوضة .

واعتمد خلال هذه الفترة ثلاثة مخططات سكنية حديثة اثنان في مدينة العيينة والثالث في الجبيلة .

كما أسهمت البلدية في شق الطرق وسفلتتها وإنارتها ، وأنشأت حدائق عامة حديثة ، وامتدت خدماتها البلدية لتخدم المتنزهين في الحيسية ، وذلك بتشجير شوارع وميادين العيينة والجبيلة وتسوير المقابر وغيرها من الخدمات المتميزة الأخرى .

وفي عام ١٤١٣هـ عين محمد بن علي الرشيد رئيساً لها وكان خير خلف لخير سلف واستمر في بلدية العيينة حتى ١/ ٧/ ١٤١٦هـ وخلفه أحمد العيسى ولا يزال .

٤- محكمة العيينة والجبيلة :

كانت محكمة الدرعية تقوم بإخراج صكوك تملك الأراضي في العيينة والبت في الخصومات نظراً لقرب البلدين من بعضهما .

(*) كتب ذلك لي الأستاذ/ إبراهيم العيسي .

وفي عام ١٣٩٥هـ أنشئت محكمة العيينة ، وكان القاضي ابن عيسى ينتدب لها من عرقة ، ومع توسع البلدة وكثرة سكانها ، وبالتالي كثرة حاجة الأهالي لوجود قاض بصفة مستمرة تم تعيين القاضي عبد العزيز بن عبد الله بن زاحم كأول قاضي في محكمة العيينة يعين رسمياً ، تلاه القاضي عبد العزيز بن محمد الوهيبي ، ثم القاضي عثمان بن سليمان الشعلان ثم تلاه القاضي صالح الراجحي .

٥- هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر :

أنشئت هذه الهيئة في مدينة العيينة عام ١٣٨٠هـ ، وعين عبد العزيز بن فهد المقـــرن(*) رئيساً لها وتوفي رحمه الله عام ١٤١٩هـ وخلفه رئيساً للهيئة سعد الضاحي .

٦- التعليم في العيينة :

إيماناً بدور العلم وتطوره ، وكونه عنصراً أساسياً في رقي وتقدم الدول في العصر الحديث ، فقد أولته حكومتنا الرشيدة جل اهتمامها ورعايتها ، إذ عممت مدارس البنين والبنات في مدن وقرى وهجر متناثرة على أرضها الطاهرة ، فنهل كل مواطن ، أيا كان موقعه ، من ينبوع العلم ليصبح قادراً على تحمل مسؤولياته والمشاركة في نهضة ورقي وطنه ، وكان للعيينة من ذلك نصيب ، فافتتحت بها مدارس للبنين والبنات .

تعليم البنين :

بدأ تعليم البنين النظامي في العيينة بافتتاح مدرسة العيينة الابتدائية عام ١٣٧٩هـ وبعد ذلك توالى افتتاح عدد من المدارس الابتدائية والمتوسطة والثانوية ، وارتقى خريجوها سلم العلم الجامعي والعالي ، وأصبحوا يحتلون مواقع بارزة على خارطة الأعمال الحكومية والأهلية .

تعليم البنات :

كان بدء تعليم البنات في العيينة عام ١٣٨٤هـ بافتتاح مدرسة ابتدائية أعقب ذلك افتتاح مدارس ابتدائية ومتوسطة وثانوية ، وفي ربيع الأول عام ١٣٩٤هـ

(*) كان والده فهد بن مقرن مطوعاً لأهل العيينة وخطيباً لجامعها حتى وفاته رحمه الله عام ١٣٧٤هـ وكان قبل ذلك مطوعاً في حي الراس في بلد سدوس ، وحفيده سعد خطيب جامع العيينة الآن .

أنشئت مندوبية تعليم البنات بالعيينة ، وعين سعد بن عبد العزيز المقرن مديراً لها ، وتشرف على كل من الجبيلة وهجرة بوضة وسدوس وحزوى والوصيل والعمارية بالإضافة لمدينة العيينة .

جدول رقم (٤)

إحصائية عن تعليم البنات في العيينة(*)

	المرحلة	مدارس	فصول	طالبات	معلمات	مديرات ومساعدات	إداريات
مندوبية العيينة	رياض أطفال	٣	٨	١٣٥	١٩	٤	-
	ابتدائي	٨	٤٧	٧٦٥	٩٥	١٥	٨
	ابتدائي تحفيظ قرآن	١	٦	٧٦	١٥	٢	٢
	متوسط	٥	١٨	٢٥١	٥٩	٢	١
	متوسط تحفيظ قرآن	١	٢	١٣	٦	مشترك	مشترك
	ثانوي	٤	١٥	٢٣١	٤٥	مشترك	مشترك
	محو أمية	٧	١٨	١٣٤	٢٠	١	-

جدول رقم (٥)

توزيع سكان العيينة والجبيلة (١٠ سنوات فأكثر) حسب الحالة التعليمية عام ١٤١٣هـ (**)

البلد	أمي	يقرأ ويكتب	الشهادة الابتدائية	الشهادة المتوسطة	الشهادة الثانوية أو ما يعادلها	دبلوم دون الجامعي	بكالوريوس	دبلوم عالي أو ماجستير	دكتوراة	الجملة
العيينة والجبيلة	١٩٠٤	٢٨٢٠	٢٧١٨	١٤٤٨	٢٤١٣	٣٩٩	٧٨٠	٩٠	٣٥	١٢٦٠٧
ذكور	٧٢١	١٤٧٥	١٧٢٤	٩٣٥	١٩٧٦	٣٤٣	٦٣٣	٨٦	٣٥	٧٩٢٨
إناث	١١٨٣	١٣٤٥	٩٩٤	٥١٣	٤٣٧	٥٦	١٤٧	٤	-	٤٦٧٩

(*) معلومات من مندوبية تعليم البنات بالعيينة ١٤٢٢هـ .

(**) النتائج التفصيلية للتعداد العام للسكان والمساكن في منطقة الرياض ، ١٤١٣هـ ، صفحة ٧٠ .

الفصل السابع

نبذة تاريخية عن العيينة

- تاريخ العيينة قبل الإسلام
- تاريخ العيينة منذ ظهور الإسلام حتى عام ٨٥٠ هـ

الفصل السابع

نبذة تاريخية عن العيينة

مقدمة :

لقد عاش الإنسان على هذه الأرض وبنى حضارات عريقة ، حيث قامت دول وممالك ثم أفلت وغابت لتقوم أخرى وهكذا ، ولا يبقى أو يدوم الملك إلا لمالك الملك سبحانه ، وتخلف كل دولة ومملكة شواهد ومآثر وتواريخ يبقى بعضها شاهداً على تلك الحضارات ، ويختفي البعض الآخر إما مرحلياً أو إلى الأبد .

وقد تجهل حقب تاريخية كاملة لضياع ما دون عنها من معلومات واندثار أو طمس أو فناء ما خلفت من شواهد وآثار .

من هنا أصبح الباحث في التاريخ القديم للمنطقة الوسطى من المملكة بشكل عام ووادي حنيفة بشكل خاص يجد حلقات وحقب زمنية مجهولة ومفقودة رغم العثور على بعض النقوش المتناثرة في المنطقة ، والتي لقلتها لم ترسم لوحة كاملة لتاريخها القديم وإن كانت أعطت مؤشرات ودلائل يُعول عليها .

ولعل العثور في المستقبل إن شاء الله على كتابات ونقوش وآثار أكثر ، تظهر لنا عن تاريخ المنطقة القديم ما نجهله . وفي العصر الإسلامي بدأت الإشارة لتاريخ المنطقة ضمن سياق التدوين للتاريخ الإسلامي العام ، الأمر الذي وفر للباحثين معلومات مهمة وأصيلة رغم قلتها . وفي نبذتنا هذه عن تاريخ العيينة سنتكلم عما وجدناه عن تاريخها قبل الإسلام ثم نبذة عن تاريخها الإسلامي حتى عام ٨٥٠هـ .

تاريخ العيينة قبل الإسلام :

تاريخ العيينة جزء من تاريخ نجد بشكل عام ، وتاريخ الجزيرة العربية بشكل عام ، إذ أن أي دولة أو مملكة تسيطر على هذه المنطقة تصبح بالتالي منطقة الدراسة جزءاً منها .

والتاريخ القديم كما أشرنا فيه حقب زمنية مجهولة والأمل معقود على الكشوف الأثرية لإضافة بعض اللبنات لتاريخنا العريق ، لنصل في النهاية لبناء صرح تاريخي أصيل يحكي تاريخ المنطقة بشكل واضح وموثق .

ولعل الكشوفات التي عثر عليها في الدوادمي ، وهي أدوات من الصوان كالفؤوس وغيرها التي كان يستخدمها السكان في العصر الحجري ، تعتبر من أقدم الدلائل التي توحي بوجود تاريخ عمراني حضاري للمنطقة ، ولوسط شبه الجزيرة بصفة عامة . كما أن الكشوفات في الربع الخالي وهي عبارة عن أدوات ترجع إلى العصر البرونزي تسهم كذلك في تأصيل تاريخ المنطقة[١] . والكتابات القديمة التي عثر عليها في كهف برمة على مسافة ٦٦ كيلا شمال شرقي الرياض ، والنقوش التي عثر عليها شرق طريق خريص[٢] ، والتي تثبت أن الثموديين عاشوا في المنطقة ، تعمل معاً على ربط حقب وأزمان تاريخية بعضها مع بعض لرسم لوحة تاريخية للمنطقة ، الأمر الذي يسهم في تأصيل تاريخ المنطقة بشكل علمي .

أما بالنسبة لمدينة العيينة ونصيبها من هذه الكشوف الأثرية ، فقد عثر المؤلف على كتابات ونقوش أثرية في شمالي بلدة سدوس عام ١٤١٠هـ[*] ، كما عثر المؤلف أيضاً على حروف قديمة على بعض الصخور جنوبي مدينة العيينة عام ١٤١١هـ ، وذلك بالإضافة لحجرين عثرت عليهما جامعة الملك سعود في سدوس قبل ٢٥ عاماً عليهما كتابات ، ونقلتهما لمتحف الجامعة بمعرفة الدكتور عبد الرحمن الأنصاري ، وكذلك ما كتبه الرحالة والمؤرخون عن بناء ضخم منحوت من الحجارة كان في بلد سدوس[**] بقيت عموده (المسلة) حتى آخر القرن الثالث عشر الهجري .

كل هذه الكشوف والمعلومات تؤكد أن للمنطقة تاريخاً حافلاً يجب على

---

(١) تاريخ البلاد العربية السعودية ، جـ١ ، ص ٥ .

(٢) د . منير العجلاني ، الإمام تركي بن عبد الله ، منشورات دار الشبل للنشر والطباعة والتوزيع ، الرياض ، ١٤١٠هـ ، ص ٣١٥ .

(*) ينظر : مجلة اليمامة العدد ١١١٥ ، بتاريخ ١٠/ ١/ ١٤١١هـ ، كشوفات تاريخية ، بقلم عبد المحسن محمد بن معمر ، ص ٢٥ .

(**) لمزيد من المعلومات طالع مجلة اليمامة ، العدد ١٠٥٨ بتاريخ ٤/ ١١/ ١٤٠٩هـ ، تحقيق عن مسلة سدوس بقلم عبد المحسن بن محمد بن معمر ، ص ٤٢ ، ٤٥ .

المهتمين والهيئات الخاصة بالآثار من ربط هذه الكشوف والآثار والكتابات معاً لإعطائنا ما يتوصلون له من معلومات عن تاريخ المنطقة . مع الاهتمام بمسح المنطقة أثرياً ، وفق خطة مرسومة وجهد جماعي منظم .

لقد عاش الثموديون في المنطقة وسيطروا عليها حقبة زمنية ، ثم جاءت بعدهم قبيلة تعرف بهزان الأولى من العرب البائدة والمعلومات عنها قليلة ، ثم آلت السيطرة والسيادة في المنطقة لقبيلتي طسم وجديس اللتين يعدهما المؤرخون من العرب البائدة ، ويقرنونهما بقبيلة ثمود . ويرجعون القبائل الثلاث إلى جد واحد ، وهو سام بن نوح ، فيقولون (ثمود وطسم وجديس) أبناء إرم بن سام ابن نوح ، ويرى بعضهم أن طسم أقدم من جديس[(١)] .

وكانت القبيلتان ذاتي حضارة وعمران ، وخلفتا آثاراً متميزة ذكرها المؤرخون ، منها (بتيل) حجر وعليه قصر مشيد عجيب و (معنق) قصر عبيد بن ثعلبة وهو أشهر قصور اليمامة من بناء طسم يقع على أكمة مرتفعة و(الثرملية) حصن من حصون طسم ، وبقيت آثار تلك القصور والحصون إلى العصور الأولى الإسلامية .

ثم دب الخلاف بين القبيلتين مما أضعفهما ، وقد غزا أحد ملوك اليمن قبيلة جديس في الخرج وهزمهم ، وكانت زرقاء (اليمامة) وهي امرأة من طسم المشهورة بحدة البصر ، أنذرت الجدسيين ، وكانت متزوجة منهم ، حينما رأت الغزاة من مسافة بعيدة . ولكنهم لم يصدقوها ، فهاجمهم الغزاة على غرَّة ، وقتلوهم وكانت زرقاء اليمامة من ضمن القتلى ، ولقد اختلف المؤرخون في الزمن الذي غزيت فيه جديس ، واسم الملك الذي غزاها فيقال : إنه « ذو جيشان» بن أفريقس الذي عاش في القرن الخامس قبل الميلاد ، وبعضهم الآخر يرى أن الملك الذي غزا جديساً هو «حسان بن أسعد أبو كرب» الذي حكم في أول القرن الخامس الميلادي ، فقضى على الجديسيين الذين أزالوا سابقاً حكم الطسميين .

وقامت في القرن الثالث الميلادي تقريباً مملكة كندة في الجنوب بعد زوال دولة طسم حسب رواية ابن الكلبي وأبرز ملوكها هو الملك الشاعر امرؤ القيس ابن حجر[(٢)] ، ثم سكنت قبيلة (عنزة) بن أسد بن ربيعة المنطقة وأول من سكنها

---

(١) مدينة الرياض عبر أطوار التاريخ ، ص ٢٥ .

(٢) تاريخ البلاد العربية السعودية ، جـ١ ، ص ١٢-١٣ ، ١٨ .

منهم عبد العزى بن عمر العنزي ، وكان ذلك قبل قدوم بني حنيفة للمنطقة وسكنهم فيها [١] .

وقبل ظهور الإسلام بقرنين من الزمان تقريباً قدمت قبيلة عدنانية مشهورة إلى المنطقة هي قبيلة بني حنيفة التي تنسب إلى حنيفة بن لجيم بن صعب بن علي ابن بكر بن وائل ، حيث درجوا من عالية نجد وأطراف الحجاز يتقدمهم عبيد ابن ثعلبة بن يربوع الحنفي حتى وصل اليمامة ، وهو الاسم القديم لأجزاء من المنطقة الوسطى فنزل مكاناً يقال له : (قارات الحبُل) قريباً من (حجر) ، وكان راعياً له قد رأى مباني حَجْر ونخيلها ، فرجع وأخبر سيده بما رأى وجاءه بشيء من تمر نخلها ، فلما ذاقه عبيد قال : «هذا واللّه الطعام» ثم ركب عبيد فرسه حتى وصل (حجراً) فوضع رمحه على الأرض ثم دفع فرسه فاحتجر ثلاثين داراً وثلاثين حديقة فسميت حجيرته (حجْراً) ، ثم ركز رمحه في وسطها ورجع إلى أهله فنقلهم لها فسميت منذ ذلك الحين «حجْر» أو «حجْر اليمامة» .

فسمعت بنو حنيفة بما أصاب عبيداً ، فأقبلوا ومن كان معهم من بني بكر ابن وائل حتى نزلوا قرى اليمامة . وقد انتشر بنو حنيفة في قرى اليمامة وخصوصاً البلدان الواقعة على ضفاف وادي العرض (حنيفة) ، حتى غلب اسم القبلية على اسم الوادي فعرف به (وادي حنيفة) .

وبقي بنو حنيفة يبثون ويزرعون ويسيطرون على المنطقة خلال قرنين من الزمن غزاهم في آخرها عمرو بن كلثوم التغلبي ، ودارت بينه وبينهم معركة انتهت بهزيمته وأسره وأرجح أن مكان المعركة كان في أعلى العيينة ، حول بوضة (أباض) بدليل أحد الأبيات لعمرو بن كلثوم الذي يقول فيه :

كأن الخيل أسفل من أباض . . بجنب عويرض أسراب دبر [٢] .

فهو يفخر بكثرة الخيول أسفل بوضة بجنب (عويرض) الذي أظنه (جبل مصيقرة) ، فهو يعترض في هذا السهل الكبير بطول ٦ أكيال تقريباً . ثم مَنّ السحيميون من بني حنيفة على عمرو بن كلثوم فأطلقوه وأكرموه [٣] .

هذا بعض من تاريخ المنطقة قبل ظهور الإسلام .

---

(١) مدينة الرياض عبر أطوار التاريخ ، ص ٣٢ ، ٣٤-٣٦ .
(٢) معجم ما استعجم ، جـ١ ، ص ٨٣-٨٥ ، جـ٢ ، ص ٩٥ .
(٣) مدينة الرياض ، ص ٤٤ .

تاريخ العيينة عند ظهور الإسلام وحتى عام ٨٥٠هـ:

وعندما ظهر الإسلام كانت زعامة بني حنيفة في هوذة بن علي السحيمي الحنفي فامتد سلطانه على اليمامة كلها ، فصار يحمي التجارة التي تأتي من بلاد الفرس ، ومن شرق الجزيرة حتى تبلغ سوق (حجر) وغيره من أسواق الجزيرة ، ومسكن هوذة الخرج والبعض يذكر أن سكنه وادي قران – الشعيب الآن .

وهوذة من أعظم ملوك العرب ، وهو أول معدي لبس التاج وخوطب بأبيت اللعن ووفد عليه الشعراء ومدحوه ، منهم (الأعشى) الشاعر المشهور الذي مدحه بقصيدته التي مطلعها :

أحيتك تيًّا أم تركت بدائكا وكانت قتولا للرجال كذلكا

وأقصرت عن ذكر البطالة والصبا وكانت سفاها ضلة من ضلالكا

وما كان إلا الحين يوم لقيتها وقطع جديد حبلها عن حبالكا

وقامت تريني بعدما نام صحبتي بياض ثناياها وأسود حالكا

ثم وصف الفقر والفاقة إلى أن قال :

إلى هوذة الوهاب أهدي مديحتي أرجي نوالاً فاضلاً عن عطائكا

تجانف عن جل اليمامة ناقتي وما عمدت من أهلها لسوائكا

ألمت بأقوام فعافت حياضهم قلوصى فكان الشرب منها بمائكا

فلما أتت آطام جو وأهله أنيخت فألقت رحلها بفنائكا

سمعت برحب الباع والجود والندى فألقيت دلوي فاستقت برشائكا

وما ذاك إلا أن كفيك بالندى يجودان بالإعطاء قبل سؤالكا

فتى يحمل الأعباء لو كان غيره من الناس لم ينهض لها متماسكا

وأنت الذي عودتني أن تريشني وأنت الذي آويتني في ظلالكا

وإنك في ما نابني بك موزع بخير وإني مولع بثنائكا

وجدت عليا بائنا فورثته وطلقا وشيبان الجواد ومالكا

ولم يسع في العلياء سعيك ماجد ولا ذو إناء في الحي مثل إنائكا

وفي كل عام أنت جاشم رحلة تشد لأقصاها عزيم عزائكا
مورثة مالا وفي الحي رفعة لما ضاع فيها من قروء نسائكا(١)

وكتب الرسول ﷺ إلى هوذة كما كتب لكسرى وقيصر لدعوتهم للإسلام ، وهذا نص كتاب رسول الله ﷺ :

« بسم الله الرحمن الرحيم : من محمد رسول الله ، إلى (هوذة بن علي) : سلام على من اتبع الهدى ! واعلم أن ديني سيظهر إلى منتهى الخف والحافر ، فأسلم تسلم ، وأجعل لك ما تحت يدك » .

ولكن (هوذة) كتب جواباً يقول فيه :

ما أحسن ما تدعو إليه وأجمله !! وأنا شاعر قومي ، وخطيبهم ، والعرب تهاب مكاني ، فاجعل لي بعض الأمر اتبعك .

فلما بلغ النبي ﷺ جوابه قال : « لو سألني سيابة (أي بلحة) من الأرض ما فعلت ، باد ، وباد ما في يديه ! » فلم يلبث هوذة إلا قليلاً ثم توفى (٢) .

وكان ثمامة بن أثال الحنفي يسامي هوذة بن علي في الشرف ، وهو أيضاً من بني حنيفة من أهل حجر ، وقصد ثمامة مكة معتمراً وأسرته سرية لرسول الله ﷺ (٣) . وربط بسارية المسجد ، فأمر الرسول صلى الله عليه وسلم باطلاق سراحه ودعاه إلى الإسلام ، فأعلن إسلامه .

فذهب إلى مكة معتمراً ، فقالت له قريش : صبأت يا ثمامة ! فقال : لا ، ولكنني أسلمت ، ووالله لا يأتيكم من اليمامة حبة حنطة حتى يأذن محمد .

فرجع لليمامة ومنع الحنطة عن مكة ، ولم يسمح باستئناف تصديرها لهم إلا بعد أن طلب منه رسول الله ﷺ ذلك .

وفي العام العاشر من الهجرة الشريفة وفد بنو حنيفة على رسول الله ﷺ ،

---

(١) تاريخ ابن لعبون ، ص ٥٢ ، ٥٣ .
(٢) مدينة الرياض ، ص ٤٦ .
(٣) السيرة النبوية لابن هشام ، جـ٢ ، ص٦٣٨ .

وفيهم (مجاعة بن مرارة) ، والرحال بن عنفوة ، ومسلمة بن حبيب (مسيلمة الكذاب) فأكرمهم الرسول ﷺ وأعطاهم . فلما رجع الوفد إلى ديارهم ادعى مسيلمة النبوة ، وكتب إلى الرسول ﷺ : من مسلمة رسول الله إلى محمد رسول الله . سلام عليك . أما بعد فقد أُشركت معك في الأمر ، فلنا نصف الأرض ، ولقريش نصفها ، ولكن قريشًا قوم يعتدون ، فرد عليه الرسول محمد ﷺ : كتاباً قال فيه : من محمد رسول الله إلى مسيلمة الكذاب ! أما بعد ، فإن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده ، والعاقبة للمتقين . والسلام على من اتبع الهدى .

وبعد وفاة الرسول ﷺ قوي أمر مسيلمة وانقاد له كثير من بني حنيفة ، وخاصة قومه بنو عدي ومن حولهم ، وارتد معظم بني حنيفة وعطلوا بعض أركان الإسلام .

حروب الردة (في اليمامة) :

عزم أبو بكر الصديق خليفة رسول الله ﷺ على قتال المرتدين . فجهز أول الأمر جيشاً وأسند قيادته لـ (عكرمة بن أبي جهل) وأرسله لليمامة ، وأمده بمدد بقيادة (شرحبيل بن حسنة) . ولكن عكرمة خاض المعركة قبل وصول المدد إليه فَهُزِم فبعث للخليفة أبو بكر بالمدينة فأخبره بما كان من أمره فأمره أبو بكر بالمسير مع فلول جيشه والانضمام للجيش الذي بعثه لغزو عُمان ، ومهرة .

وكان مصير شرحبيل بن حسنة كمصير عكرمة إذ تعجل قتال مسيلمة ومن معه ، قبل قدوم خالد بن الوليد . وكان فريق من بني حنيفة بزعامة(ثمامة بن أثال الحنفي) ثابتاً على إسلامه مناوئاً لمسيلمة ، فدارت بينه وبين مسيلمة معركة في وادي سلام شرق الجبيلة[1] . ولما لم تكن نتيجة المعركة حاسمة لذلك أراد ثمامة أن يتحين الفرصة للانقضاض على مسيلمة مرة أخرى .

وفي هذه الأثناء أقبلت (سجاح اليربوعية) – وكانت قد ادعت النبوة إلا أنها أسلمت وحسن إسلامها – من بلاد تغلب بجنودها لغزو بني حنيفة فلما بلغت

(١) الكامل في التاريخ ، جـ٢ ، ص ٣٥٤ ، ومعجم اليمامة ، جـ٣ ، ص ٢٨٩ .

اليمامة خاف مسيلمة أن يستغل ثمامة أو شرحبيل (*) أو كليهما معاً الفرصة إن هو قاتل سجاح ويحققون انتصاراً عليه . ففاوضها مسيلمة من موقف ضعف وصالحها على أن يدفع لها نصف غلات اليمامة ، فوافقت على أن يسلفها غلات السنة المقبلة (يدفعها قبل حلول وقتها) فاستجاب لطلبها وانصرفت - وذكر بعض المؤرخين أنه تزوج منها في قصة مشهورة - فهزم شرحبيل بن حسنة ، فأدرك أبو بكر رضي اللّه عنه قوة بني حنيفة وشدة بأسهم فعقد اللواء للسيف الذي لم يقهر خالد بن الوليد رضي اللّه عنه . سار خالد إلى اليمامة في السنة الحادية عشرة من الهجرة وقاد جيشاً من الصحابة يزيد عن أحد عشر ألف مقاتل بعد أن انضم إليه شرحبيل بن حسنة بمن بقي معه من جيشه . ولم ينس خالد أن يلوم شرحبيل على تعجله في قتال بني حنيفة . وأمد أبو بكر خالداً بسليط بن عمرو ليكون ردءاً له مخافة أن يأتيه أحد من خلفه . ولما وصل جيش خالد (ثنية الأحيسى) وجد مجاعة ابن مرارة الحنفي ومعه حوالي أربعين من قومه نائمين ، وأرسان خيولهم بأيديهم تحت خدودهم ، فأيقظهم المسلمون وحملوهم إلى خالد بن الوليد ، فاعتقد خالد أنهم جاءوه ليستقبلوه وليتقوه ، ولكنهم أخبروه أنهم خرجوا لثأر لهم في بني عامر وتميم فأمر بهم خالد فقتلوا إلا مجاعة استبقاه عنده كالرهينة(١) ، وقيده بالحديد .

خرج مسيلمة بن حبيب بجيوشه من بني حنيفة وقدر عددهم بحوالي أربعين ألف مقاتل(٢) حين سمع بقرب وصول جيوش المسلمين فنزل عقرباء وجعل حواضر ومزارع بني حنيفة خلفه .

وخرج خالد من ثنية الأحيسى (سبع الملافّ) ولعله سلك ثنية غرور مع وادي غرور أحد روافد وادي بوضه (أباض) وعسكر خالد في مكان مرتفع هنالك(٣) ولعل موقعه الذي عسكر فيه هو سفح جبل مصيقرة الجنوبي الشرقي إلى الغرب من بلدة أباض غربي هجرة بوضة الآن . ودارت رحى معارك عديدة ووقعات مختلفة في بوضة ، وأهلها بني عدى من بني حنيفة ، والهدار (الهديدير) وأهلها

(*) كانت تلك الحادثة قبل هزيمة جيش شرحبيل على يد قوات مسيلمة .

(١) تاريخ الأمم والملوك ، جـ٣ ، ص ٢٨٧ .

(٢) الكامل في التاريخ ، جـ٣ ، ص ٣٦١ .

(٣) تاريخ الأمم والملوك ، جـ٣ ، ص ٢٨٧ ، ٢٨٨ .

بني ذهل بن الدؤل من بني حنيفة - وفيها ولد مسيلمة - وما حولها من أماكن وكانت الحرب سجالاً بين المسلمين وبني حنيفة ، قال موسى بن جابر العبيدي الحنفي :

فلا يغرَّنَّكَ فيمَا مَضَى جخيفُ قريش وإكثارُهَا
غداة علا عرضنا خالدٌ وسالتْ أباضُ وهدَّارُها

فهو يصف عنف المعركة وكثرة الدماء في أباض (بوضة) والهدار (الهديدير) بأنها كالسيول في تلك الأودية من كثرة القتلى والجرحى .

وهذا شاعر من بني حنيفة يذكر في شعره لجوء بني حنيفة إلى المزارع (الحدائق) وأن الأماكن المتسعة من العيينة (بوضة) وخصوصاً أبارقها (البرق) وهي الرمال التي تجلل سفوح الجبال قد ضاقت بالمتقاتلين والبرق تنتشر على سفوح جبل مصيقرة وعلى السلسلة الجنوبية لوادي بوضة بعد التقائها بوادي الهديدير وحتى وادي أم كثير :

وقال في ذلك اليوم :

فلله عينَا مَنْ رأى مثلَ معشر أحاطتْ بهم آجالُهم والبوائقُ
فلمْ أرَ مثلَ الجيشِ جيش محمد ولا مثلَنَا يومَ احتَوتْنَا الحدائقُ
أكر ، وأحمى من فريقين جمعوا وضاقتْ عليهمْ في أباض البوارقُ

وقال الراجز :

يوم أباض إذ تسنُّ اليزنا والمشرفيّات تَقدُّ البُدُنا(١)

قام خالد بن الوليد بترتيب الجيش المسلم ، وأمّر على المقدمة (خالد المخزومي) وعلى المجنبتين (زيد بن الخطاب) وأبا حذيفة ، ورتب مسيلمة جيشه فجعل على مجنبتيه المحكم «محكم اليمامة» ابن الطفيل والرحّال بن عنفوه ، وفي رواية الرجال بالجيم وكان الرحّال هذا قد هاجر إلى النبي ﷺ وقرأ القرآن وفقه في الدين ، فبعثه الرسول ﷺ معلماً لأهل اليمامة وليرد على ادعاءات مسيلمة . ولكن الرحال

(١) معجم البلدان ، ص ٦٠ .

ارتد وشهد لمسيلمة أنه سمع الرسول ﷺ يقول : إنه قد أُشرك معه فصدقه بنو حنيفة ، ومر بنا أن «قارة» سميت باسم قارة الرحال ، فربما أنها سميت على هذا الرجل ، وربما أنه قتل عندها أو عسكر فيها .

على أية حال دارت المعركة الكبرى وقتل الرحال بن عنفوة ، ثم حمل بنو حنيفة على المسلمين ، وانهزم المسلمون ، ووصل بنو حنيفة إلى فسطاط خالد ابن الوليد ، فزال عنه خالد ودخله بعض بني حنيفة ، وفيه مجاعة أسيرٌ فرعبلوا(*) الفسطاط بالسيوف .

فتحمس المسلمون وقاتلوا قتالاً شديداً ، فاستشهد زيد بن الخطاب وثابت ابن قيس وعدد كبير من المسلمين ، وكان حامل راية المسلمين عبد اللّه بن حفص ابن غانم ، فلما استشهد حملها سالم بن عبيد اللّه ، وحمل عبدالرحمن بن أبي بكر الصديق رضي اللّه عنه فقتل محكم اليمامة ، وضغط جيش المسلمين على بني حنيفة ، فتقهقر بنو حنيفة إلى الحديقة ، حديقة الموت ، وهي على ما اتضح لي الموقع الذي يقع على ضفة وادي حنيفة الشمالية بين شعيب سلام والجبيلة . وأغلقوا الباب فطلب (البراء بن مالك) أخو أنس بن مالك رضي اللّه عنهما من المسلمين أن يحملوه حتى يستطيع أن يتسلق سور الحديقة فتمكن من ذلك ونزل الحديقة وقاتل من يليه من بني حنيفة وفتح باب الحديقة فتدافع المسلمون أفواجاً حتى استأصلوا أغلب المرتدين ، ووصلوا إلى مسيلمة فقتلوه ، واشترك في قتله (وحشي) مولى (جبير بن مطعم) ، ووحشي هذا هو الذي قتل (حمزة ابن عبدالمطلب) رضي اللّه عنه في معركة أحد ، فأراد أن يكفر عن عمله هذا بعد أن أسلم بقتل مسيلمة فرماه بالحربة ، وأجهز عليه بالسيف أحد الأنصار .

ويصف لنا ابن جرير جو المعركة بأنه يوم جنوب له غبار(١) أي أن الرياح جنوبية الاتجاه . فكثر القتلى وقتل من بني حنيفة في معارك اليمامة أكثر من عشرين ألف حسب ما ذكر ابن الأثير(٢) . واستشهد من المسلمين ألف ومائتان ، منهم سبعون

(*) قطعوا .

(١) تاريخ الأمم والملوك ، لابن جرير الطبري ، حـ٣ ، ص ٢٨٨-٢٩٧ .

(٢) الكامل في التاريخ ، جـ٣ ، ص ٦٥ .

من حفظة القرآن ، وكُسيت أرض المعركة بالدماء حتى ذكر أن الشعب الذي يحد الجبيلة من الجهة الغربية سال بالدماء ، وسمي بعد ذلك بـ (شعيب الدم) ، وقد أشار إلى ذلك ضرار بن الأزور رضي الله عنه بقوله :

ولو سُئلَتْ عنا جنوبٌ لأخبرت عشية سالت عقرباء وملهم

وسال بفرع الوادي حتى ترقرقت حجارته فيها من القوم بالدم

عشيةَ لا تغنى الرِّماح مكانها ولا النبلُ إلا المشرفي المصمم

فإن تبتغي الكفار غير مُليمة جنوب فإنّي تابع الدين مسلم

أجاهد إذ كان الجهاد غنيمةً وللّهُ بالمرء المجاهد أعلم

فذكر ضرار في البيت الأول عقرباء سالت بالدماء ، وشعيب الدم ينحدر منها غربي الجبيلة عقرباء قديماً ، وبعد نهاية المعركة بدأت مفاوضات الصلح بين مجاعة وخالد ، فصالح مجاعة خالد على أن يأخذ خالد ما لدى بني حنيفة من ذهب وفضة وسلاح ، وأن يأخذ نصف السبي . وتوجه مجاعة إلى حصون بني حنيفة مظهراً أنه يريد استشارتهم فعمد إلى الحيلة وأمر النساء أن يلبسن السلاح ويشرفن من الحصون . ثم رجع إلى خالد وزعم أن قومه رفضوا بعض بنود الصلح ، وأشار على خالد أن يقبل ربع السبي ويدع الربع ، فرضي خالد بذلك ظناً منه أن النساء اللاتي في الحصون رجالٌ ، ورغبة منه في حقن الدماء ، كما أن المسلمين أنهكتهم الحرب[1] ، وكانت تقام الصلاة فلا يحضرها إلا القليل من المسلمين لكثرة الجرحى فيهم . وكتب خالد بالصلح كتاباً قال فيه : «هذا ما صالح عليه خالد بن الوليد مجاعة بن مرارة وسلمة بن عمير ، (وفلاناً وفلاناً خمسة آخرين) قاضاهم على الصفراء والبيضاء ، ونصف السبي والحلقة والكراع ، وحائط من كل قرية ومزرعة ، على أن يسلموا ، ثم أنتم آمنون ، بأمان الله ولكم ذمة خالد بن الوليد وذمة أبي بكر خليفة رسول الله ، وذمم المسلمين على الوفاء» . فلما فتحت الحصون لم ير خالد إلا النساء ، فقال لمجاعة : ويحك خدعتني ؟ ! فقال له : قومي ولم أستطع إلا ما صنعت ! وتم الصلح ، وعاد المرتدون في اليمامة إلى ربقة

---

(1) الكامل في التاريخ ، جـ3 ، ص 365-366 .

الإسلام، وساروا في ركاب خالد إلى ميادين الفتوحات الإسلامية ، في أرض فارس والروم .

غادر خالد بوضة (أباض) بعد أن ولي على اليمامة سمرة بن عمرو العنبري التميمي [١] . وقد بعث خالد وفداً من بني حنيفة إلى أبي بكر الصديق ، فقدموا عليه مظهرين الولاء والطاعة ، وفيهم مجاعة بن مرارة فأقطعه أبو بكر (الخضرمة) .

واستولى المسلمون على بعض القرى التي لم تدخل في الصلح مثل القرية (سدوس) وعرقة ، واستمرت المنطقة تابعة للخلافة الإسلامية في عهد الخلفاء الراشدين ، وفي عهد معاوية ، وبعد وفاته في عهد ابنه يزيد استقل باليمامة نجدة ابن عامر الحنفي ، وكان قد شارك ومعه بعض بني حنيفة ابن الزبير أثناء دفاعه عن مكة في عهد يزيد بن معاوية .

وكانت أباض (بوضة) عاصمة لدولة نجدة بن عامر التي قامت عام ٦٥هـ واتسعت وشملت البحرين (المنطقة الشرقية) وعُمان وكاظمة والطائف وصنعاء وحضرموت ، واستمرت لمدة خمس سنوات . ثم نقل نجدة عاصمته إلى البحرين (الأحساء) وقتل عام ٧٢هـ [٢] .

ثم ولي اليمامة في عهد بني أمية ولاة يخضعون لهم مباشرة في النواحي الإدارية . وفي أول عهد بني العباس استمرت المنطقة تابعة لهم كذلك ، وفي منتصف القرن الثالث الهجري استولى محمد الأخيضر - وهو من سلالة الحسن ابن علي بن أبي طالب رضي اللّه عنه - على اليمامة وجعل « الخضرمة» قاعدة حكمه ، وتداولت ذريته الحكم حتى منتصف القرن الخامس الهجري أي من عام ٢٥٢هـ حتى عام ٤٥٥هـ . خلال ضعف الدولة العباسية . ومذهب بني الأخيضر الزيدية وكان أغلبهم سيئ السيرة ، اضطهدوا أهل المنطقة حتى جلى عنها وهجرها أكثر أهلها إلى مصر والشام والعراق وغيرها فمثلاً أهل قران (القرينة) هجروا بلدهم نتيجة الجدب واضطهاد بني الأخيضر لهم ، ورحلوا إلى البصرة

---

(١) جمهرة أنساب العرب ، لابن حزم ، ص ٢٠٨ .

(٢) ابن عربي ، ص١٣ ، ٤٧ ، ٦٤ ، ٩٥ .

عام ٣١٠هـ . وبعد القضاء على بني الأخيضر عام ٤٥٥هـ ؛ لم تقم دولة قوية في المنطقة بل إمارات صغيرة تخضع للقرامطة أو العيونين في الأحساء أو للأشراف في الحجاز وإن كان خضوعاً مظهرياً وشكلياً في معظم الأحيان .

على أن السيطرة كانت لبني حنيفة على أغلب بلدان المنطقة ، كآل يزيد من بني حنيفة حتى عام ٨٥٠هـ حين اشترى العيينة منهم حسن بن طوق التميمي جد آل معمر .

الفصل الثامن

إمارة العيينة

ما بين عامي ٨٥٠ - ١١٧٣هـ

- مؤسس إمارة العيينة
- شراء العيينة
- نسب أسرة آل معمر
- أمراء العيينة من عام ٨٥٠ ـ ١١٧٣ هـ
- علاقة العيينة بالقوى المحلية والإقليمية من عام ٨٥٠ـ ١١٧٣ هـ
- بعض علماء العيينة وقضاتها قبل الدعوة الإصلاحية

الفصل الثامن

إمارة العيينة

ما بين عامي ٨٥٠-١١٧٣هـ

مؤسس إمارة العيينة:

ترتبط نشأة إمارة العيينة بأحد رجال القرن التاسع الهجري ، وهو حسن ابن طوق التميمي الذي انتقل من (ثرمداء) إلى (ملهم)[١] أحد بلدان الشعيب المشهورة ، وعن سبب انتقاله ومتى كان ذلك تحديداً . فلم تسعفني المصادر التاريخية التي اطلعت عليها بشيء عن ذلك (وأرجح أن ذلك تم في أول القرن التاسع الهجري) .

وهناك احتمالان لانتقال حسن من ثرمداء :

الاحتمال الأول: العامل السياسي:

فثرمداء من بلدان بني سعد التميميين وأمراؤها العناقر استوطنوها منذ القدم وتكاثروا فيها وتناسلوا ، وهم ذوو نزعة قيادية ، فيظهر أن خلافاً نشب على السلطة في البلد ، فاضطر حسن بن طوق إلى الرحيل عن ثرمداء ، مفضلاً ذلك على الدخول في صراع على السلطة والحكم والإمارة مع أقاربه ، ولعل هذا هو الاحتمال الأرجح . فقد سجلت المصادر التاريخية رحيل أسر من العناقر وأقاربهم من ثرمداء بسبب خلاف سياسي ، فآل أبو عليان أمراء بريدة السابقون خرجوا من ثرمداء لنفس السبب ، حيث نزلوا ضريه رئيسهم راشد الدريبي ، وكانت بريدة ماء لآل هذال من شيوخ عنزة ، فاشتراها راشد الدريبي وعَمَّرها عام ٩٨٥هـ[٢] ، كما

(١) علماء نجد خلال ستة قرون ، جـ١ ، ص ٢٣٩ .

(٢) ابن عيسى ، إبراهيم بن صالح ، عقد الدرر فيما وقع في نجد من الحوادث ، مكتبة النهضة ، الرياض ، دمشق ، ١٣٧٢هـ ، ص ١١ .

أن النزاع على السلطة حصل بعد ذلك بحوالي مائة وثلاثين عاماً في عام ١١١٦هـ ، حيث قتل آل ناصر بن إبراهيم عمهم ريمان بن إبراهيم العنقري أمير ثرمداء واستولوا على إمارة البلد (١) .

وتشير بعض المصادر إلى سيطرة أسر منهم على زعامة بعض البلدان النجدية .

الاحتمال الثاني : أن هذا تم بسبب أحد العوامل الطبيعية:

كانتشار الأوبئة أو انقطاع الأمطار ، وما ينتج عن ذلك من جفاف ، ثم هجرة ورحيل بعض سكان تلك الحواضر ، التي اجتاحتها الكوارث ، وربما أن ثرمداء قد أصابها شيء من ذلك ففضل حسن بن طوق الرحيل عنها ، وبسبب الكوارث الطبيعية اضطرت أسر نجدية عديدة إلى ترك بلدانها بصفة مؤقتة أو دائمة . وأميل إلى تغليب السبب السياسي ، فحسن ذو مال وفير ونزعة قيادية ، فحينما لم يتمكن من الوصول إلى السلطة في ثرمداء لسبب أو لآخر تركها مفضلاً الرحيل إلى ملهم لعله يجد ضالته .

وفي ملهم استقر حسن واشترى أحد مزارعها وأقام فيها ، وبدأ ينافس ابن عطاء (العطيان) أمير ملهم (*) في زعامة البلد مما أوغر صدر ابن عطاء على حسن ، وخشى من تطلعه إلى السلطة ، فضيق الخناق عليه ، عندها قرر حسن الرحيل إلى مكان آخر يستطيع تحقيق طموحاته فيه وتأسيس إمارة له فاتصل بآل يزيد من بني حنيفة الذين من ذريتهم آل دغيثر ، وعرض عليهم شراء العيينة منهم فوافقوه على ذلك .

إذاً فحسن بن طوق انتقل أول الأمر من (ثرمداء) إلى (ملهم) ومن الأخيرة إلى (العيينة) .

---

(١) تاريخ بعض الحوادث الواقعة في نجد ، ص٨٥ ، ابن بشر ، جـ٢ ، ص ٣٥٤ .

(*) آل عطاء : أرجح أنهم ذرية محمد بن عطاء من بني عامر من بني حنيفة الفارس المذكور صاحب بلد عقرباء ، كما ذكر ذلك الحربي في كتابه المناسك ، والحربي من رجال القرن الثالث الهجري ، ولعلهم كذلك أهل تلعة ابن عطاء الذين ذكرهم الهمداني في كتابه صفة جزيرة العرب .

فآل عطاء انتشروا وانتقلوا إلى ملهم وملكوها وتداولوا الإمارة فيها إلى أن قضى على إمارتهم حمد بن عبد الله بن معمر وأجلاهم إلى القصب ثم أعادهم إلى ملهم كسكان وليسوا أمراء في أول القرن الحادي عشر الهجري .

شراء العيينة:

لم تكن العيينة حينذاك ذات شهرة كإمارة مستقلة بالرغم من توفر عوامل النمو العمراني والبشري فيها ، إلا أنها دخلت التاريخ من أوسع أبوابه ، حينما اشترى حسن بن طوق جد آل معمر مناطق واسعة من الوصيل إلى موضع حريملاء ، وهي منطقة يبلغ طولها حوالي ٥٠ كيلاً تقريباً . وكانت هذه المنطقة تسمى برقة . قال ابن لعبون : « ذكر لنا أن حسن بن طوق بن سيف اشترى برقه المسماة بالعيينة والجبيلة من آل يزيد أهل الوصيل والنعمية وارتحل من ملهم وسكنها وتداولت الولاية ذريته من بعده» (١) .

وقال ابن بسام : « عام ٨٥٠هـ في هذه السنة اشترى حسن بن طوق جد آل معمر العيينة من آل يزيد من بني حنيفة أهل الوصيل والنعمية الذين منهم آل دغيثر المعروفين في الرياض ورحل من ملهم وكانت مسكنه ، ونزلها وعمرها وتداولتها ذريته من بعده» (٢) .

وقال ابن بشر : « وفي سنة خمسين وثمانمائة ، اشترى حسن بن طوق جد آل معمر بلد العيينة من آل يزيد أهل الوصيل والنعمية الذين من ذريتهم آل دغيثر اليوم ، وكان مسكن حسن ملهم فانتقل منه إليها واستوطنها وعمرها وتداولتها ذريته من بعده ، والوصيل والنعمية موضعان معروفان في الوادي أعلى الدرعية» (٣) .

وقال الفاخري : « في سنة خمسين وثمانمائة اشترى حسن بن طوق جد آل معمر العيينة من آل يزيد الحنفيين أهل الوصيل والنعمية ومن ذريتهم آل دغيثر ورحل من ملهم ونزلها وعمرها وتداولها ذريته من بعده» (٤) .

وقال ابن عيسى : « في سنة خمسين وثمانمائة ، اشترى حسن بن طوق جد آل معمر العيينة من آل يزيد من بني حنيفة أهل الوصيل والنعمية ، الذين من بقيتهم اليوم آل دغيثر المعروفون في بلد الرياض ، ورحل من ملهم ونزلها وعمرها ، وتداولها ذريته من بعده» (٥) .

---

(١) الإفادات ، ص ٦١ . (٢) تحفة المشتاق ، ص ٥ .
(٣) عنوان المجد ، جـ٢ ، ص ٢٩٦ . (٤) الفاخري ، ص ٦٠ .
(٥) تاريخ بعض الحوادث الواقعة في نجد ، ص ٣٥ .

يتفق المؤرخون الخمسة على أن حسن بن طوق اشترى العيينة وأصبحت ملكاً له وأنه انتقل إليها من ملهم ، ويحددون تاريخ ذلك بعام ٨٥٠هـ [(١)] .

حدود الشراء:

لقد اتفق المؤرخون على أن حسن اشترى العيينة ، ولكن ما هي حدود ذلك ؟

لقد حدد أحد موالي حسن بن طوق وكان شاعراً ــ ويقال : إنه العبيدي ــ حدد ملك عمه في بيت شعر قال فيه :

ملك عمي من ماقف الغاف[(*)] بين تحده الثنايا وريع غرور[(**)]

وحدد ابن بسام ذلك فقال : « من سَمحَةَ إلى الوصيل إلى بلد الجبيلة إلى الأبكين - الجبلين المعروفين في تلك الناحية - إلى موضع حريملاء لحسن بن طوق جد المعامرة» [(٢)] .

أما ابن بشر فقد حدد ذلك بقوله : « ومن الجبيلة إلى الأبكين الجبلين المعروفين إلى موضع حريملاء لحسن بن طوق جد آل معمر » [(٣)] .

ويتفق ابن عيسى مع ابن بسام في تحديد ذلك إذ قال « وكان جميع الوصيل مما فوق سمحة ، ومن الجبيلة إلى الأبكين ، الجبلين المعروفين ، وموضع حريملاء لحسن بن طوق جد المعامرة . . . » [(٤)] .

وعند مناقشة الأقوال الأربعة السابقة يتضح أن تحديد ابن بشر والعبيدي - إذا اعتبرنا أن المقصود بماقف الغاف أعلاه أي عند وادي الأبيطح - هو أقل مساحة من تحديد ابن بسام وابن عيسى ، وإن كان ابن بشر يزيد عن العبيدي بقوله : إلى موضع حريملاء أي أنه يدخل سدوس وحزوى وموضع حريملاء إذا اعتبرنا الحد جزءًا من المحدود في ملك حسن متفقاً مع ابن بسام وابن عيسى في ذلك .

---

(١) ابن لعبون ، لم يحدد تاريخ انتقال حسن للعيينة ، وفي اعتقادي أنه ترك ذلك لشهرته .

(*) الغاف : نوع من أنواع الشجر المعمر .

(**) وقد سمعته برواية أخرى من العم محمد بن حمد بن معمر - رحمهم الله - يقول فيها :
شرى عمي ملك من ماقف الغاف بين ••• تحده الثنايا وريع غرور .

(٢) تحفة المشتاق ، ص ٥ .

(٣) ابن بشر ، جـ٢ ، ص ٢٩٧ . .

(٤) تاريخ بعض الحوادث الواقعة في نجد ، ص ٣٦ .

وفي اعتقادي أن حسن اشترى من آل يزيد الأملاك التي تقع في وادي حنيفة فقط وهي من الأبكين (الريع) والثنايا (فهرين ، وأبا الغبطان ، والأحيسى) وريع غرور إلى ماقف الغاف ، وماقف الغاف إما أن يكون أعلاه عند الأبيطح أو أدناه ، وهو يستمر إلى الوصيل ، وربما إلى سمحة في ذلك الوقت .

ثم استولى حسن على بقية المناطق وهي (سدوس وحزوى) والمكان الذي تقوم عليه (حريملاء) وضمها إلى ملكه وإمارته ، وبهذا أصبحت حدود العيينة متفقة مع ما ذكره ابن بسام وابن عيسى .

نسب أسرة آل معمّر :

ترتبط نشأة وقيام إمارة العيينة ارتباطاً وثيقاً بأسرة آل معمر الذين هم ذرية حسن ابن طوق التميمي .

ومن المناسب أن نلقي الضوء على نسب هذه الأسرة فنقول : تنسب أسرة آل معمر إلى بني سعد بن زيد مناة بن تميم [١] ، وقبيلة بني تميم من القبائل العدنانية ذات الشهرة والتاريخ الواسع ، وهي كما يقول صاحب جمهرة أنساب العرب : قاعدة من أكبر قواعد العرب [٢] .

وتميم الذي تنسب له هذه القبيلة التي توزعت في أقاليم شبه الجزيرة العربية ، وغيرها من البلدان العربية والإسلامية ، هو : تميم بن مر بن أد بن طابخة (عمرو) ابن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان .

ويقال : إن تميمًا جد قبيلة بني تميم قد عاش في الفترة التي بين مبعث نبيّيّ الله : سليمان وعيسى عليهما السلام وذكر أنه في زمن الاسكندر ، وأنه ولَيَ شرطته وكان يطلب الحنيفية ، وينكر عبادة الأصنام ، وذكر أنه أدرك عيسى عليه السلام وأصبح وزيراً له إلى أن رفعه الله إليه [٣] .

ويتصل نسب تميم بالنسب النبوي الشريف في إلياس بن مضر .

---

(١) نسب آل معمر لبني تميم كل من جبر بن جبر بن سيار في نبذته المخطوطه ومؤلف كتاب لمع الشهاب وغيرهم ، إلا أن جبراً نسبهم هم والعناقر لبني امرئ القيس بن زيد مناة بن تميم ونسبهم لبني سعد أشهر وأقوى .

(٢) أبو محمد علي بن أحمد بن حزم ، الأندلسي ، المصدر أعلاه ، ص ٢٠٧ .

(٣) تاريخ ابن لعبون ، ص ٢٤ .

وتميم معناه في اللغة الشديد الكامل الخلق .

كان الرسول محمد ﷺ يعجب بهذه القبيلة فقد قال أبو هريرة رضي الله عنه : لا أزال أحب بني تميم من ثلاث ، سمعتهن من رسول الله ﷺ ، سمعت رسول الله ﷺ يقول : «هم أشد أمتي على الدجال» قال : وجاءت صدقاتهم ، فقال النبي ﷺ : « هذه صدقات قومنا» قال : وكانت سبية منهم عند عائشة ، فقال رسول الله ﷺ : «أعتيقها فإنها من ولد إسماعيل» . وفي رواية قال : « هم أشد الناس قتالاً في الملاحم » (١) .

وتميم من كبريات القبائل العربية ، ومن أهمها في تاريخنا العربي القديم ، وقد اجتمع لها رياسة الموسم والقضاء في عكاظ ، وأنجبت هذه القبيلة أشجع الفرسان ، ومساعير الحروب . وامتازت تميم بتفوقها في ميادين الشعر وبرز فيها شعراء فحول أرسوا قواعد مدرسة الصنعة (٢) . وكانت تساميها بكر بن وائل التي ينحدر منها بنو حنيفة وغيرهم من القبائل ذات الشهرة والصيت الذائع .

وقد احتلت هذه القبيلة مكان الصدارة في كتب النسابين والمؤرخين ، فقد وصفها ابن حزم - كما أشرنا - بأنها من أكبر قواعد العرب ، وقال عنها الجاحظ : « إن تميم بن مر لها الشرف العود ، والعز الأقعس ، والعدد الهيضل ، وهي في الجاهلية القدام والذروة والسنام» .

وذكر صعصعة بن ناجية بأن تميماً هامة مضر وكاهلها .

ويذكر ابن دريد أن اشتقاق تميم من الصلابة والشدة والاكتمال ، وأن العرب سَمَّت تميماً وتماماً ومتمماً وهي قبيلة محاربة ، ذات بأس شديد ، فيها الحكمة والشرف والجاه . فلا عجب أن تكون فيها العزة المنيعة ، وأن تسود في حروبها ومنازلها ففيها من أسباب السيادة فرسان أشداء ، ورجال عظماء ، وشعراء فحول ، وعدد كالحصى (٣) .

---

(١) صحيح مسلم ، المجلد الرابع ، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ، دار الفكر ببيروت ، الطبعة الثانية ، ١٣٩٨هـ ، ص ١٩٥٧ .

(٢) المعيني ، عبد الحميد ، التميميون أخبارهم وأشعارهم في العصر الجاهلي ، عمان ، الأردن ، ١٤٠٥هـ ، ص ٣ .

(٣) المرجع نفسه ، ص ٩ ، ٢٥ .

ولأبناء هذه القبيلة رصيد ضخم من المفاخر وفيهم أعلام ارتفعوا في كل مجالات الحياة فمنهم أصحاب الرسول ﷺ وأئمة الفقه والمذاهب العقائدية وأبطال المعارك والقضاة والملوك والوزراء والأدباء والشعراء والعلماء . . وعليهم من المآخذ ما لم يخل منها تاريخ قبيلة لها مكانتها وآثارها في المسيرة الإنسانية [(١)] .

ولتميم تاريخ حربي عظيم في الجاهلية والإسلام وجرت وقعات وأيام لهم وعليهم ، فمن مشاركاتهم الحربية بعد الإسلام ما يلي :

١- في عام ١٤هـ أمد عمر بن الخطاب سعد بن أبي وقاص رضي الله عنهم بثلاثة آلاف تميمي حيث كانت تميم من أمنع قبائل العرب يومئذ .

٢- عام ٦٥هـ حاربت تميم مع المهلب بن أبي صفرة عامل عبد اللّه بن الزبير رضي الله عنهما ، الخوارج .

٣- وفي عام ٦٧هـ جعل المهلب بن أبي صفرة عامل عبد اللّه بن الزبير ، الأحنف بن قيس على خمس تميم في محاربة المختار .

٤- وحاربت تميم الترك سنة ١١٢هـ مع الجنيد بن عبد الرحمن والي خراسان لما خرج غازياً يريد طخارستان ، فنزل على نهر بلخ ، وصيّر تميماً والأزد في الميمنة .

هذا على سبيل الذكر لا الحصر .

ولتميم نزعة استيطانية وميل للزعامة والقيادة قال د . العثيمين : «ولقد كانت زعامات البلدان النجدية تنتمي إلى قبائل عربية مختلفة ، على أن قبيلة تميم احتلت ، فيما يبدو ، مكاناً واسعاً بين تلك الزعامات لكثرتها العددية بين السكان من ناحية ، ولنزعتها الاستيطانية المعهودة منذ زمن طويل من ناحية أخرى ، ومن أمثلة الأمراء المنتمين إليها أمراء العيينة – أقوى بلدة نجدية حينذاك – وأمراء ثرمداء وروضة سدير وبريدة » [(٢)] .

---

(١) حسن ، حسين ، أعلام تميم ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، ١٩٨٠م ، ص ١١ .

(٢) العثيمين ، عبد اللّه صالح ، تاريخ المملكة العربية السعودية ، ١٤٠٤هـ ، جـ١ ، ص ٤٤ .

ولتميم عدد من الأبناء منهم زيد مناة وكان لزيد من الأبناء : سعد ومالك وامرؤ القيس ، وعامر وعوف وكعب .

وسعد بن زيد مناة بن تميم رجل مشهور وقاض من قضاة سوق عكاظ في الجاهلية ومن أبنائه الحارث وعوافة وعبد شمس وجشم وعمر وكعب .

وبنو سعد بن زيد مناة فيهم شمائل كريمة ، ولهم فضائل عظيمة ، وهم قوة حربية ، وعدد وفير ، وعزة منيعة ، ونسب رفيع ، وهذه السمات سجلها شاعرهم مفتخراً بهم عندما قال :

إني وجدتُ بني سعد يفضلهم ... كل شهاب على الأعداء مصبوب

إلى تميم حماة الثغر نسبتهم ... وكل ذي حسب في الناس منسوبَ

قومٌ إذا صرحت كحلٌ بيوتُهم ... عزُّ الذليل ، ومأوي كل قرضوب(١)

وسعد من بيوت العز والسؤدد في تميم ، قال الشاعر جرير بن عطية بن الخطفي التميمي :

يعد الناسبون إلى تميم ... بيوت العز أربعة كبارا

يعدون الرباب وآل سعد ... وعمراً ثم حنظلة الخيارا

وتتميز بنو سعد وبنو يربوع بكثرة الفرسان(٢) . إضافة إلى ذلك فبنو سعد يلبون النداء ، وهم نصير الخائف المفجوع ، ويهرعون لإجارة المستغيث بالنوق السريعة ، والخيل الكريمة ، والفرسان الأشداء قال سلام بن جندل :

كنا إذا ما أتانا صارخ فزع ... كان الصراخُ له قرعَ الظنابيب

وشد كُور على وجناء ناجية ... وشد لبْد على جرداءَ سرحُوب(٣)

ومن أبناء كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم (ربيعة والحارث وعمرو) وعمر بن كعب له عدد من الأبناء أشهرهم (مقاعس) ومن مقاعس (عمر وصريم وأصرم وربيع وعمير وعبيد) ، ومن عبيد بن مقاعس (منقر وأخواه مر وعبد عمرو) ومن

(١) التميميون ، ص ٢٤ .
(٢) التميميون ، ص ٢٥ .
(٣) المصدر نفسه ، ص ٦٤ .

بني منقر مشهورون كثيرون منهم سنان بن خالد ، وسمي الأشد لشجاعته وشدته في القتال ، ومن سنان بنو الأهتم ، وأشهرهم عمرو بن الأهتم الشاعر ، وفيهم خطباء وشعراء ، ومن منقر أيضاً قيس بن عاصم سيد أهل الوبر ، وحليم تميم ورئيسها إلى الرسول عليه الصلاة والسلام ، ومن منقر كذلك فدكي بن أعبد ، أحد عظماء بني سعد في الجاهلية ، وابنه مسعر بن فدكي وعامر بن أبير الذي أخذ أربعين مرباعاً في الجاهلية ، كما ذكر ذلك ابن دريد في كتابه (١) . ومن بنى مالك ابن سعد بن زيد مناة ، الأغالبة الذين أقاموا لهم دولة بشمال أفريقيا (٢) .

ومما ذكر يتضح أن سلسلة نسب منقر هي : منقر بن عبيد بن مقاعس بن عمرو ابن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم . ووسم بني منقر هو الشّعْب كهيئة المحجن (٣) ومن منقر العناقر والمناقير (المنقور) وآل معمر وغيرهم من الأسر .

وعندما تطرق ابن بسام لنسب آل معمر قال : « والمعامرة من العناقر من بني سعد بن زيد مناة بن تميم » (٤) .

كما اتفق معه المؤرخ النجدي إبراهيم بن عيسى بقوله : «والمعامرة (آل معمر) من العناقر من بني سعد بن زيد مناة بن تميم» (٥) . وقد اشتركت الأسرتان آل معمر والعناقر في دية على أحد رجال آل معمر وقعت عام ١٣١٦هـ (*) ومهما يكن أجداد معمر مؤسس الأسرة المعمرية هل هم من بني منقر السعديين أو فرع تميمي آخر فإن آل معمر انفردوا بنسبتهم إلى جدهم معمر واشتهروا به .

ومعلوم أن جد آل معمر هو حسن بن طوق بن سيف السعدي التميمي .

---

(١) التميميون ، ص ٢٤ .

(٢) جمهرة أنساب العرب لابن حزم ، ص ٢٢١ .

(٣) مجلة العرب ، الجزء ٧ ، ٨ ، محرم وصفر ١٤١٤هـ ، ص ٥٤٢ ، س ٢٨ .

(٤) تحفة المشتاق ، مصدر سابق ، ص ٥ .

(٥) تاريخ بعض الحوادث الواقعة في نجد ، ص ٣٥ .

(*) وقعت هذه الدية عام ١٣١٦هـ حينما قتل الشاعر عبد العزيز بن سلطان بن معمر رجلاً من آل شامر وتصالح آل معمر وآل شامر على أن يدفع آل معمر الدية لآل شامر ، وكان الصلح لدى الشيخ عبد الله بن عبد اللطيف بن عبد الرحمن آل الشيخ حسب وثيقة الصلح الموجودة نسختها الأصلية لدى العم سعود آل معمر .

وسيف هذا هو أعلى جد مسلسل من أجداد آل معمر ، حصلت عليه وما فوق سيف من الأجداد لم أجده ، ولم يدون في الكتب التي تمكنت من الاطلاع عليها ، وعدم تدوينه يرجع لأسباب مختلفة منها الهجرات والحروب وقلة العناية بالتدوين وتقادم العهد ، وفقدان الوثائق والمخطوطات ، أو أنه دون ولا يزال مفقوداً . وهذا غير مستغرب وشيء مألوف لحد ما خصوصاً إذا كان مضى على وفاة هؤلاء الأجداد ما يقارب من ٦٠٠ عام أو أكثر ، فأسماء آباء النبي ﷺ فوق جده الأعلى عدنان بقيت مجهولة لنفس الأسباب .

وحسن بن طوق بن سيف التميمي هذا هو الذي اشترى العيينة عام ٨٥٠هـ ، وأقام فيها إمارة وخلفه بعد وفاته عام ٨٦٥هـ ابنه حمد وبعد وفاة حمد خلفه على إمارة العيينة ابنه معمر الذي عرفت سلالته ونسله بآل معمر ، وتداولوا إمارة العيينة ، وعلى هذا فيكون تسلسل نسب معمر هو معمر بن حمد بن حسن ابن طوق بن سيف وسيف من بني منقر بن عبيد بن مقاعس بن عمرو بن كعب ابن سعد بن زيد مناة بن تميم وما فوق تميم من الأجداد ذكرتهم في صفحة (٢٦١) ، هذا وقد نسب البعض آل معمر إلى بني وائل وبني خالد وآل ملحم ، وهذا غير صحيح فآل معمر تميميو النسب (*) .

ويجمع (آل معمر) جمع تكسير فيقال لهم : «المعامرة» على وزن «مفاعلة» .

قال الشاعر عبد الله بن صقية التميمي :

أو مقاديم هايجة الحروب المعامرة	لَى قلدن الموجفات أشيال
سعدية لَى قيل روحوا وراكم	قالوا هل الباس الشديد محال
مقرين هشال الخلا بالمساغب	عسى لهم فال السعادة فال(١)

(*) رد مؤلف هذا الكتاب على نسبة آل معمر لبني وائل وبني خالد وآل ملحم في مجلة العرب ، ج١١ ، ١٢ س ٢٦ الجماديان سنة ١٤١٢هـ ، ص ٨١٩ ، ج ٩ ، ١٠ ، س ٢٨ الربيعان سنة ١٤١٤هـ ، ص ٦٩٧ .

(١) ابن صقيه ، عبد الله بن علي ، ديوان التميمي ، الطبعة الثالثة ، جـ٢ ، مطابع الفرزدق ، الرياض ، ١٤٠٩هـ ، ص٤٣٨ .

ويسمون آل معمر ، قال الشاعر رشيد بن علي المنقور :

آل معمر عزناً شيب وعيال — لطامة العدوان والضد والزور
ما نام ليلة يرتعد خايف ذال — حريبهم من فعلهم مات مقهور
تاريخهم مع كل راحل ونزال — جيل بأثر جيل إلى نفخة الصور
بعز الجدود اللي تبين بالأفعال — سجلهم مبنى على الحق والنور

وقال محمد فريح العفنان :

آل معمر ياحرار بجبلها — ياما انذبح باكوانهم من غلاما

ويسمون بالمعمر ، قال الطبيب الشاعر عبد الإله بن فهد بن معمر :

حنا المعمر في نسبنا لماعه — لاتنشد العارف وحنا هل العلم
حنا هل التاريخ مجد وشجاعة — وحنا هل الصولات والحرب والسلم

وأشهر الألقاب هو آل معمر ومفرده (ابن معمر) أو (المعمري) بزيادة ياء النسب ، ونخوتهم «ابن معمر» أو أخو «الجوهرة» أو «راعي برقة» وبرقه اسم للعيينة .

أما وسمهم فهو مطرق وباكورة سبق الإشارة إليه ، والباكورة قريبة من الشّعب الذي هو وسم بني منقر بن عبيد بن مقاعس أشهر بطون بني سعد التميميين ، مما يعطي دلالة على أن وسم آل معمر قد تطور من الشعب إلى أن وصل إلى المطرق والباكورة .

وهناك أفخاذ وأسر تتفق مع آل معمر - أهل العيينة وقراها - في الاسم دون الأصل .

لقد دخلت العيينة خاصة ومنطقة العارض بصفة عامة مرحلة جديدة من تاريخها إثر شراء حسن بن طوق التميمي جد آل معمر العيينة عام ٨٥٠ ، كما مر بنا ، وشرع في إعمارها فنمت واتسعت تحت إمرته وزعامته ، ثم أصبحت الإمارة من بعده متوارثة في ذريته آل معمر الذين توالت نهضة العيينة في عهدهم في شتى المجالات حتى أصبحت العيينة أقوى إمارة في نجد وذات تأثير في مجريات الأمور

السياسية على الساحة النجدية ، قال ابن عثيمين : « إمارة آل معمر كانت أقوى إمارة نجدية من الناحيتين العسكرية والاقتصادية » (١) .

وقال الشيخ الجاسر عن آل معمر : « هم أمراء نجد في القرنين الحادي عشر والثاني عشر » (٢) . ولقب أمراء آل معمر بالشيخ الحنيفي (٣) وشيخ وادي حنيفة (٤) .

أمراء العيينة من عام ٨٥٠-١١٧٣هـ (*):

منذ عام ٨٥٠هـ - العام الذي اشترى فيه حسن بن طوق العيينة وهو العام نفسه الذي استوطن مانع المريدي جد الأسرة السعودية الكريمة الدرعية - حتى العقد الثامن من القرن الثاني عشر الهجري أي ما يقارب ٣٥٠ عاماً والعيينة يحكمها ويتعاقب على إمارتها عدد من الأمراء المعمريين من أهلها وملاكها ، فلم ينازعهم عليها منازع ولم يتول الحكم فيها غيرهم ، وعدد الأمراء الذين ترجمت لهم ووصلت إلينا أخبارهم هم (١٨) أميراً خلال تلك الفترة ، ولا أستبعد أن يكون هناك أمراء من الأسرة المعمرية لم تذكرهم المصادر التاريخية ، وجميع هؤلاء الأمراء الثمانية عشر معروفون بأسمائهم ، وسيتضح لنا أن هؤلاء الأمراء يختلفون من حيث نسبة القوة والتأثير المحلي والإقليمي .

١- الأمير حسن بن طوق بن سيف التميمي (٨٥٠هـ - ٨٦٥هـ):

هو مؤسس إمارة العيينة وجد الأسرة المعمرية ، انتقل كما أسلفنا من ثرمداء ملهم فالعيينة ، حيث اشتراها وعمرها واستقطب جماعات من الناس أسهموا معه في بنائها .

---

(١) العثيمين ، عبد الله بن صالح ، بحوث وتعليقات في تاريخ المملكة العربية السعودية ، مطابع دار الهلال للأوفست ، الرياض ، ١٤٠٤هـ ، ص ١٧ .

(٢) جمهرة أنساب الأسر المتحضرة في نجد ، جـ٢ ، ص ٧٧٦ .

(٣) ديوان النبط ، ص ٣٩ .

(٤) كيف كان ظهور شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب ، المؤلف مجهول ، تحقيق د. عبد الله العثيمين ، مطبوعات دارة الملك عبد العزيز ، الرياض ، ١٤٠٣هـ ، ص ٥٤ .

(*) ينظر شجرة أمراء العيينة صفحة ٥٩٩ .

ويتضح أن حسن ذو شخصية قيادية ، ومال كثير ، توفرت فيه صفات القيادة ومؤهلات الزعامة العربية التقليدية التي من أهمها أصالة النسب والكرم والشجاعة(١) فاستطاع أن يوظفها في بناء بلده ، وتوسيع نفوذه وتثبيت دعائم إمارته ، بل استطاع أن يضم لنفوذه سدوس وحزوى وموقع حريملاء ، ولم توضح لنا المصادر التاريخية أن ذلك التوسع كان سلماً أو حرباً ، ولكن الرواية الشفهية تفيد أن حسناً مر بسدوس في موسم الربيع فشاهد طيب تربتها وكثرة نباتاتها ، وكانت عبارة عن بقايا قصور مشيدة مهملة وآبار قديمة معطلة قد هجرها أهلها ، فلم يكن بها ساكن ، فاستولى عليها ودفعها إلى بعض رجاله وطلب منهم زراعتها ، واتخذ فيها قصراً وكانت مزارعها محصورة في الفرغ(*) وما حوله من البساتين والمزارع . ولم تشر المصادر التي بين أيدينا عن أي معلومات أو أحداث أخرى قام بها حسن ، وليس معنى هذا أنه ليس هناك شيء من ذلك بل المعتقد أنه لم يكن هناك تدوين لتلك الأحداث ، ومهما يكن من أمر فإن حسناً أسس إمارة قوية خلال خمسة عشر عاماً من شرائه العيينة ، وتوفى رحمه الله عام ٨٦٥هـ(٢) . وأصبحت الإمارة متوارثة في ذريته من بعده .

٢-الأمير حمد بن حسن بن طوق :

الأمير الثاني للعيينة حيث خلف أباه في إمارتها عام ٨٦٥هـ ، وأهم الأحداث في عهده ما ذكره ابن بشر عندما تكلم عن أجداد الأسرة السعودية الكريمة قال : « ثم ولد لمانع . . ربيعة وصار له شهرة واتسع ملكه وحارب آل يزيد ، ثم بعد ذلك ظهر ابنه موسى وصار له شهرة أعظم من أبيه وكثرت جيرانه من الموالفة وغيرهم ، واستولى على الملك في حياة والده ، واحتال على قتل أبيه ربيعة فجرحه جراحات كثيرة ، وهرب إلى حمد بن حسن بن طوق رئيس العيينة ، فأجاره وأكرمه لأجل معروف له عليه سابقاً »(٣) .

(١) العثيمين ، عبد الله ، تاريخ المملكة العربية السعودية ، ص ٤٤ .
(*) الفرغ : هو اسم لبئر قديم هو أضخم آبار سدوس وأغزرها مياهًا ، قامت عليه عدة مزارع ، ولا زالت موجودة إلى اليوم .
(٢) تحفة المشتاق ، ص ١١ .
(٣) ابن بشر ، جـ٢ ، ص ٢٩٧ .

وهكذا يتضح أن (ربيعة بن مانع المريدي) لجأ لـ (حمد بن حسن بن طوق) في العيينة إثر نزاع على السلطة بينه وبين ابنه موسى ، كما أن حمد بن حسن كانت له علاقة طيبة بالابن موسى بن ربيعة أيضاً ، حيث استنجد موسى بأمير العيينة ضد آل يزيد فأنجده (١) .

ولو لم يكن لحمد سمعة طيبة وقوة ظاهرة وحسن جوار لما فضل (ربيعة ابن مانع) جد الأسرة السعودية الكريمة اللجوء إليه والاحتماء به والعيش عنده في بلده إلى أن توفى .

هذه هي أهم الأحداث في عهده . وبعد وفاته رحمه الله تولى الإمارة بعده ابنه معمر .

٣- الأمير معمر بن حمد بن حسن بن طوق :

هو حفيد حسن بن طوق والأمير الثالث للعيينة ، وجد آل معمر الذي حملت الأسرة المعمرية اسمه إلى اليوم ، وقد ذكره الشيخ عبد العزيز بن حمد بن ناصر بن عثمان بن معمر المتوفى بالبحرين عام ١٢٤٤هـ رحمه الله ، في نبذته عن أسرته آل معمر ، وذكر أنه حفيد حسن بن طوق . وحينما ذكر ابن بشر سلسلة نسب عبد الله بن معمر أمير العيينة المتوفى في عام ١١٣٨هـ قال : «وفي سنة ١٠٩٦هـ تولى عبد الله بن محمد بن حمد بن عبد الله بن محمد (*) بن حمد ابن حسن بن طوق في بلد العيينة» (٢) .

وقد وصل فلبي إلى استنتاج موفق حينما قال : «وكانت جبيلة وجميع الأراضي الواقعة شمالها بما في ذلك هضبة طويق ، تدخل ضمن حدود إمارة بني حسن بن طوق وأميرهم في ذلك الوقت معمر بن حمد مؤسس أسرة عيينة ، نقول

---

(١) تاريخ البلاد العربية السعودية ، جـ١ ، ص ٥٤ .

(*) هنا ترك ابن بشر فراغاً قدره كلمة وهو موقع اسم (معمر) بن حمد بن حسن في سلسلة النسب .

(٢) ابن بشر (نسخة مطابع القصيم) مصدر سابق ، جـ١ ، ص ١٠١ .

هذا – والكلام لفلبي – وإن كان امحاء الجزء المتعلق بهذه الناحية من مخطوط ابن بشر المعروف يجعلنا على غير يقين من ذلك» (١) .

ففلبي استنتج أن موقع معمر في سلسلة النسب في نفس الفراغ الذي تركه ابن بشر ، إما سهواً أو عدم تأكد منه ، واستنتاج فلبي استنتاج صحيح اتفق مع ما ذكره الشيخ عبد العزيز بن معمر في نبذته التاريخية .

وقد نقل عن فلبي بعض المؤلفين بعده .

وتبقى فترة إمارة معمر بن حمد ، وكذلك الأحداث التاريخية في عهده مجهولة حتى الآن .

ومعمر هذا كان من أشهر رجال عصره ذو مقدرة وقيادة وكرم وشجاعة ، استطاع أن يحقق مكانة سياسية واجتماعية ، ولشهرته وعظمته اقتصر انتساب أبنائه وأحفاده له دون الانتساب لآبائه وأجداده .

٤- الأمير محمد بن معمر بن حمد :

هو الأمير الرابع من أمراء العيينة ويبدو أنه أكبر أبناء الأمير معمر ولم يصل إلينا عن هذا الأمير أية أخبار سوى ذكره في سلسلة نسب أحفاده .

٥- الأمير عبد الله بن محمد بن معمر الأول :

الأمير عبد الله هو الخامس في سلسلة أمراء العيينة ولكن المعلومات التاريخية عنه معدومة سوى من ذكره في سلسلة نسب أبنائه أو أحفاده ، وأنه كان أميراً للعيينة قبل عام ١٠٢٤هـ ، وهو العام الذي تولى فيه ابنه حمد إمارة العيينة واعتبرناه عام وفاة والده وأن الابن حمد خلف والده في إمارة العيينة . وخلف عبد الله ثلاثة أبناء هم : حمد ومحمد وناصر وتولى كل من حمد وناصر إمارة العيينة .

على أية حال فإنه منذ وفاة (حسن بن طوق) عام ٨٦٥هـ وحتى تولى حمد ابن عبد الله بن معمر إمارة العيينة عام ١٠٢٤هـ هذه المدة ومقدارها ١٥٩ عاماً لم نحصر فيها سوى أربعة أمراء وهم :

---

(١) فلبي سنت وجون ، تاريخ نجد ودعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب السلفية ، تعريب عمر الديراوي ، منشورات المكتبة الأهلية ، بيروت ، ص ٥ .

١- حمد بن حسن .

٢- معمر بن حمد .

٣- محمد بن معمر .

٤- عبد الله بن محمد (الأول) .

وعلماء الأنساب يجعلون في كل قرن ثلاثة آباء (أجيال) وعليه يصبح في السنوات ١٥٩ خمسة آباء فهل هناك أمير سقط اسمه؟ ! ربما . . وهناك احتمال ضعيف هو أن هؤلاء الأمراء الأربعة عاشوا خلال هذه الفترة ١٥٩ سنة . ولكن هل كل واحد منهم أصبح أميراً للعيينة ٤٠ عاماً ! هذا أمر مستبعد .

ربما يكون بعضهم حكمها أكثر من ذلك ، ولكن أن يكون كل منهم حكمها هذه المدة الطويلة فهذا أمر مستبعد كما أشرنا .

إذاً نصل لحقيقة مؤداها أن هناك أمراء آخرين بين حسن بن طوق وحمد ابن عبد الله أي بين عامي ٨٦٥هـ - ١٠٢٤هـ غير هؤلاء الأمراء الأربعة ، ومؤكد أنهم أخوان لهم أو لبعضهم ، أي أن بعض هؤلاء الأمراء الأربعة تولى بعضهم عدد من أولادهم إمارة العيينة ولم تدون أسماؤهم أو أنها دونت ولا تزال مفقودة . ولم نستطع أن نحدد المدة الزمنية لإمارة الأربعة أو أبنائهم . ومهما يكن من أمر فقد وقعت خلال ١٥٩ سنة أحداث مهمة هي :

١- قال ابن بسام : « في سنة ٨٩١هـ أغاروا سبيع على أهل العيينة وأخذوا أغنامهم ، فلما ان وقت القيظ نزلوا العمارية فاستنجد أهل العيينة بآل كثير وصبحوهم على العمارية وحصل بينهم قتال شديد ، وصارت الهزيمة على سبيع وتركوا محلهم وأغنامهم ، فغنمها أهل العيينة ، هم وآل كثير وقتل من سبيع عدة رجال منهم جاسر المليحي » (١) .

هذه أول حادثة عسكرية تسجلها المصادر التاريخية بعد شراء العيينة بـ ٤١ عاماً ، ومن المؤكد أن أهل العيينة لم يكونوا كثيري العدد بدليل استنجادهم بآل كثير من بني لام ، وأن العيينة مازالت في طور النمو العمراني والبشري .

(١) تحفة المشتاق ، ص ١٥ .

٢- وبعد خمس سنوات من تلك الحادثة أضاف ابن بسام حادثة أخرى وقعت في عام ٨٩٦ هـ هي قوله : « وفيها أغاروا سبيع على العيينة وأخذوا أغنامهم ، ثم أغاروا عليهم بعدها وأخذوا إبلهم » (١) .

٣- ثم يضيف ابن بسام حادثة أخرى وقعت عام ٩٠٥هـ فيقول : « في هذه السنة أغاروا سبيع على أهل العيينة وأخذوا إبلهم ، ثم أغاروا عليهم مرة ثانية وأخذوا أغنامهم ، ففزع عليهم أهل العيينة ولحقوهم ، ووقع بينهم قتال قتل فيه من سبيع خمسة رجال ، وصوب من أهل العيينة ثلاثة رجال واستنقذوا أغنامهم ، وعقروا سبعاً من ركائب سبيع » (٢) .

٤- يقول ابن بسام : « في سنة ٩١١هـ أغاروا سبيع على أهل العيينة وأخذوا أغنامهم ، ففزع عليهم أهل العيينة ففاتوهم » (٣) .

٥- وقال ابن بسام : « في سنة ٩٣٧هـ أغاروا آل نبهان من آل كثير على أهل العيينة وأخذوا أغنامهم ، ففزع عليهم أهل العيينة ولحقوهم في الحيسية ، وحصل بينهم رمي بالبنادق من بعيد فقتل ثنيان بن جاسر شيخ آل نبهان فانهزم الغزو وتركوا الأغنام» (٤) .

٦- في الثاني من شهر رمضان عام ٩٤٨هـ توفي الشيخ الجليل شهاب الدين أحمد بن يحيى بن عطوة بن زيد الناصري التميمي رحمه الله ، ودفن في الجبيلة بجوار قبر زيد بن الخطاب رضي الله عنه ، وكان الشيخ أحمد أحد قضاة العيينة وعلمائها ، قدم عليه طلاب العلم وأخذوا عنه (٥) .

٧- قال ابن بسام : « في سنة ٩٥٠هـ صبحوا أهل العيينة آل نبهان من آل كثير على عقرباء وأخذوهم وكانوا قد أكثروا الغارات عليهم» (٦) .

---

(١) المصدر نفسه ، ص ١٦ .
(٢) المصدر نفسه ، ص ١٧ ، والصواب : (أغارت سبيع) .
(٣) المصدر نفسه ، ص ١٨ ، ١٩ .
(٤) التحفة المشتاق ، ص ٢٢ .
(٥) المصدر نفسه ، ص ٢٣ .
(٦) المصدر نفسه ، ص ٢٥ .

٨- قال ابن بسام في حوادث سنة ٩٥٥هـ : « وفيها أغاروا آل نبهان من آل كثير على أهل العيينة وأخذوا لهم نحو عشرين بعيراً ففزعوا عليهم ، ولم يلحقوهم ، ثم أغاروا عليهم بعد أيام ، وأخذوا أغنامهم ، فلحقوهم في الميركة(*) ، واستنقذوها منهم» (١) .

٩- ويقول ابن بسام في حوادث عام ٩٩٦هـ ما يأتي : « في هذه السنة أغارت سبيع على أهل العيينة ، وأخذوا أغنامهم ففزعوا ولحقوهم في لبن فحصل بينهم رمي بالبنادق من بعيد ، وكان مليح من سبيع نازلين بإبلهم في لبن ففزعوا نجدة لقومهم ، فلما رأوهم أهل العيينة انقلبوا راجعين وسبيع في أثرهم وصار بواردية أهل العيينة يحمون قومهم وحصل بينهم قتال شديد قتل فيه عدة رجال أكثرهم من سبيع ورجعوا سبيع عنهم وممن قتل من مشاهير سبيع دهيمان بن سعيد شيخ مليح وثواب بن خالد العريني» (٢) .

١٠- يقول ابن بسام أيضاً : « وفي سنة ٩٩٧هـ صبحوا أهل العيينة هم وآل حسن من الدواسر الأعزة من سبيع على الغزيز(**) ، وأخذوهم وقتلوا منهم عدة رجال» (٣) .

١١- ويضيف ابن بسام في حوادث عام ١٠٠٨هـ الآتي : « في هذه السنة أغار الأعزة من سبيع على أهل العيينة وأخذوا أغنامهم وصادفوا ثلاثة رجال من أهل العيينة قد أقبلوا طرقية فقتلوهم ففزع عليهم أهل العيينة ولحقوهم ، وحصل بينهم قتال قتل فيه من أهل العيينة رجل واحد وصوب نحو خمسة ، وقتل من سبيع

(*) الميركه ، ظهر جبل متطامن تحت جبل آخر ، تقع بين أم الرحال وخشم الميركة شرقي البرة والعويند غربي طويق مما يلي الخمرة وأبا الغبطان .

(١) المصدر نفسه ، ص ٢٥ .

(٢) المصدر نفسه ، ص ٣٣ .

(**) الغزيز ، منهل من مناهل رمل الوركة (قنيفذة) غرب مدينة العيينة بحوالي ٧٠ كيلاً عن طريق الحيسية ، وهو من موارد ومياه بني تميم قديمًا .

(٣) تحفة المشتاق ، ص ٣٣ .

ثلاثة وصوب منهم عدة رجال وانهزموا سبيع ، واستنقذوا أهل العيينة أغنامهم» [١] .

وبعد سبع مواجهات بين أهل العيينة وسبيع . جنح الجميع للسلم وحقن الدماء ، وذلك عام ١٠٠٩هـ ، عندما تصالح أهل العيينة هم وسبيع وتكافلوا على ألا يتعدى أحد منهم على أحد [٢] . وأنهوا حالة الحرب التي كانت قائمة بينهم لمدة ١١٨ سنة ، من عام ٨٩١هـ وحتى عام الصلح ١٠٠٩هـ .

١٢- انتقل الشيخ أحمد بن محمد البسام إلى العيينة من بلد ملهم عام ١٠١٥هـ [٣] . وهذا دليل على النهضة العلمية في مدينة العيينة ، حيث استقطبت أحد أكبر علماء نجد في زمانه ، وأقام فيها قاضياً ومعلماً ومفتياً حتى وفاته رحمه الله عام ١٠٤٠هـ [٤] .

١٣- في عام ١٠١٩هـ توفى العالم العلامة الشيخ عبد الله بن عفالق قاضي العيينة رحمه الله [٥] .

هذه هي أهم الأحداث التي وصلت إلينا ولها علاقة بالعيينة وذلك خلال الفترة ما بين عامي ٨٩١هـ و ١٠١٩هـ وهي الفترة التي لم نستطع تحديد عدد أمراء العيينة خلالها وإن كنا أحصينا منهم أربعة أمراء مع عدم تمكننا من تحديد الفترة الزمنية لحكم كل منهم .

٦- الأمير حمد بن عبد الله بن معمر (١٠٢٤-١٠٥٦هـ):

تولى حمد إمارة العيينة بعد وفاة والده عام ١٠٢٤هـ [٦] . وهذا الأمير كثر خلط المؤرخين في اسمه فبعضهم سماه (أحمد) والبعض الآخر أسماه (حمد) واستمر هذا الخلط عند الحديث عن أولاده الذين تولوا إمارة العيينة بعده ، فمرة

---

(١) المصدر نفسه ، ص ٣٤ - ٣٥ .
(٢) المصدر نفسه ، ص ٣٥ .
(٣) ابن بشر ، جـ ٢ ، ص ٣٠٦ .
(٤) تحفة المشتاق ، ص ٣٦ .
(٥) الفاخري ، ص ٦٥ .
(٦) تاريخ المنقور ، ص ٤٥ .

ينسبون لأحمد وأخرى لحمد ، مما أدى إلى وقوع المؤرخين المتأخرين في الخطأ نفسه لنقل بعضهم عن بعض دون تحقيق .

بل إن بعض المؤرخين كابن بشر والمنقور واللذين لتاريخهما أكثر من نسخة أو مسودة يقعون في الخطأ ففي نسخة يطلقون على هذا الأمير اسم أحمد ، وفي النسخة الأخرى يسمونه حمد .

فالمنقور في النسخة (أ) كما صنفها د . الخويطر عندما تكلم عن حوادث عام ١٠٥٢هـ قال : « في عام ١٠٥٢هـ طلعة رميزان من أم احمار ، وفزع أحمد ابن عبد الله راعي العيينة » .

وفي النسخة (ب) من تاريخه ذكر المنقور الحدث نفسه ولكنه سمى أمير العيينة حمد بن عبد الله وحينما أرخ عام وفاته سماه في النسختين بأحمد [١] .

أما ابن بشر فقد اعتمدت على نسختين مطبوعتين من تاريخه المسمى «عنوان المجد في تاريخ نجد» لتحقيق اسم الأمير حمد بن عبد الله هما :

الأولى طبعة مطابع القصيم بالرياض عام ١٣٨٥هـ الطبعة الثالثة الجزء الأول ، والثانية طبعة دارة الملك عبد العزيز بالرياض ، تحقيق عبد الرحمن آل الشيخ عام ١٤٠٣هـ الطبعة الرابعة الجزء الثاني .

إضافة إلى ذلك فقد اعتمدت على صورة مخطوطة من تاريخ ابن بشر والمحفوظ أصلها في المتحف البريطاني بلندن برقم OR ٧٧١٨ وهي النسخة التي اعتمد عليها عبد الرحمن آل الشيخ في تحقيق كتاب عنوان المجد طبعة الدارة السالف ذكرها ، على أن هناك اختلافاً بين المخطوطة وطبعة الدارة استوجب الرجوع للمخطوطة . فابن بشر ذكر الأمير حمد بن عبد الله بن معمر ثلاث مرات في تاريخه في الأعوام التالية : ١٠٤٥ ، ١٠٥٢ ، ١٠٥٦هـ ، ويوضح الجدول التالي الحدث والعام الذي وقع فيه ، واسم الأمير في كل نسخ ابن بشر .

---

(١) المصدر نفسه ، ص ٤٦ .

جدول رقم (٦)

اسم الأمير في نسخ ابن بشر الحدث	/ العام	طبعة مطابع القصيم	طبعة دارة الملك عبد العزيز	مخطوط المتحف البريطاني
بيع حريملاء	١٠٤٥هـ	حمد	حمد	حمد
إخراج رميزان	١٠٥٢هـ	أحمد	حمد	أحمد
وفاة الأمير حمد	١٠٥٦هـ	أحمد	أحمد	حمد

من الجدول يتضح أن اسم الأمير مختلف في كل نسخة وكان الأغلب اسم حمد .

أما ابن ربيعة في تاريخه فقد ذكر الأمير في حوادث ثلاث سنوات هي ١٠٢٤هـ ، ١٠٥٢ ، ١٠٥٦هـ ، وأسماه فيها بأحمد [١] .

والفاخري في تاريخه ذكر الأمير حمد بن عبد الله مرتين في حوادث عام ١٠٤٥ ، ١٠٥٢هـ وسماه حمد [٢] .

والصحيح أن اسم هذا الأمير (حمد) وليس (أحمد) ، والخطأ ناشئ من النساخ لتقارب الاسمين في الرسم .

أما أدلتي على أن صحة اسم الأمير هو حمد ، فهي :

أ) الأمير حمد بن معمر معاصر للشاعر الفارس الأمير رميزان بن غشام التميمي الذي تولى إمارة روضة سدير عام ١٠٥٧هـ وقتل عام ١٠٧٩هـ وبينهما صداقة وعلاقة جيدة ، وقد مدح رميزان الأمير حمد بن عبد الله ابن معمر بقصيدة منها :

أزكى بني عبد الحميد وغيرهم والضد من خوفه يظل موجلِ
حمد بن عبد الله أمنًا ضايف الخلا أن عض كالوب الزمان الممحلِ

(١) ابن ربيعة ، ص ٥٨-٦٢ .
(٢) الأخبار النجدية ، ص ٦٨-٦٩ .

يامـا سـطا وعـطا ويـامـا قـد وطـا   بمهـنـد صافـي الحـديد مجـنـدل
بـراس الـذي كـر بنفسـه مـايـق   إذا ذل رعـديـد الرجـال الـزُمَّـلِ

فرميزان في هذه القصيدة التي مدح بها ابن معمر أسماه حمدًا وليس أحمد .

ب) أن بعض المؤرخين الذين تطرقنا لهم أسموه «حمدًا» والبعض الآخر أورد الاسمين معاً .

جـ) اسم حمد معروف وشائع منذ القدم لدى الأسرة ، عندما يعد المهتمون منهم نسبهم فإنهم يذكرون «حمدًا» عندما يصلون لهذا الأمير ، كما لا يوجد اسم أحمد في الأسرة المعمرية إلا متأخراً . علماً أن الجد الثاني للأمير حمد اسمه «حمد» ، وأهل نجد عادة يسمون أبناءهم على أسماء آبائهم وأجدادهم ، فاحتمال كبير أنه سمي على اسم جده حمد بن حسن .

د) أن هناك خلطاً في اسم الشيخ حمد بن ناصر بن عثمان بن حمد بن معمر المتوفى عام ١٢٢٥هـ ، حيث ورد في بعض المؤلفات أن اسمه أحمد(١) مع أن الثابت أن اسمه حمد .

هذا من حيث تحقيق اسمه ، أما الأحداث المهمة في عهده فقد خاض الأمير حمد بن عبد الله عدداً من المعارك والحروب بهدف ضم بعض البلدان عسكرياً للعيينة والقضاء على خصومه ، وقد ألمح إلى ذلك الشاعر والفارس والأمير رميزان ابن غشام التميمي أمير روضة سدير حين مدح الأمير حمد بن معمر بقصيدته التي ذكرنا بعض أبياتها أعلاه ، ولم تسجل لنا المصادر التاريخية من تلك المعارك التي خاضها الأمير حمد ، والتي جعلت رميزان يشيد بقوته وسطوته في قصيدته تلك إلا حوادث قليلة أهمها :

١- ضم ملهم إلى ملكه بعد معركة انتصر فيها على أهل ملهم ، وأجلى أمراءها آل عطاء «العطيان» إلى القصب إحدى بلدان الوشم ، ثم ردهم الأمير حمد إلى ملهم بعد رؤيا رآها اقتضت ردهم . ثم حصل في ملهم بعد ذلك وباء وقحط

---

(١) ابن معمر حمد بن ناصر بن عثمان ، الفواكه العذاب ، الرياض ، ١٤٠٨هـ ، الطبعة الثانية ، ص ١٠ .

تسبب في هجرة كثير من أهلها إلى العيينة(١) حيث أصبحت ملهم من البلدان التابعة للعيينة .

٢- في عام ١٠٤٥هـ قدم علي بن سليمان آل حمد من التويم في سدير إلى العيينة واشترى حريملاء من حمد بن معمر بستمائة أحمر(*) . ونزلها ومعه أبناء عمه سويد وحسن ابني راشد آل حمد ، وجد آل عدوان والبكور وآل مبارك وغيرهم (٢) . كما استقطبت العيينة بعض الرجال المشهورين كسليم جد آل عقيل قدم على حمد بن معمر من بلد التويم ونزل عنده في العيينة وأكرمه ، ونشأ ابنه عقيل بن سليم ، وصار أشهر من أبيه (٣) .

٣- في عام ١٠٤٥هـ وقعت معركة بين آل عساف وابن زهمول في أطراف الجبيلة ، وبما أنها إحدى بلدان العيينة لا أستبعد اشتراك أهل العيينة مع أحد الأطراف المتصارعه في تلك المعركة (٤) .

٤- وفي عام ١٠٥١هـ قال ابن بسام : « وفيها أغاروا آل برجس على أهل العيينة وأخذوا أغنامهم ففزعوا عليهم ولحقوهم ووقع بينهم قتال شديد وصارت الهزيمة على آل برجس ورجعوا أهل العيينة بأغنامهم ، وقتل من الفريقين قتلى كثيرة ، وتسمى هذه الوقعة بوقعة الظهيرة (٥) . أما المنقور(٦) وابن ربيعه(٧) فإنهم ذكروا أن الهزيمة لحقت بأهل العيينة . أما ابن بشر فقال : وقعة آل برجس مع أهل العيينة وهزيمتهم (٨) .

٥- في عام ١٠٥٢هـ توجه حمد بن معمر على رأس قوة من أهل العيينة إلى سدير وأخرج رميزان من أم حمار في أسفل حوطة سدير ، حيث كان رميزان محصوراً فيها .

---

(١) تاريخ ابن لعبون ، مصدر سابق ، ص ٩٦ ؛ ابن بشر ، حـ٢ ، ص ٣٢١ .
(*) الأحمر : عملة ذهبية كانت مستعمله في ذلك الوقت .
(٢) ابن بشر ، حـ٢ ، ص ٣٢٠ .
(٣) ابن لعبون ، ص٩٦ ، الفاخري ، ص ٧٨ .
(٤) ابن ربيعه ، ص ٦٠ .
(٥) ابن بسام حوادث ١٠٥١هـ .
(٦) المنقور ، ص ٤٥ .
(٧) تاريخ ابن ربيعه ، ص ٦١ . (٨) ابن بشر ، حوادث عام ١٠٥١هـ (مخطوط) .

ومكث الأمير حمد هناك مدة من الزمن حتى هدأت الأوضاع في سدير ثم رجع [١] إلى بلده .

٦- كان الأمير حمد يتمتع بعلاقات جيدة مع المعاصرين له من أشراف الحجاز ، فقد حج عام ١٠٤٣هـ ومعه ابن قرشي [٢] ، كما أنه حج عام ١٠٥٦هـ [٣] ، وعادة لا يتمكن من الحج من يناصب الحجاز العداء ، وخصوصاً من كان من الأمراء أو القادة .

علماء العيينة وقضاتها في عهده :

من أبرز علماء وقضاة العيينة في عهد الأمير حمد : الشيخ أحمد بن محمد البسام ، والشيخ عبد اللّه بن عبد الوهاب بن موسى بن عبد القادر بن مشرف ، ولهما ترجمة في هذا الكتاب .

ولقد اتسمت العيينة بالقوة والعمران في عهد الأمير حمد بن معمر ، واستطاعت أن تتبوأ مركز الصدارة بين القوى المؤثرة في الأحداث بنجد في عصره .

وفاته :

توفي الأمير حمد بن عبد اللّه بن معمر حاجاً في المغاسل [*] في أواخر عام ١٠٥٦ [٤] . ويظهر أن الأمير حمد كان على رأس حملة من الحجاج من أهل العيينة وفيهم قاضيها الشيخ عبد اللّه بن عبد الوهاب الذي مات مع الأمير في نفس المكان والزمان . رحمهما اللّه ، وذكر ابن بسام أن الأمير حمد توفي بعد خروجه من مكة بعد قضاء الحج [٥] .

---

(١) ابن بشر ، جـ٢ ، ص ٣٢٢ ، الفاخري ، ص ٦٩ . (٢) ابن بشر ، جـ٢ ، ص ٣٢٠ .

(٣) المصدر نفسه ، جـ٢ ، ص٣٢٤ ، المنقور ، ص٤٦ ، ابن ربيعه ، ص٦٢ .

(*) المغاسل : هو قرن المنازل ويعرف الآن بالسيل الكبير ، وأهل نجد يسمونه المغاسل لأن الحاج يغتسل منه عند لبس الإحرام ، وهو من المواقيت المكانية للحرم المكي ، ويبعد عن مكة المكرمة بحوالي ٦٠ كيلاً .

(٤) المنقور ، ص ٤٥ ، ابن ربيعه ، ص ٦٢ ؛ ابن بشر ، جـ٢ ، ص ٣٢٤ .

(٥) تحفة المشتاق ، ص ٤٣ .

وخَلَّفَ حمد ثلاثة أبناء هم : دواس أمير العيينة بين عامي ١٠٥٧-١٠٥٨هـ ومحمد أمير العيينة عام ١٠٥٩هـ المتوفي عام ١٠٩٨ ، وعبد اللّه الذي تولى إمارة العيينة عام ١٠٧٠هـ ولهم ترجمة في هذا الكتاب ، وخلف حمداً في إمارة العيينة أخوه ناصر .

٧- الأمير ناصر بن عبد الله بن معمر:

تولى ناصر إمارة العيينة بعد أخيه حمد الذي توفى في السيل (المغاسل) في مكة المكرمة في ذي الحجة عام ١٠٥٦هـ بعد أدائه حج ذلك العام .

ويحتاج وصول خبر وفاة الأمير حمد إلى العيينة من مكة في المتوسط ما بين ١٥ إلى ٢٥ يوماً ، وذلك حسب الظروف البيئية والأمنية في الطريق بين مكة والعيينة ، ومعنى هذا أن ناصر تولى إمارة العيينة بعد معرفته بوفاة أخيه في غرة محرم عام ١٠٥٧هـ .

وسبق أن أشرنا إلى وجود علاقة صداقة متميزة بين الأمير حمد بن عبد اللّه ابن معمر ، ورميزان التميمي أمير روضة سدير ، ومر بنا أن حمد بن معمر فك الحصار عن رميزان في أم حمار عام ١٠٥٢هـ ، وأن رميزان مدح حمد بن معمر بقصيدة ذكرنا بعض أبياتها .

وعندما حج حمد بن معمر عام ١٠٥٦هـ أرجح أنه قابل رميزان عند الشريف زيد ابن محسن في مكة المكرمة ، ولا أستبعد أن الثلاثه اتفقوا على عودة رميزان إلى إمارة روضة سدير وأن ابن معمر وعد بتمويل نفقات حملة الشريف إلى نجد ، والتي تستهدف إعادة رميزان للإمارة .

وتوفى الأمير حمد بن معمر قبل وصوله للعيينة ، ثم بعد قضاء موسم الحج قاد الشريف زيد بن محسن حملته إلى نجد ووصل إلى روضه سدير وقتل أميرها ماضي بن محمد بن ثاري وأجلى آل أبو راجح منها[١] وعين رميزان أميراً عليها ، ثم رحل منها وعسكر في (بنبان) [٢] إلى الشمال من العيينة ، وطلب من أمير

(١) الفاخري ، ص ٧٠ .
(٢) المصدر نفسه ، ص ٧١ .

العيينة تنفيذ ما اتفق عليه مع الأمير المتوفي حمد بن معمر ، ويظهر أن الأمير ناصر تلكأ في ذلك ودارت مفاوضات ومناقشات في البيت المعمري حيال الالتزام بما تم الاتفاق عليه ، ويظهر أن ناصرًا استاء من بعض تصرفات الشريف مع أهل الروضة والأفعال المشينة التي فعلها بهم ورفض تمويل جيش الشريف .

ولكن دواس بن معمر أصر على تنفيذ ما اتفق عليه الأمير حمد بن عبد الله ابن معمر مع الشريف ، ووقع الخلاف بينه وبين عمه الأمير ناصر ، وتطور هذا الخلاف إلى صراع مسلح على السلطة انتهى بمقتل الأمير ناصر من قبل ابن أخيه دواس بن معمر عام [١] ١٠٥٧هـ ولم يتمتع ناصر رحمه الله بإمارته طويلاً .

٨- الأمير دواس [*] بن حمد بن عبد الله بن معمر (١٠٥٧-٧/ ١١/١٠٥٨هـ) :

تولى الأمير دواس إمارة العيينة بعد صراع بينه وبين عمه الأمير ناصر ومؤيديه وأنهى دواس هذا الصراع بمقتل عمه ناصر ، والاستيلاء على السلطة في العيينة عام ١٠٥٧هـ [٢] .

ثم قام دواس بتمويل حملة الشريف زيد بن محسن ، الذي كان يعسكر في بنبان قريباً من العيينة ، بثلاثمائة حمل من الأطعمة ومال كثير [٣] ، ويبدو أنه غطى جميع تكاليف حملة الشريف زيد العسكرية .

ولم ينعم دواس بالإمارة كثيراً ، إذ قتل رحمه الله في السابع من ذي القعدة عام ١٠٥٨هـ [٤] ومدة إمارته حوالي العام .

ولا نعرف من قتله ، ربما قتل في موقعة حربيه خاضها ؟

---

(١) تاريخ المنقور ، ص ٤٨ .

(*) ذكر ابن بشر أن اسمه دواس بن محمد ، بينما ذكر المنقور في تاريخه من أن اسمه دواس ابن حمد ، وهو ما أرجحه .

(٢) المنقور ، ص ٤٨ .

(٣) ابن بشر ، جـ٢ ، ص ٣٢٥ ؛ الفاخري ، ص ٧١ .

(٤) ابن ربيعة ، ص ٦٣ .

والاحتمال الأقوى أن الذي قتله هم أبناء عمه محمد بن عبد الله بن معمر في صراع على السلطة في العيينة ، ويظهر أنهم كانوا من مؤيدي عمهم ناصر الذي قتله دواس وأنهم لم يرضوا أن ينفرد أبناء عمهم حمد بن عبد الله ، وهم دواس وإخوته بإمارة العيينة دونهم ، فقتلوا «دواسًا» واستولوا على الإمارة في العيينة .

٩- إمارة (آل محمد) أبناء محمد بن عبد الله بن معمر (١٠٥٨/١١/٧ - جمادي الثاني ١٠٥٩هـ):

تولى أحد أبناء محمد بن عبد الله بن معمر إمارة العيينة بعد مقتلهم لابن عمهم الأمير دواس بن حمد في السابع من ذي القعدة عام ١٠٥٨هـ . وهذا هو الصراع الدموي الثاني على السلطة في العيينة خلال عامين ، والأخير أيضاً .

ولا نعرف اسم الأمير الذي تولى إمارة العيينة سوى أنه من أبناء محمد بن عبدالله بن معمر يعضده أخوته وأبناؤهم ، والجميع يلقبون داخل الأسرة المعمرية بآل محمد ، ولم تذكر حوادث مهمة في عهد إمارة آل محمد تلك ، والتي استمرت تسعة أشهر [(١)] . وانتهت في شهر جمادى الآخرة عام ١٠٥٩هـ حيث استولى محمد بن حمد بن معمر أخو دواس على الإمارة في العيينة ، ثم قام بإجلاء آل محمد وأخرجهم من العيينة ، ولا نعلم بعد ذلك عن آل محمد شيئاً ، ربما انقطع عقبهم كما لم تحدد المصادر التاريخية إلى أين أجلوا .

وأعتقد أنهم توجهوا للرياض ، حيث ذكر ابن بشر [(٢)] أن شخصاً يدعى ناصر ابن معمر من أثرياء الرياض ووجهائها قد عقرت بعض إبله في الرياض أثناء الصراع بين الدرعية والرياض عام ١١٥٩هـ ثم ذكر ابن بشر [(٣)] أن ناصراً هذا قتل في الرياض عام ١١٦٣هـ أثناء موقعة البطحاء بين الدرعية والرياض ، فربما يكون من بقية آل محمد بن عبد الله بن معمر [(*)] .

---

(١) ابن ربيعه ، ص ٦٣ .

(٢) ابن بشر ، جـ١ ، ص ٥٢ .

(٣) ابن بشر ، جـ١ ، ص ٦١ .

(*) وعلى اعتبار كلام ابن بشر أن دواسًا هو ابن لمحمد بن معمر ، فيصبح أن إمارة آل محمد هي إمارة دواس وإخوته ، وأن محمد بن حمد بن معمر قضى عليها في عام ١٠٥٨هـ .

١٠- الأمير محمد بن حمد بن معمر الأول (١٠٥٩-١٠٧٠هـ):

هو الأمير محمد بن حمد بن عبد الله بن محمد بن معمر بن حمد بن حسن ابن طوق بن سيف . تولى إمارة العيينة بعد أن تمكن من إقصاء أبناء عمه محمد عن إمارتها في جمادى الآخرة عام ١٠٥٩هـ (١) .

وأول عمل قام به هذا الأمير هو طرد وإجلاء آل محمد من العيينة ، ولا شك أن ذلك الإجراء كان له دور قوي في استقرار الزعامة في العيينة إذ لم يظهر بعد ذلك أي صراع على السلطة فيها .

واستطاع محمد بن حمد أن يتجاوز بالعيينة عنق الزجاجة تلك المرحلة الدموية العصيبة التي كادت تهدد إمارة العيينة بالتفرق والحروب والصراعات الأسرية . وبعد أن استتبت الأمور في العيينة واطمأن لذلك تنحى عن الإمارة رغبة عنها عام ١٠٧٠هـ ليعاصر أربعة أمراء أتوا بعده لمدة ٢٨ عاماً قبل وفاته . هم : أخوه عبد الله بن حمد الذي ولي إمارة العيينة عام ١٠٧٠هـ (٢) ، ثم أبناؤه الثلاثة وهم ناصر بن محمد المقتول عام ١٠٨٤هـ (٣) . والابن الثاني الذي لم تذكر المصادر التاريخية اسمه والذي اعتقد أنه توفى عام ١٠٩٦ ، فالابن الثالث عبد الله ابن محمد المشهور الذي تولى الإمارة عام ١٠٩٦هـ(٤) وحتى ١١٣٨هـ .

وتوفى الأمير محمد بن حمد عام ١٠٩٨هـ(٥) إبان إمارة ابنه عبد الله في العيينة ، وقد أدى فريضة الحج قبل وفاته بعامين أي عام ١٠٩٦هـ(٦) رحمه الله .

١١- الأمير عبد الله بن حمد بن معمر:

هو عبد الله بن حمد بن عبد الله بن محمد بن معمر بن حمد بن حسن ابن طوق ابن سيف السعدي التميمي .

---

(١) المنقور ، ص ٤٩ ؛ ابن ربيعه ، ص ٦٣ .

(٢) المنقور ، ص ٥١ .

(٣) ابن ربيعه ، ص ٦٩ .

(٤) ابن بشر ، جـ٢ ، ص ٣٣٨ .

(٥) المنقور ، ص ٦٢ .

(٦) الفاخري ، ص ٨٠ ؛ ابن بشر ، جـ٢ ، ص ٣٣٨ ، بينما ذكر ابن ربيعه ص ٧٣ أن الذي حج الابن عبد الله بن محمد وليس الأب .

تولى عبد الله إمارة العيينة بعد أخيه محمد بن حمد الذي تنازل عن الإمارة له عام ١٠٧٠هـ [١] .

وبدأ عبد الله عهده بغارة على أهل البير عام ١٠٧١هـ [٢] ساق على إثرها إبلهم إلى العيينة ، لذلك قام أهل البير عام ١٠٧٢هـ بأخذ قافلة تجارية من الألبسة لأهل العيينة في المحمل رهينة لديهم [٣] . عندئذ جهز أمير العيينة غزواً كبيراً وعساكر كثيرة وقاد بنفسه ذلك الغزو عام ١٠٧٢هـ ، وأخذ معه أعيان العيينة منهم قاضيها الشيخ سليمان بن علي بن مشرف جد الشيخ محمد ابن عبد الوهاب ، ويبدو أنه حشد هذا الغزو القوي ليمارس به ضغطاً على أهل البير عند المفاوضات ، أو أنه فعلاً أراد أن يحسم الأمر عسكريًا [٤] ، ولحسن حظ أهل البير أن أنهار أحد جدران البلدة على بعض غزو العيينة فمات إثر ذلك بعضهم تحت الأنقاض [٥] . ويظهر أن الشيخ سليمان بن علي لعب دوراً في إجراء مفاوضات مع أهل البلدة ، انتهت بأن تم الصلح بين ابن معمر وبينهم ، ورجع على إثره غزو العيينة إلى بلده .

ولا تتوفر معلومات أخرى عن أعمال الأمير عبد الله ولا مدة إمارته ولا حتى تاريخ وفاته رحمه الله .

١٢- الأمير ناصر بن محمد بن معمر:

هو ناصر بن محمد بن حمد بن عبد الله بن محمد بن معمر بن حمد ابن حسن بن طوق بن سيف التميمي .

تولى ناصر إمارة العيينة خلفاً لعمه عبد الله بن حمد بن معمر ، ولم تذكر

(١) المنقور ، ص ٦١ ؛ أما ابن ربيعه ، ص ٦٥ وابن بشر ، جـ٢ ، ص ٣٢٧ والفاخري ، ص ٧٢ ، فقد أسموه خطأً بعبد الله بن أحمد ، واتفقوا مع المنقور في أنه ولي إمارة العيينة في العام نفسه ، والصحيح ما ذكره المنقور من أن اسم الأمير هو عبد الله بن حمد .

(٢) تحفة المشتاق ، ص ٤٦ .

(٣) الفاخري ، ص ٧٣ .

(٤) تاريخ نجد ، فلبي ، ص ١٠ ؛ علماء نجد ، البسام ، جـ١ ، ص ٣١٠ . ذكرا أنه أراد أن يؤدب أهل البير .

(٥) ابن بشر ، جـ٢ ، ص ٣٢٧ .

المصادر التاريخية المعاصرة أو القريبة العهد بتلك الفترة الزمنية الأمير ناصر، بل إن بعض تلك المصادر التبس عليها الأمر فاعتبرته أحد أمراء الدرعية، ولم نجد له ذكراً إلا في تاريخ محمد بن ربيعة، حوادث عام ١٠٨٤هـ، حيث قال: «وفي هذه السنة في ذي الحجة سافرت للقراءة على يد شيخنا عبد الله بن محمد ابن ذهلان، وفيها شاخ راشد بن إبراهيم في مراة، وفيها ذبح أحمد بن وطبان، وشيخ العيينة ناصر بن محمد» (١).

وقال ابن بشر: «وفيها قتل أمير الدرعية ناصر بن محمد وأحمد ابن وطبان» (٢).

فابن ربيعة عدَّ ناصراً أميراً للعيينة أما ابن بشر فجعله أميراً للدرعية.

ومعروف أن الشيخ عبد الله بن ذهلان ولد في العيينة وتعلم بها، ثم أصبح قاضياً في الرياض (٣). وأن الشيخ المؤرخ محمد بن ربيعة العوسجي قاضي ثادق كان قد رحل عام ١٠٨٤هـ، ــ وبالتحديد في شهر ذي الحجة ــ للرياض للدراسة على يد الشيخ عبد الله بن ذهلان، وهناك احتمال أنه مر بالعيينة في طريقه للرياض، وعرف بمقتل الأمير ناصر بن معمر أثناء مروره بها أو من الشيخ ابن ذهلان في الرياض لكونه من أهل العيينة، فيصبح ما قاله المؤرخ الشيخ محمد ابن ربيعه عن مقتل الأمير ناصر بن محمد أمير العيينة صحيحاً؛ لأن ابن ربيعه اعتمد في هذه الفترة في تاريخه على الرواية والسماع والمعاصرة والمشاهدة للوقائع والأحداث حسب موقعه المكاني والزماني من الحدث (٤)، كما أنه كتب تاريخه بثقة المؤرخ وأمانة العالم، والمعاصر والشاهد للأحداث أحرى بالدقة فيما ينقله ويرويه من السامع كابن بشر أو من نقل عنه.

وقد نبهت د. عبد الله بن يوسف الشبل عن هذه الحادثة وكان من المفترض أن يناقشها سيما وأنه دارس ومحقق لتاريخ ابن ربيعه.

---

(١) ابن ربيعه، ص ٦٨، ٦٩.
(٢) ابن بشر، جـ٢، ص ٣٣٢.
(٣) علماء نجد، جـ٢، ص ٦٢٠.
(٤) تاريخ ابن ربيعه، ص ٣٠، الكلام للمحقق الدكتور الشبل.

ولا تتوفر لدينا عن الأمير ناصر معلومات عن بدء إمارته أو أي أحداث في عهده سوى حادثة قتله تلك رحمه الله ، والتي ربما وقعت في مواجهة عسكرية بين العيينة وطرف آخر .

١٣- الأمير حمد بن محمد بن معمر (١٠٨٤-١٠٩٦هـ):

بعد مقتل الأمير ناصر بن محمد بن معمر عام ١٠٨٤هـ تولى إمارة العيينة أحد الأمراء المعمريين .

وفي عهد هذا الأمير وقعت أول مواجهة بين العيينة وحريملاء حيث شن أمير العيينة حرباً على حريملاء ذكرها كل من ابن ربيعه في حوادث عام ١٠٩٥هـ فقال : «وهي أول سنة حرب ابن معمر لأهل حريملاء» . وقال الفاخري في حوادث السنة نفسها :

«وأول حرب ابن معمر وأهل حريملاء» [(١)] . وذكر ابن بشر في تاريخه الحادث نفسه وأرخه عام ١٠٩٥هـ [(٢)] .

وفي هذه الحادثة ذكر المؤرخون الثلاثة لقب أمير العيينة وأشاروا إليه بـ (ابن معمر) دون ذكر اسمه الأول أو اسم والده ، مما زاد الأمر غموضاً . كما لم تذكر تلك المصادر أسباب شنه الحرب على حريملاء ولا نتائجها .

وأرجح أن هذا الأمير المعمري المجهول الاسم هو الابن الثاني للأمير محمد ابن حمد الذي تولى الإمارة بعد أخيه ناصر بن محمد ؛ إذ إن فترة إمارة الأمير المجهول الاسم تقع بين اثنين من أمراء العيينة أبناء الأمير محمد بن حمد ، أولهم الأمير ناصر بن محمد بن حمد بن معمر ، المتوفي عام ١٠٨٤هـ ، والثاني الأمير عبد الله بن محمد بن حمد بن معمر ، المشهور الذي أصبح أميراً للعيينة عام ١٠٩٦هـ .

لذا ، فإن الأمير المجهول الاسم الأول هو أحد أبناء الأمير محمد بن حمد ابن معمر وأخو الأميرين ناصر بن محمد وعبد الله بن محمد ، وأرجح أن اسم

---

(١) ابن بشر ، جـ ٢ ، ص ٣٣٢ .

(٢) الفاخري ، ص ٧٩ .

هذا الأمير هو حمد . وتوفي هذا الأمير عام ١٠٩٦هـ بعد أن دامت فترة إمارته للعيينة اثني عشر عاماً من ١٠٨٤ وحتى ١٠٩٦هـ رحمه الله .

١٤- الأمير المشهور عبد الله بن محمد بن معمر الثاني (١٠٩٦- ذو الحجة ١١٣٨هـ):

هو أبو حمد عبد الله بن محمد بن حمد بن عبد الله بن محمد بن معمر ابن حمد بن حسن بن طوق السعدي التميمي .

تولى إمارة العيينة بعد وفاة أخيه وذلك عام ١٠٩٦هـ [١] .

ولقب بالثاني تمييزاً له عن أحد أجداده وهو عبد الله بن محمد الأول المتوفي عام ١٠٢٤هـ ، والذي يتفق معه في الاسم .

يعتبر هذا الأمير أقوى وأشهر وأعظم أمراء نجد في زمانه ، واستطاع أن يرتقي بالعيينة درجة بلغت فيه أوج قوتها وازدهارها وحضارتها ورقيها ، ويعتبر عصره العصر الذهبي لإمارة العيينة .

وجه عبد الله اهتمامه إلى تطوير العيينة حضارياً في شتى المجالات واتضحت أهم مظاهر التطور الحضاري في عهده بالآتي :

١- النشاط الثقافي : يتمثل هذا النشاط في الحركة العلمية التي ازدهرت في العيينة إذ اكتظت بالعلماء وطلبة العلم ، وتركز الاهتمام على العلوم الدينية ، فانتشرت حلقات العلم في مدارسها ومساجدها ، وأفرز هذا الاهتمام فيما بعد ظهور الدعوة الإصلاحية في نجد ، إذ وُلِد صاحب الدعوة وتعلم في العيينة في عهد هذا الأمير .

وزاد عدد العلماء في العيينة عن الثمانين عالماً[٢] يقومون بالفتوى والتعليم ، وأبرز قضاة العيينة وعلمائها في عهده هم :

(أ) الشيخ عبد الوهاب بن عبد الله بن مشرف ، المتوفي عام ١١٢٥هـ .

(ب) ابنه الشيخ محمد بن عبد الوهاب بن عبد الله ، المتوفي عام ١١٢٦هـ . وهو غير الشيخ محمد بن عبد الوهاب صاحب الدعوة السلفية ومن بني عمومته .

---

(١) ابن بشر ، جـ٢ ، ص ٣٣٨ ؛ الفاخري ، ص ٨٠ ، ابن ربيعة ، ص ٧٣ .
(٢) علماء نجد ، جـ١ ، ص ١٥ .

(جـ) الشيخ عبد الوهاب بن سليمان بن علي بن مشرف ، والد صاحب الدعوة السلفية الإصلاحية المتوفي عام ١١٥٣هـ .

(د) الشيخ إبراهيم بن سليمان بن مشرف توفي عام ١١٤١هـ .

(هـ) الشيخ محمد بن موسى البصير .

وغيرهم من العلماء الذين غصت بهم مساجد العيينة في ذلك العهد ، وقد أثنى حميدان الشويعر على اهتمام الأمير عبد الله بالعلوم الدينية وتعليمها حينما وصفه بأنه «أحيا من الدين دارسه» (١) .

٢- **النشاط العمراني** : لقد ازدهر العمران في العيينة سواء العمران السكني أو المنشآت الزراعية ، كالسدود وغيرها لمواجهة النمو المطرد في السكان والزراعة ، وقال عنه ابن بشر : «وكبرت العيينة في زمنه وتزخرفت وكثر أهلها وازدادت عمارتها» (٢) .

٣- **النشاط الاقتصادي** : خطت العيينة في عهد الأمير عبد الله خطوات ذات قيمة في المجال التجاري والزراعي ، وغيرها من المناشط الاقتصادية فتحسنت مرافقها وزاد عدد سكانها لوجود فرص العمل والاكتساب وكثرت العمارة والزراعة والتجارة فيها ، حتى فاقت ما حولها من البلدان ، وقد زارها في عهد الأمير عبد الله الرحالة الدمشقي (مرتضى بن علي بن علوان) قادماً من مكة مع قافلة الحج الأحسائية عام ١١٢٢هـ ، وكان قد مر بنفي وثرمداء قبل وصوله للعيينة ، وقال عنها : «ودخلنا بلداً اسمها العيينة هي أعظم الثلاث ، وفيها من الحمض الكباد(*) ، والنفائل ما لا يوجد مثله إلا في صالحية دمشق الشام ، وأما المياه فلا تقاس بغيرها طيباً وصفاء وهضماً سألنا عنها فقيل : كلها آبار وبعضها مالحة ، وفي هذه البلاد أرزاق وخيرات كثيرة ، وقد حصل لنا تشويش مزاج في هذا الطريق مدة ثلاثة وثلاثين يوماً إلى أن وصلنا هذه البلاد «يقصد العيينة» وشربنا من مائها ، وتعطرنا بنسيمها وحللنا رباها ، مَنّ الله وله الحمد علينا بالعافية» (٣) .

---

(١) ديوان النبط ، ص ٤٣ .

(٢) ابن بشر ، طبعة مطابع القصيم ، جـ١ ، ص ١٠٢ .

(*) الكباد : الأترج .

(٣) رحلة ابن علوان ، ١١٢٢هـ .

٤ - **الجانب السياسي والعسكري** : ورث عبد الله أقوى إمارة في نجد عسكرياً وسياسياً ، ولم يحافظ على ذلك المستوى فقط بل زاده قوةً إلى قوته ونفوذاً إلى نفوذه ، فأصبح الأقوى نفوذاً في المنطقة حتى أطلق عليه لقب (الشيخ الحنيفي)(١) و(شيخ وادي حنيفة)(٢) ؛ أي الشيخ والأمير الأقوى في هذا الوادي ، كما لقب بـ (رئيس العارض)(٣) ، ووصف بأنه (أعظم ملوك نجد في زمانه)(٤) ، كما قال عنه ابن بشر(٥) ، والفاخري(٦) ، بأنه (لم يذكر في زمانه ولا قبله في نجد من يدانيه في الرئاسة ولا سعة وقوة الملك والعدد والعدة والعقارات والأثاثات) . وقال عنه الذكير : «كانت بلده المدينة الأولى في نجد وكلمته تكاد تكون الأولى ، إلى أن قال : فإنه في الثابت أنه لم يتوجه جيش لمقاتلته ، ولم يكن يوماً مدافعاً بل إنه دائماً كان مهاجماً»(٧) . وحينما تكلم الدكتور العثيمين عن أمراء البلدان النجدية قال : «وُجدَ أمراء نجديون عادلون يحلون أمور أتباعهم بطريقة شرعية . ثم قال في الهامش : ومن بين هؤلاء عبد الله بن معمر أمير العيينة»(٨) .

وقد بدأ عبد الله عهده بأعمال عسكرية بهدف توسيع مناطق نفوذه ، وقد خاض العديد من المواجهات المسلحة مع بعض قبائل البادية والبلدان المجاورة ، وذلك في سبيل الحفاظ على قوة وهيبة العيينة ، وزيادة رقعتها ونفوذها . فدخل في صراع مع كل من حريملاء والعمارية والدرعية وعرقه وثادق والقرينة واليمامة ، كما وصلت جيوشه إلى الأحساء التي هاجمها في شهر رمضان المبارك عام ١١٣٦هـ(٩) .

وحدثت في عهده عدد من الحوادث التاريخية سجلت لنا المصادر التاريخية منها ما يلي :

---

(١) ديوان النبط ، ص ٣٩ .
(٢) كيف كان ظهور شيخ الإسلام ، ص ٥٤ .
(٣) تاريخ ابن لعبون ، ص ١٠٤ .
(٤) الإفادات ، ص ٦١ .
(٥) ابن بشر ، جـ٢ ، ص ٣٦٧ .
(٦) الفاخري ، ص ١٠٠ .
(٧) الذكير مقبل عبد العزيز ، مطالع السعود في تاريخ نجد وآل سعود ، مخطوط .
(٨) تاريخ المملكة العربية السعودية ، ص ٤٨ .
(٩) تاريخ ابن عباد ، مخطوط ـ حوادث عام ١١٣٦هـ .

١ - موقعة الكمين الأول «المحيرس» :

في عام ١٠٩٦هـ وهو العام الذي تولى فيه الأمير عبد الله مقاليد الأمور في العيينة ــ بدأ عهده بهجوم قوي على جارته حريملاء إذ قاد غزواً من أهل العيينة ، وانضم له غزو من الدرعية بقيادة (محمد بن مقرن) جد الأسرة السعودية الكريمة ، وكمنوا لأهل حريملاء ، ثم ناوشهم بعض الغزو فلما خرج أهلها خارج السور ظهر عليهم الكمين والتحم الجيشان في معركة شرسة ، أمام أحد أبواب حريملاء والمسمى «باب المحيرس» وانجلت المعركة بهزيمة أهل حريملاء ومقتل ثلاثين رجلاً منهم (١) .

٢- في عام ١٠٩٧هـ استولى (عبد الله بن معمر) على العمارية(٢) ، وضمها إلى ملكه وأصبحت تحت نفوذه ولم تعطنا المصادر التاريخية الفترة الزمنية التي ظلت فيها العمارية تابعة للعيينة .

٣- في العام نفسه ١٠٩٧هـ هاجم (عبد الله بن معمر) آل عساف من آل كثير عند بلدة عرقة وأخذهم (٣) .

٤- وفي عام ١٠٩٨هـ هاجم ابن معمر سبيعًا وأخذهم(٤) ، وهذه أول مواجهة بين العيينة وسبيع بعد مصالحتهم عام ١٠٠٩هـ ، كما مر بنا .

٥- موقعة الكمين الثاني : في عام ١٠٩٨هـ استأنف أمير العيينة عبد الله ابن معمر هجومه على حريملاء بعد هجومه الأول ، والمعروف بالكمين الأول ، أو المحيرس بعامين ، وطبقت نفس خطوات الكمين الأول ، وقتل من أهل حريملاء عدة رجال حول باب البلدة (٥) .

---

(١) ابن بشر ، جـ٢ ، ص ٣٣٨ ، ٣٣٩ ، الفاخري ، ص ٨٠ .

(٢) ابن بشر ، جـ٢ ، ص ٣٤٠ ؛ الفاخري ، ص ٨٠ ؛ ابن ربيعه ، ص٧٣ ، بينما ذكر ابن منقور أن استيلاءه على العمارية كان عام ١٠٩٨هـ .

(٣) تحفة المشتاق ، ص ٥٣ ؛ ابن ربيعه ، ص ٧٣ ؛ الفاخري ، ص٨٠ ؛ بينما يذكر المنقور أن الذي أخذ آل عساف هو الشريف عبد المحسن وأنّ ذلك حدث عام ١٠٩٨هـ ، ولعل مصلحة العيينة والشريف اتفقت على مهاجمة آل عساف .

(٤) المنقور ، ص ٦٢ .

(٥) ابن بشر ، جـ٢ ، ص ٣٤٠ ؛ المنقور ، ص ٦٢ ؛ الفاخري ، ص ٨١ .

٦- وفي السنة نفسها ، وبعد أن ضم أمير العيينة العمارية إلى نفوذه - وأعتقد أن العمارية كانت في ذلك الوقت كيانًا مستقلاً ، ولم تسعفنا المصادر التي بين أيدينا عن بمعلومات أكثر عنها - ، برز خلاف بينه وبين حليفه السابق أمير الدرعية إذ لم ترض الدرعية باستيلاء ابن معمر على العمارية لاعتقادها بأن نواياه التوسعية قد تتمدد ، ولعلاقتها المتميزة مع العمارية ، قامت حروب(١) ومواجهات بين البلدين لم توضح لنا المصادر التاريخية التي بين أيدينا معلومات كافية عنها ، ولكن يظهر أن عبد الله بن معمر هاجم الدرعية ، وهذا ما دفع بنت أمير الدرعية لأنْ تطلب من والدها صد هجوم ابن معمر ومواجهته ، وعبرت عن ذلك بمقطوعة شعرية قالت فيها :

ما شاقني كود سرية لابن معمر تطل على الزلال(*) كل عشية
يابيه شف للخيل خيل مثله والا فزل عن شيخة الدرعية(٢)

ثم لم تجد الدرعية بداً من البحث عن حليف قوي للوقوف في وجه رغبة عبد الله بن معمر أمير العيينة في التوسع وتكوين إمارة قوية تبسط نفوذها على منطقة العارض ، فالتقت أهداف الدرعية وحريملاء والخرج لوقف زحف ابن معمر ومواجهته ، وكون هذا التحالف الثلاثي غزواً اشترك فيه أهل الدرعية بقيادة محمد بن مقرن وأهل حريملاء وأهل الخرج بقيادة أميره زامل بن عثمان العائذي ، وكان هدف هذا الغزو هو مهاجمة سدوس إحدى القرى التابعة للعيينة ، ولم يهاجموا العيينة نفسها لمناعتها وقوتها . واستطاع المهاجمون تدمير قصر سدوس وتخريبه(٣) ، وهو في ذلك الوقت مزارع لآل معمر (*) .

---

(١) المنقور ، ص ٦٢ ؛ الفاخري ، ص ٨١ .

(*) الزلال : قال عنه عبد المحسن الطويل : إنه صنع - مجرى سيل - ينحدر من شرق الدرعية إلى جهة نخيل البلدة ، مجلة العرب ، جـ١ ، ٢ ، س ١٦ ، رجب وشعبان ، ١٤٠١هـ ، ص ١٥٤ .

(٢) علماء نجد ، جـ١ ، ص ٣٧ ، ٣٨ .

(٣) ابن ربيعه ، ص ٧٤ ؛ الفاخري ، ص ٨١ ؛ ابن بشر ، حـ٢ ، ص ٣٤٠ .

(*) ذكر لي إبراهيم العبيد من مزارعي العيينة أن جده الأعلى كان وقافاً (مسؤولاً عن نخيل ابن معمر في سدوس) وأنه حصل هجوم عليها وكانت النخيل خيس - حديثة الغرس - فقطعت ثمرتها وعندما علم ابن معمر بذلك حضر ومعه ثلة من الفرسان ، وتفقد =

٧- وفي عام ١٠٩٨هـ توفى الأمير (محمد بن حمد بن معمر) أمير العيينة السابق ووالد أميرها عبد الله[١] صاحب هذه الترجمة .

٨- الصلح الأول بين العيينة وحريملاء تم في عام ١٠٩٩هـ[٢] . وأنهى هذا الصلح حرباً ومواجهة استمرت حوالي خمس سنين بين الجارتين .

٩- في عام ١١٠٠هـ والعام الذي قبله كثرت الأمطار وأصاب الزرع صفار ، وهو مرض معروف يصيب الزروع ، وكان أكثر تأثيراً على زروع العيينة[٣] .

١٠- قال المنقور في حوادث عام ١١٠٢هـ : (وفيها فزع راعي العيينة)[٤] . والمقصود أميرها (عبد الله بن معمر) ، والفزع هو الإمداد والمساعدة والنجدة بالمقاتلة من الرجال ، فلمن تكون هذه المساعدة ؟ هذا ما لم يوضحه المؤرخون الذين ذكروا هذه الحادثة . ولقد وقعت أحداث عديدة في ذلك العام ربما يكون لها علاقة بالفزع وهي قتله حبيشًا ، ثم أخذ محمد آل غرير جردة مقحم الذي نهب الحجاج قبل ذلك بعام . ولعل فزعة ابن معمر لها علاقة بأحد هذه الحوادث وخصوصاً مساعدته لمحمد آل غرير رئيس بني خالد في حربه مع مقحم عقاباً للأخير لاعتدائه على قوافل الحج[٥] .

١١- في عام ١١٠٥هـ وقعت حرب بين بلدتي البير وثادق وتدخلت العيينة في تلك الحرب لصالح البير التي سبق أن تصالحت مع العيينة عام ١٠٧٢هـ .

= البلد والنخيل ولام ابن عبيد ثم أعفاه من عمله وغادر ابن عبيد سدوس .
وإذا صحت رواية ابن عبيد هذه فيستدل منها على أن غرس النخيل في سدوس في عهد آل معمر كان حديثاً نسبياً . هذا إذا كان المهاجمون هم أهل الدرعية ومن معهم عام ١٠٩٨هـ .

(١) المنقور ، ص ٦٢ .

(٢) ابن ربيعه ، ص ٧٥ ، ابن بشر ، جـ٢ ، ص ٣٤٣ ؛ وتردد لابن بشر هل الصلح في هذه السنة أو التي بعدها .

(٣) ابن عباد ، مخطوط حوادث عام ١١٠٠هـ ، المنقور ، ص ٦٤ .

(٤) المنقور ، ص ٦٧ ، بينما يذكر الفاخري هذه الحادثة عام ١١٠١هـ .

(٥) المنقور ، ص ٦٧ ؛ الفاخري ، ص ٨٤ ، ٨٥ .

أدى هذا التدخل على ما يبدو إلى ترجيح كفة البير ، وقام أهل ثادق بدافع الانتقام بالاستيلاء على بعض خيل أمير العيينة[١] في السنة نفسها والتي كانت في مراعيها .

١٢- وفي عام ١١١١هـ انتشر في أكثر البلدان النجدية آفة زراعية تسمى الصفار كان لها أثر قوي على زراعة العيينة ، وبالتالي مخزونها الغذائي ، مما اضطر أهلها إلى استيراد الحبوب من بعض بلدان سدير [٢] .

١٣- وفي عام ١١١١هـ أيضاً غادر العيينة كل من ناصر ومحمد آل شقير أهل حوطة سدير ، وهم من بني تميم إلى سدير فاعترضهم أهل عودة سدير وقتلوهما [٣] ، وكان آل شقير يقيمون في العيينة منذ عام ١١٠٧هـ بعد خلاف بينهم وبين آل عبهول من بني تميم أيضاً[٤] . فاستضافهم عبد الله بن معمر في العيينة لمدة خمس سنوات كضيوف معززين مكرمين لم تصل إليهم أيدي خصومهم .

ولم تذكر المصادر تدخل أمير العيينة في الحوطة أو العودة من أجل آل شقير .

١٤- موقعة سدوس : في عام ١١١٣هـ هاجم أمير العيينة (عبد الله بن معمر) آل عساف من آل كثير قرب بلدة سدوس وهزمهم واستولى على ما معهم[٥] ، وهذه المرة هي الثانية التي واجه فيها أمير العيينة بادية آل عساف ، وكانت المرة الأولى في موقعة عرقة عام ١٠٩٧هـ .

١٥- وفي عام ١١١٦هـ هطلت أمطار غزيرة على العيينة وهدمت السيول بعض منازلها[٦] .

---

(١) الفاخري ، ص ٨٦ ؛ ابن ربيعه ، ص ٧٨ ؛ ابن بشر ، جـ٢ ، ص ٣٤٥ .
(٢) المنقور ، ص ٧٣ ، ٧٤ .
(٣) ابن ربيعه ص ٨٠ ؛ ابن بشر ، جـ٢ ، ص ٣٤٩ ؛ المنقور ، ص ٧٥ ؛ الفاخري ، ص ٨٩ .
(٤) ابن بشر ، جـ٢ ، ص ٣٤٧ ؛ الفاخري ، ص ٨٧ .
(٥) ابن ربيعة ، ص ٨١ ؛ ابن بشر ، جـ٢ ، ص ٣٥١ .
(٦) الفاخري ، ص ٩٢ .

١٦- وفي عام ١١١٦هـ أيضاً أخذ أمير العيينة زرع القرينة ورد التمر والنخل [(١)] .

١٧- وفي العام نفسه جهز أمير العيينة جيشاً لمهاجمة بلد ثادق فلما وصل بلدة البير علمت به بوادي عنزه وكان في حالة حرب معهم فحاصروه في البلد واستولوا على بعض إبله [(٢)] .

١٨- في عام ١١٢٠هـ وصل حجاج الأحساء إلى العيينة قادمين من مكة بقيادة نجم بن عبيد الله بن غرير [(٣)] واستراحوا فيها وتزودوا بالمياه والأطعمة ثم واصلوا سيرهم للأحساء وكانت العيينة من المحطات المهمة لقوافل الحج الأحسائية .

١٩- في عام ١١٢١هـ سنة غويمض [(*)] على ابن معمر [(٤)] ، ولم ترد تفاصيل أكثر عن هذه الحادثة . وهي موقعة لم تكن نتيجتها في صالحه .

٢٠- وفي عام ١١٢١هـ أيضاً انهار الصلح بين أمير العيينة ، وأهل حريملاء ، وهو الصلح الذي تم عام ١٠٩٩هـ واستمر حوالي ٢٢ عاماً ، فقد هاجم ابن معمر ومعه أهل العارض وسبيع ، حريملاء ووقع بينهم قتال ورحل الجيش المهاجم حيث لم يصب نجاحاً حاسماً في هجومه هذا [(٥)] .

٢١- وفي عام ١١٢٥هـ توفى قاضي العيينة الشيخ عبد الوهاب بن عبد الله ابن عبد الوهاب بن مشرف رحمه الله [(٦)] .

---

(١) المنقور ، ص ٧٩ ؛ وذكر كل من ابن ربيعة والفاخري أن ذلك حصل عام ١١١٥هـ ، وأنه أخذ زرع القرينه وملهم .

(٢) ابن بشر ، جـ٢ ، ص ٣٥٤ ؛ ابن ربيعة ، ص ٨٢ ؛ الفاخري ، ص ٩٢ .

(٣) ابن ربيعة ، ص ٨٣ .

(*) غويمض : أحد روافد وادي الركزة في سدوس .

(٤) ابن ربيعة ، ص ٨٤ .

(٥) ابن بشر ، جـ٢ ، ص ٣٥٨ .

(٦) ابن ربيعه ، ص ٨٥ ؛ الفاخري ، ص ٩٥ .

٢٢- وتوفى أيضاً عام ١١٢٦هـ قاضي العيينة الشيخ محمد بن عبد الوهاب ابن عبد الله بن مشرف رحمه الله(١) وهو ابن القاضي الشيخ عبد الوهاب الذي توفى في العام السابق .

٢٣- في عام ١١٢٦هـ اتفق أمير العيينة عبد الله بن معمر وشيخ الأحساء سعدون بن محمد بن غرير على مهاجمة بلدة اليمامة في الخرج ، فجهز ابن معمر غزواً من أهل بلده ومن بعض بلدان العارض وقاده بنفسه وانضم شيخ الأحساء بمجموعة إليهم وسار الجميع إلى هدفهم بلدة اليمامة ، فحاصروها واستولوا على كل ما وجدوه لأهل البلدة خارج أسوارها ، ووقعت مناوشات بين الفريقين ، ثم أحكم المهاجمون الحصار عليها ودخلوها . عندئذ اضطر أميرها البجادي أن يطلب من ابن معمر وابن غرير الصلح على أن يدفع لهم أمير اليمامة أربعاً من الخيل الأصايل ، فتم لهم ما أرادوا ، ورجعت الجيوش المهاجمة إلى بلدانها ، وكانت محصلة المناوشات أثناء الحصار مقتل عدة رجال من الطرفين منهم الفارس المشهور مشهور ابن مساعد الخالدي (٢) .

٢٤- في عام ١١٢٨هـ جهز (عبد الله بن معمر) أمير العيينة جيشاً وهاجم حريملاء للمرة الرابعة منذ توليه الإمارة والتحم مع أهل البلدة في معركة قتل فيها من أهل حريملاء عدة رجال (٣) .

---

(١) ابن بشر ، جـ٢ ، ص ٣٦١ .

(٢) ابن بسام ، تحفة المشتاق ، ص ٦٥ ، ٦٦ ، الفاخري ، ص ٩٥ ، ابن بشر ، جـ٢ ، ص ٣٦١ . وعندما طرق ابن خميس لهذه الحادثة في كتابه معجم اليمامة ، جـ٢ ، ص ٢٠٠ ، قال : «إن البجادي خرج عليهم وهزمهم» وفي موضع آخر من الكتاب ص ٤٧٥ ، قال : « فصادفهم (يقصد البجادي) بخيله ورجله ، وأبعدهم عنها» وهذا ليس صحيحاً بل إن هذه الموقعة انتهت - كما أشرت - بطلب الصلح من قبل البجادي أمير اليمامة .

(٣) ابن بشر ، جـ٢ ، ص ٣٦٢ .

٢٤- في عام ١١٢٨هـ جهز عبد الله بن معمر أمير العيينة غزواً وهاجم حريملاء للمرة الرابعة منذ توليه الإمارة والتحم مع أهل البلدة في معركة قتل فيها من أهل حريملاء عدة رجال [١] .

٢٥- في عام ١١٣٠هـ غارت مياه أغلب آبار العيينة وهاجر كثير من سكانها إلى القصيم[٢] وهذا نتيجة انقطاع الأمطار وما أعقبه من قحط أصاب أغلب بلدان نجد فغارت مياه آبارها ، وكان بدء هذا القحط عام ١١٢٨هـ واستمر حتى عام ١١٣١هـ .

٢٦- وفي العام ١١٣٠هـ أيضاً هاجم أمير العيينة برجاله بلدة حريملاء والتحم معهم في معركة انتهت بانتصاره عليهم ، ومقتل عشرة رجال منهم ، والاستيلاء على أغنام أهل البلد [٣] .

٢٧- في عام ١١٣٢هـ « بيَّت أهل حريملاء ابن معمر »[٤] أي أنهم هاجموا غزوه ليلاً .

٢٨- في عام ١١٣٤هـ تم الصلح بين أمير العيينة وأهل حريملاء[٥] وهو الصلح الثاني بين البلدين ، وأنهى هذا الصلح حالة حرب بينهما استمرت حوالي ١٤ عاماً ، ولم تذكر المصادر بنود هذا الصلح ، ومن المؤكد أن أهمها إنهاء حالة الحرب بينهما .

٢٩- في عام ١١٣٥هـ تم الصلح بين أمير العيينة وأهل العارض [٦] ، والعارض يطلق على بلدان وادي حنيفة العيينة والدرعية والعمارية وعرقة والرياض والخرج وحريملاء والقرينة وملهم وضرما ، والصلح هنا على ما أعتقد بين العيينة من جهة وكل من الدرعية والعمارية من جهة أخرى ، ويعتبر عاما ١١٣٤ و ١١٣٥هـ هما عامي السلم بينه وبين جيرانه .

(١) ابن بشر ، جـ٢ ، ص ٣٦٢ .
(٢) تاريخ محمد بن عباد ، حوادث عام ١١٣٠هـ .
(٣) ابن ربيعة ص ٨٥ ، ٨٦ ؛ ابن بشر ، جـ٢ ، ص ٣٦٢ .
(٤) ابن ربيعة ، ص ٨٦ .
(٥) الفاخري ، ص ٩٧ .
(٦) ابن ربيعة ، ص ٨٨ .

٣٠- في عام ١١٣٦هـ وبعد أن صالح ابن معمر جيرانه وأنهى حالة الحرب القائمة بينه وبينهم ، كان ينوي من ذلك الصلح أن يأمن جانب تلك البلدان القريبة منه حيث كان ينوي ويخطط لشن هجوم قوي وبعيد عن نجد ، وفعلاً قاد في السنة نفسها غزو العيينة بنفسه متجهاً للأحساء ، وفي طريقه استولى على بلدة عرقة[1] والتي يظهر أنها لم تدخل في صلح العارض معه عام ١١٣٥هـ . واستمر غزو العيينة في زحفه شرقاً حتى وصل الأحساء في شهر رمضان ، واستولى على زروعها[2] ، ولا بد أنه بقي في الأحساء فترة ليست بالقصيرة ، لأن المدة التي يحتاجها رجاله للسيطرة على زروع الأحساء وحمل حبوبها للعيينة فترة طويلة نسبياً لكثرة المزارع ، ثم إن هذه الحادثة تعطي دلالة على قوة جيشه إذ لم تستطع قوات الأحساء مواجهة ابن معمر .

٣١- في عام ١١٣٧هـ جهز أمير العيينة عبد الله بن معمر غزواً كبيراً من أهل العيينة وأسند قيادته إلى ابنه إبراهيم ، وتوجه هذا الغزو إلى العمارية فتمكن إبراهيم من الاستيلاء عليها وضمها للعيينة ، وذلك في السابع من شهر شعبان من السنة نفسها[3] ، وأقام فيها . وهذه هي المرة الثانية التي يستولي فيها (عبد الله بن معمر) على العمارية ، إذ كانت المرة الأولى عام ١٠٩٧هـ وبين الحادثتين أربعون عاماً . ويظهر أن بعض أهل العمارية طلبوا العون من بادية آل كثير ، والذين لهم علاقة طيبة مع العمارية [4] . فبينهم وبين أهل العمارية كما أشرنا علاقة ألزمت آل كثير بمساعدتهم ، فتوجه آل كثير إلى العمارية ولما وصل للعيينة خبر تحركهم جهز أميرها غزواً ممن بقي عنده من أهل العيينة إذ إن أغلبهم في العمارية ، وتوجه على رأس جيشه لملاقاة آل كثير

---

(١) ابن ربيعه ، ص ٨٨ .

(٢) تاريخ محمد بن عباد ، حوادث عام ١١٣٦هـ .

(٣) ابن بشر ، جـ٢ ، ص ٣٦٧ ؛ ابن ربيعه ، ص ٨٩ .

(٤) يذكر الفاخري ، ص ٩٧ أن سعدون آل غرير حاكم الأحساء حاصر آل كثير في العمارية عام ١١٣٣هـ مدة طويلة .

قبل وصولهم للعمارية فالتقى بهم في الثالث عشر من شهر شعبان من العام نفسه[(١)] في مكان يسمى الأصيقع (الأصيقعات) [(*)] .

ودارت رحى معركة بين الطرفين لم تكن نتائجها لصالح ابن معمر إذ خسرها ، ولا أستبعد أن أحد أسباب هزيمته تلك هي توزيع قواته بين العيينة والعمارية ، والقسم الثالث خاض هذه الموقعة ، وفقد عبد اللّه عشرين مقاتلاً من رجاله في تلك الموقعة ، ثم توجه آل كثير إلى العمارية وحاصروا إبراهيم فيها حوالي عشرة أيام جرت بينهم مواجهات خلالها ، وعندما أدرك إبراهيم أن قوته لن تستطيع الصمود أكثر في العمارية فضل التخلي عنها ، وشق طريقه بصعوبة واستبسال إلى خارجها بعد أن خسر ٢٥ مقاتلاً من رجاله ، وأخلى العمارية في الثاني والعشرين من شهر شعبان[(٢)] ، ولم يلبث إبراهيم أن توفي في العام نفسه (١١٣٧هـ)[(٣)] ، ولا أستبعد أن وفاته رحمه اللّه كانت بسبب إصابة تعرض لها في العمارية .

وفي عهد عبد اللّه لجأ إليه أمير الدرعية (موسى بن ربيعة بن وطبان) ، وأقام عنده في العيينة ، ولم تحدد المصادر التاريخية متى كان لجوؤه للعيينة ، ولكنه تولى إمارة الدرعية عام ١١٢١هـ[(٤)] ، ومن المؤكد أن لجوءه للعيينة كان بعد هذا التاريخ وقبل عام ١١٣٧هـ ؛ إذ إن أمير الدرعية في ذلك العام هو سعود ابن محمد بن مقرن[(٥)] .

---

(١) ابن بشر ، جـ٢ ، ص ٣٦٧ .

(*) الأصيقع هو مكان به تلال قليلة الارتفاع تغطي أغلبها الرمال وتقع على يمين المتجه إلى صلبوخ طريق الرياض صلبوخ المعبد بعد بلدة سلطانه بعدة كيلو مترات ، كما يخترقها طريق الرياض القصيم السريع .

(٢) هناك زيادة في مخطوطة ابن بشر (نسخة المتحف البريطاني) لم تذكر في كتبه المطبوعة ، حينما تكلم عن تلك الحادثة حيث قال : « وحاصروا إبراهيم فيها ومن كان معه من السطوة فخرجوا من البلد لثمان (خلت) من شعبان» والصحيح لثمان (بقيت) من شعبان لأن آل كثير كانوا في معركة في الثالث عشر من شعبان مع ابن معمر الأب في الأصيقع .

(٣) تاريخ ابن عباد ، حوادث عام ١١٣٧هـ .

(٤) المنقور ، ص ٨١ ؛ ابن بشر ، جـ٢ ، ص ٣٥٧ .

(٥) ابن بشر ، جـ٢ ، ص ٣٦٧ ؛ ابن ربيعه ، ص ٨٩ .

هذه هي أهم الأحداث في عهد عبد اللّه بن معمر ، وقد وفد الشعراء على ابن معمر ومدحوه ونالوا عطاياه ، منهم الشاعر فارس البسام الذي مدح عبد الله ابن معمر بالقصيدة التالية :-

آه من خطب لفا ما له نذير   له كميّ بالضمير وله مغير
إن شكيت لظاه قالوا واهم   وإن كتمته بان له منّي زفير
واهج يحداه صلو شكية   ما لقيت لها من الحكما خبير
غير حي واحد متجبر   ما بحكمه له شبيه أو نظير
ما أراد يكون كان ومن بغى   ش يصير بغير أمره ما يصير
أيها الراجي لمال سادته   عوج أضفار تجور ولا تجير
ينسبون لاجل شاهدت ميمر   مثل سيف باد والخلفه جفير
اطو ياس من رجاه ودع له   بخافة عما وقل بيس المصير
استخلف الله واقصد خير   من قليل عطاه للراجي كثير
شمت لماجود ابا حمد الى   قل در المزن أو جوه النفير
سفرته توصف على الزوار الى   كثر منها الورد سرع للصدير
أيها المترحلين قلايص   ضمر شروى النعام المستذير
تبري المهموم من كثر الطنا   تقرب النازح ولو بعد المسير
فوقها ذو همة ما يرتضي   عن مقانيصه سماوي حقير
مقتدي وادي الحنيفي صادق   ميمر كالمشعل السامي المنير
يقتدي بضوه هشال الخلا   قل جنسه لا ببدو ولا حضير
ثم قل له بعد إبلاغ السلام   حين ما حل النساع من النجير
يا حمى الجاني ويا صرع العزوم   من ذوي الطنبا ويا عز القصير
يا مقيد المجد كم من مصعب   من عداك ابدى الرغا عقب الهدير
فان بغى يبراك يذكر شايتين   رده السابق وبذله للهجير
فانت بك خمس قليل وصفها   ما ايتفن براس شيخ ولا أمير

غيث منيوب ومنوة مرملين وزبن مجروم وقطع رجا المغير
ونزه عرض ما غشى ثوب الدجى في متالاة العشيره والعشير
غير ذكري ذا ان تعلو سبق لا بقى طماع ولا لاف نذير
صرعهن ان اقبلن وان انكفن فاز قرم القوم من كفه خطير
ينتسب وصفه بحر نادر وقع تام لا طويل ولا قصير
اكبد واف على كل الجهات وزن روز مثل أمر مستدير
إن بغى يبصر لكن بناظره حين ما تنظر شرارة نفخ كير
معصب أمره بسد نازح فكر قناصه بتمثيله يحير
ما يدير الحوم خفاق الى أونست حوش الحباري ما تطير
يفرح القناص خلفه راجي مثل رجل ذا قتيل وذا كسير
بالشجر مثل الجراد مجاور به حبارى صقرة عيت تطير
ينتسب عبد الله بن معمر إن لفن ابهم كما شول البعير
ينكفن عقب الورود صوادر واهلهم ما بين ذبح وذا أسير
والسبايا يرذين نقايص والقلايع ذي جنيب وذي تنير
فعل شيخ كل أمره مصعب ما صبا فيها يدبر للمشير
فالمماري له أظنه ناقص والمماري به توافي له يشير
بالفلاح بكل أمر قالط يا حما الزلبات يا كنز الفقير
قان تحاكوا بالشيوخ على الطغى ما لقي به لا شوي ولا كثير
ارتجي منك العطيه علها في زمان الجدب ما تبقى حقير
والصلاة على النبي محمد البشير لمن يشا الله له بشير(1)

ومنهم حميدان الشويعر الذي مدحه فقال :

فهاذي مده لعبد الله بن معمر والارياف مافينا لهن نجوع

(1) الصويان : سعد بن عبد الله ، الشعر النبطي ذائقة الشعب وسلطة النص . بيروت : ٢٠٠٠م ، ص ص ٥٦١ - ٥٦٢ .

يسراه ما تبذر من الشرحبه ويمناه تبذر باليمين زروع(١)

كما مدحه أيضاً بقصيدته المشهورة والتي يقول فيها :

المال يرفع من ذراريه خانسة والقل يهفي من رفاع مغارسه
الايا ولدي صرف الدنانير عندنا تنطق لناس في لياليك خارسه
وترفع رجال بالموازين سلّمت إلى النقص من يم الحصا عاد ناكسه
بالأملاك ياما قلطو فرخ باشق شيخ على حرّ برجليه فارسه
بها الوقت كثرت الوشات وصوروا تصوير ما لا صار منّي بطامسه
يقولون مالا صار منّي ولا بد شياطين ما تلقا بهم من توانسه
إلى فاض منّي ربع كلمة ما عقلتها حذا مبغض هذا لهذا ينادسه
بنو فوقها أصحاب الوشاة وأصبحت وشمة زرقاء وبالخد لاسعه
تعدّ الرّدى عنّي ولا تنقل الثّناء كتاتيب سو عن شمالي أمراوسه
إلى مات من نقّالة الحكي واحد إلى ظاهر تسعين مّما إيجانسه
بالكذب ياما فرّقوا من قبيله وادعوا منازل دارهم فيه دارسه
شاهدت في الحادي شياطين مذهب اكلاً عن القادي نحوس مناجسة
وبالناس من يوريك ريا صداقه وهو أخذ سدك وما قلت بالسه
وقالو أهل العلم الذي يقتدي بهم أفاضل قوم زين القلوب غارسه
وقالوا أهل الفضل الذي تاجد الثّنا ترى القول فيك اليوم كثرة نقارسه
وأنا قوّلوني كذبة ما فعلتها ولاحّطها بالي على رأي هاجسه

---

(١) أخذت هذين البيتين والقصيدة التي بعدهما عن الراوية الشيخ محمد اليحيا رحمه الله في مقابلة له في منزله في ٢٢/ ١٢/ ١٤١١هـ ، بحضور الدكتور عبد الكريم الوهبي وسبط الشيخ .

يقولون لي شيخ الحنيفي هجيته — وحاشا معاذ الله ما نيب دانسه(١)

والله رب البيت والحرم والصّفاء — وما شرّف المسعى إلٰهي بدايسه

فلا قلت ما قالوا ولا أقول بالذي — جيبه نقّى العرض بيض ملابسه

فلا أذم شيخ ياقف الحكي دونه — ولا اذم قوم ترتكي في مجالسه

عن اتيان طرق اللاش والشّين والردى — بعيد وذاك الوجه ما نيب ضارسه

فلا ناب مجنون ولا ناب خامل — ولا شرّاب خمر عتيق مهاوسه

ولا ناب سكران ولا في صرعه — إلى الله عنهم من بلاني بناجسه

فقلت لعثمان النجيب ابن مانع — وكل فتى يصفي لمن هو ايوانسه

رموق لعين الجار سهل جنابه — بصير في بعض المحاكات سايسه

فهل ترجي لي يابن سيار جانب — من العذر والهجس الذي أنت هاجسه

وقولك فلا يصفى إلا الى طاح طايح — وعينه لمثلك بالملاقات عابسه

انا طايح طيحه جدار مراوس — ردي العزا ما تسمع الا نكايسه

والا كما طيحه دريك من الظماء — بعيد عن الرقعي شفاياه يابسه

والا كما طيحه هزيل امقصّر — هزيل المواشي خايف من فوارسه

طاحو بني وايل وأنا طحت مثلهم — كما عامل عقب السّنايس رايسه(٢)

فقلت لعثمان دنّ لي عيدهيّه — من قبل هذا العام عامين جالسه

إلى سرت من دار ابن سيار كنها — سبرتات حزم صارخات هجارسه

راحت مع الغيطان والرجم والنقا — والحزمة العليا عن الزّوّل كانسه

تطامس بليل القيض شروى سفينه — من الغرب يقعدها الصّبا مع نسانسه

مع الصبح يوضي برقها مستخيله — غرايس نخيل في ربا العز طامسه

ومرها بحرف الكاف والنون ساقها — غربية تحد الصّبا عن نسانسه

---

(١) شيخ الحنيفي : يقصد به الأمير عبد الله بن معمر .

(٢) بني وايل : هم أسر من بني وائل جاءوا إلى عبد الله يطلبون الصلح معه بعد حروب بينهم .

كن اشتعال البرق بطبوق مزنها ... سنا روشن عالي وزادفيه قابسه
هوت مع طريف الحبل توحي رنينها ... كما اطوابٍ حرب ليلة العز راجسه
تجر هشيم العام من كل تلعه ... كما عش طيرٍ في ذرى الطلح داعسه
تجر أحجار حزومها من محلها ... تحير البطاحي ويرتوي منه غارسه
يجوش الحصا مرماتها مع نخيلها ... واكبوشها سيلها قهابيب حابسه
تفيض من الوادي على ديرة النقى ... وحكم شيخ ما يصافي مناجسه
تفيض على دار وكار وموكب ... وحكم نظيف ما يصافي لناحسه
إلى الجبل الرعن الذي يا جد الذري ... لمن خاف من صَفق الذّرا عن نسانسه
عزيز الدّار عبد الله بن معمّر ... أمين وحيش لين خمسي تخامسه
خذ العدل من كسرا ومن حاتم الصخا ... ومن احنف حلمه ومن عمر هاجسه
انت شطّ النّيل مانتب نقعه ... إلى غط فيهًا والغ قيل ناجسه
وهو مارثة الدّين والجود والهدى ... بعيد عن ادناس الردى ما يوانسه
هزبر التلاقي وحش الطرف والحمىٰ ... وراعيً جفان تجري على الخد دانسه
وضيف العشا يلقى العشا حول بيته ... ونسر الضحىً يلقي الغدا في مداوسه
وإن قنصت شيخانها في حصونها ... فهو فيه همات تواما عرامسه
صفي تقي ما يرافق بخدعه ... إلى من بعض الشيخان خشها في مجالسه
بعيد مجال الرّاي ما يسفك الدّما ... من الله والضّد المشاحي ايلابسه
على العدا يا ما صبّح من قبيله ... ويااما ليّعو من دار قوم فوارسه
فارس ذكر فيه خصلتين من الثناء ... وزدت ثالثه ورابعه ثم خامسه[1]
كريمً على الأقفا صمت وهيبه ... وثوب الثّنا في عصرنا اليوم لابسه
وإن ادبحت ركاب خيلهً عن القنا ... وراحن طفّح عن حنايا كرادسه
له سابقٍ لاشافت الخيل مدبحه ... فهي به عرجًا للملابيس دايسه

---

(١) ذكر خالد الفرج في كتابه ديوان النبط ، ص ٤١ ، أن فارس أحد الشعراء مدح ابن معمر .
قلت : وهو الشاعر فارس البسام التميمي الذي ذكرنا قصيدته قبل هذه القصيدة .

فانا لي عن جميع المدانس مجنب ... حاشا فلا قلت الذي أنت هاجسه
لك اللّه بالأنعام والليل والضحى ... وياسين والحشر معهن خامسه
فلا فاض من فاهي على الغير كلمة ... حذا حب من أحيا من الدين دارسه
فلا كن عذري عن حكايا مناجس ... رماني بها سلب تعاقب رسايسه
والخاتمه أنّي فلا أبدي فيك كلمة ... فإن ابديتها فأنّا وقود أُمّ عابسه
يا شيخ اقبل عذر من جاك طايح ... إلى اللّه ثم إليك والكف يابسه
إن كنت للدين الحنيفي متابع ... محمد عفا عن كعب وانتا تجالسه
فإن كان ما لمذهب عن الغيض ماترى ... ولا ظن مثلك للوجاهت عاكسه
إن قبلت عذري قبلك اللّه بالهدى ... والاكم جريس يموت ماشاف جارسه
وصلوا على خير البرايا محمد ... ما غرد القمري بخافي غرايسه

وفاة الأمير عبد الله بن محمد :

في آواخر عام ١١٣٨هـ[١] ، وقع وباء عظيم في العيينة قضى على أغلب أهلها ، وأشهر من توفى من جراء هذا الوباء هو الأمير عبد اللّه وابنه عبد الرحمن رحمهما اللّه .

ومدة إمارة عبد اللّه في العيينة هي اثنان وأربعون عاماً ، أي منذ عام ١٠٩٦هـ وحتى عام ١١٣٨هـ .

وللأمير عبد الله أربعة أولاد هم :

١- حمد وهو الابن الأكبر لعبد اللّه ، ولحمد من الأبناء : محمد الذي ولي إمارة العيينة بعد جده عبد اللّه عام ١١٣٩هـ وأخوه عثمان بن حمد ، الأمير المشهور الذي أصبح أميراً للعيينة عام ١١٤٢هـ ، بعد مقتل أخيه محمد رحمهما اللّه .

أما والدهما حمد فيظهر لي أنه توفى رحمه اللّه قبل وفاة والده عبد اللّه ، ولم

(١) الفاخري ، ص١٠٠ ؛ ابن بشر ، جـ٢ ، ص٣٦٧ ؛ ابن ربيعه ، ص٨٩ .

نظفر بأسباب وفاته : هل هي في أثناء مواجهة عسكرية أو وفاة طبيعية ؟

٢- إبراهيم وهو الابن الثاني لعبد الله ، وإبراهيم هذا قاد جيشاً من أهل العيينة واستولى على العمارية عام ١١٣٧هـ إبان إمارة والده في العيينة ، ثم توفى إبراهيم في العام نفسه رحمه الله ، وخلف ابناً واحداً وهو مشاري الذي ولي إمارة العيينة بعد مقتل ابن عمه الأمير عثمان .

٣- صقر وهو الابن الثالث للأمير عبد الله ، وتوفى قبل وفاة والده رحمه الله .

٤- عبد الرحمن ، وهو الذي توفى مع والده من جراء المرض الذي فتك بأكثر أهل العيينة آخر عام ١١٣٨هـ . وعبد الرحمن من أبرز رجال المجتمع النجدي ، ولولا شهرته لما ذكر الفاخري سنة وفاته[١] . وعادة لا يهتم المؤرخون إلا بتدوين وفيات الأعيان .

وخلف الأمير عبد الله ابنة هي الجوهرة وهي من فضليات نساء عصرها وأشهرهن ، ذات الجمال والكمال والرأي والمنزلة الاجتماعية المرموقة[٢] ، وهي التي نزل محمد بن سعود من مكانه الذي تحصن فيه في عهد الأمير محمد ابن معمر بأمانها ، وذلك عام ١١٣٩هـ أثناء مقتل أمير الدرعية زيد بن مرخان في العيينة[٣] كما سيمر بنا ، وغيرت بذلك التصرف مجرى الحياة السياسية في نجد بل في الجزيرة العربية بإنقاذها أمير الدرعية فيما بعد محمد بن سعود .

وتزوجت الجوهرة من الشيخ محمد بن عبد الوهاب في عهد الأمير عثمان ابن معمر[٤] .

ولم يصل إلينا : هل هي أنجبت من الشيخ أم لا ؟

ويظهر أنها تزوجت وعمرها أكثر من ثلاثين عامًا ، إذ إنها أمنت محمد ابن سعود عام ١١٣٩هـ ولا يمكن أن تقوم بهذا العمل وهي صغيرة السن ، وأعتقد

---

(١) الفاخري ، ص ١٠٠ .

(٢) العثيمين عبد الله بن صالح ، الشيخ محمد بن عبد الوهاب : حياته ، وفكره ، دار العلوم بالرياض ، ١٩٧٩م ، ص ٤٧ .

(٣) ابن بشر ، جـ٢ ، ص ٣٦٩ .

(٤) المصدر نفسه ، جـ١ ، ص ٣٨ .

أن عمرها في ذلك العام ما بين ٢٠ إلى ٢٤ عاماً على أقل تقدير ، والشيخ جاء إلى العيينة حسب رواية ابن بشر وابن غنام بعد وفاة والده عام ١١٥٣هـ وتم زواجها من الشيخ بعد ذلك التاريخ ، ولو قلنا : إن زواجها منه كان عام ١١٥٤هـ فيكون عمرها حسب تقديرنا عند زواجها ما بين ٣٤ - ٣٨ عاماً . كما لم يصل إلينا تاريخ وفاتها ، رحمها اللّه .

أما عن زوجات الأمير عبد اللّه فأعتقد أنهن أكثر من واحدة ، نقلت لنا المصادر التاريخية اسم إحداهن وهي :

عويش بنت مانع بن إسماعيل بن إبراهيم بن حسين بن مدلج الوائلي ، وحينما تكلم حمد بن لعبون في تاريخه عن مانع بن اسماعيل بن مدلج ساكن حرمه ، قال : « ولد له عبد اللّه المشهور ، وقوت وعويش المشهورة بالجمال والحلي الكثير الذي تضرب به الأمثال ، وتدلى عليها عبد اللّه بن محمد بن معمر رئيس العارض المشهور فخطبها وتزوجها وسارت إلى العيينة معه في هودج وأبهة وموكب حافل » [١] .

١٥- الأمير محمد بن حمد بن معمر (الثاني) (١١٣٨هـ - ١١٤٢هـ):

هو الأمير محمد بن حمد بن عبد اللّه بن محمد بن حمد بن عبد اللّه ابن محمد بن معمر بن حمد بن حسن بن طوق بن سيف التميمي .

خلف محمد جده عبد اللّه المتوفى عام ١١٣٨هـ على إمارة العيينة ، وكان توليه الإمارة فيها في العام نفسه [٢] .

وكان محمد يعتبر أبرز المؤهلين من أحفاد عبد اللّه لتولي هذه المهمة ، وهو كما أسلفنا أكبر أبناء حمد بن عبد اللّه .

ورث الأمير محمد أكبر إمارة وأقواها في نجد عسكرياً وسياسياً واقتصادياً وثقافياً .

ولكن الوباء الذي اجتاحها عام ١١٣٨هـ وأفنى جل أهلها ، أثر على قوتها

---

(١) تاريخ ابن لعبون ، ص ١٠٤ .

(٢) ابن بشر ، جـ٢ ، ص ٣٦٧ ؛ الفاخري ، ص ١٠٠ . ويذكر ابن ربيعة أن محمداً تولى إمارة العيينة عام ١١٣٩هـ .

وهيبتها ؛ إذ إن شريحة كبيرة من الأموات في ذلك الوباء هم من الرجال المقاتلة الذين بمجهوداتهم بسطت العيينة وجودها على الخارطة النجدية ، أما بقية الرجال الذين نجوا منه فيمرون بفترة نقاهة جسمية ونفسية بعد الوباء الذي أدخل الألم والحزن على جميع بيوت العيينة .

ولا شك أن الأمير محمد كان يتمتع بمواهب قيادية جيدة ، ولكن الظروف البشرية للعيينة لم تساعده على إبراز مواهبه خصوصاً في السنة الأولى لإمارته .

انتشر انحسار الوباء عن العيينة وخلوها منه بين البلدان النجدية ، فطمع الكثير في أموال العيينة وأثاثها ومزارعها ، وظنوا أنها ستكون صيداً سهلاً وغنيمة يسيرة .

وكان زيد بن مرخان أمير الدرعية من أولئك الطامعين في خيرات العيينة فجند أهل بلده واتباعه من بوادي آل كثير الذين كان بينهم وبين العيينة مواجهة دامية في العمارية عام ١١٣٧هـ ، وكذلك بوادي سبيع ، قال ابن بشر : « لما أصاب العيينة الوباء المشهور وأفنى رجالها ومات رئيسها عبد اللّه بن معمر . . طمع زيد ابن مرخان وأتباعه في أموالها ، وأرادوا نهبها فساروا إليها بآل كثير وبوادي سبيع وغيرهم . . . » (١) .

إذنْ قاد زيد تلك الجموع يحدوهم الأمل بالحصول على غنائم وخيرات كثيرة ، وأرجح أن هناك ثلاثة أسباب مهمة على الأقل جعلت زيدًا يقدم على عمله هذا :

١- وهو الأهم في نظري يتمثل في القضاء على خصمه السياسي ، ومنازعه الرئيس على إمارة الدرعية وهو (موسى بن ربيعة بن وطبان) أمير الدرعية السابق ، والذي يقيم في العيينة جلويًا (لاجئاً سياسياً) .

٢- دافع اقتصادي والذي عبر عنه ابن بشر بالطمع في خيرات العيينة .

٣- كما كان زيد يسعى للظهور بمظهر الأمير الأقوى في وادي حنيفة .

عسكرت الجيوش المهاجمة قريباً من العيينة وبالتحديد في روضة عقرباء شمال الجبيلة (٢) .

---

(١) ابن بشر ، جـ ٢ ، ص ٣٦٩ .
(٢) المرجع السابق ، الصفحة نفسها .

ومر أهل العيينة بفترة لا شك عصيبة ، وفكر أميرها بحيلة لينقذ بلده وخيراتها وسمعتها ، فهداه تفكيره إلى الخدعة ، والحرب ، كما قيل : خدعة والغاية تبرر الوسيلة ، وهي خير وسيلة للدفاع عن بلده خصوصاً أنه ليس لديه الجيش والرجال الذين يستطيع أن يواجه بهم المهاجمين بسبب موت أكثر مقاتلي العيينة في الوباء . ثم لو كان لديه مقاتلون فهم ليسوا بكثرة المهاجمين ، كما أنه لا يريد أن يزج بهم في معركة لا يضمن نتائجها ، وهذه أول مرة تسجل المصادر التاريخية محاولة غزو مدينة العيينة ، والتي لم تهاجم في تاريخها الطويل .

وهكذا أرسل الأمير محمد إلى الأمير زيد بن مرخان وأوضح له أنه لن يستفيد إذا نهبت البوادي العيينة بل الأفضل له أن يطلب ما يريد وستستجاب طلباته ، كما طلب منه أن يأتي إلى العيينة لإملاء شروطه ، وكما قال الذكير : « ولسان حال الأمير محمد بن معمر يقول لزيد بن مرخان :

إذا كنتُ مأكولاً فكن أنت أكلي وإلا فأدركني ولمَّا أمزق

أو قول الشاعر :

فإن كنت مقتولاً فكن أنت قاتلي فبعض منايا القوم أكرم من بعض »[1]

اقتنع زيد واختار من قادة الغزو أربعين رجلاً هم أعضاء الوفد الذين صحبوه للعيينة ، وأشهرهم (محمد بن سعود) مؤسس الدولة السعودية ، و(دغيم بن فايز المليحي) ، واستقبلهم أمير العيينة وأدخلهم القصر ، وكان قد رتب رجالاً من قومه يجيدون الرمي بالبندق في أماكن مناسبة ، وأعطاهم تعليمات بسرعة إطلاق النار على زيد عند دخوله القصر وكان التركيز على زيد إذ بمقتله يفشل الغزو ، فأطلقوا عليه النار وأصابوه إصابة مباشرة فمات[2] ، تنبه محمد بن سعود ومن معه ودخلوا في أحد غرف القصر وتحصنوا فيها ، ولم ينزلوا إلا بأمان الجوهرة بنت عبد الله بن محمد بن معمر ، عمة الأمير محمد . وصل خبر مقتل زيد إلى المعسكر في عقرباء فتفرق ذلك الجيش ، ورجع محمد بن سعود بمن معه من أهل الدرعية إلى بلده . وقد قتل أثناء إطلاق النار على زيد كل من

(١) الذكير ، مقبل : معجم لبلدان نجد ، مخطوط ، ص ١٣٠ .
(٢) ابن بشر ، جـ٢ ، ص ٣٦٩ .

(موسى بن ربيعة) أمير الدرعية السابق الذي أصابه عيار طائش ودغيم المليحي السبيعي [(١)] . واستقل محمد بن سعود بإمارة الدرعية وغصيبة ، وخسر أمير العيينة صديقه موسى بن ربيعة الذي كان ورقته الرابحة في مواجهة الدرعية .

ثم قام الأمير محمد بن حمد بعزل قاضي العيينة الشيخ عبد الوهاب ابن سليمان بن مشرف والد الشيخ محمد بن عبد الوهاب صاحب الدعوة السلفية لخلاف بينهما ، وعين بدلاً منه أحد أقاربه وهو الشيخ أحمد بن عبد الله ابن عبد الوهاب بن مشرف[(٢)] الذي كان جده وأبوه من قضاة العيينة وعلمائها فيما مضى . وانتقل الشيخ عبد الوهاب بن سليمان بعد ذلك إلى حريملاء للإقامة بها ، وبقي محمد أميراً للعيينة حتى عام ١١٤٢هـ حيث قتل رحمه الله في معركة مع آل نبهان من آل كثير ، ومدة إمارته أربع سنوات ، وخلفه على إمارة العيينة أخوه عثمان بن حمد بن معمر [(٣)] .

١٦-الأمير عثمان بن حمد بن معمر (١١٤٢-١٢/٧/١١٦٣هـ):

خلف الأمير عثمان أخاه محمداً على إمارة العيينة عام ١١٤٢هـ [(٤)] .

ويعتبر عثمان من أبرز أمراء الأسرة المعمرية وأرفعهم شأناً [(٥)] . وفي السنة الثانية لإمارته عام ١١٤٣هـ ، انهار الصلح الثاني بين العيينة وحريملاء ، وهو الصلح الذي تم عام ١١٣٤هـ وذلك نتيجة خلاف بين الأمير عثمان وأهل حريملاء .

ولعل فقدان العيينة للأمير عبد الله في الوباء المشهور الذي أفنى أغلب أهلها قد أسهم في إضعافها وما تبعه من محاولة غزوها ، وربما شجع أهل حريملاء في محاولة تعديل بنود الصلح الثاني التي لا ترضيهم ، لذا قدم أهل حريملاء إلى

---

(١) ابن بشر ، جـ٢ ، ص ٣٦٨ ، ٣٦٩ ؛ ابن ربيعة ، ص ٨٩ .
(٢) ابن بشر ، جـ٢ ، ص ٣٧٠ .
(٣) ابن ربيعه ، ص ٩١ ، ابن بشر ، جـ٢ ، ص ٣٧٣ ؛ الفاخري ، ص ١٠٢ ؛ وليس صحيحاً ما ذكره ابن خميس في معجم اليمامة ، جـ٢ ، طبعه ٢ ، ١٤٠٠هـ ، ص ٢٠٢ من أن الأمير محمد بن معمر مات عام ١١٥٣هـ وأن إمارته دامت ١٥ سنة .
(٤) ابن بشر ، جـ٢ ، ص ٣٧٣ ؛ ابن ربيعة ، ص ٩١ ؛ الفاخري ، ص ١٠٢ .
(٥) جمهرة الأسر المتحضرة في نجد ، جـ٢ ، ص ١٠٢ .

العيينة واستضافهم أميرها ، ولكن يظهر أن الخلاف برز بين الطرفين ووصل إلى طريق مسدود ، مما جعل أمير العيينة يصادر إبل أهل حريملاء ، الأمر الذي جعل أهل حريملاء ينتقمون منه بمهاجمة القرينة والاستيلاء عليها ، وعندما ذكر ابن بشر مصادرة عثمان لإبلهم قال : «ثم عدوا أهل حريملاء على القرينة وأخذوها مكافأة له على ذلك»(١) . أي انتقاماً منه ، ويتضح من نص ابن بشر أن القرينة كانت تابعة لأمير العيينة .

وفي عام ١١٤٤هـ تعرضت قافلة تجارية لأهل العيينة للمصادرة من قبل الدرعية (٢) ، وهذا أول خلاف تسجله المصادر التاريخية بين البلدين منذ مقتل أمير الدرعية زيد بن مرخان في العيينة عام ١١٣٩هـ .

ولم توضح المصادر التاريخية قيام مواجهة بين العيينة والدرعية بسبب هذه الحادثة .

وبعد هذه الحادثة تمر عشر سنوات لم تذكر المصادر التاريخية فيها أي حوادث مهمة في العيينة خلال هذه الفترة الطويلة نسبياً ، ولعله لم يحدث خلالها أمور تستحق الذكر ، ولكن استقرار إمارة عثمان خلال هذه المدة يدل على حنكته لاستطاعته الاحتفاظ بقوة العيينة وهيبتها في نجد دون اللجوء إلى التصادم المسلح بينه وبين البلدان المجاورة .

وأهم الأحداث التي وقعت في عهد الأمير عثمان هي ظهور الدعوة الإصلاحية على يد الإمام المجدد الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله . واحتضن الأمير عثمان الدعوة الإصلاحية واستفادت الدعوة من سلطة عثمان وإمكانات بلده واستمر في قيادة قوات الدعوة بعد انتقال الشيخ إلى الدرعية (٣) . وسنناقش بتوسع موقف الأمير عثمان من الدعوة الإصلاحية في الفصل التاسع .

وقتل الأمير عثمان رحمه الله بعد صلاة الجمعة في مسجده في العيينة في

---

(١) ابن بشر ، جـ٢ ، ص ٣٧٣ .

(٢) الفاخري ، ص ١٠٣ ؛ ابن بشر ، جـ٢ ، ص ٣٧٤ .

(٣) د . عبد الله الشبل ، مقدمة تاريخ الفاخري ، ص ١٤ .

الثاني عشر من شهر رجب من عام ١١٦٣هـ[1] الموافق ١٦ يونيه عام ١٧٥٠م ، وبمقتله بدأ الضعف يدب في إمارة آل معمر ، وتوحدت إمارة العيينة مع الدرعية في إمارة واحدة على أنه بقى أمراء من آل معمر يحكمون العيينة ويتمتعون بنفوذ سياسي أقل ، وأصبحت الإمارة فيها إلى حد ما تشريفية ، كما أصبح تعيين الأمير أو خلعه بقرار سياسي من العاصمة الجديدة الدرعية .

ومهما يكن من أمر فإن إمارة عثمان على العيينة استمرت حوالي ٢٢ عاماً حافظت العيينة خلالها على قوتها في نجد . وخلف عثمان رحمه الله ، ولدين وبنتاً حسب ما ذكرته المصادر التاريخية ، ومما تواتر عن سلالته آل عبد العزيز من آل معمر وأبناؤه هم :

١- ناصر بن عثمان بن معمر .

٢- عبد الله بن عثمان بن معمر .

٣- الجوهرة بنت عثمان بن معمر .

١- ناصر بن عثمان بن معمر:

هو الابن الأكبر للأمير عثمان انتقل بعد مقتل والده إلى الدرعية(*) وشارك ناصر في بعض المعارك التي خاضها مؤيدو الدعوة الإصلاحية ضد خصومها مع والده ثم استمر مجاهداً في جيوش الدعوة ، وفي عام ١١٨٢هـ وخلال إحدى مشاركاته الحربية مع قوات الدعوة التي كانت بقيادة ابن أخته (سعود بن عبد العزيز بن محمد بن سعود) ضد عربان آل مرة وغيرهم في مواجهة عسكرية عند الماء المعروف (قنا)(**) في ناحية الجنوب ــ استشهد

---

(١) ابن بشر ، جـ١ ، ص ٦٠ ؛ ابن غنام نسخة ابابطين ، جـ٢ ، ص ١٣ ، ١٤ .

وحدد ابن بشر وابن غنام قدوم الشيخ محمد بن عبد الوهاب إلى العيينة في ثالث يوم لمقتل عثمان بن معمر وهو الخامس عشر من شهر رجب عام ١١٦٣هـ ، وبما أنه قتل بعد صلاة يوم الجمعة فإنه بذلك يصادف الثاني عشر من شهر رجب عام ١١٦٣هـ ، وقدوم الشيخ محمد يصادف يوم الاثنين ١٥ من شهر رجب .

(*) ذكر بعض كبار السن من الأسرة أن ذرية عثمان انتقلوا إلى الدرعية بعد مقتله رحمه الله .

(**) قنا : بلد شمال محافظة محايل عسير بـ ٣٣ كيلاً .

(ناصر بن عثمان بن معمر رحمه الله في هذه الموقعة مع عشرة آخرين من جيش الدعوة[١] . وخلف ناصر ابناً واحداً هو الشيخ الجليل (حمد بن ناصر) المتوفى عام ١٢٢٥هـ .

وليس صحيحاً ما ذكره خزعل من أن ناصر بن عثمان إستاء من إسناد إمارة العيينة إلى سلطان بن محسن بن معمر عام ١١٧٣هـ ، وأنه أي ناصر كان يطمع فيها فعزم على انتزاعها من سلطان ، وإن تمرده لم يدم طويلاً فقتل عام ١١٨٢هـ[٢] . وكذلك وردت التهمة نفسها لناصر بن عثمان بن معمر من ابن خميس[٣] الذي نقل عن خزعل ، وقد نبه الشيخ الجاسر إلى خطأ ابن خميس هذا في حق ناصر بن عثمان بن معمر وأردف قائلاً : «فالرجل - يقصد ناصر ابن عثمان - قتل شهيداً غازياً مع الإمام سعود بن عبد العزيز»[٤] .

٢- عبد الله بن عثمان بن معمر:

هو الابن الثاني للأمير عثمان ، وهو من أعيان زمانه ، أشار الفاخري إلى وفاته عام ١٢٢٧هـ وترحم عليه[٥] .

وعمر عبد الله عند وفاته رحمه الله لا يقل عن ٦٤ عاماً حيث قتل والده عام ١١٦٣هـ وتوفي هو عام ١٢٢٧هـ ، وليس له ذرية اليوم .

٣- الجوهرة بنت عثمان بن معمر:

معلوم أن للأمير عثمان بنتًا هي والدة الإمام سعود بن عبد العزيز ، إمام الدرعية

---

(١) ابن بشر ، جـ١ ، ص ١٠٦ .

(٢) حسين خلف خزعل : تاريخ الجزيرة العربية في عصر الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، بيروت ، ١٣٨٨هـ ، ص ٢١٩ .

(٣) معجم اليمامة ، مصدر سابق ، جـ٢ ، ص ٢٠٤ .

(٤) جمهرة أنساب الأسر المتحضرة في نجد ، جـ٢ ، ص ٧٨٣ ، ويبدو أن الأمر قد اختلط على خزعل فابن بشر وابن غنام أشارا إلى شخص يدعى ناصر بن معمر من سكان الرياض عقرت إبله عام ١١٥٩هـ في الرياض ، وقتل في الموقعة المعروفة باسم البطحاء دارت بين الرياض والدرعية عام ١١٦٣هـ ، وناصر هذا يشابه ناصر بن عثمان في الاسم الأول واسم الأسرة ، من هنا اعتقد خزعل أنه ناصر بن عثمان وألف قصة من نسج خياله عن تمرد ناصر ومقتله ، وناصر بن معمر المقتول عام ١١٦٣هـ تطرقنا له في صفحة ٢٨٣ .

(٥) الفاخري ، ص ١٤١ .

المتوفى عام ١٢٢٩هـ قال ابن بشر عن الأمير عثمان بعد مقتله : «وكانت ابنته تحت عبد العزيز وهو - يقصد عثمان - جد ولده سعود ، وحين قتل عثمان وسعود رضيع لم يتم السنتين ولكن ليس في الدين محاباة» [1] .

ولم يصل إلينا ما يؤكد ماهية الاسم الحقيقي لابنة الأمير عثمان هذه رحمها الله وغالب الظن أن اسمها كان «الجوهرة» .

١٧- الأمير مشاري بن إبراهيم بن عبد الله بن معمر (١٥/٧/١١٦٣-١١٧٣هـ):

خلف مشاري ابن عمه عثمان على إمارة العيينة بعد مقتل الأخير ، وفي اليوم الثالث لمقتله [2] والذي توجه فيه الشيخ (محمد بن عبد الوهاب) إلى العيينة ، وهذه أول مرة تذكر المصادر التاريخية مغادرة الشيخ للدرعية عندما قدم إليها من العيينة عام ١١٥٧هـ ، وعن ذلك قال ابن غنام : « عجل الشيخ إلى العيينة المسير ، وذلك لما خشيه من الاختلاف وعدم الموافقة والائتلاف ، وقدم عليهم ثالث يوم فهدأت لمقدمه نفوس القوم ، وتجاذبوا عنان الرأي والمشورة ، والقضية في ذلك مشهورة في الترئيس والتأمير وتفويض الرياسة والتدبير ، إلى أن قال : إلا أن أهل التوحيد ــ لا سيما من باشر أو سعى في قتل عثمان ــ حاولوا أن لا يؤمر من حمولة ابن معمر ولا يولي عليهم منهم إنسان ، خشية أن ينالهم منه ذل وهوان ، فلم يوافقهم الشيخ في مرادهم ، ولم يعرج على اجتهادهم ، بل أبى وأعرض عن ذلك ، وجنح إلى تمهيد المسالك وإيضاح الحجة للسالك ، فرأس عليهم مشاري ابن معمر وكبره فيهم وأمَّره ، وكان ذلك في منتصف رجب » [3] . وقاد مشاري جيوش الدعوة في موقعتين (*) .

وعزل مشاري بن معمر عن إمارة العيينة عام ١١٧٣هـ من قبل الأمير محمد ابن سعود والشيخ محمد بن عبد الوهاب [4] .

لقد حاول مشاري أن يحافظ على قوة العيينة إبان إمارته ، ولكن الظروف

---

(١) ابن بشر ، نسخة مطابع القصيم ، جـ١ ، ص ٢٩ .

(٢) ابن بشر ، جـ١ ، ص ٦٠ ، ٦١ .

(٣) ابن غنام ، نسخة ابابطين ، جـ٢ ، ص ١٤ .

(*) ينظر ص ٣٩٧ .

(٤) ابن بشر ، جـ١ ، ص ٨٤ .

كانت أقوى منه ، ثم بعزله انتهى وجود العيينة كإمارة مستقلة حيث انضوت تحت لواء الدرعية ، وربما أن الأمير مشاري أقام بعد عزله عن إمارتها في الدرعية . وعندما اطلعت على وصيته(*) لم أجد له أي أملاك في العيينة أو سدوس أو الجبيلة ، وكل أملاكه في قصور ضرما ربما أنه باع أملاكه في العيينة وسدوس أثناء حياته ، وكان الأمير مشاري متزوجاً من ابنة الإمام (محمد بن سعود) أمير الدرعية ، وهي الزوجة الثانية له حيث رزق من زوجته الأولى بولد اسمه إبراهيم وهو أكبر أبنائه وبنتاً واحدة . أما زوجته ابنة الإمام محمد بن سعود فرزق منها بولد أسماه محمداً ، وأصبح فيما بعد أميراً للدرعية وبعض البلدان النجدية لمدة عامين ، وقتل عام ١٢٣٦هـ بسبب الصراع بينه وبين الإمام (تركي بن عبد الله) على السلطة [١] . كما رزق الأمير مشاري من زوجته ابنة الإمام محمد كذلك ثلاث بنات . وتوفي رحمه الله عام ١٢٠٢هـ [٢] .

١٨- الأمير سلطان بن محسن بن معمر:

وهو الأمير سلطان بن محسن (عبد المحسن) بن معمر (**) .

الأمير سلطان من أفراد أسرة آل معمر المتحمسين للدعوة الإصلاحية والمعارضين للأمير عثمان بن معمر ، وقد خرج سلطان هذا وإخوته من العيينة إلى الدرعية بعد رحيل الشيخ محمد بن عبد الوهاب إليها ، واستوطنوها وذلك في حدود عام ١١٥٧هـ ، قال ابن بشر عنهم : «وهاجر إلى الشيخ أصحابه الذين بايعوه في العيينة ، منهم من هو من رؤساء المعامرة (آل معمر) معاكسين لـ (عثمان ابن معمر) » [٣] .

(*) وصية الأمير مشاري بن إبراهيم بن معمر كتبها الشيخ حمد بن ناصر بن معمر عام ١٢٠٢هـ وهو عام وفاة مشاري ، ونقلت منها .

(١) ابن بشر ، جـ١ ، ص٤٤٨-٤٤٩ .

(٢) الفاخري ، ص١٢٢ .

(**) ليس صحيحاً ما ذكره خزعل في كتابه تاريخ الجزيرة العربية صفحة ٢١٩ من أن سلطان ابن محسن من مماليك آل معمر ، فقوله هذا لا يستند إلى واقع ولا يعول عليه ، بل هو من كبار آل معمر .

(٣) ابن بشر ، جـ١ ، ص ٤٣ .

وذكر ابن غنام أسماءهم فقال : « منهم (عبد الله بن محسن) وإخوته زيد وسلطان المعامرة وغيرهم»[(١)] .

أقام سلطان في الدرعية ستة عشر عاماً ، وبعد عزل الأمير مشاري بن معمر عن إمارة العيينة عام ١١٧٣هـ عين سلطان أميراً لها في العام نفسه[(٢)] . ولم أقف على مدة إمارته ولا سنة وفاته ولا من خلفه في إمارة العيينة ، التي فقدت تماماً دورها ومركزها القيادي في نجد ، إذ نافستها الدرعية بقوة ، وهجرها بعض سكانها وضعف أمرها ، وأصبحت جزءاً من الدولة الجديدة .

وذرية الأمير سلطان يعرفون الآن عند انفرادهم داخل الأسرة المعمرية بآل سلطان ومن مشاهيرهم الشاعران (عبد العزيز بن سلطان بن معمر) ساكن بلد المزاحمية وابن أخيه الشاعر (مشاري بن عبد الله بن سلطان بن معمر) ، وأمير الطائف السابق ناصر بن صالح بن معمر رحمهم الله ، وللثلاثة ترجمة في هذا الكتاب .

علاقة العيينة بالقوى المحلية والإقليمية من عام (٨٥٠ - ١١٧٣هـ) :

لم تكن العيينة منذ نشأتها عام ٨٥٠هـ بمعزل عن القوى الإقليمية أو المحلية من حاضرة وبادية ، والمؤثرة على الساحة النجدية ، وبرزت العيينة وسط مجتمع يسوده عدم الاستقرار ، وأصبحت أقوى البلدان النجدية في شتى المجالات .

وقد بنت علاقات متميزة مع بعض القوى ، واصطدمت بأخرى لأسباب عديدة إما دفاعاً عن كيانها أو رغبة في بسط السيطرة وتوسيع مناطق النفوذ .

وقد تعمل لتحقيق ذلك بمفردها ، وقد تتحالف مع قوى ضد أخرى ، بوحي من مصالحها . كما قد تتحالف قوى أخرى ضدها .

وقد تستمر المواجهات المسلحة لفترات طويلة متقطعة دون أن يستطيع طرف إخضاع الآخر ، وقد تنتهي تلك المواجهات بانتصار ساحق لأحد الطرفين ، أو بمصالحة ثم سلام بينهما ، إما بصفة دائمة أو مؤقتة . وكان للعيينة أيام وعليها

---

(١) ابن غنام ، نسخة أبابطين ، جـ٢ ، ص ٤ .

(٢) ابن بشر ، جـ١ ، ص ٨٤ .

مثلها . وفي الصفحات التالية سنستعرض علاقات العيينة بتلك القوى المختلفة ونسوق ما اطلعنا عليه من حوادث موثقة بهدف معرفة جوانب من الماضي ولأخذ العظة والعبرة . إن تلك المواجهات التي تتخلل تلك العلاقة ما هي إلا ثمرة من ثمرات التفرق ، ولندرك جميعاً ما نحن فيه من نعمة الأمن والرخاء فنرعاها ونحافظ عليها .

ومن الجدير بالذكر أن اللجوء إلى القوة لحل النزاعات ليس من الأمور الخاصة بنجد (أو بالعيينة) آنذاك ، وإنما هو أمر لم يخل منه تاريخ أمة في مختلف العصور [1] .

أولاً - العلاقة بين العيينة والحجاز :

أسلفنا أن العيينة كانت أقوى الحواضر النجدية ، ومعنى هذا أنها ستلقى اهتماماً خاصاً من قبل الأشراف في الحجاز لأن استقطاب بلد مثل العيينة له أهميته لديهم ، والعيينة كبقية حواضر نجد تحرص على علاقة طيبة بل ومتميزة مع الحجاز لمكانته الدينية ، ثم لقدرته العسكرية .

ولا تخلو المصادر التاريخية من ذكر العديد من الحملات العسكرية الحجازية على بعض حواضر نجد وبواديها ، وتتميز هذه الحملات بضخامتها ، وتستهدف تلك الحملات تحقيق أمرين :

أ- الحصول على الغنائم من حواضر نجد وبواديها :

ويتم ذلك بعد مهاجمة تلك البوادي والحواضر ومحاصرتها وتضييق الخناق وفرض الشروط عليها ، ومثل ذلك على سبيل الذكر لا الحصر ما حصل عام ٩٨٦هـ عندما توجه الشريف (حسن بن أبي نمي) إلى نجد ، وحاصر معكال المعروف في الرياض ، ومعه من الجنود قريباً من خمسين ألفًا[*] ، ونهب أموالها وقتل فيها رجالاً ، وأسر بعض رؤسائهم وأعيانهم ومكثوا قريباً من عام في سجنه ، ثم أطلق سراحهم بشرط أن يدفعوا له كل سنة مبلغاً معلوماً ، وعين محمد بن فضل أميراً لها [2] . وغالبًا مايظهر الأشراف منتصرين في مواجهاتهم تلك لكثرة

(١) بتصرف عن د . العثيمين ؛ محمد بن عبد الوهاب ، ص ١٥ .
(*) أعتقد أن العدد مُبَالغ فيه .
(٢) ابن بشر ، جـ٢ ، ص ٣٠٤ .

جيوشهم وقوة عتادهم ، حيث أموال وممتلكات المهـزوم تصبح غنيمة لهم ، وقد لا يكتفون بذلك بل يفرضون غرمات سنوية .

ب- الظهور بمظهر شرطي المنطقة :

يستعرض الأشراف قوتهم على بعض حواضر وبوادي نجد ، ويتدخلون في الشؤون الداخلية فيها بهدف الإثبات للدولة العثمانية أنهم يحافظون على الأمن بقمع حركات التمرد ضد الحجاز الذي يمثل الدولة ، وكذا تأديب القبائل التي تعترض قوافل الحج والتجارة بالنهب والسلب . وذلك ضماناً لاستمرار تدفق الإعانة من الدولة عليهم ، وتأييدها للشريف الحاكم في مواجهته لخصومة الأشراف المنافسين له على الزعامة . ومن أمثلة ذلك ما حصل عام ١١٤٠هـ عندما اتجه الشريف محسن على رأس جيش كبير شاركت فيه قبيلة عنزة وعدوان الحجاز وهاجم آل سعيد والظفير على ساقي الخرج وهزمهم ، وهم تحت قيادة صقر ابن حلاف [١] . وبالرغم من ذلك لم يستطع الأشراف أن يفرضوا شروطهم ويبسطوا سيادتهم على بعض الحواضر والبوادي النجدية بصفة مستمرة ، وما يهمنا هنا هو علاقة العيينة بالحجاز منذ نشأة إمارتها عام ٨٥٠هـ حتى عام ١١٧٣هـ .

وأثناء مطالعتي للمصادر التاريخية التي أشارت للحملات الحجازية باتجاه نجد حصرت أكثر من خمس وعشرين حملة بدءاً من عام ٩٦٤هـ إلى عام ١١٤٠هـ وذلك خلال ١٧٦ عاماً ، لم أجد فيها ما يكدر صفو العلاقة بين العيينة والحجاز ، إذ كانت على ما يظهر علاقة جيدة حيث تسهل العيينة مرور قوافل الحج الأحسائية من وإلى مكة المكرمة ، وقد توفر لها بعض الحماية الأمنية أثناء مرورها بالعيينة .

ودلالة على حسن العلاقة بين البلدين نجد أن بعض أمراء العيينة وقضاتها يؤدون فريضة الحج في الأعوام ١٠٤٣[٢] ، ١٠٤٩هـ[٣] ، ١٠٥٦هـ[٤] ، ١٠٩٦هـ[٥] .

---

(١) ابن بشر ، جـ٢ ، ص٣٧٠ ، ٣٧١ ؛ الفاخري ، ص ١٠١ .
(٢) ابن بشر ، جـ٢ ، ص ٣٢٠ .
(٣) المصدر نفسه ، ص ٣٢٢ .
(٤) المصدر نفسه ، ص ٣٢٤ ، تحفة المشتاق ، حوادث عام ١٠٥٦هـ .
(٥) ابن بشر ، جـ٢ ، ص ٣٣٨ .

وفي الغالب فإن الأمراء الذين يناصبون الحجاز العداء لا يتمكنون من أداء الحج خوفاً من المصير المجهول الذي قد يلاقونه هناك .

وفي عام ١٠٥٧هـ قاد الشريف (زيد بن محسن) حملة إلى روضة سدير وقتل أميرها ماضي وأمّر فيها رميزان ثم عسكر في بنبان ، وأخذ من العيينة ثلاثمائة حمل ومبالغ مالية كبيرة (١) . وسبق أن أوضحت أن تلك المبالغ والأحمال التي أخذها الشريف من العيينة ماهي إلا إعانة منها لتغطية تكاليف حملة الشريف لإعادة رميزان لإمارة بلده ، والتي تم الاتفاق عليها أثناء موسم حج عام ١٠٥٦هـ ، حينما اتفق الشريف زيد والأمير (حمد بن عبد الله بن معمر) و(رميزان بن غشام التميمي) على ذلك (٢) .

وخلاصة القول أن العلاقة بين الحجاز والعيينة كانت حسنة .

ثانياً - العلاقة بين العيينة والأحساء :

عند دراستنا لهذه العلاقة سنتناولها من جانبين رئيسين هما :

أ- علاقة اقتصادية :

تفرض قوة العيينة الاقتصادية عليها علاقة من نوع خاص مع الأحساء الذي عن طريق موانئه تستقبل أغلب بضائعها المستوردة ، إذ تتردد القوافل التجارية ، من العيينة على موانئ الأحساء(٣) وتحرصان على بقاء طرق القوافل التجارية بينهما آمنة لأهمية ذلك لهما ، كما أن لآل معمر أراضي زراعية ومزارع في الأحساء أو ما يسمى اليوم بـ «الاستثمارات الخارجية» واختيرت الأحساء لهذه الاستثمارات لوفرة المياه فيها ولإيجاد موارد مالية وزراعية ثابتة للعيينة تعوضها في حالة تعرضها لسنين الجدب والجفاف بسبب انقطاع الأمطار ، وبالتالي تأثر محصولها الزراعي .

---

(١) الفاخري ، ص ٧١ ؛ ابن بشر ، جـ٢ ، ص ٣٢٥ ؛ المنقور ، ص ٤٧ .
(٢) طالع صفحة ٢٨١ .
(٣) لمع الشهاب ، ص٣٢ .

وقد أشار إلى تلك الاستثمارات مؤلف كتاب لمع الشهاب بقوله : « وكان لابن معمر عثمان في الأحساء ملك نخيل وأرض رز ، توارثها عن أكابره وأجداده ، يبلغ محصولها كل عام ستين ألف ريال ذهب» [(١)] .

ب- تعاون عسكري :

يتم التعاون العسكري بين العيينة والأحساء تبعاً للظروف التي تمليها مصلحتهما وتعطي الأحساء اهتماماً خاصاً لتأمين سلامة قوافل الحج الأحسائية المارة بنجد في طريق الذهاب والإياب ، بل تستعمل القوة العسكرية في مواجهة من يعتدي على قوافل الحج ، إذ هاجم محمد آل غرير مقحم عام ١١٠٢هـ[(٢)] . رداً على مهاجمة الأخير قافلة الحج الأحسائية قبل ذلك بعام . وتستعمل القوة العسكرية أحياناً في مرافقتها كما حصل عام ١١١٩هـ ، حينما رافق سعدون آل غرير رئيس بني خالد بعساكره قافلة الحج الأحسائية التي مرت بنجد[(٣)] .

ولا أستبعد أن عبد الله بن معمر أمير العيينة ساعد محمد آل غرير في هجومه على مقحم ذلك العام إذ ذكر المنقور فزع راعي العيينة[(٤)] والفزع هو الإمداد بالمقاتلة من الرجال ، ولا يوجد حدث في اعتقادي يهم العيينة ويستوجب اشتراكها عسكرياً في ذلك العام إلا المساعدة في مهاجمة محمد آل غرير لمقحم أو الصراع على السلطة في الدرعية ، ويهم الأحساء أن تتعاون مع العيينة أقوى إمارات نجد من أجل تسهيل مهمة قوافل الحج وحمايتها .

ومن مجالات هذا التعاون بينهما مرور قوافل الحج الاحسائية بالعيينة والاستراحة فيها والتمون منها ، وذلك مثلما حدث عام ١١٢٠هـ ، إذ نزلت قافلة الحج الأحسائية العيينة في طريق العودة من مكة ، وكانت بقيادة نجم بن عبيدالله ابن غرير[(٥)] . وبعد ذلك بعامين مرت قافلة الحج الإحسائية بـ (نفي) ثم (ثرمداء)

---

(١) لمع الشهاب ، ص ٣١ .
(٢) المنقور ، ص ٦٧ .
(٣) ابن بشر ، جـ٢ ، ص ٣٥٥ .
(٤) المنقور ، مصدر سابق ، ص ٦٧ .
(٥) ابن ربيعه ، ص ٨٣ .

ثم (العيينة) في طريق العودة إلى الأحساء[١] . كذلك في عام ١١٢٧هـ نزل حاج الأحسـاء العـارض وأميره ابن عفالـق وتزود بالمواد الغذائية[٢] . وأعتقد أن توقف الحاج في العيينة يرجع إلى أنها أكبر بلدان العارض وأقدرها على تموين حملة الحج وحمايتها ، وبعد ذلك بست سنوات ــ أي عام ١١٣٣هـــ مرت قافلة الحج الأحسائية بالعارض في طريق العودة إلى الأحساء وأميرها جبر[٣] . وأرجح أنها نزلت العيينة ؛ إذ إن الأحساء كانت في حالة حرب مع الدرعية والعمارية عام ١١٣٢هـ[٤] ، ولا أعتقد أن قافلة الحج الأحسائية ستنزل بها ، لهذا السبب . لذلك رجحت أن العيينة هي التي استضافت قافلة الحج الأحسائية في ذلك العام ، كما استضافتها في السنوات السابقة ، وتكرار مرور قوافل الحج الأحسائية بالعيينة والتزود منها بالمواد الغذائية فيه إشارة ودلالة قوية على مدى قوة التعاون والعلاقة بينهما .

ولا يعادل حماية قوافل الحج الأحسائية أهمية عند الأحساء إلا مواجهة بعض القوى النجدية في المنطقة ، والتي قد تعمل ضد مصلحة العيينة والأحساء معاً ، وأحياناً تقتضي مصلحتهما تعاونهما عسكرياً لضرب أية محاولة لتهديد تلك المصلحة ، ويتضح تعاونهما من خلال تتبع الأحداث التالية :

أ) هاجم (براك بن غرير آل حميد) رئيس الأحساء قبيلة آل نبهان من آل كثير قرب بلد سدوس عام ١٠٨١هـ[٥] . وأعتقد أن مهاجمته إياهم كان بسبب تعرضهم لإحدى قوافل الحج الأحسائية ، وبما أن سدوس إحدى البلدان التابعة للعيينة فلا أستبعد اشتراك العيينة في موقعة سدوس تلك جنباً إلى جنب مع القوات الأحسائية .

ب) في عام ١١٢٦هـ التقت مصلحة العيينة والأحساء على مهاجمة بلدة اليمامة فقاد (عبد الله بن معمر) غزو العيينة والتقى بقوات الأحساء بقيادة

---

(١) رحلة بن علوان ، حوادث عام ١١٢٢هـ .
(٢) ابن بشر ، جـ٢ ، ص ٣٦١ .
(٣) الفاخري ، ص ٩٧ .
(٤) ابن بشر ، جـ٢ ، ص ٣٦١ .
(٥) المصدر السابق ، ص ٣٣١ .

رئيسها سعدون آل غرير، وقد تمكن المهاجمون من الحصول على بعض الغنائم ثم حاصروها، ونظراً لحرج موقف اليمامة فقد اضطر أميرها البجادي إلى الدخول في مفاوضات مع المهاجمين وأهدى إليهم بعض الخيول الأصيلة (١) . ونجحت مساعيه بعقد صلح معهم تلاه انسحاب المهاجمين .

جـ) في عام ١١٣٣هـ عسكر رئيس الأحساء في روضة عقرباء شمال الجبيلة وهاجم قبيلة آل كثير، فتقهقروا للبلدة العمارية وتحصنوا فيها، فحاصرهم حتى هزلت مواشيهم، وهاجم سعدون في تلك الفترة بلدة الدرعية ونهب بعض منازلها، واستعمل المدفعية في تلك الأحداث(٢) . وأعتقد أن عبد الله بن معمر أمير العيينة شارك بفعالية في تلك الأحداث، ويدل على أنه كان في حالة مواجهة معهم، أنه صالح أهل العارض عام ١١٣٥هـ(٣) ، والدرعية من أهم بلدان العارض .

من الحوادث الثلاثة السابقة يتضح أن مصلحة البلدين اقتضت تعاونهما في المجال العسكري، ولكن قد يعمل كل منها حسب ما تقتضيه مصلحته فقط، عندما يستدعي الأمر ذلك .

فحينما عم القحط والجوع والجفاف نجد، جهز (عبد الله بن معمر) أمير العيينة جيشاً قوياً وتولى هو قيادته وزحف به إلى الأحساء فهاجمها واستولى على محصولها من الحبوب، وكان ذلك في شهر رمضان المبارك عام ١١٣٦هـ(٤) .

وحينما تبنت العيينة الدعوة الإصلاحية وقدم أميرها عثمان بن معمر كل التسهيلات للشيخ محمد بن عبد الوهاب، حاول حاكم الأحساء ممارسة ضغط على أمير العيينة من أجل التخلي عن دعوة الشيخ، وهدد بمنع تجار العيينة من الاستفادة من موانئ الأحساء ، كما هدد أيضاً بمنع ابن معمر من الاستفادة من

---

(١) تحفة المشتاق ، حوادث عام ١١٢٦هـ .
(٢) ابن بشر ، جـ٢ ، ص ٣٦٣ .
(٣) الفاخري ، ص ٩٨ .
(٤) تاريخ ابن عباد ، حوادث عام ١١٣٦هـ .

محاصيل مزارعه التي في الأحساء ، والتي تدر عليه مبالغ مالية كبيرة (١) .

وكان عثمان بين أمرين أحلاهما مُر ، كما يقال ، إذ كان يصعب عليه مواجهة الأحساء خصوصاً أن العيينة لم تستكمل بناء قوتها العسكرية بعد الوباء الذي حل بها عام ١١٣٨هـ ، وهذا يضعها في موقف ضعيف لو حصلت مواجهة عسكرية مع الأحساء ، كما أنه لا يرغب في التخلي عن الشيخ ، ولكنه اتبع أخف الضررين بأن وضح للشيخ أن عليه أن يغادر العيينة مؤقتاً لمدة عام أو عامين لحين يعالج عثمان الوضع القائم ثم يرجع للعيينة (٢) . ولم تنقطع العلاقة بين العيينة والأحساء أثناء الدعوة الإصلاحية بل استمر (عثمان بن معمر) في إرسال الرسائل لعلماء الأحساء وخصوصاً الشيخ ابن عفالق يدعوه إلى الانضمام لركب الدعوة الإصلاحية ويبين له أهدافها (٣) .

وفي عام ١١٧٢هـ قاد حاكم الأحساء عريعر بن دجين حملة عسكرية وحاصر بلدة الجبيلة ، وانضم إليه أهل الوشم ، الخرج والرياض وغيرهم ، ودارت بينه وبين أهلها مواجهات لعدة أيام انتهت بانسحابه بعد أن قتل من جيشه ستون رجلاً ، ومن أهل الجبيلة عشرة رجال (٤) .

ولا أعرف سبباً لهجوم عريعر على الجبيلة التي هي من قرى العيينة ، ولكن إذا عرفنا أن الدرعية تم تحصينها بسورين قبل خروج عريعر إلى نجد ، والعيينة ذات تحصينات قوية من قبل ، وحريملاء استعصت على مؤيديه إثر مواجهة معهم ، وبقية البلدان مثل الرياض والخرج والوشم خاضعة له ، عندها لم يجد عريعر بداً من أن يهاجم تلك البلدة الصغيرة والتي تقع بين العيينة والدرعية ، رغبة منه في تحقيق نصر معنوي لحملته تلك ، ولكن الجبيلة كانت له بالمرصاد فردته على أدباره دون تحقيق أي نصر عسكري أو معنوي .

يتضح من علاقة العيينة بالأحساء أنها جيدة ولم يعكر صفوها إلا ثلاث حوادث عام ١١٣٦هـ ، ثم موقفها من الدعوة ، ثم حادثة الجبيلة عام ١١٧٢هـ .

(١) لمع الشهاب ، ص ٣١ .
(٢) لمع الشهاب ، ص ٣٢ .
(٣) رسائل الشيخ ابن عفالق للأمير عثمان بن معمر رداً على رسائله إليه ، مخطوطة .
(٤) ابن غنام ، جـ١ ، ص ١١٢ ؛ ابن بشر ، جـ١ ، ص ٨١ ، ٨٢ ؛ لمع الشهاب ، ص ٣٨ .

ثالثاً - العلاقة بين العيينة وبعض الحواضر النجدية:

كانت العيينة أقوى حواضر نجد على الإطلاق ، لذا كانت علاقاتها مع جيرانها علاقة يحكمها الاحترام المتبادل وما تمليه مصلحتها ، إلا أن تلك العلاقة كانت أحياناً تأخذ طابع النزاع الدموي مع بعض الحواضر ، فقد شنت العيينة الحروب وقاد أمراؤها الحملات العسكرية ضد تلك الأطراف . وحيث لم يتطرق بعض المؤرخين إلى أسباب تلك النزاعات ، إلا أنه يتضح أن العيينة كانت تهدف منها إلى فرض التبعية أو الخضوع ، وأحياناً بهدف التوسع والضم المباشر . وسنستعرض علاقة العيينة بالبلدان الآتية :

١- روضة سدير
٢- بلدان المحمل
٣- حريملاء
٤- الدرعية
٥- العمارية
٦- عرقة
٧- اليمامة

١- علاقة العيينة بروضة سدير:

اشترى مزروع التميمي موضع روضة سدير وما حولها وعمرها وتوارثت ذريته الإمارة بعده فيها . ثم تنافسوا على الإمارة مما أدى إلى تدخل خارجي بينهم لصالح طرف ضد آخر مما أسهم في إضعاف إمارتهم ، وينقسمون إلى آل راجح الذين منهم آل ماضي ، وآل أبو سعيد الذين منهم الأمير والشاعر رميزان بن غشام ، وآل سليمان وآل هلال [١] .

وقد تصارع على السلطة آل أبو هلال ومعهم آل راجح الذين يمثلهم ماضي جد آل ماضي ورميزان بن غشام ، مما أدى إلى محاصرة رميزان في أم حمار قرب روضة سدير ، وتشديد الحصار عليه ، وكانت تربط رميزان علاقة صداقة مع حمد بن عبد الله بن معمر أمير العيينة وبينهما مراسلات ، وقد مدح رميزان الأمير حمد بن عبد الله بن معمر بقصيدة منها قوله :

أزكى بني عبد الحميد وغيرهم   والضد من خوفه يظل موجل

(١) تاريخ بعض الحوادث الواقعة في نجد ، ص ٥٦ ، ٥٧ .

حمد بن عبد الله أمنىٰ ضايف الخلا ... أن عض كالـوب الزمـان الممحـلِ
ياما سطـا وعــطـا ويامـا قـد وطا ... بمهــند صافـي الحديــد مجـنـدلَ
بـرأس الـذي كــر بنفسـه مـايـق ... إذا ذل رعيديد الرجـال الزمل[١]

ففزع حمد بن عبد الله بن معمر حينما علم بمحاصرة رميزان ، وقاد قوات من أهل العيينة وفك الحصار عن رميزان وأخرجه من أم حمار ، ومكث في سدير مدة حتى هدأت الأمور واستتب الأمن فيها ، ثم عاد بجيشه إلى العيينة ، ويظهر أن حمدًا كان يتمتع بعلاقات جيدة مع آل راجح وآل هلال وآل سعيد ، حيث لم يرد في تلك الحادثة أي عنف أو سفك دماء .

وأرجح أن (حمد بن معمر) صحب رميزان معه إلى العيينة ومنها توجه رميزان إلى الحجاز حيث أقام فيه .

وقد فسر بعض المؤلفين عبارة «إخراج رميزان من أم حمار» أن ابن معمر قد أجلاه منها[٢] ، والصحيح أنه فك الحصار عنه وأطلقه ، وأنه كان محاصراً من قبل أبناء عمه .

واستمرت إقامة رميزان في مكة لدى الشريف (زيد بن محسن) . وفي عام ١٠٥٦هـ حج (حمد بن عبد الله بن معمر) أمير العيينة[٣] وقابل رميزان هناك ، وتم الاتفاق بينه وبين الشريف زيد على إعادة رميزان إلى سدير ، وتعهد ابن معمر بدعم حملة الشريف المتجهة إلى نجد لمساعدة رميزان[٤] .

وفي عام ١٠٥٧هـ زحف الشريف زيد إلى نجد وتوجه للروضة وقتل أميرها ماضي ابن ثاري وأجلى أسرته آل أبو راجح وولى رميزان إمارتها[٥] ، ثم دفعت العيينة للشريف ما التزمت به[٦] . وهكذا نجد أن العلاقة مع الروضة كانت جيدة وتميل إلى مساعدة رميزان في صراعه مع أبناء عمه .

---

(١) الإفادات ، ص٦٢ ؛ ومجلة العرب ، جـ١١ ، ١٢ س ٢٦ الجمادان ، سنة ١٤١٢هـ ، ص ٨١٩ .
(٢) مطالع السعود ، ص ٣١ .
(٣) تحفة المشتاق ، حوادث عام ١٠٥٦هـ ؛ ابن بشر ، جـ٢ ، ص ٣٢٤ .
(٤) ينظر : ص ٢٨١ وما بعدها .
(٥) الفاخري ، ص٧٠ ، ٧١ .
(٦) ابن بشر ، جـ٢ ، ص ٣٢٥ .

٢- علاقة العيينة ببلدان المحمل:

أهم بلدان المحمل ثادق والبير ، وأول إشارة للعلاقة بين العيينة والبير في عهد الأمير (عبد الله بن حمد بن معمر) الذي تولى إمارة العيينة عام ١٠٧٠هـ .

بدأ الأمير عبد الله عهده بغارة على البير ، ساق على إثرها بعضاً من إبلها إلى العيينة ، فرد أهل البير بالاستيلاء على قافلة تجارية للعيينة تحمل الألبسة رهينة لديهم عام ١٠٧١هـ .

عند وصول أخبار احتجاز القافلة للعيينة جهز أميرها غزواً كبيراً وعساكر كثيرة من أهل بلده - كما سبق ذكره - ، وقاد هذه القوات بنفسه عام ١٠٧٢هـ ، وأخذ معه أعيان العيينة فيهم قاضيها الشيخ (سليمان بن علي) جد الشيخ محمد ابن عبد الوهاب .

وتجهيز العيينة لهذا الغزو القوي يهدف إلى الضغط على البير في حالة إنهاء الأزمة عن طريق المفاوضات ، أو أن ابن معمر أراد بهذا الغزو سرعة الحسم العسكري فيما لو فشلت المفاوضات بينهما . وهكذا توجه غزو العيينة للبير وانتشر حول سورها وأحكم حصارها وتزاحم بعض أفراده تحت أحد الجدران المتداعية مما أدى إلى انهياره ومقتل عدد منهم [(١)] .

ويظهر أن الشيخ سليمان لعب دوراً مهماً في تقريب وجهات النظر بين الطرفين أثناء الحصار مما أدى إلى عقد صلح بين العيينة والبير [(٢)] . فدفنا على إثره خلافاتهما إلى الأبد ، وحل التعاون بينهما محل الخلاف .

كما أن العيينة لعبت دوراً فاعلاً حينما ثارت الحروب بين بلدتي ثادق والبير عامي ١١٠٤هـ ، ١١٠٥هـ وخسرا فيها عدداً من القتلى [(٣)] . إذ أمدت العيينة البير بمساعدات عسكرية رجحت كفتها في ذلك الصراع ، أو على الأقل أسهمت في صنع توازن القوى بينها وبين ثادق .

---

(١) الفاخري ، ص ٧٣ ؛ ابن بشر ، جـ٢ ، ص ٣٢٧ .
(٢) تحفة المشتاق ، ص ٤٦ .
(٣) ابن بشر ، جـ٢ ، ص ٣٤٥ ؛ بينما يذكر الفاخري ، ص ٨٦ ؛ وابن ربيعه ، ص ٧٨ ، أن الحرب بينهما عام ١١٠٥هـ .

وفي عام ١١١٦هـ جهز أمير العيينة (عبد الله بن محمد بن معمر) غزواً من أهلها وتوجه لمهاجمة ثادق ، فلما وصل إلى بلدة البير وعسكر بها علمت به بوادي عنزة فحاصروه فيها ، واستولوا على بعض إبله (١) .

إن وصول أمير العيينة إلى البير مع أنه يريد مهاجمة ثادق ، يعطي دلالة واضحة على تعاونه مع البير ، ويؤكد أن علاقته بها جيدة ؛ بعكس ثادق التي لم تكن علاقتها بالعيينة ودية لمدة ثلاثين عاماً من عام ١١٠٤هـ حتى عام ١١٣٤هـ ؛ حيث صالح أمير العيينة ثادق في ذلك العام ، قال الفاخري : « وصالَحَ ابنُ معمر أهل ثادق ، وحجر بن مصيخ في ثادق» (٢) .

٣- العلاقة بين العيينة وحريملاء :

تعرف حريملاء قديماً باسم (حرملاء) وموضعها الذي تحتله سهل لين دمث يكثر فيه شجر (الحرمل) فسميت به (٣) .

شكلت قديماً مع أوديتها وشعابها منطقة رعوية مهمة للبوادي وما حولها من البلدان .

ثم بسط ابن عطاء أمير ملهم نفوذه عليها فترة ليست بالقصيرة ، وما بين عام ٨٥٠هـ وهو العام الذي اشترى فيه (حسن بن طوق التميمي) العيينة وعام ٨٦٥هـ وهو العام الذي توفي فيه حسن — آلت ملكية موضع حريملاء له ، ذكر ذلك ابن بشر عندما حدد أملاكه فقال : « ومن الجبيلة إلى الأبكين الجبلان المعروفان في تلك الناحية إلى موضع حريملاء لحسن بن طوق جد آل معمر» (٤) .

ولا نعرف كيف آلت ملكية حريملاء لحسن : هل هي بالشراء من ابن عطاء أمير ملهم؟ أم أنه ضمها عسكرياً ؟

على أية حال بقيت حريملاء تابعة لآل معمر إلى أن قدم آل أبي ريشة

---

(١) ابن ربيعة ، ص ٨٢ ؛ ابن بشر ، جـ٢ ، ص ٣٥٤ .
(٢) الفاخري ، ص ٩٧ .
(٣) معجم اليمامة ، جـ١ ، ص ٣١٧ .
(٤) ابن بشر ، جـ٢ ، ص ١٤ .

الموالي[١] من الشام (*) واستوطنوها وزرعوها وعمروها ، وأرجح أنهم اتفقوا مع ابن معمر على أن يزرعوها مقابل نسبة من محصولها الزراعي يدفعونها له ، وهذا ما أشار له الشيخ عبدالله بن سعد الراشد من أهل حريملاء بقوله : إن ابن معمر كان يأخذ من المزارعين في حريملاء ما يسمى بـ «الغروبية» وهي إضافة إلى نسبة الزكاة غربٌ منها أي بنسبة ربع الإنتاج الزراعي بعد طرح الزكاة وذلك قبل أن يشتري آل أبي رباع حريملاء[٢] .

وبعد سنوات من استقرار آل أبو ريشة في حريملاء ازدادت قناعتهم بأن إنتاجها لا يعادل ما يبذلونه من جهد ، كما أن بلدهم في الشام أوفر مياهاً ومرعى من حريملاء التي قد تتوالى عليها سنوات الجفاف ، وما تسببه من خسارة للمزارعين تضطرهم أحياناً لترك بلادهم والهجرة إلى أماكن تتوفر فيها المياه .

عندها قرر آل أبي ريشة ترك حريملاء ، وكما يشير المثل المعروف الذي يقول : «خل حريملاء في كبد أهلها» ترك آل أبي ريشة حريملاء في كبد أهلها ، ورجعوا إلى وطنهم وحصل ذلك في النصف الأول من القرن الحادي عشر الهجري على وجه التقريب . ويفهم من هذا المثل أن لحريملاء أهلاً عندما كان بها آل أبي ريشة وأنهم سيتركون البلد بسلبياتها لهم . وهنا يبرز سؤال وهو : من هم أهل حريملاء الذين سيترك آل أبي ريشة ، حريملاء في كبودهم ؟

لا أشك أن أهل حريملاء هم آل معمر أمراء العيينة ، والذين يأخذون ربع المحصول الزراعي لحريملاء من آل أبي ريشة .

وهذا المثل يعزز القول السابق بأن آل أبي ريشة يزرعون حريملاء مقابل نسبة تدفع لابن معمر بالإضافة إلى الزكاة .

وبعد رحيل آل أبو ريشة من حريملاء استولى عليها حمد بن معمر أمير العيينة[٣] .

---

(١) تاريخ ابن لعبون ، ص ٦٦ . (*) يوجد في الشام عشيرة تدعى الموالي من بني تميم .
(٢) جريدة الجزيرة العدد ٦٢٣١ في ٢١/ ٣/ ١٤١٠هـ مقابلة مع ضيف الجزيرة الشيخ عبدالله الراشد .
(٣) تاريخ ابن لعبون ، ص ٩٦ ، بينما يشير في النسخة (أ) من تاريخه هامش ، ص ٩٧ ، إلى أنهم أجلوا عنها ، فهل تأخر آل أبو ريشه في دفع ما اتفقوا عليه مع ابن معمر مما تسبب في إجلائه لهم عن البلد ؟ هذا احتمال وارد .

ظلت حريملاء حوطة تابعة للعيينة حتى عام ١٠٤٥هـ عندما خرج علي ابن سليمان بن حمد من آل «أبي رباع» من بلدة التويم ، ومعه بعض أقاربه بعد خلاف مع آل مدلج راغباً البحث عن وطن بديل فاتجه لوادي حنيفة ومر في طريقه بحوطة حريملاء فأعجبته ، ثم قدم على أمير العيينة (حمد بن عبد الله بن معمر) الذي أضافه وأكرمه ، فقال علي بن سليمان له : إنني قد جئتك في حاجة : نريد منزلاً في نواحيك بالثمن ، فقال الأمير حمد : اطلب ما بدا لك . فطلب منه حريملاء ، فأجابه واشتراها من ابن معمر بستمائة أحمر[*] وانتقل إليها من التويم وسكنها هو وبنو عمه سويد وحسن ابنا راشد آل حمد وجد آل عدوان ، وآل مبارك ، وغيرهم من بني بكر بن وائل [1] . وتناسلوا فيها وتكاثروا ، وقد وصل عدد الرجال المقاتلين في حريملاء عند بدء الدعوة الإصلاحية حوالي ثلاثمائة رجل [2] .

وقبل أن استعرض ما ذكرته المصادر التاريخية من حوادث تاريخية بين العيينة وحريملاء لا بد من الأخذ في الاعتبار تأثير بلدتي ملهم والقرينة على الحوادث التي وقعت بين البلدين . فحمد بن معمر أمير العيينة ضم ملهم عسكرياً بعد معركة خسرها أهل ملهم وأجلى آل عطاء الأسرة الحاكمة فيها إلى القصب[**] وسكنوه ، ثم إن الأمير حمد بن معمر رد آل عطيان إلى ملهم بعد رؤيا رآها اقتضت ردهم بعد ذلك ، ثم تعرضت ملهم إلى قحط تبعه وباء هجرها أهلها على إثرهما ، ونزلوا العيينة[3] التي استضافتهم باعتبار بلدهم إحدى البلدان التي أصبحت منذ ذلك الوقت تابعة للعيينة ، والقرينة كانت في ذلك الوقت أقل شأناً من ملهم ، وأعتقد أن ابن معمر ضمها للعيينة في نفس الفترة التي ضم فيها ملهم للعيينة .

وبدأت أولى المواجهات بين العيينة وحريملاء عام ١٠٩٥هـ تبعتها سلسلة

(*) الأحمر : عملة كان يتعامل بها أهل نجد في ذلك الزمن ، وقد مر تعريفها .

(١) تاريخ ابن لعبون ، ص ٩٧ .

(٢) كيف كان ظهور الشيخ محمد ، ص ٥٤ .

(**) ينظر صفحة ٢٧٨ .

(٣) ابن بشر ، جـ٢ ، ص ٣٢١ .

من المواجهات تخللها ثلاث اتفاقيات صلح ، فما أسباب تلك المواجهات والحروب بين البلدين ؟

لم يتطرق المؤرخون لتلك الأسباب . ومن خلال مطالعتي للأحداث بين البلدين في المصادر التاريخية رجحت أربعة أسباب ، تختفي وراء كل منها دواعي المواجهات بين البلدين وهي :

أ - مهاجمة حريملاء لبلدتي القرينة وملهم عام ١٠٩٥هـ والتابعتان للعيينة في تلك الفترة ، دفع ذلك الهجوم ابن معمر للرد بمهاجمة حريملاء ، وبدأت سلسلة من المواجهات بين البلدين .

ب - في عام ١٠٩٥هـ أي العام نفسه الذي هاجمت فيه حريملاء بلدتي ملهم والقرينة ، هاجمت كذلك بلدة ثرمداء رداً على هجوم الأخيرة عليها عام ١٠٨٩هـ[1] ، ثم قيام أهل ثرمداء عام ١٠٩٥هـ بقتل بعض رجال حريملاء الذين يخرجون للصحراء لعضد الأعشاب وجلبها للبلد [2] . ولا أستبعد قيام أمير العيينة بمساعدة ثرمداء وذلك بمهاجمته حريملاء في العام نفسه .

جـ - ثالث أسباب المواجهات بين البلدين من وجهة نظري هو الخلاف حول حدود البلدين نظراً لقرب حريملاء من مناطق وبلدان تابعة للعيينة مثل سدوس وملهم والقرينة ، فمع تداخل الحدود تنشأ الخلافات وخصوصاً حول مناطق الرعي ، واستثمار الغابات الصحراوية التي تُعَدُّ مصدر الطاقة الرئيسي في ذلك الزمان ، مما يؤدي إلى اعتداء الرعاة أو من يقومون بالاحتطاب على مناطق غير تابعة لبلدهم ، فتنشأ النزاعات والحروب ، لا سيما وأن حريملاء كانت ملكاً لابن معمر ، فتظهر وتبرز خلافات حول تحديد مساحة وحدود الملك المباع ، إذ يجتهد كل طرف في تحديد مناطق نفوذه .

د - كان هناك اتفاق بين ابن معمر وعلي بن سليمان عند شرائه لحريملاء على أن يدفع أهلها لابن معمر زكاة محاصيلهم الزراعية ، وربما أن أهل حريملاء منعوا الزكاة عن العيينة مما أدى إلى المواجهات والحروب بينهما .

---

(١) ابن ربيعة ، ص ٧٠ ؛ ابن بشر ، ذكر أن الحادثة وقعت عام ١٠٨٨هـ ، جـ٢ ، ص ٣٣٤ .
(٢) ابن ربيعة ، ص ٧٠ ؛ الفاخري ، ص ٨٩ .

وقد أشار الشيخ عبد الله الراشد إلى ذلك بقوله : « عندما جاء أجدادي (يقصد استقرارهم في حريملاء بعد شرائها) ، قالوا لابن معمر : نحن نسقي من الآبار لقاء الزكاة فقط دون الغروبية أي نسبة الربع ، ثم أضاف قائلا : إن أجداده قالوا لابن معمر إنهم سيعطونه إضافة للزكاة قيمة الآبار والأرض . . . » (١) .

ويمكن إجمال الحوادث التاريخية بين البلدين في الآتي : في عام ١٠٩٥هـ بدأت أولى المواجهات الحربية بين العيينة وحريملاء ، قال ابن ربيعة : « وهي أول سنة حرب ابن معمر لأهل حريملاء» (٢) . ويفهم من مقولة ابن ربيعة السابقة أن ابن معمر هو البادئ بالحرب ، فما هي الأسباب والنتائج لهذه الحرب ؟

في اعتقادي أن أسبابها لا تخرج عن الأسباب الأربعة التي ذكرتها آنفاً مع ترجيح السببين الأوليين ، أما النتائج فلم تفدنا المصادر التاريخية التي بين أيدينا عن أية نتائج لهذه الموقعة .

موقعة الكمين (*) الأول أو « المحيرس » :

في عام ١٠٩٦هـ وهو العام الذي تولى فيه (عبد الله بن محمد بن معمر) إمارة العيينة ، بدأ عهده بهجوم قوي على حريملاء فقاد غزواً من أهل العيينة وقراها ، وانضم إليه (محمد بن مقرن) أمير الدرعية على رأس قوة من أهل بلده .

سار ابن معمر وعند اقترابه من حريملاء قسم الغزو إلى قسمين : الأول وهو الأقل عدداً هاجم به البلدة ، وذلك لاستدراج أهلها إلى خارج السور . والقسم الآخر كمن في مكان قريب منها ونجحت الخطة العسكرية وتحقق الهدف فاستدرج غزو العيينة أهل البلد إلى خارج أسوارها والتحم الفريقان مقابل باب البلدة المعروف بالمحيرس عندها خرج عليهم الكمين فانهزموا وقتل منهم ثلاثون رجلاً ، وهو عدد كبير يعادل تقريباً ١٠٪ من عدد الرجال في البلدة ، وتعرف هذه الموقعة بموقعة الكمين الأول أو «المحيرس» (٣) .

(١) جريدة الجزيرة ، مصدر سابق ، ص ٢ ، العدد ٦٢٣١ في ٢١/ ٣/ ١٤١٠هـ .

(٢) ابن ربيعة ، ص ٧٢ .

(*) الكمين : هو تقسيم الجيش إلى قسمين أو أكثر ، ويبدأ بظهور مفاجئ أمام الخصم أو أمام أسوار البلدة المهاجمة ، ووضع القسم الأكبر من الجيش غير بعيد ، لإحداث عنصر المفاجأة الحاسم عند الالتحام بين الطرفين .

(٣) ابن بشر ، جـ٢ ، ص ٣٣٨ ، الفاخري ، ص ٨٠ ؛ ابن ربيعه ، ص ٧٣ .

بعد خسارة حريملاء لهذه الموقعة ، وفي العام نفسه هاجموا بلدة القرينة القريبة منهم وهي إحدى البلدان التابعة للعيينة بدافع الانتقام ، وأخذوا ما فيها ثم هدموها[(١)] .

موقعة الكمين الثاني :

لم يكن رد ابن معمر سريعاً على حريملاء بعد وصول أخبار سقوط القرينة وتخريبها على أيديهم لانشغال العيينة بسلسلة من الأحداث استمرت طيلة عام ١٠٩٧هـ وفترة من عام ١٠٩٨هـ ، كانت أولاها مهاجمة ابن معمر لبلدة العمارية وضمها للعيينة[(٢)] ، ثم التحم بقواته مع قبيلة سبيع في معركة خرج غزو العيينة منها منتصراً[(٣)] .

وبعد انتهاء العمليات العسكرية الناجحة للعيينة بنهاية عام ١٠٩٧هـ فجعت العيينة بوفاة (محمد بن معمر) والد أميرها (عبد الله بن محمد) عام ١٠٩٨هـ ، وفي العام نفسه شن ابن معمر هجوماً قوياً على حريملاء ، فرتب لها كميناً كما فعل عام ١٠٩٦هـ وكانت نتيجة المعركة مقتل عدد من أهل حريملاء ، وانتصار العيينة في معركة عرفت بالكمين الثاني[(٤)] ، وقد شنها ابن معمر - في اعتقادي - انتقاماً لمهاجمة حريملاء للقرينة عام ١٠٩٦هـ .

وفي العام نفسه الذي خسرت فيه حريملاء موقعة الكمين الثاني بذلت جهوداً فاستعانت بقوى نجدية فالتقت أهداف حريملاء مع الدرعية ، والتي جرى بينها وبين العيينة مواجهات عام ١٠٩٨هـ وانضمت لهما الخرج .

حشدت هذه البلدان الثلاثة قواتها وهاجمت بلد سدوس أحد قرى العيينة وهدموا قصره وخربوه[(٥)] .

---

(١) ابن بشر ، جـ٢ ، ص ٣٣٩ ؛ المنقور ، ص ٦٠ .
(٢) ابن بشر ، جـ٢ ، ص ٣٤٠ .
(٣) المنقور ، ص ٦٢ .
(٤) ابن بشر ، جـ٢ ، ص ٣٤٠ ؛ الفاخري ، ص ٨٠ ؛ المنقور ، ص ٦٢ ؛ ابن ربيعه ، ص٧٣ .
(٥) ابن بشر ، جـ٢ ، ص ٣٤٠ ؛ الفاخري ، ص ٨١ ؛ ابن ربيعه ، ص ٧٤ .

الصلح الأول بين العيينة وحريملاء:

بعد المواقع السابقة بين البلدين بذلت مساع حثيثة انتهت بإعلان الصلح بينهما عام ١٠٩٩هـ[١] . واستمر هذا الصلح ٢٢ عاماً ، عمرت خلاله بلد القرينة عام ١١٠١هـ[٢] ، عمرها ابن صقيه بعد خمس سنوات من تخريبها ، ويظهر أنه اتفق مع العيينة على ذلك إذ سنرى فيما بعد ما يشير إلى أنها تابعة للعيينة .

وبعد ١٤ عاماً من ذلك ـــ وبالتحديد في عام ١١١٥هـــ أخذ أمير العيينة زرعها ونخيلها وتمورها ، وكذلك زرع ملهم البلد المجاور[٣] . إلا أنـه رد نخل وتمر القرينة[٤] . فما هي أسباب هذا الإجراء ؟

في اعتقادي أن اتفاقاً جرى بين أمير العيينة ومن يقومون بزراعة البلدتين يقضي بأن يدفعوا نسبة من محصولهما له ، بالإضافة للزكاة . وربما أنهم تأخروا عن ذلك ، مما حدا بابن معمر أن يأخذ ما يخصه من زروعهم ، بالإضافة لنخل وتمر القرينة الذي أعتقد أن سبب أخذه هو تنكيل بأهلها ، أو أنه أراد أن يدفعه لغيرهم ليقوموا برعايته مع الانتظام في تزويد العيينة بما يخصها منه ، وبعد أن تكفل أهل النخيل بالمواظبة على دفع ما اتفقوا عليه مع العيينة قام برده لهم .

انهيار الصلح الأول وعودة المواجهة بين البلدين:

انهار الصلح بين البلدين عام ١١٢١هـ بعد أن صمد قريباً من ٢٢ عاماً ، ولم يُذكر سبب لذلك . إلا أنني أعتقد أن سببه مهاجمة أهل حريملاء لقبيلة سبيع بالقرب من سدوس عام ١١١٦هـ[٥] ، ثم مهاجمتهم هم والبجادي أمير اليمامة سبيع مرة أخرى على وادي عيثران عام ١١١٨هـ[٦] .

اعتبر ابن معمر مهاجمة حريملاء لسبيع في هاتين الحادثتين نقضاً للصلح ؛ ذلك أن بعضاً من قبيلة سبيع في تلك الفترة كانوا على علاقة طيبة بأمير العيينة ،

---

(١) ابن ربيعة ، ص ٧٥ .
(٢) الفاخري ، ص ٨٤ ؛ ابن ربيعة ، ص ٧٧ ؛ ابن بشر ، جـ٢ ، ص ٣٤٤ .
(٣) ابن بشر ، جـ٢ ، ص ٣٥٣ ؛ الفاخري ، ص ٩١ ؛ ابن ربيعة ، ص ٨٢ .
(٤) المنقور ، ص ٧٩ الذي ذكر أن الحادثة عام ١١١٦هـ .
(٥) ابن ربيعة ، ص ٨٢ ؛ الفاخري ، ص ٩١ .
(٦) ابن بشر ، جـ٢ ، ص ٣٥٥ .

وهو ما عبر عنه ابن ربيعه في قوله : «نازل ابن معمر وسبعانة وأهل العارض حريملاء» [١] .

كان أمير العيينة في تلك الفترة مشغولاً بترتيب وضع سكان العيينة الذين فقد أغلبهم منازلهم بعد سيول جارفة تعرضت لها البلد عام ١١١٦هـ [٢] . بالإضافة لما يتبع ذلك من تهدم بعض تحصينات البلدة ومنافعها ، وضرورة الإشراف على إصلاح تلك الأضرار ، ثم انشغل كذلك بمواجهة بلدة ثادق في العام نفسه ، وما ترتب على ذلك من مواجهة مع قبيلة عنزة أثناء حصاره في بلدة البير . وأخيراً تأمينه الحماية لقافلة الحج الأحسائية التي نزلت العيينة عام ١١٢٠هـ [٣] .

بعد انتهاء هذه الأحداث وفي عام ١١٢١هـ حشد ابن معمر جيشاً من أهل العيينة وانضم إليه أهل العارض وبعض قبيلة سبيع صاحبة الثأر ، واتجه الجيش إلى بلدة حريملاء وحاصرها ، ثم وقع بينهم قتال لم يسفر عن نتائج حاسمة ، ورحل ابن معمر بقواته دون تحقيق مكاسب مادية [٤] . وقد رد أهل حريملاء على هذا الهجوم بمهاجمة بلدة ملهم عام ١١٢٣هـ وأخذوها عنوة [٥] .

وحسب اعتقادي أن سبب تأخرهم في مهاجمتها إلى هذه السنة هو تلف محصول ملهم الزراعي عام ١١٢٢هـ بسبب البَرَدَ [٦] . فأجل أهل حريملاء الانتقام إلى العام الذي يليه .

وتابع أمير العيينة (عبد الله بن معمر) هجومه على حريملاء عام ١١٢٨هـ وهو الهجوم الرابع له منذ توليه الإمارة عليها ، وقتل عدداً من أهلها [٥] . ثم هاجمها عام ١١٣٠هـ وأخذ أغنام أهل البلد ففزعوا لرد أغنامهم والتحموا مع جيش العيينة في معركة خرجوا منها خاسرين عشرة من رجالهم [٧] .

وبعد ذلك بعامين بيّتَ أهل حريملاء ابن معمر ، ولم يزد ابن ربيعه [٨] الذي أورد الخبر على ذلك ، ومعنى ذلك أنهم هاجموا غزوه ليلاً .

---

(١) ابن ربيعه ، ص ٨٤ .
(٢) ابن بشر ، جـ٢ ، ص ٣٥٤ ؛ الفاخري ، ص ٩٢ .
(٣) ابن ربيعه ، ص ٨٣ .
(٤) ابن بشر ، جـ٢ ، ص ٣٥٨ ؛ ابن ربيعه ، ص ٨٤ .
(٥) الفاخري ، ص ٩٤ ؛ ابن بشر ، جـ٢ ، ص ٣٥٩ ؛ ابن ربيعه ، ص ٨٤ .
(٦) ابن ربيعه ، ص ٨٤ ؛ الفاخري ، ص ٩٣ ؛ ابن بشر ، جـ٢ ، ص ٣٥٨ .
(٧) ابن بشر ، جـ٢ ، ص ٣٦٢ .
(٨) ابن ربيعه ، ص ٨٥ ، ٨٦ .

الصلح الثاني بين البلدين :

في عام ١١٣٤هـ[1] تم الصلح الثاني بين العيينة وحريملاء ، وتوقفت الأعمال الحربية بين البلدين ، وخلال مدة الصلح الذي التزم به الجميع عشر سنوات فقدت العيينة اثنين من أمرائها هما (عبد اللّه بن معمر) ، الذي توفي عام ١١٣٨هـ ، وحفيده محمد بن حمد بن عبد اللّه الذي خلف جده على إمارتها منذ ذلك العام حتى مقتله عام ١١٤٢هـ ، وخلف الأمير محمداً على إمارة العيينة أخوه الأمير عثمان بن حمد بن معمر الذي انتقل في عهده الشيخ محمد بن عبد الوهاب من حريملاء للعيينة .

نقض الصلح الثاني :

في السنة الثانية لتولي الأمير عثمان في العيينة ــ وذلك عام ١١٤٣هـ ــ انهار الصلح الثاني بين البلدين نتيجة خلاف بين الأمير (عثمان بن معمر) وأهالي حريملاء .

ولعل فقدان العيينة للأمير (عبد اللّه بن معمر) في الوباء المشهور الذي أفنى غالب رجال العيينة عام ١١٣٨هـ وأدّى إلى إضعافها ، ومحاولة بعض البلدان والبوادي مهاجمتها والاستيلاء عليها ، فربما يكون ذلك قد ساعد حريملاء على محاولة التخلص أو تعديل بعض بنود الصلح الثاني الذي لا يرضيها مع العيينة ، الأمر الذي استدعى إجراء مفاوضات بين البلدين في العيينة أو أن عثمان أراد أن يضيف شروطاً لا يرضونها .

عند وصول المفاوضات لطريق مسدود اضطر أمير العيينة لمصادرة إبل أهل حريملاء ، عندها هاجم أهل حريملاء القرينة واستولوا عليها انتقاماً من أمير العيينة بسبب أخذه إبلهم ، ومما يعزز ما ذهبت إليه من تبعية القرينة للعيينة قول ابن بشر : «ثم عَدَوا أهل حريملاء على القرينة وأخذوها مكافأة له على ذلك» [2] .

ولم تذكر المصادر التاريخية مواجهة بين البلدين بعد الحادثة التي أدت لانهيار الصلح ، ولكن يبدو أنهما كانا في حالة حرب ، إذ بعد انهيار الصلح بسبعة عشر

(١) الفاخري ، ص ٩٧ .
(٢) ابن بشر ، جـ ٢ ، ص ٣٧٣ .

عاماً وظهور الدعوة الإصلاحية في نجد ومشاركة العيينة وحريملاء في حروب الدعوة ضد خصومها . وفي عام ١١٦٠هـ وبعد موقعة «دلـقة» التي شاركت فيها قوات من العيينة والدرعية وحريملاء ، وأثناء مرور أهل حريملاء بالعيينة في طريقهم لبلدهم بعد عودتهم من المعركة المذكورة ــ تم الصلح الثالث وذلك في العام نفسه ، إذ اتفق أمير العيينة عثمان بن معمر وأمير حريملاء محمد بن مبارك على العهد والميثاق على الإخاء والمصافاة والاتفاق ، [١] ، وكان هذا الصلح خيراً على الدعوة الإصلاحية حيث اتحدت قوات العيينة وحريملاء والدرعية والجميع تحت قيادة الأمير عثمان بن معمر ، وخاضت عدة معارك ضد خصوم الدعوة ، منها موقعة البنية والخريزة والبطين ، وغزوة ثرمداء الثانية في عام ١١٦١هـ [٢] .

وفي عام ١١٦٥هـ نقض بعض أهل حريملاء ومعهم قاضيها سليمان ابن عبدالوهاب أخو الشيخ محمد ، عهدهم للدرعية وأخرجوا أميرهم محمد ابن مبارك ثم قتلوه في شهر شوال من السنة نفسها ، وأرسل أهل حريملاء لأمير العيينة مشاري بن إبراهيم بن معمر أن ينضم إليهم في العصيان على الدرعية ولكنه رفض ، وذلك أوائل عام ١١٦٦هـ ، ثم هاجم أهل حريملاء الدرعية ، بعدها شنت الدرعية عليهم عدة هجمات [٣] . ويظهر أن العيينة التزمت الحياد في تلك المواجهات .

هذا كل ما وجدته من أحداث بين البلدين . وإن كان لي من كلمة تعليقاً على هذه الأحداث ، فإن حريملاء بعد خمسين عاماً من نشأتها استطاعت أن تفرض نفسها على خريطة الأحداث في نجد ، وخاضت عدة معارك كان جلها مع البلد الأم العيينة ، وعددهن يقارب ثماني وقعات خسرت حريملاء أكثرها وذلك خلال ٦٥ عاماً ، تخللتها ثلاث معاهدات صلح ، ودفن البلدان بعدها خلافاتهما .

---

(١) ابن بشر ، جـ١ ، ص٥٥ .
(٢) ابن بشر ، جـ٢ ، ص ٣٧٣ .
(٣) ابن غنام ، نسخة أبابطين ، جـ٢ ، ص ١٧ ، ١٩ ؛ ابن بشر ، جـ١ ، ص ٦٥-٦٦ .

٤ - العلاقة بين العيينة والدرعية :

تتفق المصادر التاريخية على أن الأسرتين الحاكمتين في العيينة والدرعية استوطنوهما في عام واحد وبالتحديد عام ٨٥٠هـ (١) .

فاقت العيينة جارتها الدرعية بالقوة والعمران حتى أصبحت المدينة الأولى في نجد وتربعت على ذلك المركز إلى العقد السابع من القرن الثاني عشر الهجري . ثم فقدت العيينة منزلتها تلك لتحتله الدرعية بقوة وتفوّق ، وأصبحت العاصمة الأولى لنجد ، ثم لأغلب أجزاء الجزيرة العربية ، لفترة امتدت قريباً من ثمانين عاماً عاشت خلالها البلدان التي تحت نفوذها أكثر رخاءً وأمناً .

وأول إشارة للعلاقة بين البلدين هي لجوء أمير الدرعية ربيعة بن مانع لأمير العيينة (حمد بن حسن بن طوق) بعدما اختلف ربيعه مع ابنه موسى على السلطة ، حيث استولى موسى على الحكم وحاول قتل أبيه وجرحه عدة جراحات ، فانتقل الأب للعيينة فأكرمه وأجاره أميرها حمد بن حسن بن طوق (٢) .

بعد ذلك أغفلت المصادر التاريخية ذكر أية حادثة تجمع البلدين طيلة قرنين من الزمن ، أعتقد أن العلاقة بينهما خلالها كانت جيدة .

ثم أشارت المصادر التاريخية عن مشاركة (محمد بن مقرن) ، أمير الدرعية بقواته مع أمير العيينة (عبد الله بن محمد بن معمر) أثناء مهاجمته لحريملاء في الموقعة المعروفة بالكمين الأول أو المحيرس عام ١٠٩٦هـ (٣) .

وسرعان ما انتكست العلاقة بينهما عام ١٠٩٨هـ حين بدأت المواجهات العسكرية بينهما(٤) بعد استيلاء (عبد الله بن معمر) أمير العيينة على بلدة العمارية قبل ذلك بعام .

---

(١) ابن بشر ، جـ٢ ، ص ٢٩٦ ؛ الفاخري ، ص ٦٠ .
(٢) ابن بشر ، جـ٢ ، ص ١٤ .
(٣) نفس المصدر ، جـ٢ ، ص ٣٣٨ . وقد ذكر أن الذي شارك هو سعود بن محمد ، والصواب أنه والده محمد بن مقرن ، الذي توفي عام ١١٠٦هـ ، ولأن سعود لم يتولَّ في الدرعية إلا بعد عام ١١٢١هـ ، لذا صوبناه عاليه .
(٤) الفاخري ، ص ٨١ ؛ المنقور ، ص ٦٢ .

ويظهر أن أمير العيينة أراد توسيع مناطق نفوذه بضم المزيد من البلدان بعد نجاحه في ضم العمارية للعيينة ، فاتجه صوب الدرعية ودارت المعارك والحروب بين البلدين ، لم توضح لنا المصادر التاريخية التي بين أيدينا معلومات كافية عنها .

ثم لم تجد الدرعية بدآ من البحث عن حليف يقف معها في وجه رغبة أمير العيينة التوسع وتكوين إمارة تشمل أغلب بلدان العارض ، فالتقت رغبة الدرعية مع حريملاء والخرج لوقف زحف ابن معمر ومواجهته ، وكون هذا التحالف الثلاثي جيشاً اشترك فيه أهل الدرعية بقيادة (محمد بن مقرن) وهاجم الجميع بلد سدوس إحدى قرى العيينة وهدموا قصره وخربوه [(١)] .

ثم اختفت أية إشارة للعلاقة بين البلدين مدة تقارب عشرين عاماً . وفي عام ١١٢١هـ هاجم أمير العيينة بغزو من أهل بلده وأهل العارض وبعضاً من قبيلة سبيع بلدة حريملاء [(٢)] . وبعد ذلك بخمس سنوات شارك أهل العارض مع عبد اللّه بن معمر أمير العيينة في هجوم على بلدة اليمامة عام ١١٢٦هـ ، شارك فيه سعدون بن محمد آل غرير رئيس الأحساء [(٣)] . وتعتبر الدرعية من أهم بلدان العارض ، ولا أستبعد مشاركتها مع أمير العيينة في المعركتين المذكورتين ضد حريملاء واليمامة ، وكان أمير الدرعية في تلك الفترة هو موسى بن ربيعة ابن وطبان ، والذي يظهر أن علاقته بالعيينة جيدة بدليل لجوئه لها واستقراره فيها بعد خلعه عن إمارة الدرعية .

وفي عام ١١٣٥هـ صالح أمير العيينة عبد اللّه بن معمر أهل العارض [(٤)] ، وسبق أن أوضحت أن الدرعية من أهم بلدان العارض ، ويؤكد هذا الصلح أنه كانت بينهم حالة حرب ، فمتى كانت ؟ وما السبب ؟

في اعتقادي أن حالة الحرب بينهما واصلت اشتعالها بعد عزل أمير الدرعية موسى بن ربيعه ولجوئه للعيينة ، فربما أن العيينة ساعدته في شن هجوم لاستعادة

---

(١) ابن ربيعه ، ص ٧٤ ؛ الفاخري ، ص ٨١ ؛ ابن بشر ، جـ٢ ، ص ٣٤٠ .
(٢) ابن بشر ، جـ٢ ، ص ٣٥٨ .
(٣) نفس المصدر والجزء ، ص ٣٦١ .
(٤) ابن ربيعه ، ص ٨٨ .

إمـارته ، ثم إنهـا ربما ساعـدت رئيس الأحسـاء (سعـدون آل غـرير) الذي هاجم الدرعية عـام ١١٣٢هـ إذ كـان معسكراً بقـواته في روضة عقـرباء وهي من أراضي العيينة[1] ، وأرجح أن جهود العيينة العسكرية ضد الدرعية سواء كانت بمفردها أو بمشاركة طرف آخر في تلك الفترة كانت لمساعدة الأمير موسى .

وعندما اجتاح العيينة الوباء المشهور الذي أفنى أغلب رجالها ، وفقدت فيه أميرها عبد اللّه بن معمر آخر عام ١١٣٨هـ . حشد أمير الدرعية زيد بن مرخان جيشاً من أهل بلده ومن قبيلتي سبيع وآل كثير ، وسار بتلك الجموع وعسكر في روضة عقرباء شمال الجبيلة في مطلع عام ١١٣٩هـ بعد أن انحسر الوباء عن العيينة . كان زيد يطمع في تحقيق جملة أهداف : **أولها** : هو القضاء على إمارة العيينة قبل أن تستعيد قوتها بعد الوباء . **ثانياً** : القضاء على خصمه السياسي (موسى بن ربيعة) أمير الدرعية السابق ، الذي يقيم في العيينة ، والذي يطمح في استعادة إمارته . **ثالثاً** : الاستيلاء على أموال العيينة .

لقد كانت العيينة من الضعف بعد الوباء وقلة في الرجال لم تستطع معها الدخول في معركة غير متكافئة مع قوات زيد . وحتى من يستطيع من رجال العيينة حمل السلاح كان يمر بفترة نقاهة صحية ونفسية لا تساعده على القيام بـواجبـاته العسكرية .

عندها فكر أمير العيينة (محمد بن حمد بن معمر) في التخلص من الغزو بأسلوب حكيم ينقذ به بلده وسمعته فكانت الحيلة هي أنسب وسائل الحرب التي واجه بها خصومه في مثل هذه الظروف التي تمر بها بلده . فقد أرسل الأمير محمد ابن معمر لزيد بن مرخان وقال له : إنك لن تستفيد من نهب البوادي لنا ، وأنا أعطيك ما يرضيك ، وطلب منه أن يأتي للعيينة ليأخذ ما يحلو له من أموالها . انخدع زيد بحيلة أمير العيينة واختار معه من وجهاء وقادة جيشه أربعين رجلاً هم الوفد المصاحب له ، وفيهم (محمد بن سعود) مؤسس الدولة السعودية الأولى فيما بعد ، و(دغيم بن فايز المليحي) وغيرهم . واستقبلهم أمير العيينة وأدخلهم في قصره ، وكان قد رتب فيه عدداً من رجاله يمتازون بإجادة الرمي بالبندق (بواردية)

---

(١) ابن بشر ، جـ٢ ، ص ٣٦٣ .

في مواقع استراتيجية ، وأعطاهم تعليمات محددة أنهم إذا رأوا زيداً يأخذ أهبته للجلوس يعاجلونه بإطلاق النار عليه . وكان التركيز على زيد إذ بقتله يفشل الغزو ، فرموه ببندقين فلم يخطئانه فمات .

تنبه (محمد بن سعود) ومن معه ودخلوا في إحدى غرف القصر وتحصنوا فيها ، ولم ينزلوا منها إلا بأمان الجوهرة بنت (عبد الله بن محمد بن معمر) عمة الأمير محمد بن حمد بن معمر ، التي أمنته وأجارته حتى خرج من العيينة ، وعندما وصل خبر مقتل زيد إلى جيشه في عقرباء انحل عقد ذلك الجيش وتفرق رجاله . فرجع (محمد بن سعود) ومعه المشاركون في ذلك الجيش من أهل الدرعية إلى بلدهم ، وأصبح محمد بن سعود أميراً لها منذ ذلك الحين ، وخسر الأمير محمد ابن معمر صديقه (موسى بن ربيعة)الذي كان ورقة رابحة في يده يضغط بها على الدرعية ، إذ قتل موسى بعيار طائش أثناء مقتل زيد ، كما قتل أيضاً دغيم بن فايز المليحي أحد شيوخ قبيلة سبيع في تلك الحادثة [(١)] . بعدها بخمس سنوات هاجم أمير الدرعية قافلة تجارية للعيينة ، واستولى عليها في عام ١١٤٤هـ [(٢)] .

وكانت هي الشرارة التي اندلعت بسببها المواجهات بين البلدين فأكثر أمير العيينة من مهاجمة الدرعية ، وأرسل السرايا المتابعة عليها [(٣)] . ويظهر أن البلدين قد تصالحا بعد ذلك وتحسنت العلاقة بينهما ، حيث نجد أن بعض أفراد البيت السعودي بدأوا يراسلون الشيخ محمد بن عبدالوهاب أثناء إقامته في العيينة[(٤)] . وأن بعض طلبة العلم بالدرعية قدموا إلى العيينة ليأخذوا العلم عن الشيخ محمد وعن غيره من علمائها .

وبشكل عام كانت علاقة العيينة بالدرعية علاقة حسنة وجيدة ، تخللها خلاف ومواجهات لم تطل ، وكانت العيينة البلد المضياف لبعض أمراء الدرعية عند خلافهم على السلطة ، فقد جاء للعيينة أميران من أمراء الدرعية هما الأمير ربيعة ابن مانع الذي استقر فيها في عهد (حمد بن حسن بن طوق) أواخر القرن التاسع

---

(١) ابن ربيعه ، ص ٨٩ ؛ وابن بشر ، جـ٢ ، ص ٣٦٨ ، ٣٦٩ .
(٢) ابن بشر ، جـ٢ ، ص ٣٧٤ ؛ الفاخري ، ص ١٠٣ .
(٣) المنقور ص ٦٢ ، الفاخري ، ص ٨١ .
(٤) ابن غنام ، جـ١ ، ص ٧٨ ؛ جـ٢ ، ص ١٧٥ ، ٢٦٤ ، ٣٥١ .

تقريباً ، والأمير موسى بن ربيعة بن وطبان وكان قدومه للعيينة بعد عام ١١٢١هـ . واختيارهما للعيينة كان بحكم الصداقة وحسن الجوار ، ثم سمعة وقوة واستقرار العيينة مقارنة ببقية الحواضر النجدية . كما انتقل بعض من أفراد الأسرة المريدية من الدرعية إلى العيينة ، وأبرزهم (محمد بن إبراهيم بن وطبان) الذي سكن العيينة [1] .

٥- العلاقة بين العيينة والعمارية :

تعتبر العمارية من أقرب بلدان وادي حنيفة للعيينة ، وتقع إلى الجنوب من العيينة بمسافة ٢٥ كيلاً في وادٍ واسع يحمل اسمها ، ويعتبر من أكبر روافد وادي حنيفة ، وهي بلدة زراعية قديمة . ولم تظهر فيها إمارة قوية تنافس البلدان القريبة منها أو تجاريها على الأقل .

وأول إشارة تاريخية عن علاقتها بالعيينة كانت بعد عمارة الأخيرة بواحد وأربعين عاماً ، أي عام ٨٩١هـ ، ففيه هاجم أهل العيينة ومعهم قبيلة آل كثير بلدة العمارية ، وكان هدفهم بعضاً من قبيلة سبيع التي كانت قاطنة حول البلدة في فصل الصيف ، حيث وفرة المياه والتمور ، ودارت رحى معركة شديدة بين الطرفين انتهت بهزيمة سبيع [2] .

ولا أستبعد مشاركة بعض أهل العمارية بجانب سبيع في تلك الموقعة ، حيث تربطهم علاقة جيدة ، ثم اختفت أي إشارة للعلاقة بين البلدين في المصادر التاريخية قرابة مائتين وست سنوات ، بعدها قام أمير العيينة (عبدالله بن معمر) عام ١٠٩٧هـ بمهاجمة العمارية في السنة الثانية لحكمه واستولى عليها [3] وضمها للعيينة ، ولم توضح المصادر نفسها الفترة التي ظلت العمارية فيها تابعة للعيينة .

وفي شهر رجب من عام ١١٣٣هـ هاجم (سعدون آل غرير) رئيس الأحساء

---

(١) تحفة المشتاق ، ص ٦ .

(٢) تحفة المشتاق ، ابن بسام ، حوادث عام ٨٩١هـ ، ص ١٥ .

(٣) ابن بشر ، جـ٢ ، ص ٣٤٠ ؛ ابن ربيعه ، ص ٧٣ ؛ المنقور ، ص ٦٢ ويذكرها عام ١٠٩٨هـ .

قبيلة آل كثير وهم في عقرباء ، ثم حاصرهم في العمارية[(١)] . وأرجح مشاركة العيينة في هذه الحادثة سيما وأن سعدون كان معسكراً بقواته في روضة عقرباء التابعة للعيينة ، كما أن ابن معمر صالح أهل العارض عام ١١٣٥هـ[(٢)] . والعمارية من بلدان العارض مما يدل على أنه كان في حالة حرب معها .

لم يصمد الصلح بين البلدين طويلاً إذ جهز (عبد الله بن معمر) أمير العيينة غزواً قوياً وأسند قيادته لابنه إبراهيم ، فاتجه هذا الجيش للعمارية وهاجمها واستولى عليها وذلك في السابع من شهر شعبان عام ١١٣٧هـ . وهي المرة الثانية التي يستولى فيها أمير العيينة على العمارية خلال أربعين عاماً ، ثم اضطر إلى تركها بعد مواجهة مع بوادي آل كثير فيها[(٣)] .

٦- العلاقة بين العيينة وعرقة :

عرقة من بلدان وادي حنيفة ، وهي بلد زراعي ، وفي الوقت الحاضر ارتبطت عمرانياً بمدينة الرياض .

لم تكن عرقة من البلدان ذات التأثير الواضح في وادي حنيفة ، ومع ذلك فقد سجلت المصادر التاريخية بعض الحوادث عنها ، منها مهاجمة (عبد الله بن معمر) آل عساف من آل كثير حول عرقة عام ١٠٩٧هـ[(٤)] . ويظهر أنهم كانوا يحاصرونها ، مما يرجح القول بحسن العلاقة بين العيينة وعرقة في ذلك العام ، وبعد حوالي ٤٠ عاماً هاجم (عبد اللّه بن معمر) عرقة واستولى عليها عام ١١٣٦هـ[(٥)] .

٧- العلاقة بين العيينة واليمامة :

اليمامة أحد بلدان الخرج ولها مشاركة في بعض الحوادث الواقعة قرب

---

(١) الفاخري ، ص ٩٧ ؛ ابن ربيعه ، ص ٨٦ الذي ذكر أن سعدون حاصر آل نبهان وهم من آل كثير .

(٢) الفاخري ، ص ٩٨ .

(٣) ابن بشر ، جـ٢ ، ص ٣٦٧ ؛ ابن ربيعه ، ص ٨٩ .

(٤) ابن ربيعه ، ص ٧٣ . تحفة المشتاق ، حوادث عام ١٠٩٧هـ .

(٥) ابن ربيعه ، ص ٨٨ .

العيينة ، ففي عام ١١١٨هـ اشترك أمير اليمامة مع أهل حريملاء في مهاجمة قسم من قبيلة سبيع على وادي عبيثران [١] . وكانت قبيلة سبيع في تلك الفترة على علاقة حسنة مع العيينة .

وخلال الفترة من عام ١١١٨هـ وحتى عام ١١٢٥هـ كانت العيينة مشغولة بعدد من الأحداث .

وفي عام ١١٢٦هـ التقت مصلحة العيينة والأحساء في مهاجمة اليمامة ، فكان ذلك حيث حاصروا اليمامة وحصلوا على بعض الغنائم ، ثم أحكموا الحصار عليها إلى أن لجأ أميرها البجادي إلى طلب الصلح ، وأهداهم أربعاً من الخيل الأصايل [٢] . فكان الصلح بينهما بعد أن سقط عدد من القتلى من الفريقين .

رابعاً - العلاقة بين العيينة وبعض البوادي :

من المعروف أن قبائل البادية تنتقل من مكان لآخر طلباً للماء والكلأ ، ويستقرون حول القرى في فصل الصيف حيث وفرة الماء والغذاء . وحينما تقسو عليهم الظروف بجدب أو مرض يصيب مواشيهم بالهزال أو النفوق أو رغبة في زيادة رأس المال أو بدافع الانتقام أو السيطرة على المراعي والمناهل تقوم بينهم الحروب الطاحنة . أما مواجهاتهم مع الحواضر فتعتمد غالباً على أسلوب الغارات على القوافل التجارية أو قوافل الحج أو على إبل وأغنام أهل الحواضر وهي في مراعيها ، وحينما يصل خبر هذه الغارات لأهل الحواضر يخفّون مسرعين لتعقب المهاجمين ، ويدخلون معهم في مواجهة تسفر في الغالب عن انتصار لأحد الطرفين .

إن العلاقة بين الحواضر والبوادي لا تخرج عن نطاق المصلحة فكل يسعى لمصلحته ، وأحياناً تجمعهم المصلحة لتحقيق هدف مشترك والتبادل التجاري بينهم وبين الحواضر أحد أركان هذه العلاقة ، إن موقع العيينة وسط الجزيرة العربية وقوتها السياسية والاقتصادية والعسكرية ووجودها على طرق مشهورة تربط شمال

---

(١) ابن ربيعه ، ص ٨٢ ؛ ابن بشر ، جـ٢ ، ص ٣٥٥ .

(٢) تحفة المشتاق ، حوادث عام ١١٢٦هـ .

الجزيرة بجنوبها وشرقها بغربها ، وما يحيط بها من مراع جيدة كل هذه الأسباب فرضت عليها حتمية العلاقة بينها وبين بعض القبائل التي تجوب المنطقة ، وسأشير إلى ما وجدته من علاقة بين العيينة وهذه البوادي في المصادر التاريخية :

١- علاقة العيينة بقبيلة سبيع العارض:

بعد أربعين عاماً من إنشاء العيينة ، وبالتحديد في عام ٨٩١هـ ، سجلت المصادر التاريخية أول حادثة مواجهة بين العيينة ومقاتلي قبيلة سبيع ، الذين هاجموا مراعي العيينة وأخذوا أغنامها . فلما جاء وقت الصيف نزلت سبيع بالقرب من بلدة العمارية وطلب أهل العيينة من آل كثير مساندتهم ، وهاجم الجميع سبيعًا على العمارية ، وحصلت بينهم مواجهة وقتال شديد أسفرت تلك المواجهة عن هزيمة سبيع التي اضطرت إلى ترك مضاربها وأغنامها فغنمها أهل العيينة هم وآل كثير ، وقتل من سبيع عدة رجال منهم (جاسر المليحي) (١) .

وبعد خمس سنوات من الحادثة الأولى وفي عام ٨٩٦هـ أغارت سبيع على مراعي العيينة وأخذوا أغنام أهلها ، ثم هاجمت مراعيها مرة أخرى وأخذت إبلاً لأهل العيينة (٢) .

وفي عام ٩٠٥هـ كررت سبيع الغارة على مراعي العيينة وأخذوا إبلها ، ثم أغارت مرة ثانية وأخذت أغنام أهل العيينة ، ولما وصل خبر الغارة الثانية لأهل العيينة هبوا مسرعين ولحقوا بالمغيرين والتحموا معهم في معركة أسفرت عن مقتل خمسة رجال من سبيع ، وأصيب من أهل العيينة ثلاثة رجال ، واسترد أهل العيينة أغنامهم ، وعقروا سبعاً من ركائب سبيع (٣) . وبعد هذه الموقعة بست سنوات عام ٩١١هـ أغارت سبيع على مراعي العيينة وأخذوا أغنامها فوصل خبر تلك الغارة للعيينة متأخراً . فتجهز أهل العيينة وحاولوا اللحاق بهم ولكنهم لم يدركوهم (٤) .

---

(١) تحفة المشتاق ، حوادث عام ٨٩١هـ .
(٢) تحفة المشتاق ، حوادث عام ٨٩٦هـ .
(٣) المصدر نفسه ، حوادث عام ٩٠٥هـ .
(٤) المصدر نفسه ، حوادث عام ٩١١هـ .

ثم اختفت أية إشارة لعلاقة العيينة وسبيع لمدة ٨٥ عاماً وفي عام ٩٩٦هـ تابعت سبيع غارتها على مراعي العيينة وأخذت أغنامها ، فلما وصل خبر الغارة للعيينة فزع أهل العيينة ، ولحقوا بسبيع في وادي لبن وحصل بينهم رمي بالبنادق من بعيد ، وكان (مليح) فخذ من سبيع نازلين بإبلهم في لبن فهبوا لمساعدة قومهم ، وعندما شاهد أهل العيينة المدد من مليح عادوا راجعين وسبيع في أثرهم . ثم صار بواردية العيينة يحمون قومهم ويغطون ذلك التراجع بالأسلحة النارية ، ثم رتبوا جموعهم والتحموا في معركة شديدة ، أسفرت عن مقتل عدة رجال أكثرهم من سبيع ثم تراجعت سبيع عن مطاردة أهل العيينة ، ومن مشاهير قتلى سبيع في تلك الموقعة شيخ مليح (دهيمان بن سعيد) وثواب بن خالد العريني [(١)] .

وبعد ذلك بعام قام أهل العيينة ومعهم آل حسن من الدواسر بهجوم على الأعزة من سبيع وهم على منهل الغزيز غرب العيينة بحوالي ٧٠ كيلا ، وأسفر ذلك الهجوم عن انتصار العيينة والدواسر وقتلوا من سبيع عدة رجال وأخذوا ما معهم [(٢)] .

رد الأعزة من سبيع على غارة عام ٩٩٧هـ بغارة عام ١٠٠٨هـ على مراعي العيينة وأخذوا أغنامها ، وقابلوا مصادفة ثلاثة رجال من أهل العيينة فقتلوهم ، وعندما وصل الخبر إلى العيينة لحقوا الأعزة والتحموا معهم في معركة قتل فيها من أهل العيينة رجل واحد وأصيب خمسة ، وقتل من سبيع ثلاثة وأصيب عدة رجال ، وانهزمت سبيع واسترد أهل العيينة أغنامهم [(٣)] .

وفي عام ١٠٠٩هـ عقدت مصالحة بين أهل العيينة وسبيع ، وتكافلوا على ألا يعتدي أحد منهم على أحد [(٤)] . وهكذا أنهت هذه المصالحة ١١٨ عاماً من المواجهات المتقطعة بين أهل العيينة وسبيع العارض .

وخلال استعراضنا للحوادث السابقة نجد أن السبب الرئيسي لتلك المواجهات

---

(١) المصدر نفسه ، حوادث عام ٩٩٦هـ .
(٢) المصدر نفسه ، حوادث عام ٩٩٧هـ .
(٣) تحفة المشتاق ، حوادث عام ١٠٠٨هـ .
(٤) المصدر نفسه ، حوادث عام ١٠٠٩هـ .

هو نهب سبيع أغنام أهل العيينة أو إبلها ، وعادة ما تكون هذه الإبل أو الأغنام في مراعيها بعيدة عن البلدة ؛ إذ بمجرد وصول خبر الإغارة للعيينة يخف أهل البلد مسرعين للدخول في معركة مع المغيرين لإعادة المنهوبات ، هذا إذا تمكنوا من اللحاق بهم ، وعندما لا يتمكنون من ذلك يهاجمونهم في أماكن تواجدهم .

والنهب بالنسبة للبوادي في تلك العصور كان يعد من أهم مصادر دخل الفرد أو القبيلة ، ويعتبر هذا العمل بالنسبة لهم مصدر فخر واعتزاز ، كما أن إعادة تلك المنهوبات من قبل أهل البلد يعتبر مصدر فخر واعتزاز كذلك ، ويضفي هيبة على تلك البلدة . ومهما يكن من أمر فإن صلح عام ١٠٠٩هـ أنهى الحوادث الدامية بين العيينة وسبيع . وبعد هذا الصلح بتسعين عاماً ، وفي عام ١٠٩٨هـ أغار عبد الله ابن محمد بن معمر أمير العيينة على سبيع وأخذ ما معهم [(١)] .

ويظهر أن العلاقة قد تحسنت بينهما بعد ذلك العام ، بدليل وجودهم قرب سدوس عام ١١١٦هـ وهو من قرى العيينة ، حيث حصلت مواجهة بينهم وبين أهل حريملاء انتهت بهزيمة سبيع . وفي عام ١١١٨هـ قام أهل حريملاء وأمير اليمامة البجادي بهجوم على سبيع وهم في وادي عبيثران [(٢)] . وبعد ذلك بثلاثة أعوام هاجم عبد الله بن معمر ومعه سبيع وأهل العارض حريملاء وهذا الهجوم رداً على غارتي حريملاء على سبيع عامي ١١١٦هـ و ١١١٨هـ ، قال ابن ربيعة عندما تحدث عن مهاجمة حريملاء ذلك العام : « وهاجم ابن معمر وسبعانه وأهل العارض حريملاء . . »[(٣)] .

وبعد وفاة أمير العيينة (عبد الله بن معمر) عام ١١٣٨هـ وتولى حفيده محمد ابن حمد بن معمر إمارة العيينة انضمت سبيع للجيش الذي حاول مهاجمة العيينة بقيادة أمير الدرعية زيد بن مرخان[(٤)] ولم يحقق ذلك الجيش هدفه [(*)] .

---

(١) المنقور ، ص ٦٢ .

(٢) ابن ربيعه ، ص ٨٢ ؛ الفاخري ، ص ٩١ ؛ ابن بشر ، جـ٢ ، ص ٣٢٥ .

(٣) المصدر نفسه ، ص ٨٤ ؛ ابن بشر ، جـ٢ ، ص ٣٥٨ .

(٤) ابن بشر ، جـ٢ ، ص ٣٦٨-٣٦٩ .

(*) طالع صفحة ٣٠٨ ، ٣٣٩ .

هذه هي الحوادث بين العيينة وسبيع العارض ، والتي اطلعت عليها ووقعت خلال قرنين ونصف .

٢- العلاقة بين العيينة وآل كثير (*):

سنشير عند استعراضنا للعلاقة بين العيينة وآل كثير إلى فرعين من فروع آل كثير هما آل نبهان وآل عساف ، حيث حصلت مواجهات بين كل منهم على حدة وبين العيينة .

أما الأصل (آل كثير) كما ورد في المصادر التاريخية والذي ربما يقصد به أحد هذين الفرعين أو هما مجتمعين ، فكانت علاقته بالعيينة جيدة في بادئ الأمر إذ ساند آل كثير أهل العيينة عام ٨٩١هـ أثناء هجوم أهل العيينة على قبيلة سبيع ، وهم مقيمون على بلد العمارية ، وانتهى هذا الهجوم بانتصار العيينة وآل كثير (١) .

وبعد اثنين وأربعين عاماً وبالتحديد في عام ٩٣٧هـ توترت العلاقة بينهما ، وسجلت أول حادثة بين آل نبهان من آل كثير وأهل العيينة حين هاجم آل نبهان مراعي العيينة وأخذوا أغنامها ، فلحقهم أهل العيينة وأدركوهم غير بعيد في الحيسية وحصل بينهم رمي بالبنادق (**) من بعيد ، فقتل ثنيان بن جاسر شيخ آل نبهان فانهزموا ، واستعاد أهل العيينة أغنامهم (٢) .

وفي عام ٩٥٠هـ أغار أهل العيينة على آل نبهان من آل كثير في روضة عقرباء شمال الجبيلة وانتصروا عليهم ، وغنموا منهم غنائم كثيرة ، وكان هذا الهجوم رداً على غارات شنها آل نبهان على مراعي العيينة (٣) .

(*) آل كثير : قال عنهم الشيخ حمد الجاسر : فرع كبير من فروع قبيلة طيئ ، من بني لام منها ، وكانوا - قديماً - معدودين من الفضول - آل فضل - فانفصلوا عنهم ، جمهرة أنساب الأسر ، جـ٢ ، ص ٦٨٥ .

(١) تحفة المشتاق ، حوادث عام ٨٩١هـ .

(**) هذه أقدم إشارة إلى استخدام أهل العيينة السلاح الناري (البنادق) في القتال .

(٢) ابن ربيعه ، ص ٨٢ ؛ الفاخري ، ص ٩١ ؛ ابن بشر ، جـ٢ ، ص ٣٢٥ .

(٣) المصدر السابق ، حوادث عام ٩٥٠هـ .

بعد هذه الحادثة بخمس سنوات ، وفي عام ٩٥٥هـ ، هاجم آل نبهان من آل كثير مراعي العيينة وأخذوا منها عشرين بعيراً لأهل العيينة ، فطلبهم أهل العيينة ولم يدركوهم ، ثم أغار آل نبهان ثانية على مراعي العيينة وأخذوا أغنامها ، فلحقهم أهل العيينة في الميركه(*) وهزموهم واستنقذوا أغنامهم (١) وعادوا إلى بلدهم ظافرين .

وفي عام ١٠٨١هـ هاجم براك بن غرير آل حميد حاكم الأحساء آل نبهان من آل كثير عند بلد سدوس أحد بلدان العيينة وهزمهم (٢) . ولا أستبعد اشتراك العيينة في موقعة سدوس بجانب قوات الأحساء .

وبعد ذلك بسبعة عشر عاماً ، أي في عام ١٠٩٧هـ هاجم عبد الله بن معمر أمير العيينة آل عساف من آل نبهان قرب بلدة عرقة وهزمهم وأخذ ما معهم (٣) .

وفي عام ١١١٣هـ هاجم أمير العيينة عبد الله بن معمر آل عساف من آل كثير قرب سدوس وهزمهم (٤) .

وفي شهر رجب من عام ١١٣٣هـ هاجم حاكم الأحساء سعدون آل غرير آل كثير في روضة عقرباء ، ثم حاصرهم في العمارية طيلة فصل صيف ذلك العام (٥) . ولا أستبعد مشاركة العيينة لسعدون في مهاجمته لآل كثير ذلك العام .

وفي عام ١١٣٧هـ حصلت مواجهة بين عبد الله بن معمر أمير العيينة وآل كثير في المكان المعروف بالأصيقع ، ولم تكن نتائج المعركة في صالح ابن معمر ، كما حاصر آل كثير إبراهيم بن عبد الله بن معمر في العمارية بعد ذلك (**) .

وفي عام ١١٣٩هـ اشترك آل كثير في الجيش الذي قاده أمير الدرعية بهدف نهب مدينة العيينة ، وكان مصير ذلك الجيش الفشل في مهمته تلك (٦) .

(*) ينظر صفحة ٢٧٦ .

(١) المصدر السابق ، حوادث عام ٩٥٥هـ .

(٢) الفاخري ، ص ٧٥ .

(٣) المصدر نفسه ، ص ٨٠ .

(٤) ابن بشر ، جـ٢ ، ص ٣٥١ ، ابن ربيعه ، ص ٨١ .

(٥) الفاخري ، ص ٩٧ ؛ ابن ربيعه ، ص ٨٦ ، وذكر أن المحصورين هم آل نبهان من آل كثير .

(**) ينظر صفحتي ٣٠٠ ، ٣٠١ .

(٦) ابن بشر ، جـ٢ ، ص ٣٦٨-٣٦٩ .

وفي عام ١١٤٢هـ حصلت موقعة بين أهل العيينة وآل نبهان من آل كثير خسرت العيينة فيها أميرها محمد بن حمد بن عبد الله بن معمر [١] .

هذا عن علاقة آل كثير بالعيينة . وأما عن المواجهة بين العيينة وبعض قبائل البادية الأخرى ففي عام ١٠٥١هـ هاجم آل برجس من الفضول مراعي العيينة وأخذوا أغنامهم ، ولحق بهم غزو العيينة إبان إمارة الأمير حمد بن عبد الله ابن معمر ، ودارت رحى معركة قوية بينهم قتل فيها عدد من الطرفين فانهزم آل برجس ، واستنقذ أهل العيينة أغنامهم ، وتسمى هذه الموقعة بموقعة الظهيرة [٢] .

وأما علاقة العيينة بقبيلة الظفير فكانت علاقة جيدة ، حيث يقيم في العيينة أسر من الظفير منهم الفريد الظفيري الفارس المشهور الذي أرسله أمير العيينة عثمان بن معمر ومعه بعضٌ من فرسان العيينة لحراسة الشيخ محمد ابن عبد الوهاب عند رحيله إلى الدرعية [٣] .

وكانت قبيلة الظفير تقيم بالقرب من العيينة ، وفي عام ١١١٣هـ توفى شيخ قبيلة الظفير سلامة بن سويط ، ودفن ببلدة الجبيلة إحدى قرى العيينة [٤] .

وفي عام ١١٦٣هـ حينما اتسعت شقة الخلاف بين الأمير عثمان بن معمر ، وبعض أهل العيينة المتحمسين للدعوة ، أرسل الأمير عثمان لشيخ الظفير ، وطلب منه الحضور للعيينة[٥] ، مما يعطي مؤشراً قوياً على حسن العلاقة بين الظفير والعيينة .

---

(١) المصدر نفسه ، ص ٣٧٣ .
(٢) تحفة المشتاق ، حوادث عام ١٠٥١هـ .
(٣) ابن بشر ، جـ١ ، ص ٤٠ .
(٤) ابن بشر ، جـ٢ ، ص٣٥٢ .
(٥) المصدر نفسه ، جـ١ ، ص ٦٠ .

بعض علماء العيينة وقضاتها قبل الدعوة الإصلاحية

لقد اهتم سكان الحواضر النجدية بالتعليم من منطلق ديني بحت ، بهدف تعلم القرآن وتعليمه لأبنائهم ، وتعلم بعض العلوم الدينية الأخرى . من هنا انتشرت في أغلب بلدان نجد حلقات التعليم الأولي ، لتعليم الصبية القرآن وعلومه والكتابة والحساب ، ويقوم بالتعليم في الغالب مطوع أهل البلد .

ولم تخل نجد من مراكز علمية كبرى كان لأشيقر والعيينة قصب السبق على البلدان النجدية في التعليم لمراحله الأولية والعليا ، حيث يرحل إليهما طلاب العلم من البلدان الأخرى لتلقيه على علمائها ، والأخذ عنهم ، فكثر طلاب العلم في العيينة ، وأصبحت فيها أكبر المراكز العلمية في البلاد النجدية قبل ظهور الدعوة الإصلاحية ، وقد ذكر ذلك الشيخ عبد اللّه البسام نقلاً عن والده ، وهو من حفظة التاريخ ، كما أشار إلى أنه كان في العيينة أكثر من ثمانين عالماً يدرسون العلم في جوامعها في زمن واحد[١] . ولك أن تتصور كم عدد طلاب العلم إذا كان مدرسوهم من العلماء أكثر من ثمانين عالماً .

وعلماء العيينة فاقوا علماء نجد ، وصارت تضرب لهم آباط الإبل ، ويرجع إليهم في الفتيا والقضاء ويستنار بآرائهم عند الخلاف بين علماء نجد على بعض المسائل الفقهية في تلك الفترة قبل دعوة الشيخ الإصلاحية . لقد ازدحمت العيينة بالعلماء وطلبة العلم ، وانتشرت فيها الكتب الدينية في كافة العلوم الشرعية ، وأصبحت ميسرة لطلاب العلم ومريديه . واحتضن أمراء العيينة تلك الحركة العلمية وأعطوها الكثير من الرعاية والتشجيع والاهتمام ، وأنفقوا النفقات الكبيرة عليها . ولا تعدم إشارات في بعض الشعر العامي لاهتمام أمراء العيينة بالدين وإحيائه بالمساعدة على تعلمه وتعليمه ، فهذا حميدان الشويعر يصف الأمير عبد اللّه بن معمر المتوفى عام ١١٣٨هـ بأنه أحيا من الدين دارسه ، وأن الأمير هو مارث الدين[٢] ، أي أن الدين من ميراثه القديم وهو يورثه لغيره بمعنى أنه ورثه عن سلفه وهو يورثه .

---

(١) علماء نجد ، جـ١ ، ص ١٥ .

(٢) تنظر القصيدة في صفحة (٣٠٤) وما بعدها .

وأعطى ذلك الاهتمام بالعلم والعلماء ثمرته بعدد من العلماء الذين درسوا خارج الجزيرة العربية في الأزهر بمصر ، حيث أفتى العالم الشيخ عثمان بن قائد فيه ودرس وألف[1] ، ثم كان واسطة العقد بين علماء العيينة الشيخ المجدد محمد ابن عبد الوهاب بن مشرف التميمي .

ويمكن اعتبار كل من بدأ دراسته ، أو أكملها ، أو تلقى العلم في أي فن من فنونه على يد علماء العيينة ، يعتبر في عداد علمائها ، وقد مر على نجد فترة كان فيها أغلب علمائها قد تعلموا على يد علماء العيينة ، أو على أحد العلماء الذين تعلموا فيها . وأبرز علماء وقضاة العيينة هم :

١ - الشيخ الجليل شهاب الدين أحمد بن يحيى بن عطوة التميمي :

هو الشيخ الفقيه العالم العلامة أحمد بن يحيى بن عطوة بن زيد من آل رحمة من النواصر من بني عمرو أحد بطون قبيلة تميم .

ولد الشيخ أحمد في مدينة العيينة في النصف الأخير من القرن التاسع الهجري ونشأ فيها وقرأ على علمائها ، ثم رغب في التزود بالعلم فرحل إلى دمشق وعكف على العلم وتحصيله ، فلازم علماء دمشق واطلع على كتب العلماء ، وجد واجتهد حتى مهر في الفقه مهارة تامة وتضلع في العلم ، ولقبه مشائخه وأقرانه بـ (شهاب الدين) ، وأخذ العلم عن جملة من العلماء ، أشهرهم وأجلهم الشيخ العالم شهاب الدين أحمد بن عبد الله العسكري . وحصل كتباً كثيرة وقف الكثير منها على مدرسة أبي عمر في دمشق عند خروجه إلى نجد . فلما بلغ هذا المبلغ الكبير من العلم عاد إلى نجد وسكن بلدة (الجبيلة) من قرى العيينة ، وقد فاق علماء نجد في زمانه ، وصار مرجعهم في حل بعض المشكلات العلمية . وله عدد من التلاميذ صاروا فيما بعد علماء وقضاة ، منهم الشيخ محمد بن مشرف وغيره كثير . وله عدد من المؤلفات منها :

١ - التحفة في الفقه .

٢ - الروضة في الفقه .

٣ - درر الفوائد .

(١) علماء نجد ، جـ ٣ ، ص ٦٨٣ .

٤- منسك في الحج .

٥- فتاوي وتحريرات .

وفاته : توفي رحمه الله ليلة الثلاثاء الثاني من شهر رمضان من عام ٩٤٨هـ ودفن في الجبيلة ضجيع زيد بن الخطاب رضي الله عنه [١] .

٢- الشيخ عبد الله بن عفالق:

هو الشيخ العالم العلامة عبد الله بن عفالق [*] ، ولد في نجد ، وأخذ عن علمائها ، جد في طلب العلم حتى أدركه ، ثم عين قاضياً في مدينة العيينة . وبقي قاضياً ومفتياً لها إلى أن توفي فيها رحمه الله عام ١٠١٩هـ [٢] .

٣- الشيخ أحمد بن محمد البسام:

هو الشيخ أحمد بن محمد بن عبد الله بن بسام بن عساكر بن بسام التميمي .

ولد في بلد أشيقر أحد بلدان الوشم ونشأ فيها ، وأخذ عن علمائها حتى صار من كبار علماء نجد المشار إليهم بالبنان .

ثم انتقل من أشيقر إلى القصب وأصبح قاضياً فيها عام ١٠١٠هـ فلم تطب له فانتقل إلى ملهم بناء على طلب أهلها ، فمكث قاضياً لهم مدة أربع سنوات ، وفي عام ١٠١٥هـ انتقل الشيخ منها إلى العيينة وولي القضاء فيها .

مؤلفاته:

١- رسالة في الفقه .

٢- ثلاثون مسألة فقهية .

٣- نبذة في تاريخ نجد أرخ فيها من عام ١٠١٥هـ إلى عام ١٠٣٩هـ ، ويعتبر أقدم من أرخ لنجد في زمنه ، أخذ عنه عدد من طلاب العلم في أشيقر والقصب وملهم والعيينة ، أشهرهم الشيخ عبد الله بن عبد الوهاب آل مشرف .

---

(١) علماء نجد ، جـ١ ، ص ١٩٩ .

(*) آل عفالق من قحطان .

(٢) علماء نجد ، جـ٢ ، ص ٥٩٧ .

وفاته :

توفي رحمه الله في العيينة عام ١٠٤٠هـ[1] في عهد الأمير حمد بن عبد الله ابن محمد بن معمر المتوفي عام ١٠٥٦هـ .

٤- الشيخ عثمان بن عثمان بن أحمد بن قائد :

هو الشيخ عثمان بن عثمان (أيضاً) بن أحمد بن سعيد - أحد علماء العيينة[*] - ابن عثمان بن قائد من آل سحوب من زعب من بني سُلَيّم .

ولد في العيينة فنشأ بها وقرأ على علمائها وأخذ عنهم ، ثم ارتحل إلى دمشق فأخذ عن علمائها ، ثم رحل إلى مصر وأخذ عن علمائها أيضاً ، حتى مهر مهارة تامة في الفقه وأطلق عليه لقب - المحقق - .

واشتهر أمره في مصر وقصد بالأسئلة ، وأثنى عليه العلماء وجلس فيها للتدريس والإفتاء ، وأخذ عنه عدد من طلاب العلم في نجد والشام ومصر .

مؤلفاته :

١- هداية الراغب في شرح عمدة الطالب .

٢- حاشيته في المنتهى .

٣- مختصر درة الغواص .

٤- شرح البسملة .

٥- رسالة في الرضاع .

٦- نجاة الخلف في اعتقاد السلف .

٧- الإسعاف في إجازة الأوقاف ، رسالة صغيرة ، مخطوطة .

٨- رسالة في القهوة .

٩- ملخص النونية لابن القيم .

١٠- رسالة في «أيّ» المشددة رتبها على ثلاثة فصول وخاتمة .

١١- رسالة في كشف الضوء في معنى لو .

١٢- رسائل ومخطوطات فقهية في مكتبة أوقاف بغداد .

(١) علماء نجد ، جـ١ ، ص ١٨٦-١٨٨ .

(*) أطلعني الأخ راشد العساكر على تملك للشيخ سعيد في القرن الحادي عشر .

وفاته:

توفي الشيخ عثمان في القاهرة مساء الاثنين في الرابع عشر من جمادى الأولى عام ١٠٩٧هـ ، رحمه الله [١] .

٥- الشيخ عبد الله بن عبد الوهاب بن مشرف:

هو الشيخ عبد الله بن عبد الوهاب بن موسى بن مشرف التميمي ، قرأ على علماء نجد ، ثم رحل إلى مصر لطلب العلم فقرأ على علمائها ، ثم عاد إلى نجد بعد أن بلغ مبلغاً كبيراً في العلم ، ثم ولي قضاء العيينة [٢] ، وقضاء العيينة في ذلك الزمن لا يليه الا كبار العلماء ، لأهمية البلاد وكثرة سكانها .

وفاته:

توفي الشيخ عبد الله في السيل بعد قضائه حج عام ١٠٥٦هـ هو وأمير العيينة (حمد بن عبد الله بن معمر) ، رحمهم الله .

٦- الشيخ سليمان بن علي بن مشرف:

هو الإمام العالم العلامة فقيه الديار النجدية الشيخ سليمان بن علي بن محمد ابن أحمد بن راشد بن بريد بن محمد بن بريد بن مشرف الوهبي التميمي [٣] .

ولد في بلد (أشيقر) ونشأ فيها وقرأ على علمائها وبرع ودرس ومهر في الفقه وانتقل من (أشيقر) كى يلي القضاء في (روضة سدير) بناءً على طلب أهلها ، ثم انتقل منها إلى (العيينة) واستوطنها وتولى قضاءها .

اشترك الشيخ مع غزو العيينة الذي خرج لمهاجمة البير بقيادة أمير العيينة (عبد الله بن حمد بن معمر) عام ١٠٧٢هـ . وانتهى أمر تلك الغزوة بالصلح الذي لعب فيه الشيخ سليمان دوراً مهماً ، وأخذ عن الشيخ عدد من طلاب العلم وله أجوبة مفيدة .

---

(١) علماء نجد ، جـ٣ ، ص ٦٨٣-٦٨٦ .

(٢) علماء نجد ، جـ٢ ، ص ٥٩٢ .

(٣) تحفة المشتاق ، حوادث عام ١٠٥٦هـ .

وفاته:

توفي الشيخ سليمان عام ١٠٧٩هـ في العيينة وهو جد الشيخ محمد ابن عبد الوهاب لأبيه ، رحمه الله (١) .

٧- الشيخ محمد بن عبد القادر بن مشرف:

هو الشيخ محمد بن عبد القادر بن راشد بن بريد بن محمد بن بريد بن مشرف الوهبي التميمي .

ولد في بلد أشيقر ونشأ فيها وقرأ على علمائها ، ثم رحل إلى مدينة العيينة - أكبر مدن نجد - في ذلك الزمن والتي تزاحم أشيقر في كثرة العلماء وصدور الفتاوي وهو معاصر للشيخ أحمد بن يحيى بن عطوة حيث قرأ عليه حتى صار من فقهاء نجد ، توفي رحمه الله أواخر القرن العاشر الهجري (٢) .

٨- الشيخ عبد الله بن محمد بن ذهلان:

هو الشيخ عبد الله بن محمد بن ذهلان من آل سحوب من زعب (٣) .

ولد الشيخ عبد الله في العيينة عام ١٠٣٨هـ(٤) في عهد الأمير حمد ابن عبد الله بن معمر . وكانت العيينة عامرة بالفقهاء والعلماء ، فأخذ عنهم كما أخذ عن غيرهم من علماء نجد .

ولي قضاء الرياض (مقرن) فذاع صيته وعلا قدره واستفاد منه خلق كثير .

وتوفي رحمه الله في الرياض عام ١٠٩٩هـ ، وكانت وفاته في اليوم الثاني من ذي الحجة (٥) .

٩- الشيخ عبد الرحمن بن محمد بن ذهلان:

ولد الشيخ عبد الرحمن بن محمد بن ذهلان في مدينة العيينة ونشأ فيها وأخذ

---

(١) علماء نجد ، جـ١ ، ص ٣٠٩ .

(٢) المرجع نفسه ، جـ٣ ، ص ٨٤٢ .

(٣) الإفادات ، ص ٣٦ .

(٤) روضة الناظرين للقاضي ، جـ١ ، ط ٢ ، ١٤٠٣هـ ، ص ٣١٥ .

(٥) علماء نجد ، جـ٢ ، ص ٦٢٠ .

عن علمائها ، ثم رحل إلى دمشق لطلب العلم ، فأخذ عن علمائها ، ثم عاد إلى نجد فرحل مع أخيه العلامة الشيخ عبد الله بن ذهلان من العيينة إلى الرياض (مقرن) واستوطناها ، وصار أخوه الشيخ عبد الله هو قاضيها ومفتيها وأكبر مدرسيها . جلس الشيخ عبد الرحمن للتدريس والإفادة ، وله تلاميذ كثيرون أخذوا عنه العلم واستفادوا منه . وتوفي الشيخ عبد الرحمن رحمه الله في اليوم التاسع من ذي الحجة ١٠٩٩هـ في الوباء الذي حل بمقرن [١] .

١٠- الشيخ الفقيه محمد بن موسى البصير :

ولد الشيخ محمد في مدينة العيينة في أول القرن الحادي عشر ، وأخذ عن علمائها ، فلما بلغ من العلم غايته ، تصدى للتدريس في مدينة العيينة الآهلة في ذلك الزمن بالعلم والقضاء والسكان والعمران ، وانتفع بعلمه خلق كثير . وتوفي في آخر القرن الحادي عشر في مدينة العيينة رحمه الله [٢] .

١١- الشيخ عبد الوهاب بن عبد الله بن مشرف :

هو الشيخ عبد الوهاب بن عبد الله بن عبد الوهاب بن موسى بن عبد القادر ابن رشيد بن بريد بن محمد الوهبي التميمي . قرأ على أبيه وأخذ عنه وعن غيره من علماء نجد حتى أدرك إدراكاً تاماً لا سيما في الفقه ، كما أخذ عنه جملة من العلماء . ولي قضاء مدينة العيينة في عصر الأمير عبد الله بن محمد بن معمر «الثاني» وظل قاضياً للعيينة حتى توفي فيها رحمه الله عام ١١٢٥هـ [٣] .

١٢- الشيخ إبراهيم بن سليمان بن مشرف :

هو الشيخ إبراهيم بن سليمان بن علي بن محمد بن أحمد بن راشد بن بريد ابن محمد بن مشرف الوهبي التميمي ، ولد في العيينة عام ١٠٧٠هـ في العام نفسه الذي ولي إمارة العيينة الأمير عبدالله بن حمد بن معمر . وأخذ عن والده وعن فقهاء العيينة وعلمائها ، وولي القضاء في بلدة أشيقر . وهو عم الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، توفي رحمه الله عام ١١٤١هـ [٤] .

---

(١) علماء نجد ، جـ٢ ، ص ٤٠٨ .
(٢) المرجع السابق ، جـ٣ ، ص ٩٤٢ .
(٣) المرجع السابق ، جـ٣ ، ص ٦٧١ .
(٤) المرجع السابق ، جـ١ ، ص ١١٠ .

١٣- الشيخ محمد بن عبد الوهاب بن مشرف :

هو الشيخ محمد بن عبد الوهاب بن عبد اللّه بن عبد الوهاب بن موسى ابن عبد القادر بن بريد بن محمد الوهبي التميمي ، وهو غير الشيخ محمد ابن عبد الوهاب صاحب الدعوة السلفية . ولد في بلد العيينة في بيت علم ونشأ فيها ، وتلقى العلم على علمائها ، وأخذ العلم عن والده قاضي العيينة وعن غيره من علمائها . توفي الشيخ محمد وهو شاب بعد وفاة والده بعام واحد ، وكانت وفاته عام ١١٢٦هـ رحمه اللّه (١) .

١٤- الشيخ عبد الوهاب بن سليمان بن مشرف :

هو الشيخ عبد الوهاب بن سليمان بن علي بن محمد بن أحمد بن راشد ابن بريد بن محمد الوهبي التميمي . ولد في مدينة العيينة ، وكان والده هو قاضي البلد فشب في بيت علم وفضل ، فأخذ عن والده وعن غيره من علماء العيينة ودرس وأفتى . ولي قضاء العيينة في عهد أميرها عبد اللّه بن محمد بن حمد ابن معمر ، وفي عهد الأمير محمد بن حمد بن عبد اللّه بن معمر عُزل الشيخ عبد الوهاب عن قضاء العيينة وذلك عام ١١٣٩هـ بعد منازعة بينهما . وانتقل الشيخ عبد الوهاب إلى حريملاء ونزلها ، وتولى القضاء فيها ، وهو والد الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، وأخذ عنه عدد من طلاب العلم في العيينة وحريملاء .

توفي رحمه اللّه في بلد حريملاء عام ١١٥٣هـ (٢) .

١٥- الشيخ سليمان بن عبد الوهاب بن مشرف :

هو الشيخ سليمان بن عبد الوهاب بن سليمان بن علي بن محمد بن أحمد ابن راشد بن بريد بن محمد الوهبي التميمي . وهو شقيق الشيخ محمد ابن عبد الوهاب صاحب الدعوة السلفية . ولد في العيينة ونشأ فيها ، وأخذ العلم عن والده الذي انتقل إلى بلد حريملاء عام ١١٣٩هـ وولي القضاء فيها ، وولي كذلك القضاء في حريملاء بعد أبيه . وهو مخالف لأخيه الشيخ محمد ولدعوته ، وله ردود عليها . وفي عام ١١٩٠هـ وفد الشيخ سليمان إلى الدرعية وفرضت

---

(١) علماء نجد ، جـ٣ ، ص ٨٩٦ .

(٢) المرجع نفسه ، جـ٣ ، ص ٦٦٩ .

عليه الإقامة فيها إلى أن توفي بعد وفاة أخيه الشيخ محمد بعامين ، وذلك في السابع عشر من رجب عام ١٢٠٨هـ [١] .

١٦- الشيخ أحمد بن عبد الله بن مشرف :

هو الشيخ أحمد بن عبد الله بن عبد الوهاب بن عبد الله بن مشرف التميمي .

ولي الشيخ أحمد قضاء العيينة عام ١١٣٩هـ بعد عزل الأمير محمد بن حمد ابن معمر لقاضي العيينة الشيخ عبد الوهاب بن سليمان بن علي وولى الشيخ أحمد قضاء العيينة [٢] . ويظهر أن الشيخ أحمد بقي قاضياً للعيينة طيلة عهد الأمير محمد ، وفترة أخرى من عهد أخيه الأمير عثمان بن معمر ، حتى ظهرت وبرزت الدعوة الإصلاحية في العيينة .

١٧- الشيخ إبراهيم بن عبد الوهاب بن سليمان آل مشرف :

الشيخ إبراهيم بن عبد الوهاب بن سليمان بن علي آل مشرف ، من الوهبة من قبيلة تميم .

والمترجم هو أخو الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، ولد في العيينة ونشأ فيها ، وكان والده عالماً فقيهاً ، وجده هو رئيس قضاة نجد في زمنه ، وأخواه : محمد وسليمان ، عالمان .

وقد قرأ المترجم على أبيه وعلى غيره من العلماء حتى أدرك .

قال الشيخ إبراهيم بن عيسى : وقد عيَّنه رئيس الجمعة في ذلك الوقت حمد ابن عثمان بن عبد الجبار إمام جامع المجمعة ، ويظهر أنه من المعارضين لدعوة أخيه ، ولا نعلم عن تاريخ ولادته ولا وفاته شيئاً ، لكنه معاصر للشيخ محمد ابن عبد الوهاب . رحمهم الله تعالى [٣] .

١٨- الشيخ أحمد بن سليمان بن علي بن مشرف [٤] .

١٩- الشيخ منيع بن محمد بن منيع العوسجي [٥] .

---

(١) علماء نجد ، جـ١ ، ص ٣٠٦ .
(٢) ابن بشر ، جـ٢ ، ص ٣٧٠ .
(٣) علماء نجد ، ط٢ ، جـ١ ، ص٣٨٦ .
(٤) المرجع السابق ، جـ٦ ، ص٢٦٩ .
(٥) المرجع السابق ، جـ٦ ، ص٤٤٦ .

الفصل التاسع

الدعوة الإصلاحية وموقف آل معمر منها

- مقدمة
- نسب الشيخ محمد بن عبد الوهاب
- مولده ونشأته
- رحلاته العلمية
- بدء الدعوة
- انتقال الشيخ للعيينة
- أعماله في العيينة
- المعارضة للشيخ في العيينة
- مغادرة الشيخ للعيينة
- ووصوله الدرعية
- قدوم أمير العيينة للدرعية
- العيينة ومرحلة تطبيق الجهاد
- بدء معارك الدعوة
- مقتل الأمير عثمان بن معمر
- موقف الأمير مشاري بن معمر من الدعوة
- علماء آل معمر
- ولاء أهل العيينة وأمرائها للدعوة الإصلاحية

الفصل التاسع

الدعوة الإصلاحية وموقف آل معمر منها

مقدمة:

ظهرت في نجد على يد أحد أبنائها في منتصف القرن الثاني عشر الهجري تقريباً دعوة تصحيحية مباركة ، تهدف إلى تنقية العقيدة الإسلامية مما شابها من بدع وخرافات لم ينزل بها من سلطان ، ودعوة الناس إلى ما كان عليه السلف الصالح في صدر الإسلام من صفاء العقيدة والتمسك بالكتاب والسنة ، وكان رائد هذه الدعوة هو الشيخ الجليل المجدد محمد بن عبد الوهاب التميمي .

وقد أشار ابن غنام وابن بشر إلى بعض من تلك البدع التي كانت موجوده منها :

١- قبة مقامة على قبر الصحابي الجليل زيد بن الخطاب ، أخو الخليفة الثاني عمر ابن الخطاب رضى الله عنهما ، وكان زيد قد استشهد أثناء حروب الردة في العام الحادي عشر للهجرة ، ودفن في بلدة الجبيلة إحدى قرى العيينة ، وأقيم على قبره قبة كان يزورها بعض العامة ، ويدعون عندها لتفريج الكرب وقضاء الحاجة[(١)] . فخرج إليها الشيخ مع الأمير عثمان بن معمر بستمائة رجل وأزالوها [(٢)] .

٢- شجرة الذيب قرب العيينة [(٣)] وهي شجرة طلح خارج سور العيينة يقال : إنه علق فيها ذئب قتيل ، وبدأ بعض العامة يأتونها ببعض مرضاهم ممن يظنون أن به مساً من الجن ، معتقدين أن الجن تترك المريض إذا كانوا بحضرة ذئب أو بعض أجزائه .

---

(١) ابن غنام ، ص١١ . (٢) ابن بشر ، جـ١ ، ص ١٢ ، نسخة مطبعة القصيم .

(٣) ابن غنام ، جـ١ ، ص٧٨ : ابن بشر ، جـ١ ، ص١٢ طبعة القصيم .

٣- «شعيب غبيراء في الدرعية كانوا يأتون فيه المنكر ، ويزعمون أن فيه قبر الصحابي الجليل (ضرار بن الأزور) رضي الله عنه » (١) .

٤- فحل الفحول « كان بعض النساء يأتين إلى شعيب بليدة الفدا في الدرعية ، حيث يكثر النخل المعروف بالفحال ، ويفعلون عنده أقبح الأفعال ، ويتبركون به ، فكانت تأتيه المرأة إذا تأخرت عن الزواج ، فتضمه بيديها ترجو أن يفرج عنها كربها ، وتقول : يا فحل الفحول أريد زوجاً قبل الحول » (٢) .

٥- قريوة في الدرعية ، زعموا أن فيها قبور بعض الصحابة ، فعكفوا على عبادتها وتقربوا إليهم (٣) . وكان فيها شجرة تعظم ، قطعها بعض أنصار الشيخ محمد بن عبد الوهاب في الدرعية (٤) .

٦- شجرة الطرفية في الدرعية ، كانت طوائف من الناس تنتاب هذه الشجرة يتبركون بها ويعلقون عليها الخرق إذا ولدت المرأة لعل مولودها يسلم من الموت (٥) .

٧- غار بنت الأمير أسفل الدرعية ، وهو غار كبير يزعمون أن الله تعالى خلقه في الجبل لامرأة كانت تسمى بنت الأمير أراد بعض الفسقة أن يظلمها ، فصاحت ، ودعت الله ، فانفلق لها الغار بإذن الله ، فأجارها من ذلك السوء ، فكانوا يرسلون لذلك الغار اللحم والخبز ويبعثون بصنوف الهدايا (٦) .

٨- الولي تاج ، وهو رجل أعمى اسمه تاج ، صرفوا إليه النذور وتوجهوا إليه بالدعاء واعتقدوا فيه النفع والضر ، وكانوا يأتونه لقضاء شؤونهم ، وكان يأتي من الخرج للدرعية (٧) .

ولم تقتصر تلك البدع والخرافات والممارسات الخاطئة على هاتين القريتين ، بل ذكر ابن غنام ممارسات أكثر بشاعة وأبعد عن الإسلام في كل من جدة ومكة

---

(١) ابن غنام ، نفس المصدر ، جـ١ ، ص١٢ . (٢) المصدر نفسه ، الصفحة نفسها .
(٣) المصدر نفسه ، جـ١ ، ص ١١ ؛ ابن خميس ، الدرعية ، ص ٩٨ .
(٤) المصدر نفسه ، جـ١ ، ص ٧٨ . (٥) المصدر نفسه ، جـ١ ، ص ١٢ .
(٦) المصدر نفسه ، جـ١ ، ص ١٢ . (٧) المصدر السابق ، الصفحة نفسها .

المكرمة والطائف والمدينة المنورة ومصر واليمن وحضرموت ونجران والشام والموصل وبغداد ومشهد والبصرة والقطيف والبحرين وغيرها (١) .

١- نسب الشيخ محمد بن عبد الوهاب:

ينتمي الشيخ محمد إلى أسرة آل مشرف التي تنحدر من فرع الوهبة من قبيلة بني تميم من أشهر القبائل العدنانية . وهو الشيخ محمد بن عبد الوهاب ابن سليمان بن علي بن محمد بن أحمد بن راشد بن بريد بن محمد بن بريد ابن مشرف (٢) .

٢- مولده ونشأته:

ولد الشيخ محمد في مدينة العيينة عام ١١١٥هـ في عهد أميرها المشهور (عبد الله بن محمد بن معمر) .

وكانت أسرة الشيخ محمد ذات شهرة في العلوم الدينية في نجد بصفة عامة وفي أشيقر والعيينة بصفة خاصة ، فأكثر علماء الدين في العيينة ينتسبون لهذه الأسرة الكريمة ، وكان جده سليمان بن علي الذي انتقل للعيينة من روضة سدير وتولى القضاء فيها (٣) يعتبر من أشهر العلماء في زمانه ، أما والده الشيخ عبد الوهاب فقد أصبح قاضياً في العيينة (٤) إلى عام ١١٣٩هـ .

فنشأ الشيخ محمد في بيت علم وفضل في بلدة العيينة ، التي تزخر بالعلم والعلماء في ذلك الحين .

فبدأ بحفظ القرآن الكريم حيث تمكن من ذلك قبل بلوغه العام العاشر من عمره ، وبعد ذلك شرع في دراسة العلوم الشرعية ، وخاصة الفقه الذي تلقاه عن والده (٥) .

وقد ساعدته قدراته الشخصية وبيئة العيينة العلمية على الاستفادة والتحصيل المبكر فزادت معلوماته واتسعت مداركه وبرز نبوغه ، ففاق أقرانه واستطاع أن يؤم جماعة في الصلاة على حداثة سنه .

---

(١) المصدر السابق نفسه ، ص ١٣-١٩ .
(٢) المصدر السابق ، جـ١ ، ص ٧٥ .
(٣) علماء نجد ، جـ١ ، ص ٣١٠ .
(٤) ابن غنام ، جـ١ ، ص٧٥ .
(٥) المصدر نفسه ، جـ١ ، ص ٧٥ .

٣- رحلاته العلمية:

كانت أول رحلة للشيخ خارج العيينة هي رحلته إلى (مكة المكرمة) بقصد الحج ، وهو شاب يافع ، وبعد إتمام الحج زار (المدينة المنورة) ، وأقام فيها شهرين ، ولاشك أنه استفاد علمياً من رحلته هذه ومن ثم عاد إلى بلده العيينة ، حيث أخذ يدرس على يد والده في الفقه ويطالع في كتب التفسير والحديث ، وبدأ يقول رأيه فيما كان شائعاً - بين العامة في المنطقة - من أمور لا تتفق مع الدين الإسلامي الخالص [١] . ثم رحل ثانية خارج العيينة إلى (مكة المكرمة) وأدى فريضة الحج للمرة الثانية ، وسافر منها إلى (المدينة المنورة) ، وأخذ عن الشيخ عبد اللّه ابن إبراهيم كما أخذ عن الشيخ محمد حياة السندي [٢] .

وكان لهذين العالمين الجليلين أثر كبير على الشيخ محمد لا بالنسبة لتحصيله العلمي فقط ، وإنما بالنسبة لاتجاهه الإصلاحي أيضاً ، أتت صلته بهما في مرحلة من مراحل عمره القابلة للتأثر والتوجيه [٣] .

عاد الشيخ إلى العيينة ومنها خرج (للبصرة) ، وأخذ عن بعض علمائها شيئاً من الحديث والفقه والنحو ، ومن العلماء الذين أخذ عنهم في البصرة محمد المجموعي ، وأخذ هناك ينكر البدع وبعض الشركيات المنتشرة بين سكان المنطقة [٤] .

ثم خرج الشيخ من البصرة يريد دمشق ، ولكنه لأسباب مالية عدل سيره إلى الأحساء ، وحل ضيفاً على أكبر علمائها الشيخ عبد اللّه بن محمد ابن عبد اللطيف الأحسائي [٥] . ولا بد أنه قابل أثناء إقامته في الأحساء عدداً من علمائها ، وطرح آراءه وأفكاره هناك ثم عاد إلى حريملاء مختتماً رحلاته العلمية ، وكان والده قد انتقل إليها من العيينة عام ١١٣٩هـ بعد أن عزل عن القضاء فيها . وأقام الشيخ محمد في حريملاء سنوات لم يتوان في نشر أفكاره خلالها .

---

(١) عبد الله العثيمين ، الشيخ محمد بن عبد الوهاب حياته وفكره ، ص ٣٦ .
(٢) ابن غنام ، جـ١ ، ص ٧٦ .
(٣) الشيخ محمد بن عبد الوهاب حياته وفكره ، ص٣٤ .
(٤) ابن بشر ، جـ١ ، ص ٣٦ .
(٥) ابن بشر ، جـ١ ، ص ٣٧ ؛ ابن غنام ، جـ١ ، ص٧٧ .

٤- بدء الدعوة:

كما مر بنا فإن الشيخ محمد كان دائماً يعلن آراءه وأفكاره وينكر ما يراه مخالفًا منذ أن كان في العيينة مسقط رأسه ، كذلك أثناء رحلاته إلى العراق ثم الأحساء ، وعندما استقر به المقام أخيراً في حريملاء أنكر ما يفعله الجهال من البدع والأباطيل فعارضه بعض أهالي حريملاء على هذا الموقف المتشدد ، على ما ألفوه من بعض الممارسات حتى والده الشيخ عبد الوهاب [١] . لم يكن متفقاً معه في الرأي بصورة تامة مما دفع الشيخ إلى التخفيف من موقفه المعارض ولو مؤقتاً .

ومن هذا يتضح أن بدء الدعوة نظرياً كان مبكراً ، ولكن الجانب التطبيقي منها كان في العيينة ، ثم استكمل في الدرعية .

وقد رجح ابن عثيمين أن يكون الخلاف بين الشيخ محمد ووالده حول أسلوب الدعوة ذاته لا حول نقطة معينة من جوهرها [٢] .

وبعد وفاة والده لم يتردد الشيخ في المجاهرة بدعوته بكل جرأة فتبعه عدد من أهالي حريملاء ، فشاع أمره وقدم عليه أناس اقتنعوا بدعوته [٣] . وقد حاول بعض المعارضين لدعوته في حريملاء الاعتداء عليه [٤] . ولكنه نجا من تلك المحاولة وانتقل إلى العيينة . فمتى انتقل ؟ المصادر القريبة كابن غنام وابن بشر يذكرون انتقاله لها بعد وفاة والده الذي توفي في ذي الحجة عام ١١٥٣هـ [٥] .

ولكن هناك أموراً يجب مناقشتها قبل التسليم بهذا التحديد لبدء الدعوة ، وكذلك انتقال الشيخ للعيينة وهي :

أ- إن ابن غنام ذكر أن عبد العزيز بن محمد بن سعود أرسل للشيخ محمد وهو في العيينة رسالة يسأله فيها أن يكتب له تفسير سورة الفاتحة فكتبها له ، وهو إذ ذاك

---

(١) ابن بشر ، جـ١ ، ص ٣٧ .
(٢) الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، ص ٤٦ .
(٣) ابن غنام ، جـ١ ، ص ٧٧ .
(٤) ابن بشر ، جـ١ ، ص ٣٨ .
(٥) الفاخري ، ص ١٠٤ .

صغير قد ناهز البلوغ ، وعبد العزيز ولد عام ١١٣٣هـ [١] . و «ناهز» بمعنى قارب وداني ، فيفهم من كلام ابن غنام أن عمر عبد العزيز عند إرساله الرسالة للشيخ يتراوح ما بين ١٤ إلى ١٦ سنة فيكون تاريخ الرسالة بين عامي ١١٤٦-١١٤٨هـ ، وبناء عليه فإن الشيخ كان مقيماً في العيينة في تلك الفترة - أي وقت الإجابة على تلك الرسالة - وأنه قد اشتهر بعد ما جهر بدعوته فمتى يكون بدء الدعوة ؟ ! ومتى انتقل الشيخ للعيينة ؟

ب- نشر د . منير العجلاني معلومات وصوراً عن وثيقتين عثر عليهما في دار المحفوظات التركية باستانبول رفعهما أهل الفتوى والقضاة وبعض الأعيان في مكة والمدينة إلى السلطان العثماني : الوثيقة الأولى منهما تحدد ظهور دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب في نجد بسنة ١١٤٣هـ [٢] . ومعروف أن الجانب التطبيقي من دعوة الشيخ محمد والذي آثار حفيظة المعارضين له ــ كرجم الزانية وغيره ــ وقع أثناء إقامة الشيخ في العيينة ، فمتى كان ذلك ؟

جـ- ذكر مؤلف (لمع الشهاب) أن الشيخ محمد التجأ إلى أمير العيينة عثمان ابن معمر ، وأن الأمير أيده وناصره ، وأن بعض المؤيدين له أتوه في العيينة وبايعوه ، ثم ذكر أن هذه الأحداث وقعت عام ١١٥٠هـ [٣] .

د- ذكر الشيخ محمد بن عبد الوهاب في رسالة بعثها من العيينة إلى عبد الوهاب ابن عبد الله بن عيسى [*] ابن قاضي الدرعية ، أن عبدالوهاب كان من خمس سنين يعارض الدعوة [٤] . وحسب تحديد ابن بشر [٥] وابن غنام [٦] فإن

---

(١) ابن بشر ، جـ٢ ، ص ٣٦٣ .

(٢) العجلاني منير ، تاريخ البلاد العربية السعودية عهد عبد العزيز بن محمد ، ص١٢ .

(٣) لمع الشهاب ، ص ٥٩ .

(*) يتضح أن الرسالة كتبت أثناء إقامة الشيخ في العيينة حيث ذكر في الرسالة أسماء رجال من أهلها .

(٤) ابن غنام ، جـ٢ ، ص ١٧١ .

(٥) ابن بشر ، جـ١ ، ص ٤٠ .

(٦) ابن غنام ، جـ١ ، ص ٨٠ ، تردد ابن غنام في تحديد تاريخ خروج الشيخ من العيينة : «هل هو عام١١٥٧ أو ١١٥٨هـ؟» .

الشيخ ترك العيينة عام ١١٥٧هـ أو العام الذي يليه ، وكان قد قدم اليها عام ١١٥٤هـ أو بعده بعام . فيكون تاريخ كتابة الرسالة فيما بين عامي ١١٥٠-١١٥٢هـ ، وهنا يتضح أن ماذكر في الرسالة لايتفق مع تحديد مؤرخي الدعوة في فترة انتقال الشيخ للعيينة . فمتى كان ذلك ؟

هـ- ورد في رسالة بعثها الشيخ محمد إلى الشيخ عبد العزيز بن محمد ابن عبداللطيف الأحسائي عبارة « اجتمعت بك من نحو عشرين » [١] .

وعندما ناقش د . العثيمين بدء الدعوة في نجد وذكر العبارة السابقة قال : «لكن قد ذكر في القسم الخامس من مؤلفات الشيخ أن هذه العبارة وردت في بعض النسخ : اجتمعت بك من نحو عشر سنين» ، ثم رجح أن هذه العبارة أوضح من التي ذكرها ابن غنام ، وإذا سلم بصحتها - والكلام لابن عثيمين - فإن الشيخ كان في الأحساء قبل كتابة هذه الرسالة بعشرة أعوام . ثم تساءل متى كتبت هذه الرسالة ؟ فاستنتج أن الرسالة كتبت أثناء إقامة الشيخ في العيينة ، وأن اجتماع الشيخين كان في الأحساء في الفترة ما بين عامي ١١٤٣ و ١١٤٧هـ ، وأن وصول الشيخ إلى نجد من أسفاره وبدئه الدعوة كان في الفترة المذكورة [٢] .

ويرجح ما ذهب إليه د . العثيمين : أن الشيخ كان في الأحساء خلال تلك الفترة - أي ما بين عامي ١١٤٣-١١٤٧هـ - بما قاله الأمير عثمان بن معمر في رسالته للشيخ ابن عفالق والتي يقول فيها : «إن لكم اثنتي عشرة سنة تعالجون هذا الأمر فأنكرتموه أولاً وثبتكم فيه المطاوعة يقولون : هذا حق ، والذي يسوى في الإحساء شرك وفي غيرها كذلك ، وتقول - الكلام لعثمان - إنهم ما يقدرون على إزالته ، وأنهم خابرينه قبل ابن عبد الوهاب» [٣] .

ورسالة عثمان كتبت في الفترة ما بين عامي ١١٥٩ - ١١٦٣هـ ، ومعنى هذا أن معالجة علماء الأحساء لآراء الشيخ كانت قبل ذلك باثنتي عشرة سنة ، أي بين عامي ١١٤٧-١١٥١هـ . فهل كان الشيخ في الأحساء في هذه الفترة وطرح

(١) ابن غنام ، جـ٢ ، ص ٩ .
(٢) بحوث وتعليقات ، ص ٤٨ ، ٤٩ .
(٣) رسالة من ابن عفالق للأمير عثمان بن معمر .

أفكاره الإصلاحية هناك ، أم أنه أرسل لعلماء الأحساء برسائل فيها آراؤه وهو في العيينة في تلك الفترة ؟

وهنا يتضح أن هناك خلافاً في تاريخ بدء الشيخ للدعوة وكذلك رحيله من حريملاء للعيينة ، وأعتقد أن الشيخ كان في العيينة قبل الفترة التي حددها ابن بشر وابن غنام بسنوات عديدة ، ربما كان في العيينة في النصف الثاني من العقد الخامس من القرن الثاني عشر ، والله أعلم .

٥- انتقال الشيخ للعيينة :

بعد أن حاول بعض المعارضين لدعوة الشيخ في حريملاء الاعتداء عليه[١] . وشاعت هذه الحادثة في البلدان المجاورة أعطى الأمير عثمان بن معمر الضوء الأخضر للشيخ محمد الذي لم يتوان في الانتقال إلى العيينة مسقط رأسه وسط ترحيب حار من قبل أميرها عثمان .

وحينما ناقش د . العثيمين أسباب انتقال الشيخ إلى العيينة قادماً من حريملاء قال : «من المرجح أن ذلك الانتقال يعود إلى سبب رئيسي وسببين ثانويين ؛ أمّا السبب الرئيسي فهو قبول أمير العيينة (عثمان بن معمر) ، لدعوة الشيخ . وذلك ما ذكره ابن غنام بعد إشارته إلى انتشار تلك الدعوة في بلدان العارض المشهورة ، بقوله : « ثم بعد ذلك عزم على المسير عنها - يعني حريملاء - والارتحال والإقامة بالعيينة ، فجد في الرحيل والانتقال . وذلك بعد أن هدى اللّه تعالى عثمان ابن معمر لقبول هذا الدين » .

وأما السببان الثانويان فأحدهما كون العيينة أقوى من حريملاء وكونها موحدة الزعامة ، وهذا ما لم يكن متوفراً في حريملاء ، التي كانت السلطة فيها منقسمة والتي لم يكن لها «رئيس يزع الجميع» حسب تعبير ابن بشر ، وما دام أمير البلدة القوية الموحدة مستقبلاً للدعوة فاحتمال نجاحها فيها أكبر من احتمال نجاحها في حريملاء . وكان نجاح الدعوة هو ما يبحث عنه الشيخ ابن عبد الوهاب .

والثاني من السببين الثانويين : وجود مكانة اجتماعية بارزة لأسرة الشيخ في العيينة منذ قدوم جده سليمان بن علي إليها ، واحتلاله مركز القضاء فيها ،

---

(١) ابن بشر ، جـ١ ، ص ٣٨ .

ويضاف إلى ذلك أنها مسقط رأس الشيخ ومكان نشأته ، ولذا فقد كان يوجد لديه ميل نفسي إليها . وهكذا توافرت العوامل لانتقاله إليها ، فانتقل » (١) .

وما ذكره ابن عثيمين يتفق مع ماذكره الشيخ الجاسر الذي قال : «إن العيينة في ذلك العهد خير مكان لنشر الدعوة ، فهي قاعدة بلاد نجد ، وإمارتها ، أقوى إمارة وأشهرها في تلك البلاد» (٢) .

وما أن وصل الشيخ للعيينة حتى استقبله الأمير عثمان أفضل استقبال ورحب به وأكرمه ، وأصدر أمراً للعامة والخاصة في العيينة وقراها باتباع نصائح الشيخ وتعليماته وأوامره .

وازدادت علاقتهما بزواج الشيخ محمد بن عبد الوهاب من الجوهرة(*) بنت عبد اللّه بن محمد بن معمر عمة الأمير عثمان ، التي تعتبر من أفضل نساء عصرها ، وهذه المصاهرة بين الشيخ وبين بيت الإمارة في العيينة إعلان من الأمير عثمان بالدعم اللامحدود لآراء الشيخ وأفكاره ، وتقديراً له واقتناعاً بدعوته وتأكيداً لسمو منزلته عنده .

وقال الشيخ الجاسر عن الجوهرة بنت عبد اللّه بن معمر :

وللجوهرة – في سبيل نشر الدعوة – يدان كريمتان :

اليد الأولى : أنها قبل زواج الشيخ بها كانت سبباً في إنقاذ حياة محمد ابن سعود بن محمد بن مقرن ، الذي قام بنصرة الشيخ ومؤازرته في نشر الدعوة ،

---

(١) بحوث وتعليقات ، ص ٨١ ، ٨٢ .

(٢) حمد الجاسر ، المرأة في حياة الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، ص ١٧٠ .

(*) قال الشيخ حمد الجاسر عن الجوهرة بنت عبد اللّه بن معمر في كتابه المرأة في حياة الشيخ محمد ، ص ١٧٠ ، ١٧١ ما يلي : « أما هذه السيدة الجليلة التي تزوجها الشيخ ، الجوهرة بنت عبد اللّه بن معمر ، فهي عمة الأمير عثمان ، الذي استقبل الشيخ أحسن استقبال ، وابنة الأمير عبد اللّه بن محمد بن حمد بن معمر ، الذي وصفه ابن بشر بما هذا نصه :(في سنة ثمان وثلاثين ومئة وألف أوقع اللّه سبحانه الوباء العظيم الذي حل بأهل بلدة العيينة أفنى غالبهم ، مات فيه رئيسها عبداللّه بن محمد بن حمد بن عبد اللّه بن معمر ، الذي لم يُذكر في زمانه ولا قبل زمنه في نجد في الرئاسة وقوة الملك والعدد ، والعدَّة والعقارات والأثاث مثله ، فسبحان من لا يزول ملكه)» انتهى .

وسار أبناؤه وأحفاده من ملوك آل سعود على نهجه حتى حقق الله لتلك الدعوة الظهور والانتشار في جميع أنحاء العالم .

قال ابن بشر - في ذكر حوادث سنة تسع وثلاثين ومائة : «وفي هذه السنة غدر (محمد بن حمد بن عبد الله بن معمر) الملقب (خرفاش) ، صاحب العيينة ، بزيد ابن مرخان ، صاحب الدرعية ، وبدغيم بن فايز المليحي السبيعي وقتلهما ؛ وذلك أنه لما أصاب بلدة العيينة الوباء المشهور وأفنى رجالها ومات رئيسها عبد الله ابن معمر ، طمع زيد بن مرخان وأتباعه في أموالها ، وأرادوا نهبها ، فساروا إليها بآل كثير وبوادي سبيع وغيرهم ، فلما وصل الجميع عقرباء أرسل خرفاش إلى زيد ، وقال له : إنه ما ينفعك نهب البوادي وغيرهم لنا ، وأنا أعطيك وأرضيك وأقبل إليّ . فسار زيد إليه في أربعين رجلاً ، ومعهم محمد بن سعود وغيره ، فأدخلهم قصره ، ثم أدخل رجالاً من قومه في مكان وواعدهم إذا جلس زيد يرمونه بالبنادق ، فرموه ببندقين فلم يخطئاه فمات ، فتنبه محمد بن سعود ومن معه ، ودخلوا في موضع ، وتحصنوا فيه ، ثم لم ينزلوا منه إلا بأمان الجوهرة بنت (عبد الله بن معمر) .

ورجع محمد بن سعود بمن معه من أهل الدرعية ، فاستقل محمد بعد هذه الواقعة بولاية الدرعية كلها ، ومعها غصيبة» . انتهى كلام ابن بشر الذي يقرر يداً بيضاء لتلك الأميرة الكريمة ، ولهذا أوردته بطوله .

واليد الأخرى للجوهرة تقوية الصلة بين زوجها الإمام محمد ، وبين ابن أخيها الأمير عثمان ، وحقاً ما قال الدكتور عبد الله الصالح العثيمين : وحين وصل محمد بن عبد الوهاب ، إلى العيينة ، رحب به أميرها وأكرمه - إلى أن قال - : « وازدادت علاقة الاثنين توطدا بزواج الشيخ من الجوهرة بنت عبد الله بن معمر ، ويبدو أن زواجه منها لم يكن لشهرة أسرتها فقط ، وإنما لسمعتها الاجتماعية الخاصة أيضاً» .

٦- أعماله في العيينة :

أخذت الدعوة تنفذ بواسطة سلطة عثمان بن معمر ، وتستفيد من إمكانات

بلده فخطت الدعوة الإصلاحية خطوة أكثر صراحة وجرأة ، إذ دخلت الدور التطبيقي لأحكام الدعوة [١] المتمثل في الآتي :

أ- التعليم:

تتلمذ على الشيخ محمد في العيينة عدد من طلاب العلم منهم عبد الله ابن عبد الرحمن بن سويلم [٢] وغيره وأخذوا عنه ونشروا أفكاره وفتاويه وأقواله .

ب- هدم القبة:

كان في بلدة الجبيلة قبة مقامة على قبر الصحابي الجليل زيد بن الخطاب شقيق الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنهما ، وكان زيد قد استشهد في حروب الردة التي دارت رحاها في العيينة وما حولها في خلافة أبي بكر الصديق رضي الله عنه ، في العام الحادي عشر الهجري .

واقترح الشيخ محمد بن عبد الوهاب على الأمير (عثمان بن معمر) أن تهدم هذه القبة ، فأذن له عثمان وقال للشيخ : دونكها فاهدمها ، فأبدى الشيخ خوفه من أهل الجبيلة أن يمنعوه من ذلك ، فطلب منه الأمير عثمان أن يخرج معه لهذا الغرض ، فخرج الأمير بقوة من أهل العيينة تقدر بستمائة رجل [٣] ليظهر الدعم اللامحدود لقرار الشيخ محمد ، فلما رأى أهل الجبيلة الأمير عثمان وجنده لم يبدوا أية معارضة لهدم القبة فساواها الشيخ بالأرض وأزالها تماماً وعدلها على السنة .

ج- رجم الزانية:

تأثر بعض أهل البلدة بدعوة الشيخ وزاد حماسهم الديني وبدأ البعض منهم يفكر في تطهير نفسه بعد أن رسخ الإيمان في قلبه ، فأتت امرأة إلى الشيخ واعترفت بالزنا أمامه عدة مرات ، فسأل عنها فثبت أنها محصنة وأنها صحيحة العقل فقال لها : لعلك مغصوبة ؟ فأقرت ، بما يوجب الرجم [٤] ، فأصدر حكماً شرعياً

(١) مقدمة د . عبد الله الشبل لتاريخ الفاخري ، ص ١٤ .

(٢) البسام/ عبد الله ، علماء نجد خلال ثمانية قرون ، جـ٤ ، ص ٢١١ .

(٣) ابن بشر ، جـ١ ، ص ٣٩ .

(٤) ابن بشر ، جـ٢ ، ص ٣٩ .

برجمها ، وأخذ موافقة الوالي الأمير (عثمان بن معمر) ، فخرج الأمير وجماعة من أهل بلده فرجموها حتى ماتت ، وكان أول من رجمها الأمير (عثمان ابن معمر) [(١)] .

د. قطع الأشجار:

التي كانت تعظم في العيينة وما حولها[(٢)] وأشهرها شجرة الذيب [(٣)] .

هـ- المراسلات:

استغل الشيخ وجوده في العيينة ودعم أميرها له وبدأ بمراسلة مؤيديه وبعض العلماء ليشرح لهم ماهية دعوته ، ويوضح لهم ما يدعو إليه ، ومن رسائله تلك :

١- رسالة لأهل الرياض ومنفوحة .

٢- رسالة لمطاوعة الدرعية .

٣- رسالة لعبد الله بن عيسى مطوع الدرعية .

٤- رسالة لعبد الله بن عيسى وابنه عبد الوهاب . وغيرها من الرسائل [(٤)] .

وقد أشار الشيخ محمد بن عفالق إلى دعم الأمير (عثمان بن معمر) للشيخ محمد بن عبد الوهاب واستغلال الأخير لهذا الدعم في مراسلاته للعلماء والمطاوعة وفي رسالة بعثها ابن عفالق لـ (عثمان بن معمر) قال فيها : «فلا يخفاك أن ابن عبد الوهاب رام أمراً ، وفهم أنه لايدركه إلا بك فلابسك وتمكن من عقلك وذهنك ، وأخاف المطاوعة بك فداخلهم الخوف منك على النفس والمال» [(٥)] .

وهكذا استطاع الشيخ ابن عبد الوهاب أن يقنع كثيراً من العلماء والمطاوعة والناس بصحة ما يدعو له . وفي ظل الدعم الذي هيأه له ابن معمر ، في بداية الدعوة ، وفي بداية مرحلتها التطبيقية .

---

(١) ابن غنام ، جـ١ ، ص ٨٠ .

(٢) ابن بشر ، جـ١ ، ص ٣٩ .

(٣) ابن غنام ، جـ١ ، ص ٧٨ .

(٤) ابن غنام ، جـ٢ ، ص ١٣٧ ، ١٦٢ ، ٢١٥ ، ١٦٧ .

(٥) رسائل ابن عفالق لعثمان بن معمر ، ص ٥٨ .

٧- المعارضة للشيخ في العيينة:

استمر الشيخ يبين للناس مبادئ دعوته والأمير عثمان يدعمه بقوته السياسية والمعنوية والعسكرية ، إذا استدعى الأمر ذلك ، واشتهر أمر الشيخ وانتشر وبدأ معارضو الدعوة تشويه صورتها والتأليب على صاحبها ومناصريها .

وبدأت ردود الفعل تجاه أعمال الشيخ في العيينة تتجسد بمعارضة قوية من بعض علماء نجد وغيرهم ، ومنهم :

١- قاضي الرياض (سليمان بن سحيم) وولده محمد الذي راسل بعض علماء الأحساء والبصرة والحرمين ، فأيدوا ما ذهب إليه سليمان بن سحيم ، ولم يوافقوا الشيخ على بعض أعماله بل ألّفوا مؤلفات في الرد عليه .

٢- ابن قاضي الدرعية الشيخ عبد الوهاب بن عبد اللّه بن عيسى .

٣- الشيخ عبد اللّه المويس التميمي قاضي حرمة .

٤- الشيخ محمد بن عفالق ومحمد بن فيروز من الأحساء .

٥- الشيخ راشد بن خنين من الخرج .

٦- الشيخ صالح الصايغ من عنيزة .

٧- الشيخ مربد بن أحمد الوهيبي من حريملاء .

٨- الشيخ عبد العزيز الرزين .

٩- الشيخ عبد الوهاب القباني .

١٠- الشيخ عبد الله بن داود من الزبير .

١١- الشيخ سليمان بن عبد الوهاب ، قاضي حريملاء وشقيق الشيخ محمد .

وغيرهم من العلماء والقضاة والمطاوعة الذين أكثروا الردود على الشيخ محمد واتهموه بالبدعة والتضليل وتغيير الشرع والسنة ، ولم تكن المعارضة فقط موجهة للشيخ محمد بل طالت الأمير (عثمان بن معمر) حيث أنكر عليه المعارضون لدعوة الشيخ ما قام به عثمان من تأديب من يتخلف عن الصلاة في جماعة

المسلمين ، وتأديب من لم يصل وكذلك جباية عثمان للزكاة ، وغير ذلك من أمور الدين[(١)] .

على أي حال ، فإن عثمان بذل ما في وسعه لدعم الدعوة ، ولم يستطع معارضوه استقطاب أية قوى نجدية لمحاربة الشيخ ، لضعف تلك القوى أمام العيينة ، فتطلعوا إلى دعم خارجي[(٢)] .

قال مؤلف كتاب (لمع الشهاب) : « وحين رأى أكابر نجد ما صدر من محمد بن عبد الوهاب وما يخشون من عاقبة صنعه ، شكوا ذلك إلى سليمان آل محمد الحميدي الخالدي حاكم بني خالد والأحساء والقطيف وقطر كلها ، فالتمسوا منه أن يمشي على والي العيينة ويجليه من بلده ، وإنما استمدوا من سليمان هذا لأن أهل نجد قاطبة لم يدركوا عثمان بن معمر ذلك الوقت ، إذ هو في غاية المنعة والنصرة وكثرة الجنود والمال الكثير ، لأن بلاده أكبر مدن نجد وأكثرها محصولاً وخراجاً ، وأهلها أطوع لحاكمهم من غيرهم»[(٣)] .

ويتفق كل من ابن غنام[(٤)] وابن بشر[(٥)] ومؤلف كتاب «كيف كان ظهور الشيخ محمد» مع مؤلف كتاب « لمع الشهاب » في أن حاكم الأحساء طلب من أمير العيينة عدم دعم الشيخ أو قتله أو إخراجه من بلده ، فعرض الأمير عثمان رسالة حاكم الأحساء تلك على الشيخ محمد الذي طلب منه عدم الاكتراث بها ، وكانت تتضمن تهديداً باتخاذ إجراءات اقتصادية ضد العيينة إذا بقي الشيخ فيها ، وإذا استمر أمير العيينة في دعمه وحمايته .

وهذه الإجراءات الاقتصادية ما هي في الواقع إلا تلويح باتخاذ حصار اقتصادي متمثلاً في الآتي :

أولاً- التهديد بالاستيلاء على الممتلكات الشخصية للأمير (عثمان بن معمر) في

---

(١) ابن غنام ، روضة الأفكار ، جـ١ ، ص ٣٨ ، نسخة أبابطين .
(٢) ابن غنام ، جـ١ ، ص ٨٠ .
(٣) لمع الشهاب ، ص ٣١ .
(٤) جـ١ ، ص ٨٠ .
(٥) جـ١ ، ص ٤٠ .

الأحساء ، وهي ممتلكات زراعية عبارة عن مزارع نخيل وأرض زراعية تزرع بالأرز حيث وفرة المياه بالأحساء يبلغ إيرادها السنوي ستين ألف ريال ذهباً ، وذلك بمنع وكلاء عثمان من التصرف فيها [١] .

ثانياً- منع تجار العيينة من استعمال سواحل الأحساء ، وكذلك المتاجرة مع العراق والشام [٢] .

ومعنى هذا أنه سيُحكم الحصار الاقتصادي على العيينة ، وزاد ابن غنام إجراءً **ثالثاً**- وهو قطع خراج ابن معمر الذي في الأحساء[٣] ، والذي حدده ابن بشر بألف ومائتي أحمر - عملة ذهبية - وكسوة وطعام [٤] .

وأسلوب الحصار الاقتصادي من أقوى الأساليب والضغوط التي استخدمت ومازالت تستخدم ، ويحدد نجاحها من عدمه عدة عوامل . وفيما يلي سأناقش كل نقطة من النقاط الثلاث السابقة :

فبالنسبة لأملاك الأسرة المعمرية في الأحساء يتضح أنها كبيرة جداً بمقياس عصرها ، وأنها من أسباب تفوق العيينة في نجد ، واتفق ابن غنام مع مؤلف لمع الشهاب في أن حاكم الأحساء هدد أمير العيينة باستباحة جميع أمواله في الأحساء[٥] . وهذه الأملاك غير منقولة ، ويصعب التنازل عنها أو التفريط فيها .

ولا بد أن أمير العيينة رأى أن يعالج الوضع بالأسلوب الأمثل من وجهة نظره ، وإن كنت أرجح أنه قد فكر في بيع تلك الأملاك الزراعية الأحسائية ، والتي أصبحت سيفاً مشهراً أمام صانع القرار في العيينة .

ولم يكترث (عثمان بن معمر) بالتهديد بالحصار الاقتصادي أو الغزو لبلده ،وقد أعلن ذلك في رسالته لقاضي الأحساء الشيخ ابن عفالق حيث قال عثمان : « إنه - أي عثمان - ليس خائفًا من فقر (إشارة للحصار الاقتصادي)

---

(١) لمع الشهاب ، ص ٣١ .
(٢) المصدر نفسه ، ص ٣٢ .
(٣) ابن غنام ، جـ١ ، ص ٨٠ .
(٤) ابن بشر ، جـ١ ، ص ٤٠ .
(٥) ابن غنام ، جـ١ ، ص ٨٠ .

ولا من عذاب دنيا (إشارة إلى الحرب والمواجهة مع ابن عريعر) بل خائف عليك - على ابن عفالق ومن معه - من غضب الجبار ومن سجن النار » [١] .

أما النقطة الثانية التي هي منع تجار العيينة من استخدام موانئ الأحساء وقطع الطريق على المتاجرة مع العراق والشام ، فهو موجه في المقام الأول لقيادة العيينة والتجار ولسكان العيينة ثانياً ، بهدف إجبارهم على ممارسة ضغط على قيادة العيينة أو أن يتخذوا قراراً من أنفسهم ضد الدعوة وصاحبها .

وإذا طبق هذا الإجراء فليس أمام أمير العيينة إلا تحويل التجارة إلى موانئ غير موانئ الأحساء ، رغم ما في هذا القرار من الصعوبة ، أو أن يتم الاستيراد عن طريق طرف ثالث . هذا إذا عارض أمير العيينة مطالب حاكم الأحساء .

وهذه الإجراءات من بيع الأملاك ومعالجة وضع التجارة تحتاج إلى مدة تحددها مقدرة أمير العيينة على إدارة هذه الأزمة الاقتصادية السياسية ، وهي المدة التي قدرها أمير العيينة حينما طلب من الشيخ محمد أن يغادر العيينة مؤقتاً حتى يستطيع أن يعالج هذه الأزمة ، وهذا ما وضحه مؤلف لمع الشهاب في قوله : «فلما وصل كتاب سليمان بن محمد الخالدي إلى عثمان بن معمر التميمي صاحب العيينة اهتم ؛ وكره عداوة سليمان آل محمد ؛ وغضب أيضاً لخروج محمد ابن عبد الوهاب عنه ، لكنه ارتكب أخف المحظورين بإبداء المعذرة لدى محمد ابن عبد الوهاب خفية ، فقال له : إن محاربة هذا الرجل ، يعني سليمان آل محمد تصعب علينا أول الأمر ، وأكد القول بكيت وذيت ، فالرأي بعد هذا أن تسير من العيينة على بركات اللّه إلى أي بلد شئت من أرض اللّه وتقيم فيها سنة أو سنتين حتى نرى كيف يفعل اللّه بعد ذلك ، ثم مرجعك إلينا»[٢] . ويتفق بلجريف مع مؤلف كتاب لمع الشهاب في أن عثمان بن معمر طلب من الشيخ مغادرة العيينة مؤقتاً ؛ قال بلجريف : «اكتفى - يقصد عثمان بن معمر - بإبلاغ

---

(١) تنظر صفحة ٣٨٧ .

(٢) لمع الشهاب ، ص ٣٢ .

محمد بن عبد الوهاب بأنه لم يعد قادراً على حمايته ، وطلب منه الابتعاد من خطر الاعتقال وتوابعه وطلب منه أن يغادر منطقته بصورة مؤقتة »[١] .

أما النقطة الثالثة : وهي التي عبر عنها ابن غنام وابن بشر بخراج ابن معمر في الأحساء وهي ألف ومائتا أحمر وكسوة وطعام ، فأستبعد أنها هبة سنوية من حاكم الأحساء لأمير العيينة إذ إن الأخير ليس في حاجة لها لسببين :

الأول : أن أمير العيينة لديه مصادر دخل عديدة وعالية ، منها أملاكه في الأحساء والتي تقدر بستين ألف ريال ذهباً ، وكذلك دخل مزارعه في العيينة وقراها بالإضافة إلى الغنائم والزكاة التي تؤخذ من مزارعي وتجار العيينة وقراها وغيرها من مصادر الدخل التي تزود خزينة العيينة بأموال طائلة .

الثاني : أن أمير العيينة وريث جده (عبد اللّه بن معمر) أكبر أثرياء نجد وأمرائها الذي قال عنه ابن بشر : « وفي سنة ١١٣٨هـ ، أوقع اللّه سبحانه الوباء العظيم المشهور ، الذي حل بأهل العيينة ، مات فيه رئيسها عبد اللّه بن محمد بن حمد ابن عبد اللّه بن معمر ، الذي لم يذكر في زمانه ولا قبل زمانه ، في نجد في الرئاسة وقوة الملك والعدد والعدة والعقارات والأثاث مثله ، فسبحان من لا يزول ملكه»[٢] .

فوريث هذه الإمارة وأميرها ليس بحاجة إلى هبة أو خراج من أحد ، وهناك من يعزو[٣] أن هذه المبالغ كانت تدفع من قبل حاكم الأحساء لابن معمر مقابل حمايته - أي ابن معمر - للتجار المترددين على الساحل والمارين في مناطق نفوذه ، وقوافل الحج التي تمر بالعيينة ، سيما وأن قوافل الحج الأحسائية كثيراً ما تمر بالعيينة في طريقها من وإلى الحجاز ، فلاشك أنها تحظى بحماية من قبل قوات العيينة ، وأن هذا المبلغ الذي ذكره ابن غنام وابن بشر ما هو إلا مبالغ تدفع لحماية قوافل التجارة والحج الأحسائية .

---

(١) بلجريف ، ص ٣٧٦ .

(٢) ابن بشر ، نسخة مطابع القصيم ، جـ١ ، ص ٢٧٨ .

(٣) تاريخ نجد ودعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، فلبي ، ص ٣٨ .

٨- مغادرة الشيخ العيينة:

اقتنع الشيخ أن إقامته في العيينة مستحيلة في ضوء المستجدات التي طرأت على الساحة السياسية فيها ، وقرر الرحيل إلى الدرعية أقرب البلدان إلى العيينة .

ويمكن أن نجمل أسباب انتقال الشيخ من العيينة في الآتي :

١- طلب الأمير (عثمان بن معمر) منه ذلك ، وحدد الأمير تلك المدة التي يجب أن يقضيها الشيخ خارج العيينة بعام أو عامين حتى يستطيع حلّ المشكلات التي حالت دون بقائه فيها كما أسلفنا .

٢- تأثير بعض قبائل البادية والتي تقيم قرب العيينة على بعض سكان العيينة وتشجيعهم على إخراج الشيخ منها (١) . وكان بعض علماء نجد قد حذر رؤساء البوادي من التمسك بأهداب الدين ؛ بهدف إثارة أولئك الرؤساء ضد الشيخ (٢) .

٣- معارضة بعض سكان العيينة دعوة الشيخ حفاظاً على مصالحهم ، على الرغم من أن الأمير (عثمان بن معمر) دعم الدعوة وألزم الخاصة والعامة في العيينة باتباع ما يدعو إليه الشيخ (٣) .

إن أتباع الشيخ في العيينة لم يكونوا كثرة فيها ، فقد حدد عددهم ابن بشر (٤) بحوالي سبعين رجلاً ، بينما حددهم مؤلف كتاب «كيف كان ظهور شيخ الإسلام» بأربعين رجلاً (٥) ، وإذا كان سكان العيينة وقراها في ذلك الوقت يقدرون بخمسة وعشرين ألف نسمة (٦) فأتباع الشيخ وسط هذا العدد يعتبرون قلة ، وتعود قدرة الشيخ على التحرك في العيينة رغم قلة مؤيديه إلى تأييد

---

(١) لمع الشهاب ، ص ٢٤ .

(٢) ابن غنام ، جـ١ ، ص ٣٤ .

(٣) المصدر نفسه ، جـ١ ، ص ٧٨ .

(٤) ابن بشر ، جـ١ ، ص ٣٩ .

(٥) كيف كان ظهور شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب ، ص ٥٧ .

(٦) تاريخ البلاد العربية السعودية ، جـ١ ، ص ١٧٠ . ومع أن هذا العدد كبير إلا أن المؤشرات تدل على أن سكان العيينة كانوا كثيري العدد حيث إن عثمان بن معمر صحب معه من العيينة للجبيلة إحدى قرى العيينة ٦٠٠ جندي من جنوده إظهاراً للقوة والدعم ، حينما أراد الشيخ هدم قبة زيد بن الخطاب رضي الله عنه .

الأمير عثمان له ، إذاً استطاع معارضو الشيخ في العيينة استغلال الظروف وبدء إعلان المعارضة له ، فدب شقاق ونزاع بين الشيخ وبين بعض أقاربه في العيينة بسبب الخلاف على أسلوب الدعوة[١] ، وقرر بعض سكان العيينة مضايقة الشيخ . . . ويستمر الكلام لمؤلف (لمع الشهاب) الذي قال : «فاتفق الرأي على إخراجه من بيته قهراً ، حتى بني أعمامه عزموا على ذلك» [٢] . فسار الجميع بعد صلاة الجمعة بأسلحتهم بهدف إخراج الشيخ ، ولكن أخاه علي ابن عبد الوهاب أقنعه بالخروج من العيينة ، وتلافي الدخول في مواجهة مع بعض أقاربه وأهل بلده ، فخرج يوم الجمعة مغادراً إلى الدرعية .

وقد أشار مؤلف كتاب «كيف كان ظهور شيخ الإسلام» إلى أن بعض أهل العيينة هم الذين أخرجوا الشيخ منها في قوله : «وعند ذلك اختلفوا أهل المدينة وأخرجوه من بينهم»[٣] .

وتشير بعض الوثائق الأجنبية القريبة زمانياً للأحداث عن دور بعض أهالي العيينة في إجبار الشيخ على مغادرتها[٤] . وأعتقد أن الضغط الاقتصادي ، ودور العلماء المعارضين لدعوة الشيخ ، أسهما في إثارة الناس في العيينة ضد الشيخ ، وهنا يتدخل أمير العيينة ويتفق مع علي أخي الشيخ على إقناع الشيخ بضرورة مغادرة العيينة مؤقتاً خوفاً عليه من ثورة معظم الأهالي في العيينة[٥] وأن الشيخ طلب من عثمان إرساله للدرعية [٦] ، ومما يدل على أن حياة الشيخ وسلامته في العيينة في ظل هذه الظروف كانت في خطر ، وقد يكون الثائرون من سكان العيينة وما حولها من البوادي هم مصدر ذلك الخطر[٧] ، هو أن الأمير (عثمان بن معمر)

(١) لمع الشهاب ، ص ٢٣ .
(٢) نفس المصدر ، ص ٢٤ ، ٢٥ .
(٣) كيف كان ، ص ٤٧ .
(٤) رسالة مرسلة من السير هارفورد جونز بريد جزالي جاكوب رئيس المديرين ، مؤرخة بتاريخ الأول من ديسمبر عام ١٧٩٨م . انظر كتاب بنو خالد وعلاقتهم بنجد ، عبد الكريم المنيف الوهبي ، ص ٢٤٣ .
(٥) الوهبي ، عبد الكريم عبد الله ، بنو خالد علاقتهم بنجد ، ١٤١٠هـ ، الرياض ، ص ٢٤١ .
(٦) كيف كان ، ص ٥٧ .
(٧) بنو خالد ، ص ٢٤٢ .

أرسل مع الشيخ حينما توجه الأخير للدرعية عام١١٥٧هـ بعضاً من فرسانه بقيادة الفريد الظفيري وطواله الحمراني (*) ليحرسوا الشيخ (١) في طريقه من العيينة للدرعية . وقد ذكر ابن بشر في تاريخه ـ النسخة الأولى : أن عثمان ابن معمر أمر فرسانه بقتل الشيخ ، ولكن ابن بشر عاد وأوضح عدم صحة هذه القصة ، مؤكداً نفيها وعدم صحتها في النسخة الأخيرة من تاريخه ، وذلك في قوله : « واعلم رحمك الله أني ذكرت في المبيضة الأولى أشياء نقلت لي عن (عثمان بن معمر) وفرسانه أنه أمرهم بقتل الشيخ في الطريق وغير ذلك ، ثم تحقق عندي أنه ليس لها أصلٌ بالكلية فطرحتها من هذه المبيضة» (٢) .

وهذا يدل على مدى أمانة ابن بشر العلمية في كثير مما يسجله من وقائع وأخبار ، ويؤكد براءة ساحة الأمير عثمان مما اختلق ضده من وقائع تخالف الحقيقة .

٩- وصول الشيخ إلى الدرعية :

وصل الشيخ محمد إلى الدرعية في اليوم نفسه الذي غادر فيه العيينة يرافقه فارسان من فرسان العيينة الذين أرسلهم أميرها لحراسته من ناحية ولإظهار دعمه للشيخ حتى بعد خروجه من العيينة من ناحية أخرى .

ونزل ضيفاً على عبد الله بن عبد الرحمن بن سويلم ، ثم انتقل لمنزل تلميذه أحمد بن سويلم حيث علم به بعض أهالي الدرعية فزاروه ، وأخبروا موضي بنت وطبان من آل كثير وهي زوجة محمد بن سعود أمير الدرعية ، كما أخبروا ثنيان بن سعود أخا محمد اللذين أبلغا بذلك أمير الدرعية محمد بن سعود ، فخف مسرعاً إليه ومعه أخواه ثنيان ومشاري ، ثم اتفق الأمير مع الشيخ على نصرة دعوته وتعاهدا على ذلك ، ثم إن الأمير محمد بن سعود طلب من الشيخ البقاء في الدرعية كمقر دائم له ولدعوته (٣) .

(*) الفريد الظفيري : من آل عسكر من الظفير ، وطواله الحمراني ذكر العسكر أن صحة اسمه هي طواله الحمر من فخذ العجلانات من الظفير ، تنوير المسير عن تاريخ الظفير ، عبد الله العسكر ، ص٥٢ . بينما يذكر الأستاذ محمد الحمرا أن طواله من الحمران من ذوي ثبيت من عتيبه .

(١) ابن بشر ، جـ١ ، ص ٤٠ .　　(٢) المصدر نفسه ، جـ١ ، ص٤٠ ، ٤١ .

(٣) المصدر نفسه ، ص ٤٢ . ابن غنام ، جـ١ ، ص ٨١ .

١٠- قدوم أمير العيينة إلى الدرعية:

بعد زوال الأسباب التي وقفت عائقاً أمام بقاء الشيخ في العيينة ، وبمرور جزء من الفترة التي حددها أمير العيينة لذلك ؛ ترأس أميرها (عثمان بن معمر) وفداً من وجهاء وأعيان بلده متوجهاً إلى الشيخ في مقره الجديد بالدرعية ، وذلك في العام نفسه ، الذي غادر فيه الشيخ العيينة .

وأوضح عثمان للشيخ أن الأوضاع الآن مناسبة في العيينة لعودته إليها ، ونشر دعوته المباركة ، ووعد وفد العيينة الشيخ بالنصر والمنعة ، فرحب الشيخ بالوفد ولم يعارض العودة إلى العيينة ، ولكنه جعل الأمر لأمير الدرعية للعهد الذي بينهما ، وحسب رواية ابن غنام فإن الشيخ محمد قال لعثمان حينما طلب منه العودة معه للعيينة : « ليس هذا إليّ ، وإنما هو إلى (محمد بن سعود) ، فإن أراد أن أذهب معك ذهبت ، وإن أراد أن أقيم عنده أقمت . . »[1] . فذهب عثمان لأمير الدرعية وطلب منه السماح للشيخ بالعودة معه فرفض الطلب .

هذا ، وقد انتقل من العيينة إلى الدرعية بعض آل معمر وجماعة من أهل العيينة الموالين للشيخ والمتحمسين لدعوته ، وذلك لمناصرته في الدرعية والتتلمذ على يديه[2] .

١١- العيينة ومرحلة تطبيق الجهاد:

في عام ١١٥٩هـ وقعت مواجهة بين (دهام بن دواس) أمير الرياض وأهالي منفوحة المؤيدين لدعوة الشيخ ، مما آثار حفيظة الدرعية حيث هاجم أهلها الرياض ، فرد دهام بمهاجمة العمارية ، وهي الأخرى لها علاقة طيبة بالدرعية ، وعلى هامش مهاجمة العمارية وقعت مواجهة بين دهام وقوات الدرعية انتهت بهزيمتها ومقتل بعض رجالها[3] في موقعة تسمى «فيضة لبن» .

وعندما وصلت أخبار تلك المواجهة إلى أمير العيينة لم يرض بموقف أمير الرياض ضد الدرعية وهي البلد التي تحتضن الدعوة ، فتوجه إلى الدرعية وقدم

---

(١) ابن غنام ، جـ١ ، ص ٨٢ .
(٢) ابن بشر ، جـ١ ، ص ٤٣ .
(٣) ابن بشر ، جـ١ ، ص ٥١ ، ٥٢ .

على الشيخ محمد[١] وأعلن استعداده للجهاد جنباً إلى جنب مع قوات الدرعية، وبايع الشيخ على ذلك، حسب رواية ابن بشر[٢]، ولا أستبعد أن الشيخ طلب من عثمان ذلك.

١٢- بدء معارك الدعوة:

بعد أن أعلن عثمان بن معمر استعداده للمشاركة العسكرية مع قوات الدرعية تبين أن ميزان القوى رجح لصالح الدرعية، فبدأت أولى المواجهات بين قوات العيينة والدرعية من جهة وقوات الرياض من جهة أخرى، وأولى تلك المواجهات هي:

أ- موقعة الشياب:

تحركت قوات العيينة والدرعية بقيادة عثمان بن معمر ومحمد بن سعود صوب الرياض في عام ١١٥٩هـ، فلما قربوا من البلد أغار جزء من الجيش عليها، والبعض الآخر كمن قريباً منها، فخرج أهل الرياض بقيادة أميرهم دهام بن دواس لصد القوات المهاجمة، ودارت رحى المعركة في مكان يسمى «الوشام»[*]، وخرج الكمين عليهم فولوا منهزمين للرياض وقتل منهم عشرة رجال منهم شايبين[**] من آل شمس[٣]. وسميت الموقعة بهم، وهكذا ردت الدرعية اعتبارها في هذه الموقعة وتم قتل أكثر من ثلاثة أضعاف قتلاها في موقعة «فيضة لبن».

ب- موقعة العبيد:

وبعد موقعة الشياب وفي العام نفسه قاد الإمام محمد بن سعود قوات الدرعية

---

(١) ابن غنام، جـ١، ص٨٣، ٨٤؛ ابن بشر، جـ١، ص ٤٦؛ لمع الشهاب، ص ٢٦.
(٢) ابن بشر، جـ١، ص ٤٨.
(*) الوشام جبل قرب مدينة الرياض وخارج سورها في ذلك الوقت حسب رواية ابن غنام، جـ١، ص٩٣ الآن حي من أحيائها، ويقع الآن جنوب شرقي عمارة الباخرة في شارع الخزان.
(**) ابن غنام ذكر أنهم شايبان وكذلك ابن بشر في تاريخه المخطوط ونسخة مطابع القصيم، بينما في تاريخ ابن بشر طبعة دارة الملك عبد العزيز، قال: معركة الشباب.
(٣) ابن بشر، جـ١، ص ٥٢، ٥٣.

وعرقة وتوجه للرياض ونشب قتال بين الطرفين ، انتهى بهزيمة قوات الرياض ، ومقتل عشرة رجال من أهلها أغلبهم عبيد فعرفت هذه الموقعة بموقعة العبيد أو غبيه .

جـ- وفي عام ١١٦٠هـ قاد (دهام بن دواس) قوات الرياض من حاضرة وبادية وهاجم الدرعية ، ونشب قتال بين الطرفين ، وانتهت المعركة بهزيمة الدرعية ومقتل خمسة من رجالها أشهرهم ابنا أمير الدرعية فيصل وسعود [(١)] .

د- موقعة دلقة :

وبعد مقتلهما استعد والدهما للثأر لهما وللدعوة «وشمر للحرب» حسب رواية ابن بشر [(٢)] ، وجهز جيشاً مكوناً من أهل الدرعية وقراها وأهل منفوحة ، كما اشترك فيه أهالي العيينة ولم يشترك (عثمان بن معمر) فيه ، وسار محمد ابن سعود بهذه القوات في ربيع أول عام ١١٦٠هـ إلى الرياض ، ودارت رحى المعركة في وسط البلد ، وأسفرت عن سقوط عدد من القتلى والجرحى بين الفريقين أكثرهم من أهل الرياض ، ومعنى هذا أن الدرعية هاجمت دهام في بلده واستطاعت أن تخرج من ذلك الهجوم بانتصار واضح حسياً ومعنوياً على قوات الرياض ، ويتضح من مسمى المعركة دلقة أو الشراك أنه استعمل فيها عنصر المفاجأة أثناء الإغارة على الرياض .

وتعرف هذه الموقعة بموقعة «دلقة» أو «الشراك» وكانت هذه الغزوة من غير مشورة (عثمان بن معمر) ورضاه ، فلم يحضرها [(٣)] .

وحاول عثمان الإصلاح بين القائمين بأمور الدعوة وبين خصومها في اجتماع في العيينة ولكن الشيخ محمد رفض الحضور .

أما عن الأسباب التي وقفت عائقاً أمام حضور الشيخ محمد بن عبد الوهاب لاجتماع العيينة الذي دعي له أمير الرياض وأمير ثرمداء في رأيي فتتمثل في :

---

(١) ابن غنام ، جـ١ ، ص ٩٢ ؛ ابن بشر ، جـ١ ، ص ٥٣ ؛ الفاخري ، ص ١٠٦ وقد حدد ابن غنام والفاخري وابن بشر نسخة مطابع القصيم هذه الموقعه في عام ١١٦٠هـ ، بينما تاريخ ابن بشر طبعة دارة الملك عبد العزيز ذكر أنها في عام ١١٥٩هـ.

(٢) ابن بشر ، جـ١ ، ص ٥٣ .

(٣) ابن غنام ، جـ١ ، ص ٩٣ ؛ ابن بشر ، جـ١ ، ص ٥٣ ، ٥٤ .

١- نجاح بعض أنصـار الشيخ في تحذيره من حضور الاجتماع ، قال ابن بشر «وجاءه النذير عنهم بذلك يحذره من الحضور عندهم ، وأبى الشيخ أن يقدم عليهم»[١] .

وحسب قول ابن غنام فإن الشيخ أبدى غاية الامتناع ، واعتذر عن الموافاة والاجتماع [٢] .

٢- لم يكن الجو العام في الدرعية مهيأ للمصالحة مع أمير الرياض دهام ابن دواس ، إذ لم تجف بعد دماء قتلى الدرعية وخاصة سعود وفيصل ابني أميرها ، اللذين قتلهما ابن دواس في هجومه على الدرعية أوائل عام ١١٦٠هـ [٣] .

٣- كان من الصعوبة على الشيخ أن يصافح (دهام بن دواس) في صلح ويداه ملطخة بدماء مناصريه في منفوحة والعمارية والدرعية التي كان بينه وبين أميرها معاهدة ومبايعة على أن الدم بالدم والهدم بالهدم [٤] .

أما مؤرخا الدعوة ابن غنام وابن بشر فقد وصفا محاولة أمير العيينة الإصلاحية تلك بأنها خيانة وغدر .

وحينما ناقش الشيخ حمد الجاسر تلك المحاولة قال : « لا شك أن ما فعله عثمان من محاولته الإصلاح بين القائمين بأمور الدعوة وبين عدويهم اللدودين صاحب الرياض وصاحب ثرمداء بدون مشورة واتفاق على ذلك بينه وبين الشيخ محمد والأمير محمد بن سعود من الأمور التي يؤاخذ عليها ، مهما كان قصده ، ولعل الشيخ في امتناعه عن الحضور ، اتضح له من خفايا الأمر ما لم يتضح في العبارات المبهمة من كلام المؤرخين الذين وصفوه بالخيانة والغدر ، ولا نريد أن نذهب بعيداً في محاولة الدفاع عن عثمان ، أكثر من القول بأن فعله هذا وسع شقة الخلاف وهيأ للناقمين عليه - ومنهم بعض أهل بلده من قومه - أقوى الوسائل للنيل منه» [٥] .

(١) ابن بشر ، جـ١ ، ص ٥٥ .

(٢) ابن غنام نسخة أبابطين ، جـ٢ ، ص ١٠ .

(٣) ابن بشر ، جـ١ ، ص ٥٣ ، الفاخري ، ص ١٠٦ .

(٤) ابن غنام ، جـ١ ، ص ٨١ ، ابن بشر ، جـ١ ، ص ٤٢ .

(٥) المرأة في حياة إمام الدعوة ، ص ١٧٦ ، ١٧٧ .

ثم بعد ذلك صحب أمير العيينة معه أمير حريملاء ووجهاء البلدين إلى الدرعية وتم الاتفاق في الدرعية(١) على إسناد قيادة جيش الدعوة لعثمان بن معمر (٢) .

وما كان أعضاء هذا الائتلاف وفيهم الشيخ محمد بن عبد الوهاب والإمام محمد بن سعود يختارون قائداً لهذا الجيش القائم على أساس الدعوة إلا لرجل يطمئنون إلى ظاهره وباطنه ويثقون بكفاءته وقدرته ولا يشكون في مبادئه وإخلاصه للدعوة ، لأن نجاح الدعوة مقرون بكفاءة وإخلاص قادتها ، ثم إنها أمانة ومصير دعوة ودولة ، كما أن أمير العيينة معروف للشيخ قبل انتخابه ، علماً أن الدعوة استفادت من إمكانات ابن معمر . واطمأن عثمان لهذه النتيجة التي انتهت إليها مفاوضاته في الدرعية ، وبدا وكأن الأمور قد حلّت حلاً موفقاً (٣) .

وعلى هامش هذا الاجتماع الذي تم في الدرعية منتصف عام ١١٦٠هـ ولزيادة التآخي والتصافي والمحبة والاتفاق قويت الأواصر بعدد من الزيجات السياسية بين أبناء وأقارب قادة الائتلاف أهمها :

١- زواج عبد العزيز بن محمد بن سعود ابن أمير الدرعية من كريمة أمير العيينة عثمان بن معمر ، وأنجبت منه عام ١١٦١هـ (سعود بن عبد العزيز) الذي أصبح إماماً في الدرعية بعد مقتل والده عام ١٢١٨هـ (٤) .

٢- تزوج مشاري بن إبراهيم بن معمر ابن عم الأمير عثمان ، والذي تولى إمارة العيينة فيما بعد ، بين عامي ١١٦٣ إلى ١١٧٣هـ من كريمة أمير الدرعية محمد ابن سعود ، وأنجبت منه محمد بن مشاري بن معمر أحد أعيان الدرعية وأميرها ما بين عامي ١٢٣٥-١٢٣٦هـ (٥) .

ومضت بقية عام ١١٦٠هـ دون أية مواجهات عسكرية بين الدعوة وخصومها .

---

(١) ابن بشر ، جـ١ ، ص ٥٥ .
(٢) ابن غنام ، نسخة أبابطين ، جـ٢ ، ص ٩ ، ١٠ .
(٣) د . عبد الله العثيمين ، تاريخ المملكة العربية السعودية ، ص ٩٥ .
(٤) ابن بشر ، جـ١ ، ص ٢٩ ، ط٣ عام ١٣٨٥هـ ، طبعة مطابع القصيم .
(٥) الفاخري ، ص ١٥٣ ، ١٥٥ .

ونشطت المراسلات لإيضاح أهداف الدعوة من قبل الشيخ محمد، ومن قبل أمير العيينة عثمان بن معمر الذي بدأ يراسل علماء الإحساء وبخاصة الشيخ محمد بن عبد الرحمن بن عفالق، وبين يدي صورة لرسالتين(*) من الشيخ ابن عفالق للأمير عثمان بن معمر رداً على رسالتين منه لابن عفالق، يشرح لابن عفالق فيهما ما يدعو له الشيخ محمد بن عبد الوهاب، وسأعرض هنا لمقتطفات من بعض ما كان يدعو إليه عثمان بن معمر في رسالتيه(1) لابن عفالق:

١- قال عثمان لابن عفالق: «إن الكلام أوله وآخره في كلمة التوحيد والاختلاف عندها».

٢- ثم قال عثمان: «أن لكم من اثني عشرة سنة تعالجون هذا الأمر، فأنكرتموه أولاً وثبتكم فيه المطاوعة يقولون هذا حق، والذي ليسوا في الأحساء شرك وفي غيرها كذلك. وتقولون: عذرهم أنهم ما يقدرون على إزالته وأنهم خابرينه قبل ابن عبد الوهاب».

٣- ثم قوله: «إن كان العلماء ذكروا أن هذا الذي ملأ الأرض من التعلق على الصالحين وغيرهم ودعائهم والذبح لهم دين الله ودين رسوله فاذكروا لنا وسمعاً وطاعة. وإن كان مذكور أنه شرك بالله إلا في حق النبي، وإن النبي يدعى مع الله ولا يدعى الاثنان جبار السموات والأرض وعبده ورسوله محمد فكذلك، وإن كان دعوة غير الله شرك ولا يدعى مع الله أحد لا نبي ولا غيره، ولو كان مراد الداعي الاستشفاع لكنه شرك أصغر لا يخرج عن الملة...».

٤- ثم قوله: «حق الله على العبيد طاعته وإتباع أمره..».

٥- ثم قوله لابن عفالق: «ثمرة الكلام مني إليك محبة وشفقة، وأن هذا الأمر رايعني - يقصد موقف ابن عفالق من الدعوة - وخفت عليك مثل ما أخاف

(*) رسالتين من الشيخ محمد بن عفالق للأمير عثمان بن معمر رداً على رسالتين من الأخير لابن عفالق، أصلهما محفوظ في المكتبة الحكومية ببرلين دائرة الحضارات البرويسكية القسم الشرقي برقم ١٠٥. الأولى منهما في ٣٩ صفحة، والثانية مختصرة في ٤٢ صفحة. كما توجد صورة من الرسالتين محفوظة في مكتبة أرامكو برقم ٧١١ xxx

(1) ينظر للصفحات ٥٦، ٥٨، ٦٠، ٦٣، ٦٤ من الرسالتين.

على نفسي ، فأعرف أنني ناصح لك ومشفق عليك ، وخايف لا من فقر ولا من عذاب دنيا بل خايف عليك من غضب الجبار ، ومن سجن النار فاعلم أنها نصيحة لك» انتهى كلام عثمان بن معمر .

ويتضح من كلام ابن عفالق استياؤه من دعم عثمان لدعوة الشيخ محمد ابن عبد الوهاب ، ونقتطف من كلامه لعثمان ما يلي :

١- يقول ابن عفالق لعثمان بن معمر : « فلا يخفاك أن ابن عبد الوهاب رام أمراً وفهم أنه لا يدركه إلا بك فلابسك وتمكن من عقلك وذهنك وأخاف المطاوعة بك فداخلهم الخوف منك على النفس والمال . . » .

٢- ثم يقول : « هذا الرجل (يقصد الشيخ محمد) ليس في قوله اختلاف عندكم بل كل قوله مقبولاً تأخذونه من غير بينة ولا دليل ، وتنفرون عن ما سواه من الأقوال وتعيبونه . . » ص ٤٠ .

٣- ثم يقول : « فلقد شربت قلوبكم وأنفسكم كلامه » ص ٥٠ من الرسالتين .

٤- ويقول « وأرسلت لك مافيه الكفاية مع علمي أن ابن عبد الوهاب لا يأخذ به ولا يعمل به ، وأنتم له تبع في كل ما يقول . . » ص ٦٣ من الرسالتين .

ثم يتوقع ابن عفالق مصير رسائله تلك إلى (عثمان بن معمر) فيقول : « فكأني بنفسك الأمارة (يقصد عثمان بن معمر) تستهزئ بالحق وأهله وتصعر خدك إذا عرض عليك وتنهى أتباعك أن يستمعوه أو ينظروا إليه» ص ٥٤ من الرسالتين .

ويصدق توقع ابن عفالق فإن عثمان ضرب بالانتقادات التي وجهت له إزاء دعمه للشيخ عرض الحائط ، وأوضح لابن عفالق أن الشيخ محمد يسير على طريقة السلف وأنه لم يبتدع أمراً جديداً وأن ما لديه هو كلام العلماء والأئمة ، فيقول (عثمان بن معمر) في رسالة منه للشيخ ابن عفالق ما يلي : « ابن عبد الوهاب يقول هذا مذهب العلماء كلهم وعندي كتبهم حاضرة . . » ص٦٤ من الرسالتين .

ويقول أيضاً : « إن ابن عبد الوهاب ما عنده غير كتب أهل العلم» . ثم يدعو (عثمان بن معمر) الشيخ محمد بن عفالق وغيره من العلماء المعارضين إلى مناظرة

مع الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، وذلك من قوله لابن عفالق : « لو يظهر عالم يواجه ابن عبد الوهاب . . » ص ٦٣ . ولكن ابن عفالق يبرر موقفه من المناظرة .

ويستمر العلماء في الرد على الشيخ ، ولم يثن عزم الشيخ محمد ذلك بل أرسل لهم الردود الواضحة التي تبين صدق طريقته ودعوته السلفية .

ثم دخل عام ١١٦١هـ وبدأت بعض المواجهات بين الدعوة وخصومها ، وأهم المواجهات الوقعات التالية :

أ - موقعة البنية :

قاد عثمان بن معمر هذه الموقعة في عام ١١٦١هـ بجيش من أهل العيينة وأهل الدرعية وفيهم (عبد العزيز بن محمد بن سعود)[(١)] ، وأهل حريملاء وأهل ضرماء ، وزحف بهذا الجيش إلى الرياض وباغتها من شرقيها عبر وادي الوتر «البطحاء» وعسكر الجيش بين العود والبنية ، وحدث في اليوم الأول تراشق ورمي ، سقط فيه قتلى من الجانبين ، وفي آخر ذلك اليوم تحركت قوات الدعوة إلى منفوحة وأقاموا فيها ثلاثة أيام ، يتشاورون في الطريقة التي يتم بها استدراج قوات الرياض إلى المواجهة المباشرة معهم ، ثم اتجه الجيش إلى الرياض ، حيث قسم إلى فرقتين : الأولى اتجهت إلى «صياح» فدخلوها صباحاً ، وتم الاستيلاء على مافيها من الأموال بعد قتال شديد . أما الفرقة الثانية وهم أهل حريملاء وأهل عرقة فساروا إلى «مقرن» وتوغلوا حتى وصلوا إلى «الظهيرة» فاجتمع أهل البلد عند قصر الأمير دهام بن دواس فالتقى الفريقان والتحما في قتال شديد انتهى بهزيمة المهاجمين وسقوط ٢٥ قتيلاً منهم ، وغادر الناجون البلد ، ثم إن دهام وأهل بلده تشجعوا بعد هزيمة هذه الفرقة وكروا على الفرقة الأولى المنتشين بالانتصار والمنتشرين في المنازل والمزارع يجمعون الغنائم ففاجأهم دهام ورجاله ودارت معركة بين الطرفين قتل من جيش الدعوة خلالها عشرون رجلاً ، وكان مجموع قتلى جيش الدعوة في ذلك اليوم ٤٥ قتيلاً . وهكذا تجمعت فلول جيش

---

(١) ذكر ابن غنام أن محمد بن سعود هو الذي خرج مع أهل الدرعية ، بينما ذكر ابن بشر أن عبد العزيز بن محمد هو الذي خرج معهم ، وهو الأرجح عند المؤلف .

الدعوة خارج البلد ، وقاموا بهدم بعض التحصينات الدفاعية في الرياض وعادوا إلى بلدانهم [(١)] .

ب- موقعة الخريزة:

في العام نفسه قاد الأمير (عثمان بن معمر) جيش الدعوة المؤلف من أهل العيينة وأهل حريملاء وأهل الدرعية وفيهم (عبد العزيز بن محمد بن سعود) ، وأهل عرقة ، وتوجه الجيش إلى الرياض وعسكر في (صياح) فخرج عليهم أهل الرياض ودارت رحى معركة قوية بين الطرفين ، اشترك فيها بعض أهل منفوحة بجانب قوات الدعوة ، أسفرت عن سقوط عدد من القتلى بين الجانبين ، كان منهم عشرة مقاتلين من أهل العيينة [(٢)] .

جـ- موقعة البطين:

هذه الموقعة من أعظم المواقع وأشهرها ، انتصر فيها جيش الدعوة انتصاراً ساحقاً على أهل ثرمداء .

ففي عام ١١٦١هـ وبعد موقعة الخريزة قاد الأمير (عثمان بن معمر) جيش الدعوة المكون من أهالي البلدان الثلاثة الذين اشتركوا في موقعة الخريزة بالإضافة لضرماء ، واتجه الجيش لثرمداء ، ونفذ في هذه الموقعة أسلوب الكمين ، وهو من الأساليب العسكرية الناجحة ، فبعد وصول الجيش إلى ثرمداء مساءً ضرب القائد معسكره في مكان يسمى البطين ، وقسم جيشه إلى قسمين : قسم يقابل به أهل البلد ، والقسم الآخر وهو القوة الضاربة في الجيش جعل منه كميناً في موقع قريب ، وفي الصباح الباكر خرج المقاتلون من أهل ثرمداء لمواجهة جيش الدعوة ، والتحموا معه فخرج الكمين عليهم وحمي وطيس المعركة ، وانجلت عن مقتل سبعين مقاتلاً من أهل ثرمداء[(٣)] ، ولاذ بقية المقاتلين بقصر قريب من موقع المعركة يسمى قصر (الحريّص) وتحصنوا فيه . وأما ثرمداء نفسها فقد خلت من المقاتلين [(٤)] .

---

(١) ابن غنام ، جـ١ ، ص ٩٥ ؛ ابن بشر ، جـ١ ، ص ٥٦ ، ٥٧ .
(٢) ابن بشر ، جـ١ ، ص ٥٧ ؛ ابن غنام ، جـ١ ، ص ٩٦ .
(٣) ابن بشر ، جـ١ ، ص ٥٨ ، ٥٩ .
(٤) ابن بشر ، نسخة أبابطين ، ص١٢ .

د- غزوة ثرمداء الثانية:

في العام نفسه وبعد موقعة البطين قاد (عثمان بن معمر) جيش الدعوة قاصداً ثرمداء ، وحاصروا البلد ولكن أهلها لم يخرجوا لمواجهة الجيش خوفاً من الكمين على غرار موقعة البطين ، وحاول جيش الدعوة جر أهل ثرمداء للمواجهة ، وذلك بقطع بعض الأشجار وتدمير بعض الزروع[١] ولكن أهل البلد فضلوا عدم المواجهة ، وعندما يئس جيش الدعوة من إمكانية المواجهة ، وأصبحت مقابلة البلد غير ذات جدوى قرر الجيش الرحيل عنها .

هـ- موقعة ثادق:

قاد (عثمان بن معمر)[*] جيوش الدعوة في آخر عام ١١٦١هـ ، وكانت وجهة الجيش هذه المرة لبلد ثادق ، فوصلوا إليها ليلاً فعمد إلى تقسيم الجيش إلى قسمين ، قسم يواجه به البلد ، وآخر جعله يكمن حولها ، مثل ما فعل في موقعة البطين مع ثرمداء ، وعندما خرج أهل ثادق فاجأهم الكمين وهزموا ، وقتل منهم سبعة مقاتلين ، وغنم جيش الدعوة أغلب أغنام أهل البلد[٢] .

ثم وقعت بعد ذلك في عام ١١٦٢هـ وقعات كثيرة ومواجهات كثيرة بين الدعوة وخصومها[٣] . لا نستبعد اشتراك أهل العيينة فيها تحت قيادة أميرهم (عثمان بن معمر) .

١٣- مقتل الأمير عثمان بن معمر:

كما مر بنا يُعَدُّ الأمير (عثمان بن معمر) أول أمير نجدي يؤيد دعوة الشيخ محمد ابن عبد الوهاب ، وينقلها إلى حيز التطبيق العملي في العيينة ، ثم استمر في مناصرتها بعد رحيل الشيخ إلى الدرعية وتبنى الإمام محمد بن سعود تأييد الشيخ ونصرته بعد ذلك .

---

(١) ابن بشر ، جـ٢ ، ص ٥٩ ؛ ابن غنام ، جـ١ ، ص ٩٦ .

(*) أرجح أن عثمان بن معمر هو قائد هذه المعركة حيث إنه لا يزال هو القائد لجيوش الدعوة ، متفقاً مع فلبي الذي رجح ذلك في كتابه تاريخ نجد ، ص ٤٥ .

(٢) ابن غنام ، المصدر والجزء نفسه ، ص ٩٦ .

(٣) ابن غنام ، طبعة أبابطين ، جـ٢ ، ص ١٣ .

وأثناء إقامة الشيخ في العيينة صار له اتباع ومناصرون ، رحل بعضهم إلى الدرعية بعد أن استقر بها الشيخ ، وكان من بينهم عبد الله وزيد وسلطان أبناء (محسن بن معمر) ، وأقاموا فيها بسبب خلاف بينهم وبين أمير البلد عثمان ابن معمر ووصفهم ابن بشر[١] بالمعاكسين لعثمان ، بينما وصفهم ابن غنام[٢] بالمخالفين له ، واللفظان لهما المعنى نفسه ، ولا أستبعد أن هناك طموحات سياسية وراء تلك الخطوة التي اتخذوها ، إذ استطاع أحدهم وهو (سلطان بن معمر)[*] بعد ١٤ عاماً من رحيله من العيينة ، أن يرشح أميراً لها عام ١١٧٣هـ بعد عزل أمير العيينة (مشاري بن معمر) من قبل الدرعية[٣] .

كان هناك خلاف بين الأمير عثمان وبعض معارضيه الذين استغلوا بعض أعماله وفسروها كما يروق لهم بهدف النيل منه والإساءة إليه .

وأولى تلك الإساءات : تفسيرهم إرسال عثمان فارسين من فرسان العيينة لحماية الشيخ عند رحيله منها للدرعية بأنهما أرسلا لقتل الشيخ في الطريق بين العيينة والدرعية .

وصدق الكثير من العامة هذا القول بل وصل الأمر إلى توثيقه من بعض المؤرخين كابن بشر الذي قال ما نصه : « فأمر - يقصد الأمير (عثمان بن معمر) - فارساً عنده يقال له : الفريد مع خيالة معه منهم طوالة الحمراني ، وقال : اركب جوادك وسر بهذا الرجل إلى ما يريد فقال الشيخ : أريد الدرعية ، فركب الفارس جواده والشيخ يمشي راجلاً أمامه ، وليس معه إلا المروحة ، وذلك في غاية الحر في فصل الصيف ، فقال ابن معمر لفارسه : إذا أنت وصلت إلى أخيه يعقوب فاقتله عنده ، وكان يعقوب هذا رجلاً صالحاً قتل ظلماً بين الدرعية والعيينة ، وجعل في غار جبل هناك على قارعة الطريق . ونسب الشيخ إلى إخوته لأجل الصلاح ، فسار الفارس والشيخ أمامه وهو لا يلتفت ويلهج بقوله

---

(١) ابن بشر ، جـ١ ، ص ٤٣ .

(٢) ابن غنام ، جـ١ ، ص ٨٢ .

(*) ألمح إلى ذلك الشيخ حمد الجاسر في كتابه المرأة في حياة الشيخ محمد ، ص ١٨٠ .

(٣) ابن بشر ، جـ١ ، ص ٨٤ ؛ ابن غنام ، جـ١ ، ص ١١٣ .

تعـالى : ﴿ ومن يتقِ اللهَ يجعل له مخرجًا ويرزقه من حيث لا يحتسب ﴾ وسبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ، والفارس لم يكلمه ، فلما هم بقتله كف الله عنه يده وأبطل كيده وقذف الله سبحانه في قلبه الرعب حتى ما استطاع أن يمشي قدماً ، فحرف جواده وانصرف إلى «العيينة» وقال لعثمان : إنه أصابني رعب عظيم حتى خفت على نفسي»[1] .

ولكن ابن بشر نفسه تأكد بعد ذلك من عدم صحة هذا الادعاء فرأى أنه من الأمانة العلمية أن يصحح ما سبق أن وقع فيه من خطأ ، بناء على رواية مختلقة ، فصحح ما سبق أن سجله بقوله : «أعلم رحمك الله أني قد ذكرت في المبيضة الأولى أشياء نقلت لي عن (عثمان بن معمر) وفرسانه ، أنه أمرهم بقتل الشيخ في الطريق وغير ذلك ، ثم تحقق عندي أنه ليس لها أصلاً بالكلية فطرحتها من هذه المبيضة»[2] ، وهذا يؤكد أن هناك كثيراً من الافتراءات اختلقت ضد الأمير عثمان بن معمر .

وثانيتها : انتهاز المعارضين اجتماع الأمير عثمان بن معمر عام ١١٦٠هـ بكل من أمير الرياض (دهام بن دواس) وأمير ثرمداء إبراهيم بن سليمان العنقري في العيينة الذي حاول فيه عثمان المصالحة بين خصوم الدعوة والقائمين عليها ، وأرسل إلى الشيخ في الدرعية يدعوه لحضور الاجتماع ، ولكن المعارضين له أرسلوا للشيخ محمد يحذرونه من حضور الاجتماع[*] فاستجاب لتحذيرهم ، مما أسهم في فشل ذلك الاجتماع .

ونتيجة لذلك قدم عثمان بن معمر على الشيخ في الدرعية وأوضح له وجهة نظره ، عندها أسندت لعثمان بن معمر قيادة جيش الدعوة لكفاءته وإظهاراً للثقة فيه .

وأثناء موقعة البطين ضد ثرمداء استغل المعارضون له رفضه دخول البلد وخلافه مع صهره (عبد العزيز بن محمد بن سعود) حول ذلك ، واتهموه

---

(١) ابن بشر ، نسخة مطابع القصيم ، جـ١ ، ص ١٤ .
(٢) ابن بشر ، جـ١ ، ص ٤١ .
(*) ينظر ص ٣٨٣ وما بعدها .

بموالاة المعارضين للدعوة وأخيراً استغل المعارضون له المراسلات بينه وبين الشيخ محمد بن عفالق وزعموا أنها تهدف إلى معاداة الدعوة الإصلاحية ، وحينما تطرق ابن بشر لتلك الرسائل قال : «وقيل : إنه أتاه كتاب من محمد ابن عفالق يحرضه على معاداة المسلمين ونقض بيعتهم» (١) .

ولكن يتضح من ردود عثمان بن معمر على رسالتين تلقاهما من ابن عفالق (*) أن موقفه مؤيد للدعوة الإصلاحية ، ويدافع عنها ويرغّب الشيخ ابن عفالق في اعتناقها ، ولم يتضح من تلك الردود أن عثمان نهج موقفًا عدائيًا ضد الدعوة الإصلاحية .

على أية حال يبدو أن فتوراً في العلاقة بين الأمير (عثمان بن معمر) قائد جيوش الدعوة وبين الدرعية قد حصل . ويمكن تفسير عدم قيادة عثمان لجيش الدعوة في موقعة الحبونيه (٢) عام ١١٦٢هـ وما تلاها من وقعات صغيرة بين الدرعية والرياض في العام نفسه ، بأنه دليل على ذلك الفتور ، وهنا تبرز علامة استفهام تقودنا لسؤال عن سبب هذا الفتور الذي دب بين القائم على الدعوة وأبرز وأقدم مناصريه ومؤازريه ؟

قد لا يجد الباحث في الكتب المعاصرة وخاصة بين مؤرخي الدعوة كابن غنام وابن بشر ، أو المؤرخين القريبين من تلك الأحداث كالفاخري وحسن الريكي ومؤلف كتاب «كيف كان خروج شيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب» إجابة واضحة وكاملة ومقنعة عن تساؤلنا ، إلا أن مؤرخي الدعوة كابن غنام وابن بشر يردان ذلك الفتور لمضايقة عثمان المعارضين له من المتحمسين للدعوة في العيينة دون ذكر نوعية تلك المضايقة أو أسبابها .

ولعل سببها محاولة تدخل كل من المعارضين لعثمان والمتحمسين للدعوة في الأمور السياسية في العيينة ، وهذا لم يرق لعثمان الذي يظهر أنه يحبذ إبعاد العامة في العيينة عن السياسة ، وشكا هؤلاء الوضع للشيخ في الدرعية الذي أعطاهم

(١) ابن بشر ، نسخة مطابع القصيم ، جـ١ ، ص ٢٩ .
(*) أوردنا مقتطفات لتلك الرسائل ، ص٣٨٦ ، ٣٨٧ .
(٢) نفس المصدر ، جـ١ ، ص ٥٩ .

الضوء الأخضر للمواجهة مع الأمير ، وهذا ما ذكره ابن غنام عندما قال : « لما تزايد شر عثمان على أهل التوحيد وظهر بغضه لهم وموالاته لأهل الباطل ، وتبين الشيخ صدق ما كان يروى عنه ، وجاء أهل البلاد كافة ، وشكوا خشيتهم من غدره بالمسلمين ، قال الشيخ حينئذ لمن وفد إليه من أهل العيينة : أريد منكم البيعة على دين الله ورسوله وعلى موالاة من والاه ومعاداة من حاربه وعاداه ، ولو أنه أميركم عثمان ، فأعطوه على ذلك الأيمان وأجمعوا على البيعة ، فمُلي قلب عثمان من ذلك رعباً وزاد ما فيه من الحقد ، وزين له الشيطان أن يفتك بالمسلمين ، ويجليهم لأقصى البلدان ، فأرسل إلى (ابن سويط) شيخ قبيلة الظفير وإلى إبراهيم ابن سليمان رئيس ثرمداء يدعوهما للمجيء عنده لينفذ ما عزم عليه من الإيقاع بالمسلمين .

فلما تحقق أهل الإسلام ذلك ، تعاهد على قتله نفر ، منهم : حمد بن راشد وإبراهيم بن زيد ، فلما انقضت صلاة الجمعة ، قتلوه في مصلاه بالمسجد»[(١)] .

وذكر ابن بشر نحواً من هذا الكلام في كتابه عنوان المجد نسخة دارة الملك عبدالعزيز ، أما في نسخة مطابع القصيم فقال : « ثم دخلت سنة ١١٦٣هـ وفيها قتل (عثمان بن معمر) في مسجد العيينة بعد صلاة الجمعة ، انتدب لقتله أناساً من جماعته ، ذكروا أنهم تحققوا منه نقض العهد وموالاة الأعداء ومما لأتهم . وقيل : إنه أتاه كتاب من (محمد بن عفالق) يحرضه على معاداة المسلمين ونقض بيعتهم ، وكانت بنته تحت عبد العزيز وهو جد ولده سعود . وحين قتل عثمان وسعود رضيع لم يتم السنتين ، ولكن ليس في الدين محاباة ، فلما سلم من الصلاة قام إليه من ذكرناه فقتلوه ، ومن مشاهير الذين تولوا قتله حمد بن راشد وإبراهيم ابن زيد الباهلي وموسى بن راجح[(*)] . وكان ذلك في منتصف رجب من هذه السنة»[(٢)] أي سنة ١١٦٣هـ .

---

(١) ابن غنام ، جـ١ ، ص ٩٧ .

(*) موسى بن راجح الملقب بشوميه أحد خدم عثمان بن معمر ، ويذكر أنه أول من أطلق النار على عثمان ، وهو في روضة مسجد العيينة المعروف بمسجد ابن معمر ، وكان عثمان حين قتل قائماً يصلي السنة بعد انتهاء صلاة الجمعة ، وحوله عدد من عبيده الذين يحيطون به لحمايته ، وقتل وجرح عدد منهم أثناء إطلاق النار عليه ، وقد ذكر شوميه هذا في قصيدة يتناقلها بعض كبار السن من أسرتنا آل معمر .

(٢) ابن بشر ، نسخة مطابع القصيم ، ط٣ ، جـ١ ، ص ٢٨ ، ٢٩ .

أما مؤلف كتاب «كيف كان ظهور شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب» حينما تكلم عن الشيخ محمد رحمه اللّه قال : «وبعث إلى جماعة له بالعيينة ثمانية رجال ، وذبح (عثمان بن معمر) وحوله عددٌ من عبيده» (١) . وذكر أحد تقارير شركة الهند الشرقية الإنجليزية عام ١٢١٣هـ/ ١٧٩٨م(٢) - أي بعد مقتل عثمان بخمسين عاماً ، تقريباً في الوقت الذي ألف فيه ابن غنام تاريخه - عن أسباب انتقال الشيخ من العيينة للدرعية ، ويذكر أن خلافاً نشأ بين الشيخ محمد ابن عبد الوهاب وعثمان بن معمر رحمهم اللّه ، مما أدى إلى أن يقوم الشيخ بقتل ابن معمر رغم قرابته . لكن على الرغم من مخالفة هذا التقرير لبعض المصادر المحلية إلا أنه يتفق مع بعضها حول مقتل عثمان ، أما الدكتور العثيمين فقال عن عثمان ومقتله : ثم أصبح قائداً لجيوش الدرعية في غزوات متعددة ، لكن بعض تصرفاته أثارت الشكوك حوله ، وكانت نهايته أن قتل على أيدي المتحمسين للدعوة من جماعته (٣) .

على أية حال لا أرى أن سبب مقتله تنكره للدعوة أو تغير موقفه منها كما رواه بعض المؤرخين الذين استعرضنا أقوالهم ، وأرجح أنه خلاف مع بعض سكان العيينة ، وبهذا استطاعوا توسيع شقة الخلاف بينه وبين الدرعية إلى أن كان لهم ما أرادوا . وبعد مقتله ذكر ابن غنام أن الشيخ انتقل للعيينة لترتيب الأوضاع فيها بعد مقتل أميرها(٤) . وهذه أول مرة يخرج فيها الشيخ من الدرعية بعد أن قدم إليها عام ١١٥٧هـ .

وعندما ناقش الشيخ حمد الجاسر مقتل (عثمان بن معمر) ، قال : «لقد مضى الرجل لسبيله ، وكما يقال : (الغائب حجته معه) ، ولكنه فتح بكثير من تصرفاته للناقمين عليه أبواباً واسعة للنيل منه ، ولا يعنينا الآن إلا أن تبدو الصفحات الأولى

(١) كيف كان ، ص ٥٨ ، ٥٩ .
(٢) طالع صفحة ٣٨١ .
(٣) الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، هوامش ، ص ٦٨ .
(٤) تاريخ ابن غنام ، طبعة أبابطين ، جـ١ ، ص ١٤ .

من تاريخ الدعوة المباركة ناصعة البياض ، وأن لا يتهم دعاتها ومناصروها بتنكرهم لمؤازريهم .

ويكاد متتبع تاريخ القضية أن يجزم بأنه لا يد للشيخ محمد ولا للإمام محمد بن سعود في قتل ذلك الرجل ، وأن الأمر وقع في وقت لم تستقر فيه أوضاع الدولة الناشئة ، ولم تثبت دعائم الدعوة .

ومن المعروف أن كل حركة من حركات التغيير الاجتماعية يصاحب قيامها فوضى وعدم انضباط في كثير من أمورها قبل استقرارها ، وكثيراً ما استغل ذوو الأغراض - من المناصرين لتلك الحركة أو من أعدائها - ذلك لتحقيق أغراضهم[١] .

وكان مقتل (عثمان بن معمر) كما مر بنا بعد صلاة الجمعة في الثاني عشر من شهر رجب عام ١١٦٣هـ وبقتله فقدت الدولة شخصية لعبت أدواراً مهمة فيها[٢] . وخلف عثمان رحمه الله ابنين هما : ناصر الذي استشهد عام ١١٨٢هـ وعبد الله الذي مات عام ١٢٢٥هـ رحمهما الله .

١٤- موقف الأمير مشاري بن معمر من الدعوة :

حينما وصل خبر مقتل الأمير (عثمان بن معمر) إلى الشيخ في الدرعية قرر السفر إليها فوصلها في ثالث يوم لمقتل عثمان الموافق ١٥ رجب عام ١١٦٣هـ .

وكان بعض المتحمسين للدعوة والذين اشتركوا في قتل عثمان قد طلبوا من الشيخ ألا يولي عليهم أحداً من آل معمر خوفاً من أن يتعرضوا للانتقام منهم ، ولكن الشيخ لم يرض بهذا التوجه ، سيما أن إمارة العيينة هي لأهلها آل معمر فرشح (مشاري[*] بن إبراهيم بن معمر) أميراً فيها[٣] .

---

(١) المرأة في حياة الشيخ ، ص ١٧٩ .

(٢) عبد الله العثيمين ، الشيخ محمد عبد الوهاب ، ص ٦٨ .

(*) كان عمر مشاري في ذلك الحين لا يقل عن ٢٦ عاماً ، فقد توفي والده إبراهيم سنة ١١٣٧هـ .

وفي العام نفسه الذي ولي فيه مشاري إمارة العيينة قاد بنفسه جيش الدعوة[(١)] استمراراً للقيادة المعمرية - إذ أسلفنا أن ابن عمه عثمان كان الأمير على جيش الدعوة - وفي الجيش عبد العزيز بن محمد بن سعود على رأس قوة من أهل الدرعية وتوجه الجيش إلى ثرمداء ، فبلغ أهلها خبر ذلك الجيش فاستعدوا له وطلبوا العون من أهل أثيثية ومرات فتم لهم ذلك ، ورتب جيش الدعوة أسلوب الكمين في تلك الموقعة ، وعندما التحم الفريقان ظهر الكمين على أهل ثرمداء ، وكان عنصر المفاجأة حاسماً إذ قتل منهم ٢٥ رجلاً ومنهم أمير أثيثية وبعض رجاله وسميت تلك الموقعة بالوطية[(٢)] . وكان أغلب القتلى حول قصر الحريص الذي تحصن فيه أهلها عام ١١٦١هـ أثناء موقعة البطين . ورجع جيش الدعوة سالماً بعد تحقيق الانتصار في تلك الموقعة .

وفي عام ١١٦٥هـ قاد (مشاري بن معمر) جيش الدعوة من أهل العيينة والدرعية ولم يكن عدد الجيش كبيراً ، واتجهوا إلى الخرج وحينما وصلوها استولوا على أغنام أهل الدلم ثم انقلبوا راجعين ، فلما علم أهل الخرج ، جهزوا سرية فيها مائة رجل ولحقوا بمشاري ومن معه ، وأدركوهم في (عفجة الحاير) وحصل بينهم رمي بالبنادق من بعيد ثم التحموا في معركة شرسة انتهت بهزيمة أهل الخرج ، وقتل منهم نحو ثلاثين رجلاً ، وغنم مشاري وجيشه كثيراً من الإبل والسلاح وعادوا إلى بلدانهم [(٣)] .

وفي العام نفسه قاد الشيخ (سليمان بن عبد الوهاب) قاضي حريملاء وشقيق الشيخ محمد بن عبد الوهاب هو وبعض زعماء حريملاء تمرداً ضد الدرعية ، وعزلوا أمير البلد (محمد بن عبد الله بن مبارك) وأخرجوه منها ، فرحل إلى الدرعية ، وأخبر الشيخ محمد بصنيع أخيه سليمان ومن يدور في فلكه من أهل حريملاء . ولقد لجأ المتمردون من أهالي حريملاء إلى الحيلة حيث طلبوا من أميرهم

---

(١) الفاخري ، ص ١٠٧ . وحددها بعام ١١٦٤هـ ، بينما ذكر ابن غنام أن قائد الجيش هو عبد العزيز بن محمد ، وابن بشر ، ذكر مسير الاثنين إلى ثرمداء ، وأن أمير الغزو هو مشاري بن معمر و(عبد العزيز من تحت يده) حسب تعبير نسخة مطابع القصيم ، ص ٢٩ .

(٢) ابن بشر ، جـ١ ، ص ٦١ ، ٦٢ .

(٣) ابن بشر ، جـ١ ، ص ٦٤ ؛ ابن غنام ، نسخة البابطين ، جـ٢ ، ص ١٦ ، ١٧ .

ابن مبارك العودة إلى حريملاء وأعلنوا ولاءهم للدعوة ، وبعد أن عاد إليها قتلوه ، ثم استعدوا للمواجهة مع الدرعية وقاموا بتحصين البلد وأحاطوها بسور وعرضوا على أمير العيينة (مشاري بن معمر) الانضمام إلى تمردهم ذلك ، ليستفيدوا من إمكانات بلده ، ولترجيح ميزان القوى لصالحهم ، ولكن أمير العيينة رفض العرض وأكد ولاءه للدعوة ولامهم على هذا التصرف .

ودارت عدة مواجهات غير حاسمة بين حريملاء والدرعية واستمر ذلك التمرد ثلاث سنوات . وفي أثنائه نشط الشيخ (سليمان بن عبد الوهاب) وبذل جهداً كبيراً وسعى لاستمالة أهل العيينة والتشكيك في دعوة أخيه ، وأرسل رسالة مع سليمان الخويطر لأهل العيينة عام ١١٦٧هـ تحرضهم على معارضة الدعوة ، واستطاع أن يؤثر على بعض أهلها[١] . فلما علم الشيخ بذلك أمر بقتل ابن خويطر فقتل ، ولم يثن مقتل الخويطر عزم سليمان بن عبد الوهاب في استمالة أهل العيينة ، وأرسل رسائل عديدة ، ثم كتب الشيخ محمد رساله مطولة لأهل العيينة رد فيها على ما ورد في رسائل أخيه إليهم[٢] . وانتهى الأمر بهزيمة المتمردين والاستيلاء على حريملاء من قبل (عبد العزيز بن محمد بن سعود) في يوم الجمعة السابع من جمادى الآخرة عام ١١٦٨هـ[٣] .

وبعد هذه السنة جرت مواجهات ووقعات عديدة بين جيش الدعوة وخصومها ، ولا أستبعد مشاركة أمير العيينة وأهل بلده في تلك المواجهات ، ضمن قوات وجيوش الدعوة وإن تأكد مشاركة أهل العيينة في موقعة الغفيلي عام ١١٦٨هـ .

وفي عام ١١٧٢هـ زحف (عريعر بن دجين) حاكم الأحساء بجيشه إلى نجد ، واستنفر عريعر أهل الرياض والوشم وسدير والخرج والمحمل بالإضافة إلى بني خالد وعنزة وحاصر حريملاء ، وحصلت بينهم مواجهة لم تكن نتائجها في صالحهم ، عندها حاصر عريعر بتلك الجموع بلدة الجبيلة ، وكان بها حوالي ٥٠٠ مقاتل من أهلها وأهل العيينة وبعض أهل الدرعية ، ووقعت بينهم وبين عريعر

(١) ابن بشر ، جـ١ ، ص ٦٥ ، ٧١ ؛ ابن غنام ، نسخة أبابطين ، جـ٢ ، ص ١٧-١٩ .
(٢) ابن غنام ، نسخة أبابطين ، جـ٢ ، ص ٢٠ .
(٣) ابن بشر ، جـ١ ، ص ٧٢ .

وقواته مصادمات انتهت بقتل ستين رجلاً من قواته مقابل عشرة قتلى من أهل الجبيلة [١] . بعدها قرر عريعر الرحيل وإنهاء حملته تلك على نجد دون تحقيق أيّ مكاسب تذكر .

وفي عام ١١٧٣هـ - أي بعد سنة تقريباً من اندحار قوات عريعر أمام الجبيلة ــ عزلت الدرعية أمير العيينة عن منصبه وعينت بدلاً منه (سلطان بن محيسن) (عبد المحسن) بن معمر الذي كان قد انضم إلى الشيخ في الدرعية عام ١١٥٧هـ ، وحينما تطرق ابن غنام لهذه الحادثة قال : «عزل الأمير محمد والشيخ مشاري ابن معمر عن إمارة العيينة لأمور كثيرة ثبتت عنه شينه ، وقدم الشيخ العيينة تلك الأيام وأمّر سلطان بن محيسن المعامرة على من بها من سائر الأنام ، وأمر بهدم قصر آل معمر ، فهدم ذلك القصر لما حقق عليه الشيخ الأمر » [٢] .

وبعض عبارات ابن غنام السابقة مبهمة وغير واضحة ، إلا أن اقتران عزل مشاري بهدم قصر آل معمر ثم تعيين أمير معمري من المتحمسين للدعوة والمقيمين في الدرعية وإشراف الشيخ محمد بن عبدالوهاب شخصياً على ذلك ، وفي ثاني خروج له من الدرعية ، إذ الأول عندما جاء للعيينة عام ١١٦٣هـ لتعيين أمير بعد مقتل عثمان ، والثاني عام ١١٧٣هـ عندما جاء للعيينة لنفس الغرض ــ كل هذا يدل على احتمالين لا ثالث لهما :

الاحتمال الأول : ربما أن مشاري سار على خطى ابن عمه عثمان للاتجاه إلى تهميش دور المعارضين لآل معمر في العيينة ، ورغبته بأن يكون القرار فيها مستقلاً تحت زعامته ودون تدخل ، وأن تستمر له قيادة جيوش الدعوة ، مثلما كانت لابن عمه عثمان ، كما تم له في أول إمارته ، ولم يكن يريد الانفصال أو التخلي عن الدعوة إذ لو أراد ذلك لكانت الفرصة لديه قائمة حين عرض عليه أهل حريملاء الانضمام لتمردهم عام ١١٦٥هـ ، أو كان انضم إلى حملة عريعر على الجبيلة عام ١١٧٢هـ .

---

(١) ابن غنام ، نسخة أبابطين ، جـ٢ ، ص ٥٥ ؛ ابن بشر ، جـ١ ، ص ٨٤ ، ٨٥ .
(٢) ابن غنام ، نسخة أبابطين ، جـ٢ ، ص ٥٧ .

والاحتمال الثاني : أن الشيخ بهذا الإجراء قصد إنهاء وجود إمارة آل معمر كإمارة مستقلة ممكن أن تلعب دور المنافس مستقبلاً لزعامة الدرعية ، وبعزل مشاري عن إمارة العيينة وانتقاله مع أولاده إبراهيم ومحمد وأولاد ابن عمه الأمير عثمان : ناصر بن عثمان وأخيه عبد الله وأولادهم للدرعية بدأت شمس إمارة آل معمر في العيينة تؤذن بالأفول حيث أصبحت إحدى البلدان التابعة للدرعية مع بقاء إمارة معمرية تشريفية فيها يرأسها أحد أفراد أسرة آل معمر المتحمسين للدعوة . ولا نعرف المدة التي قضاها سلطان بن معمر في إمارة العيينة ، ولكن يظهر أن الإمارة المعمرية لم تنقطع من العيينة إلا بعد عام ١٢٢٥هـ ، حيث إنه في عام ١٢٢٣هـ كان بالعيينة قاض وهو (عبدالرحمن بن نامي)(*) .

وما دام بها قاض فهي كثيرة السكان ولابد من وجود أمير فيها أيضاً .

عودٌ على بدء ، فعندما تطرق مؤلف لمع الشهاب لاجراءات الدرعية في العيينة قال : «حتى مضت على ذلك - يقصد مقتل عثمان - تسع سنوات أمره - يقصد الشيخ محمد عبد الوهاب أمر (عبد العزيز بن محمد بن سعود) رحمهم الله - حينئذ بغزوهم ، فركب عبد العزيز على العيينة بأربعة آلاف محارب فدخلها بالسيف ، وقتل منهم خلقاً كثيراً . وكتب لمحمد بن عبد الوهاب كتاباً يخبره بأمره فيهم ، فأمره أن أخرجهم من بلادهم كلاً وجمعاً ، ثم هدم السور والبيوت ، وخرب البساتين وقطعَ النخيل . . ففعل حسبما أمره به . . »(١) .

وقد كذّب محقق كتاب لمع الشهاب الشيخ (عبد الرحمن آل الشيخ) ما أورده مؤلف الكتاب من كلام وضعفه ، بالرغم من أن مؤلف الكتاب اتفق إلى حد ما مع

(*) الشيخ عبد الرحمن بن نامي قال عنه ابن بسام في كتابه علماء نجد ، جـ٢ ، ص ٤٣٢ ، ولد في العيينة ونشأ بها ثم قرأ على علمائها . ثم رحل ابن نامي إلى الدرعية وقرأ على الشيخ محمد وعلى ابنه عبد الله ثم عينه الإمام عبد العزيز بن محمد بن سعود قاضياً في العيينة ، وفي عهد الإمام سعود بن عبد العزيز نقل عبد الرحمن بن نامي إلى قضاء الأحساء خلفاً لقاضيها الشيخ محمد بن سلطان الذي توفي عام ١٢٢٣هـ وتولى قضاء مكة المكرمة ، وقتل ابن نامي رحمه الله عام ١٢٣٤هـ .

(١) لمع الشهاب ، ص ٣٧ .

ابن بشر وابن غنام بأنه حصل هدم في العيينة ، وأن ذلك تم بعد مقتل عثمان بتسع سنوات ، ولكن يظهر أن الأخبار وردت إليه مبالغ فيها فنقلها كما سمعها لا كما حصلت .

١٥- علماء آل معمر :

لقد نبغ في الأسرة المعمرية عالمان جليلان برزا في العلوم الشرعية ، وبلغا فيها درجة كبيرة ، وشاركا بفعالية في الجانب الفكري للدعوة الإصلاحية وهما :

أولاً - الشيخ حمد بن ناصر بن معمر (١١٦٠ - ١٢٢٥هـ) :

هو الشيخ العالم العلامة حمد بن ناصر بن الأمير عثمان بن حمد بن عبد الله ابن محمد بن حمد بن عبد الله بن محمد بن معمر بن حمد بن حسن بن طوق ابن سيف التميمي .

مولده :

ولد الشيخ حمد في مدينة العيينة بلده وبلد آبائه وأجداده ، وهي يومئذ أكبر مدن نجد ، وذلك إبان إمارة جده عثمان بن معمر عام ١١٦٠هـ .

نشأته وتعلمه :

نشأ الشيخ حمد في مدينة العيينة وهي التي تأثرت بدعوة الشيخ محمد ابن عبد الوهاب ، فقرأ على علمائها القرآن وحفظه عن ظهر قلب[١] .
وحينما بلغ الرابعة عشرة من عمره انتقل مع والده وأقاربه إلى الدرعية عام ١١٧٣هـ ، فرغب التزود بالعلم وثابر على تحصيله بجد واجتهاد وهمة عالية ، فوافق ذلك منه فهماً جيداً وذكاء حاداً وحفظاً قوياً ، ودرس على أشهر علماء الدرعية ذلك الوقت وهم :

١- الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، فقرأ عليه الأصول والفروع والحديث ، ولازمه ملازمة تامة وحضر دروسه واستفاد منها .

٢- الشيخ سليمان بن عبد الوهاب شقيق الشيخ محمد .

٣- الشيخ محمد بن مانع التميمي .

---

(١) القاضي ، محمد بن عثمان ، روضة الناظرين عن مأثر علماء نجد وحوادث السنين ، القاهرة ، جـ١ ، ١٤٠٠هـ ، ص ١٠٠ .

٤- الشيخ حسين بن غنام، قرأ عليه علوم اللغه العربية .

عند ذلك أدرك في العلوم الشرعية عامة وعلوم اللغه العربية ادراكاً جيداً وبلغ مبلغًا كبيراً، استشهد والده ناصر بن عثمان عام ١١٨٢هـ وعمر الشيخ حمد يقارب ٢٢ عاماً .

فواصل الشيخ حمد تعليمه حتى صار من أكابر علماء نجد، ومن أوسعهم اطلاعاً وأطولهم باعاً ، وأجوبته أكبر شاهد على ذلك [١] .

أعماله:

للشيخ الجليل (حمد بن معمر) أعمال عديدة منها :

أ- التدريس:

لما بلغ الشيخ حمد المبلغ الكبير من العلم جلس للتدريس في الدرعية الزاهية بالعلماء والآهلة بالطلاب ، فحفوا به وتقاطروا عليه وجلسوا بين يديه وصارت مجالسه ودروسه حافلة بالطلاب والمستمعين ، فنفع الله بعلمه خلقاً كثيراً واستفاد منه الجم الغفير [٢] . وأبرز من درس وتخرج على يديه من العلماء[٣] هم :

١- ابنه الشيخ الأديب (عبد العزيز بن حمد بن معمر) ، ت ١٢٤٤هـ .

٢- العالم الجليل (سليمان بن عبد الله آل الشيخ) .

٣- الشيخ العلامة (عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب) ت ١٢٨٥هـ .

٤- الشيخ (علي بن حسين آل الشيخ) .

٥- الشيخ (عبد العزيز بن حمد بن إبراهيم بن مشرف) .

٦- الشيخ (عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب) .

٧- الشيخ (عبد الله بن محمد بن أحمد بن مشرف) .

---

(١) علماء نجد ، جـ١ ، ص ٢٤٠ ؛ ابن بشر ، جـ١ ، ص ٣١٧ .

(٢) علماء نجد ، جـ١ ، ص ٢٤١ .

(٣) مصدر أسماء هؤلاء العلماء كتاب علماء نجد لابن بسام ، ١٣٩٨هـ ، وروضة الناظرين ، للقاضي ١٤٠٠هـ .

٨- العالم الجليل (إبراهيم بن سيف الدوسري) .

٩- الشيخ عبد العزيز بن عبد الله الحصين .

١٠- الشيخ عبد العزيز بن عثمان بن شبانة .

١١- الشيخ عبد الله بن سليمان بن سيف الدوسري .

١٢- الشيخ عبد الله بن سليمان بن عبيد .

١٣- الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن بن عبد العزيز أبابطين .

١٤- الشيخ حسين بن عبد الله بن عيدان .

١٥- الشيخ سعيد بن حجي .

١٦- الشيخ علي بن يحيى بن ساعد .

١٧- الشيخ غنيم بن سيف .

١٨- الشيخ قرناس بن عبد الرحمن بن قرناس .

١٩- الشيخ محمد بن سلطان العوسجي .

٢٠- الشيخ علي بن حسن اليماني .

٢١- الشيخ جمعان بن ناصر .

٢٢- الشيخ محمد بن عبد الله العوسجي .

٢٣- الشيخ عبد الله بن أحمد البسمي .

٢٤- الشيخ عبد الله بن أحمد الوهيبي .

ب-الإفتاء:

قُصد الشيخ حمد بالأسئلة والفتاوي من أنحاء الجزيرة العربية ، فأجاب عنها الأجوبة المحررة السديدة التي تدل على العلم الواسع والفقه النقي والباع الطويل في جميع العلوم الشرعية ، فجاءت في فتاويه ورسائله فوائد زائدة عما كتبه من قبله من الفقهاء ، تنبئ عن حسن تعليل وجمال تخريج على كلام العلماء الذين سبقوه [(١)] .

(١) علماء نجد ، جـ١ ، ص ٢٤١ .

جـ- المناظرات والإرشادات:

في عـام ١٢١١هـ طلـب الشـريف غالـب بن مـساعـد أمير مكة مـن الإمام عبد العزيز بن محمد بن سعود أن يبعث له عالماً ليناظر علماء مكة المكرمة ، فبعث إليه الإمام عبد العـزيز بالشـيخ حمـد بـن معـمر علـى رأس ركب مع العلماء فيهم الشـيخ عبد العزيز بن حصين ، فلما وصلوا إلى مكة أناخوا رواحلهم أمام قصر الشريف غالب ، فاستقبلهم وأكرمهم وأنزلهم المنزل اللائق بهم ، فلما فرغوا من عمرتهم واستراحوا من وعثاء السفر وعنائه جمع الشريف بينهم وبين علماء الحرم الشريف ، من أرباب المذاهب الأربعـة ، والمقـدم فيهـم مفـتي الأحنـاف الشـيخ عبد الملك بن عبد المنعم القلعي ، فصار بينهم وبين الشيخ حمد بن ناصر بن معمر ورفاقه مناظرة عظيمة مهمة ، عقد لها عدة مجالس بحضرة والي مكة الشريف غالب وبمشهد كبير من أهل مكة ، وذلك في شهر رجب من سنة ١٢١١هـ ، فظهر عليهم الشيخ حمد بن ناصر بن معمر بحجته وأسكتهم بأدلته وبراهينه ، فسلموا له وأذعنوا لأقواله ودلائله . ثم طلب منه علماء مكة الإجابة عن ثلاث مسائل : الأولى دعاء الأموات ، والثانية حكم البناء على القبور ، والثالثة حكم من أتى بالشهادتين ومنع الزكاة ، فحرر في هذه المسائل الثلاث رسالة مفيدة سماها علماء الدرعية (الفواكه العذاب في الرد على من لم يحكم بالسنة والكتاب) . ولولا مكانة الشيخ (حمد بن معمر) العلمية الكبيرة وعقليته الراسخة ما اختاره الإمام عبد العزيز وأيده علماء الدرعية على أن يكون السفير الكبير في هذه المهمة العظيمة فصار يجادل العلماء بمذهبهم ويرد عليهم من كتبهم وأقوال أئمتهم .

وفي عام ١٢٢٠هـ بعد أن حاصرت جيوش الإمام (سعود بن عبد العزيز) أمير مكة الشريف غالب ، وضيقوا عليه بعد أن نكث العهد ، فلما اشتد على الشريف الأمر طلب الصلح ، وكان حامل كتاب الصلح من الإمام سعود إلى الشريف غالب هو الشيخ حمد بن معمر ، فوصل من الدرعية ومعه عشرون رجلاً إلى جدة حيث يقيم الشريف فأعطوه الكتاب ، وساق الشيخ عبد الله بن بسام حادثة وصول الشيخ حمد لمدينة جدة حيث قال : « حدثني وجيه الحجاز الشيخ السلفي محمد بن حسين بن عمر بن عبد الله نصيف قال : حدثني رجل ثقة من آل عطية من أهل جدة عن أبيه قال : جمعنا في مسجد عكاشة حينما قدم حمد بن ناصر

بكتاب الصلح بين سعود وغالب فصعد المنبر وخطب خطبة بليغه تدور حول تحقيق التوحيد وإخلاص العبادة ، ثم حذر من ترك الصلوات وأمر بأدائها في المساجد ، ونهى عن شرب الدخان وعدم بيعه وتعاطيه بحال من الأحوال ، كما أمر بهدم القباب التي على القبور وأمر بالحضور إلى المساجد لسماع رسائل الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، فامتثل الناس هذا كله ، فصرت لا ترى الدخان لا استعمالاً ولا بيعاً ، وصارت المساجد تزدحم بالمصلين وهدمت القباب التي على القبور ، وصار الناس يحضرون لسماع الدرس» . ثم عاد بعد ذلك الشيخ حمد إلى الدرعية [1] .

د - القضاء:

عين الإمام سعود بن عبد العزيز بن محمد الشيخ حمد بن معمر في قضاء الدرعية فكان من كبار قضاتها البارزين .

وفي عام ١٢٢١هـ بعثه الإمام سعود رئيساً لقضاة مكة المكرمة ومشرفاً على أحكامهم ، وفي عام ١٢٢٥هـ كشف الإمام سعود القبة التي فوق صخرة مقام إبراهيم وكان المباشر لكشف القبة الشيخ حمد بن معمر [2] . وبقي الشيخ حمد رئيساً لقضاة مكة حتى وفاته .

هـ - كتبه ومؤلفاته:

للشيخ حمد كغيره من العلماء كتب يرجع إليها ، فكتبه مع بعض مؤلفاته ، وكذا كتب ابنه الشيخ عبد العزيز كان مصيرها كما ذكر لي والدي عن والده وعن الشيخ محمد بن عبد اللطيف آل الشيخ رحمهم اللّه ، أن جنود إبراهيم باشا حملوا ثماني مائة كتاب من منزل الشيخ حمد وابنه عبد العزيز في الدرعية تبلغ حمولة ثلاثة جمال وأحرقوا بعضها .

أما (سادلير)[3] الذي مر بالدرعية عام ١٢٣٤هـ بعد سقوطها في يد إبراهيم باشا وتكلم عنها قال : «يعتقد أن مجموعة هائلة من الكتب قد كدست وأرسلت

---

(١) علماء نجد ، جـ١ ، ص ٢٤١ ، ٢٤٣ .

(٢) ابن بشر ، جـ١ ، ص ٣١٥ .

(٣) مذكرات رحلة عبر الجزيرة العربية ، ص ١٥٠ .

إلى المدينة المنورة ابتهاجاً بالنصر ليفحصها المختصون في العلوم الدينية قبل السماح بقراءتها» . وهو بذلك يؤيد ما قاله الشيخ محمد بن عبداللطيف وجدي لوالدي من أن كتب علماء الدرعية نقلت منها .

أما مؤلفات الشيخ حمد فهي:

١- الفواكه العذاب في الرد على من لم يحكم بالسنة والكتاب .

٢- الأسماء والصفات .

٣- الرد على القبوريين .

٤- الاجتهاد والتقليد .

٥- التحفة المدنية في العقيدة السلفية .

٦- حقيقة التوحيد والعبادة والفرق بين العادة والعبادة .

٧- التوضيح في توحيد الخلاق في جواب أهل العراق ، قام بتأليفه مع غيره من العلماء [(١)] .

وفاته:

توفى الشيخ حمد رحمه الله في العشر الأوسط من ذي الحجة عام ١٢٢٥هـ[(٢)] في مكة المكرمة أثناء عمله فيها ، فصلى عليه المسلمون بجوار الكعبة المشرفة ، وذهبوا به إلى مقبرة البياضيّة ، فخرج الإمام سعود من قصره قصر البياضة ، الملاصق الآن لقصر السقاف ، ومعه جمع من المسلمين فصلوا عليه مرة أخرى ودفن بالبياضة عند الملاوي وأسف الناس وحزنوا عليه [(٣)] .

وخلف الشيخ حمد عدداً من الأولاد الذكور وأكبرهم ناصر ، وذريته هم الموجودون اليوم من ذرية الأمير عثمان ، إذ لم يبق الآن من ذرية الأمير عثمان إلا ذرية ابن حفيده ناصر بن الشيخ حمد ، ويعرفون عند انفرادهم داخل أسرتهم آل معمر بآل ناصر نسبة لناصر بن حمد ويقال لهم كذلك : آل عبد العزيز ، نسبة

---

(١) لمزيد من الإيضاح عن هذا الكتاب راجع رسالة ماجستير بعنوان « دعاوي المناوئين لدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب » ، ص ٦٥ ، إعداد عبد العزيز محمد العبد اللطيف ، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، كلية أصول الدين ، قسم العقيدة ، ١٤٠٧هـ .

(٢) ابن بشر ، جـ١ ، ص ٣١٧ .

(٣) علماء نجد ، جـ١ ، ص ٢٤٣ .

لابنه عبد العزيز بن ناصر بن حمد ، وناصر بن الشيخ حمد من شهداء الدفاع عن الدرعية عام ١٢٣٣هـ هو وأخوه إبراهيم وابن أخيه سعود بن إبراهيم رحمهم الله . والابن الثاني إبراهيم الذي خلف ابناً اسمه سعود ، الذي خلف بنات ثم انقطع عقبه . والابن الثالث هو الشيخ عبد العزيز .

ومن اطلاعي على وثائق الأسرة رأيت للشيخ حمد أملاكاً وأوقافاً في العيينة والجبيلة مثل البطاحي والطرفية والصبيخة والطويلعة والشعبة ، والتي في غلتها ثلاثون وزنه لجهاد أهل الجبيلة ، وكذا وقف في بلد عرقة معروف باسم الشعبة ، رحم الله الشيخ «حمد» وأسكنه فسيح جناته .

ثانياً- الشيخ عبد العزيز بن حمد بن معمر (*) :

نسبه :

هو الإمام العلامة الجليل المتبحر الشيخ عبد العزيز بن الشيخ حمد بن ناصر ابن الأمير عثمان بن حمد بن الأمير عبد الله بن معمر .

مولده ونشأته :

ولد الشيخ عبد العزيز في مدينة الدرعية عاصمة الدولة السعودية ، ومركز الحركة العلمية في ذلك الحين ، وذلك في عام ١٢٠٣هـ[1] ، ونشأ في بيت والده العالم الكبير الشيخ حمد .

وفي الدرعية مدينة العلم والعلماء وبلد الحلقات والدروس ، فكانت نشأته في جو علمي ووسط كريم ، فطبعته هذه المؤثرات على الصلاح والتقى ، وجبلته على الورع والعفاف ، وقادته إلى الرغبة في العلم والحرص على تحصيله ، فنشأ عليه منذ نعومة أظفاره فقرأ القرآن وحفظه وهو صغير ، ثم شرع في تحصيل العلم[2]

(*) جد الشيخ عبد العزيز بن حمد بن ناصر بن معمر لأمه هو الشيخ محمد بن عبد الوهاب .

(١) آل الشيخ عبد الرحمن عبد اللطيف ، مشاهير علماء نجد وغيرهم ، دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر ، الرياض ، ١٣٩٢هـ ، ص ١٧١ .

(٢) محقق كتاب ، منحة القريب المجيب في الرد على عباد الصليب ، للشيخ عبد العزيز ابن معمر ، دراسة وتحقيق محمد السكاكر لنيل درجة الدكتوراه جامعة الإمام محمد ابن سعود ، كلية أصول الدين ، قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة ، رسالة غير منشورة ، ١٤٠٧هـ ، ص ٢٣ .

فأخذ عن عدد من العلماء والشيوخ الأجلاء في الدرعية أشهرهم :

١- والده العالم الشيخ حمد بن ناصر بن عثمان بن معمر .

٢- الشيخ علي بن الشيخ محمد بن عبد الوهاب .

٣- الشيخ عبد الله بن الشيخ محمد بن عبد الوهاب .

٤- الشيخ حسين بن الشيخ محمد بن عبد الوهاب .

٥- الشيخ أحمد بن رشيد بن عفالق الحنبلي .

٦- الشيخ النحوي حسين بن غنام .

٧- عبد الرحمن بن محمد بن خميس .

جد عبد العزيز في طلب العلم وثابر عليه مع ما وهبه الله من الذكاء المتوقد والنباهة والجواب الحاضر [١] ، كما شغل كل وقته في تحصيل العلم فصار عالماً في التفسير والحديث والنحو ، أما الفقه فله فيه اليد الطولى والاطلاع الواسع ، فكان من المؤلفين المطلعين ذوي القدرة التامة والكفاية النادرة [٢] .

تلاميذه وأعماله :

أصبح الشيخ عبد العزيز في عداد علماء الدرعية الكبار وهو في سن الشباب ، وكانت قدرته العلمية قد أهلته للتدريس والافتاء والدعوة والإرشاد والرد على أهل البدع والضلال ، فأخذ عنه العلم عدد كبير من طلبة العلم منهم الشيخ محمد ابن مقرن بن سند الفطاي المتوفي عام ١٢٦٧هـ [٣] . ثم أصبح أحد القضاة في مدينة الدرعية [٤] قبل سقوطها عام ١٢٣٣هـ .

شارك الشيخ عبد العزيز في الدفاع عن الدرعية أمام قوات إبراهيم باشا ، وبعد سقوط الدرعية عام ١٢٣٣هـ وهدمها ، وما صاحب ذلك من تعذيب بعض العلماء وقتل بعضهم وتشتت البقية منهم ، خرج الشيخ عبد العزيز إلى البحرين

---

(١) روضة الناظرين ، جـ١ ، ص ٢٥٤ .

(٢) علماء نجد ، جـ٢ ، ص ٤٤٥ .

(٣) روضة الناظرين ، جـ٢ ، ص ١٩٩ .

(٤) ابن بشر ، جـ١ ، ص ٣١٧ .

وأقام فيها ثم عاد إلى نجد بعد أن هدأت الأحوال فيها ثم لم يلبث أن أخذ أولاده معه وعاد إلى البحرين ، وقيل : إنه استدعاه أمير البحرين وألح عليه في الحضور فقدمها وأقام فيها (١) .

مؤلفاته :

صنف الشيخ عبد العزيز عدة مصنفات أشهرها كتابان تمت طباعتهما هما :

١ - «منتقى عقد الفرائد وكنز الفوائد» وهو مختصر نظم ابن عبد القوي في فقه الإمام أحمد ، ضمن هذا المختصر زيادات نفيسة من المسائل المفيدة بأبيات عذبة رائعة فجاء هذا المختصر مغنياً عن أصله حاوياً لأمهات الأحكام(٢) . وأصل هذا الكتاب منظومة دالية في الفقه ، كما أضحت مبوبة على أبواب الفقه ، وهذه المنظومة تقع في أربعة عشر ألف بيت وزيادة .

ولما كلت الهمم وشق على طلاب العلم حفظ المطولات والأمهات عمد الفقيه الشيخ عبد العزيز بن معمر إلى اختصار هذا النظم بترك ذكر الخلاف في مسائله والاختصار على ما اختاره أئمة المذهب من الروايات ، كما زاد عليه الشيخ عبد العزيز ما دعت الحاجة إلى ذكره ، فجاء درة تتلألأ بين كتب فقه الإمام أحمد ابن حنبل (رحمه اللّه) . وقد ميز الشيخ عبد العزيز بن معمر نظمه عن نظم ابن عبد القوي بكتابته بلون أحمر وقال في ذلك :

وميزت نظمي عن مغير نظمه   بحمرة كتاب المداد المعود

وقد نظم الشيخ عبد العزيز هذا المختصر وهو في البحرين في آخر حياته وفرغ منه في يوم الخميس ٢٢/ ١١/ ١٢٤٣هـ (٣) .

٢ - « منحة القريب المجيب في الرد على عبّاد الصليب» صنف الشيخ عبد العزيز بن معمر هذا الكتاب أثناء إقامته في البحرين ، وذلك رداً على كتاب ينسب للقس الهولندي هو (قودي قروت) كتبه نظماً باللغة الهولندية وسماه

(١) روضة الناظرين ، جـ١ ، ص ٢٥٦ .
(٢) علماء نجد ، جـ٢ ، ص ٤٤٥ .
(٣) رسالة دكتوراه غير منشورة لتحقيق كتاب منحة القريب المجيب ، مصدر سابق ، ص ٥٤ ، ص٥٥ .

«حقيقة الديانة النصرانية» وترجم للغة العربية نثرًا وعرف باسم « مفتاح الخزائن ومصباح الدفائن» وفي الكتاب شبهات تعزز الدين المسيحي وفيه توهين للدين الإسلامي . وقدم البحرين أحد رجال السياسة الإنجليز ممن لهم نشاط تنصيري وحاول نشر هذا الكتاب في البحرين (١) . وسلم الكتاب لأمير البحرين الشيخ عبد الله بن أحمد بن محمد آل خليفة ، وطلب منه عرضه على علماء البحرين ليجيبوا عنه ، أو يقروا بصحة ما فيه إن عجزوا ، فعرضه الشيخ عبد الله بن خليفه على علماء البحرين ، فاعتذروا لعدم قدرتهم على الرد عليه ثم بعثه إلى علماء الأحساء فأجابوه بمثل ما أجاب علماء البحرين ، فحزن أمير البحرين حزناً شديداً وغم لذلك ، فذكر له أحد خواصه أنه يوجد في البحرين شاب من طلبة العلم النجديين ، ورئى أن يعرض الكتاب عليه عسى أن يكون لديه جواب ، فدفع بالكتاب للشيخ عبدالعزيز بن معمر ، وقص عليه خبر الكتاب فتصفحه وأمعن النظر فيه وواعدهم بالرد عليه خلال شهر واحد فرد على الكتاب ونقض كل ما بناه هذا النصراني فجاء رده كافياً شافياً أثلج الصدور ، ففرح حاكم البحرين لهذا الرد ثم دفع الكتاب إلى الرجل الإنجليزي ، فلما قرأه دهش من قوة الجواب وسداد الرد ، وقال لحاكم البحرين إن هذا الرد ليس من علماء البحرين بل من علماء نجد ، فرد عليه ابن خليفة بنعم (٢) .

ثم عرض أمير البحرين القضاء فيها على ابن معمر فامتنع تورعاً وزهداً . وذكر محمد القاضي أن للشيخ عبد العزيز بن معمر كتاباً ثالثاً اسمه النوادر فيه أشعار عذبه(٣) وله نبذة عن نسب آل معمر في خمس ورقات(٤) ، كما أن له عدداً من الفتاوي . وقد أشرت إلى أن قوات إبراهيم باشا نقلت كتباً كثيرة من منزل الشيخ

(١) المصدر نفسه ، ص ٥٧ .
(٢) علماء نجد ، جـ٢ ، ص ٤٤٦ .
(٣) روضه الناظرين ، جـ١ ، ص ٢٥٤ .
(٤) نبذة عن نسب آل معمر بخط الشيخ عبد العزيز بن معمر ، كانت في ملك الشيخ محمد ابن عيسى بن علي آل خليفه رحمه الله ، وأعطاها للراوية الشيخ محمد بن يحيى رحمه الله ، ونقلت عن الأخير ما فيها في مقابلة معه عام ١٤١١هـ .

حمد بن ناصر وأبنائه ، منهم الشيخ عبد العزيز ، وربما أن في هذه الكتب بعض مصنفاته ويظهر أن له مصنفات أخرى (*) .

قصائده :

مثلما اشتهر الشيخ عبد العزيز في العلوم الشرعية ، اشتهر أيضاً في الأدب ، فهو يعد من أدباء وشعراء عصره . ونظم الشيخ عبد العزيز عدداً من القصائد منها :

١- القصيدة المشهورة التي سماها علماء نجد «الطنانة» وذلك بعد سقوط الدرعية معقل الدعوة الإصلاحية عام ١٢٣٣هـ ودمرت البلدان ، وقتل بعض العلماء والصالحين وتشتت طلاب العلم وفر الناس من أوطانهم ، وأحرقت ونقلت الكتب ، آلمت تلك الأحداث الجسام الشيخ عبد العزيز فقال قصيدة يتذكر ويذكر بماضي البلد التليد ، ويتوجع على ما حل بها ، والقصيدة في خمسين بيتاً هي (**) :

١- إليك إله العرش أشكو تضرعًا   أدعوك في الضراء[1] ربي لتسمعا

٢- فأنت ترى ما قد جرى فانتصر لنا   من الفئة[2] البعدى[3] عن الحق مشرعا

٣- فقد ظلمونا باعتداء وجردوا   سيوف ضلال لا اهتداء لمن سعى

٤- وكم قتلوا من عصبة[4] الحق فتية[5]   هداة[6] وضاة[7] ساجدين وركعا

(*) وقد ذكر لي عبد الرحمن الرويشد أنه عرض عليه في البحرين منذ سنوات كتاب مخطوط للشيخ عبد العزيز بن معمر .

(**) هذه القصيده تَمَّ نقلها بنص كلماتها من رسالة الدكتوراه المقدمة من الشيخ الدكتور محمد بن عبد اللّه السكاكر وهي دراسة لنيل درجة الدكتوراه مقدمة لتحقيق كتاب «منحة القريب المجيب في الرد على عباد الصليب» للشيخ عبدالعزيز بن حمد بن معمر وذكر الدكتور السكاكر أنه حصل على صورة للنسخة المخطوطة لهذه القصيدة من الشيخ محمد ابن عبد المحسن الخيال .

(١) الضراء : الشدة .

(٢) الفئة : الجماعة أو الطائفة .   (٣) البعدى : أي البعيدون .

(٤) عصبة : الجمع من الناس ما بين (العشرة إلى الأربعين) (مختار الصحاح مادة عصب) .

(٥) فتية : جمع فتى وهو الشاب .

(٦) هداة : مهتدون .   (٧) أوضاة : مضيئو الوجوه .

٥- وكم دمروا من مربع[١] كان آهلا فقد أودعوا الدار الأنيسة بلقعا[٢]
٦- وكم قد أحلوا من حرام ببغيهم وكم هتكوا سترا حييا ممنعا
٧- فأصبحت الأموال فيهم نهائبا وأصبحت الأيتام غرثى[٣] وجوّعا
٨- وفر من الأوطان من كان قاطنا[٤] وفرق إلف[٥] كان مجتمعا معا
٩- وشتت شمل الدين وانبتّ[٦] حبله لديهم فأضحى مستضاما[٧] مضيعا
١٠- وقد أضحت الأعلام من شرعة الهدى مهدمة الأرجاء تقول لعالعا[٨]
١١- لمن كان يحمي بالسيوف حماءها يذيق العدى كأسا من الموت مترعا[٩]
١٢- من المؤمنين الناصرين لربهم فلم يبتغوا في الأرض بغياً ترفُّعا
١٣- سوى أنهم يحيون دين محمد ويحمون بالبيض الخفاف[١٠] الشرائعا[١١]
١٤- مضوا وانقضت أيامهم حيث أورثوا ثناءً وذكرًا طيبًا قد تضوعا[١٢]
١٥- فجازاهم اللّه الكريم بفضله جناناً ورضواناً من اللّه أرفعا
١٦- فواحزننا من بعدهم غير أنني رجوت إلهي أن يمن فيجمعا
١٧- بهم شملنا في جنة الخلد إنه سميع قريب مستجيب لمن دعا
١٨- وأرجوه يقضي باجتماعي بإخوة أرى الشوق في قلبي إليهم تنوعا

---

(١) مربع : منزل .
(٢) بلقع : لا شيء فيها .
(٣) غرثى : شدة الجوع .
(٤) قاطنا : ساكناً .
(٥) إلف : هو الأليف .
(٦) أنبت : انقطع .
(٧) مستضام : مظلوم .
(٨) لعالعا : متكسراً . هي كلمة (لعاً) مكررة وهي كلمة تقال للعاثر ، دعاءً له .
(٩) مترعاً : مملوء .
(١٠) البيض الخفاف : السيوف .
(١١) الشرائع : مفردها شريعة والأصل فيها الطريقة ثم استعملت فيما شرعه اللّه .
(١٢) تضوعا : انتشرت رائحته .

١٩- وجدت بهم وجدا وجدت أصوله أبت أبدا في الود إلا تفرعا[١]

٢٠- فإن كانت الأشباح منا تباعدت فإن لأرواح المحبين مجمعا

٢١- عسى وعسى أن ينصر اللّه ديننا ويجبر منا كل ما قد تصدعا

٢٢- ويعمر للسمحا ربوعاً تهدمت ويفتح سبْلا للهداية مهيعا[٢]

٢٣- إلهي فحقق ذا الرجاء وكن بنا غفوراً رحيماً مستجيباً لنا الدعا

٢٤- فليس لنا رب سواك فهب لنا من النصر نصراً بالأمان مشيعاً[٣]

٢٥- فقد سامنا الأعداء سوم[٤] مذلة وخسفا فظيعاً[٥] قد أضر وأضلعا[٦]

٢٦- على غير ذنب غير توحيد ربنا وإذ قد هدمنا للضلالة أربعا[٧]

٢٧- وإثباتنا للّه وصف كماله وتنزيهه عن شبه ما كان مبدعا

٢٨- ونثبت ما قد جاء في خير منزل وعن خير مبعوث ولن نتتعتعا

٢٩- نمر الصفات المنزلات كما أتت ونؤمن إيماناً ولن نتنطعا

٣٠- ونشهد أن اللّه من فوق عرشه كما قد أتى نصاً صريحاً تشعشعا[٨]

٣١- وينزل في الثلث الأخير إلى السما من الليل يستدعي العباد إلى الدعا

٣٢- فهل تائب هل سائل متضرع فيحرز مطلوب الدعاء ويسمعا

٣٣- هو الغافر الرحمن راحم عبده برحمته كل الخلائق أوسعا

٣٤- وكل صفات الرب جل جلاله فلا ينبغي فيها سوى النص مطلعا

٣٥- وهذا اعتقاد للأئمة قبلنا من السلف الهادين من كل أروعا[٩]

(١) تفرعا : فرع كل شيء أعلاه ، ويقال تفرعت أغصان الشجرة إذا كثرت وانتشرت .

(٢) مهيعاً : سهلاً واسعاً .

(٣) مشيعاً : من التشييع وهو مرافقة الرجل عند رحيله .

(٤) السوم : الدوام ومنه سائمة الغنم لمداومتها للرعي ، والمعنى يداومون في إذلالهم .

(٥) فظيعاً : عظيماً .

(٦) أضلعا : جار وأوجع .

(٧) أربعا : منازل .

(٨) تشعشعا : نشر شعاعه .

(٩) أروعا : على وزن أفعل وهو الشجاع .

٣٦- فأحمد[١] والنعمان[٢] منهم ومالك[٣] ونص ابن إدريس[٤] كذلك رصعا[٥]
٣٧- فماذا علينا إن سلكنا سبيلهم فكان لنا سوح الهداية[٦] مربعا[٧]
٣٨- إلا أيها الإخوان صبراً فإنني أرى الصبر للمقدور خيراً وأنفعا
٣٩- ولا تيأسوا من كشف ما ناب إنه إذا شاء ربي كشف ذاك تمزعا[٨]
٤٠- فما قلت ذا أشكو إلى الخلق نكبة[٩] ولا جزعاً مما أصاب فأوجعا[١٠]
٤١- فما كان هذا الأمر إلا بقدرة بها قهر الله الخلائق أجمعا
٤٢- وذلك عن ذنب وعصيان خالق أخذنا به حينا فحينا لنرجعا
٤٣- وقد آن أن نرجو رضاه وعفوه وأن نعرف التفريط[١١] منا فنقلعا[١٢]
٤٤- فيا محسنا قد كنت تحسن دائماً ويا دائما قد كان عفوك أوسعا
٤٥- نعوذ بك اللهم من سوء فعلنا فإن لنا في العفو منك لمطمعا
٤٦- أغثنا أغثنا وادفع الشدة[١٣] التي أصابت فطالت واكشف الضر وارفعا
٤٧- فإن لم تغثنا يا مغيث فمن لنا لنقصد أو نرجع إليه ونخضعا
٤٨- فجد وتفضل بالذي أنت أهله من العفو والغفران يارب من دعا
٤٩- وصل صلاة لا تناهى[١٤] على الذي سيبعث في الأخرى[١٥] شفيعاً مشفعاً
٥٠- محمد المختار والصحب كلهم ومن لوصايا الله في الذكر قد وعى

---

(١) يقصد الإمام أحمد بن حنبل .
(٢) يقصد الإمام أبا حنيفة النعمان بن ثابت إمام المذهب الحنفي ، المتوفي سنة ١٥٠هـ .
(٣) يقصد الإمام مالك بن أنس . (٤) يقصد الإمام الشافعي .
(٥) رصعاً : من الترصيع وهو تحلية الأشياء بالذهب والفضة ، فيقال : سيف مرصع بالذهب .
(٦) سوح : سوح الشيء باحته . (٧) مربعا : منزلا .
(٨) تمزعا : تقطع . (٩) نكبة : مصيبة ، وجمعها نكبات .
(١٠) الشدة : بالكسر من الإشتداد وهو الضيق .
(١١) لا تناهي : لا تنتهي . (١٢) الأخرى : القيامة .
(١٣) البواكر : من البكور وهو أول النهار .
(١٤) الأصل : من الأصيل وهو الوقت من بعد العصر إلى المغرب .
(١٥) أريج المسك : ريحه .

٢- قصيدته الثانية هي اللامية التي أرسلها إلى زميله وصديقه الشيخ عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ وهو في منفاه بمصر وهي في ٢٤ بيتاً ، قال الشيخ عبد العزيز :

سلام عليكم دونه عُدَّدَ الرملُ ... يجدد ما تبقى البواكر[١] والأصُلُ[٢]
يفوق أريج[٣] المسك إن فاح نشره[٤] ... يكون له من حسن ردكم نزل[٥]
تحية ذي ود على القرب والنوى[٦] ... فلم ينس عهدا كان للحب من قبل
ذكرتكم يا أهل ودي وقد نأت[٧] ... بي الدار لا صحب لدى ولا أهل
لأنكم بدر الديار وشمسها ... وأنكم للساكنين بها الظل
فمذ غبتم عنها تبدل ضوؤها ... ظلاماً وظلماً عاد بعدكم العدل
وأصبح أهلوها بأسوأ حالة ... من البؤس[٨] والبأساء[٩] مسهم الذل
وحل بهم خوف وخلف[١٠] ومحنة[١١] ... جل لها صف فجمعهم فل
ولم يبق فيها من نسر بقربه ... ولا من له في الفضل فرع ولا أصل
سوى نفر عز اجتماع لشملهم ... وليسوا لكم كفوا ولو أنهم كل
إذا ما ذكرنا عهد أمس فإنما ... يبادرنا دمع من العين منهل
وما عرَضٌ أبكى عليه وإنه ... لأهون مفقود لدى من له عقل

(١) البواكر : من البكور وهو أول النهار .
(٢) الأصل : من الأصيل وهو الوقت من بعد العصر إلى المغرب .
(٣) أريج المسك : ريحه .
(٤) نشره : من النشر وهو الرائحة الطيبة «مختار الصحاح للرازي مادة نشر» .
(٥) نزل : منزلة .
(٦) النوى : البعد .
(٧) نأت : بعدت .
(٨) البؤس : من البأس وهو العذاب .
(٩) البأساء : الشدة .
(١٠) الخلف : بضم الخاء وسكون اللام من الإخلاف وهو في المستقبل كالكذب في الماضي .
(١١) محنة : وهي التي يمتحن بها الإنسان من بلية وجمعها « محن » .

ولكني أبكي العلم والحلم والحجا ... وقهر العدى بالحق إذ سيفه يعلو

وأبكي على عقد تناثر نظمه تحلوا ... شيوخ وإخوان شبابهم كهل

بأخلاق كرام فما لهم ... نظير ولا شبه فيطلب أو مثل

أقمنا جميعا في أمان وغبطة ... للسحب بالخيرات من فوقنا وبل[١]

وللعلم روضات تفتح ... خمائلها[٢] للسائلين بها حل

زهرهاوأينع[٣] من أشجارهن ثمارها ... فنيل الجنى[٤] منها على مجتن[٥] سهل

ومد رواق[٦]السعد في عرصاتها[٧] ... كما مد للعافين في وسطها ظل

قد أصبحت قفرا[٨] وأصبح أهلها ... وعقدهم بعد التآلف منسل[٩]

فمذ شط[١٠] أصحابي تمثلت منشدا ... لقول بليغ في البيان له فضل

أأحبابنا ما أوحش الدار بعدكم ... علينا لقد ضاقت بأربابها السبل[١١]

نأيتم فأغليتم رخيص تجلدي ... وصبري وأرخصتم من الدمع ما يغلو

إلى الله أشكو فهو لو شاء جمعنا ... لعدنا إلى العهد الذي كان من قبل

فأجاب الشيخ عبد الرحمن بن حسن بقصيدة من بحرها ووزنها في ٢٣ بيتاً هي :

تخطت إلينا حين عزّ لنا الوصل ... مفاوز نجد كلما انخفضت تعلو

---

(١) الأصل : من الأصيل وهو الوقت من بعد العصر إلى المغرب .

(٢) الخمائل : مفردها خميلة وهو الشجر المجتمع الكثيف «مختار الصحاح مادة خمل» .

(٣) أينع : نضج .

(٤) الجني : إلتقاط الثمر من الشجر .

(٥) مجتن : اسم فاعل وهو ملتقط الثمر من الشجر .

(٦) الرواق : ستر يمد دون السقف فيقال بيت مروق «مختار الصحاح مادة روق» .

(٧) عرصاتها : مفرد «عرصة» وهي البقعة الواسعة من الأرض تكون بين الدور ليس فيها بناء .

(٨) قفرا : هي الأرض التي لانبات فيها ولا ماء وجمعها قفار (مختار الصحاح مادة قفر) .

(٩) منسل : انقطع خيطه فانسل فتساقطت خرازاته .

(١٠) شط : بعد .

(١١) السبل : الطرق .

فتاة كميـاس الغصـون تـمـايـلا وقـد أكملـت فيهـا الملاحـة والـدل
لها فاحم ضاف على الـردف سابـغ ووجه يضاهـي البدر هـام بـه العـقـل
لـها مـنـزل مـن بيـن حـزوى ورامـة ومن دون مرباهـا الصـوارم والأسـل
اجادت فـوافتـني وقـد جـئـت زائراً لبيت عظيم عـنـده يسـبـل الفضـل
أنـاخـت ألـينـا عـنـد إدراكـنـا المنى لعشر مضت من بعدها أربع تتلـو
فضمت وحيت ثم بشـت وأسـفـرت عن الورد والياقوت واللـؤلـو المجلـو
فقلت لـها أهلاً وسـهلاً ومرحـبـاً سـلام عليكـم دائمـاً أبـداً يعـلـو
ألذ وأحـلـى مـن زلال عـلـى الظما وأبهـى من الروض الـذي صابه الوبل
تحـيـة مشـتـاق عـلـى البعد والجـلا ولم يسلـه عنكـم نعـيـم ولا أهـل
لأنكـمـو أهـل الـفـضـائـل والتـقـى بكم قام فرع الدين واغـدودق الأصل
فعادت وأبـدت بالثنا لابن أحـمـد أبـي وفـي عـالـم فـاضـل سـهـل
تخـبر عن ذاك الـفـتـى بفـضـائـل تنبـئ عـنـهـن الرسـائل والرسـل
يـنـادمني بـالـبـعـد عنـه كتابـة لقد طاب ذاك الفرع أيضاً كذا الأصل
يـنـبـئـنـا مـن فـكـره بـلآلـئ من الجوهـر المنظـوم عـزّ لـه مـثـل
وذكـرتـنـي يا ابن الامامين معـشـراً هم السادة الأنجاب والأوْجُهُ النـبـل
صحبناهمـو دهـرا نعـمـنا بظلـهـم علـينـا غـمـام بالغنائـم تنهـل
فلما افترقـنـا ضـل قلـبي بارضـهـم وجسمـي بارض ليس فيهـا لنا شكل
وأبدلـت منـكـم أوجهاً لا تسـرنـي سوى عصبة قلوا فكنت بهم اسلـو
فيـا لهْـف نفسـي بادكـاري ولـوعـتي على انجم غابت فغاب بها العـدل
فصـبرا على بـعـد المـدى واغـترابنـا عسى باعتلاء الحق أن يجمـع الشمل
فيبـدو محـيـاهـا بـنـور مشـرق ويرجع عقد الشرك والظلم ينحـل
وصـل عـلـى المخـتـار ربـي وآلـه وصحب له والمقتفـي نهجهـم يتلـو

٣- ثم أرسل الشيخ عبد الرحمن بن حسن قصيدته العينية للشيخ عبد العزيز

ابن معمر ، بعثها له وهو في البحرين وعدد أبياتها ٢٦ بيتاً(*) ، ويتضح أن هذه القصيدة قيلت عام ١٢٣٧هـ وهي :

١- أشاقك من أرض الحبيب نواجع[١]	فقلبك يهوى نحوهم وينازع
٢- وخل باقصى البلدتين[٢] تركته	بحيث الفتى يختار أني يراجع
٣- وقد جل[٣] خطب قبل ذلك شاغل	لسالف أعوام لها العام رابع
٤- وذكرتهم والشحط[٤] بيني وبينهم	ومن دون من أهوى عنى روادع[٥]
٥- عسى أمتطى عرض الفلاة أجوبها	فتسلو همومي عندهم والروابع[٦]
٦- فصبرا لعل الله يجمع شملنا	فغوث إلهي للشتيتين جامع
٧- على أنني بلغت عنهم مقالة	بأن الهوى منهم محته الزعازع[٧]
٨- فهون وجدى نحوهم ما سمعته	فقلت ومكتوم الصبابة ذائع[٨]
٩- لئن غير النَّأيُ الطويل أحبة	لقد أضمرت في طي ذاك المنافع
١٠- فكم عوض المولى الكريم بفضله	وكم قد أنيطت بالخطير[٩] المرافع[١٠]
١١- فلا تيأسن من فاطر الأرض والسما	فربي كريم فضله متتابع
١٢- ولله وادي جيرة قد ألفتهم	مقيما به والحق للظلم رادع
١٣- سروا منهجاً قد يستضيء بنوره	أخو العلم والتوفيق فالفضل واسع
١٤- فجار[١١] أناس بعدهم عن طريقهم	فجاء خداري[١٢] من الجهل رائع

(*) وهذه القصيدة أخذتها عن رسالة السكاكر الذي أخذها عن الخيال .

(١) النواجع : جمع نجعة ، وهو طلب الكلاء في مواضعه .

(٢) البلدتان : تثنية بلدة ، وقصد الناظم بالبلدتين البحرين ، أو سدوس وحزوى .

(٣) جل : عظم واشتد . (٤) الشحط : البعد .

(٥) روادع : مفردها ردعة من ردع وهو الكف عن الشيء .

(٦) الروابع : الأفكار المتجددة . (٧) الزعازع : الأحداث .

(٨) ذائع : منتشر . (٩) الخطير : العظيم .

(١٠) المرافع : أسباب الرفعة .

(١١) جار : مال عن طريق العدل .

(١٢) خداري : مظلم (القاموس والمحيط الفيروزأبادى مادة «خدر») .

١٥- وأنبتهم[١] نصحي فلم يعبئوا به فصرت أنا المقلى[٢] والنصح ضائع

١٦- تكاثرت الأحداث فيهم فشتت أوانسهم[٣] وانهل منها المدامع

١٧- جرى القدر الجاري عليهم بنكبة[٤] فلا بسوى الفرد العظيم ندافع

١٨- فإن سرت الأعداء مما جرى لهم لقد أوحشت منهم قرى ومرابع[٥]

١٩- ولا عجب أن الذين جفوهم لهم فضل نعمى عندهم وقطائع[٦]

٢٠- فيا ضيعة المعروف في غير أهله فلا الفعل محمود ولا المال راجع

٢١- لئن خانني قوم على البعد والجلا فلا بد من يوم ترد الودائع

٢٢- فأكرم بخل لم يغيره ما جرى وفيٌّ له فوق الوفاء صنائع[٧]

٢٣- سليم من الداء العضال[٨] الذي سرى عقيب الدواهي[٩] فهو منهن نازع

٢٤- له همة تسمو إلى المجد والعلى إذا ماتدانى في الدناءة[١٠] راتع

٢٥- عنيت الفتى سبط الرضى علم الهدى إمام همام للفضائل جامع

٢٦- فيا ربنا واجعل رضاك يعمنا فليس لما تعطيه للمرء مانع

فرد عليه الشيخ عبد العزيز بقصيدة بنفس عدد الأبيات ، وعينية القافية أيضاً ، يقول فيها :

١- أنجم بدا كلا بل البدر طالع أم الشمس أضحى ضوؤها وهو ساطع

٢- أعقد من الدر النفيس منظم فأنوره في الأفق تزهو لوامع

---

(١) أنبتهم : من التأنيب وهو اللوم .
(٢) المقلى : المبغض .
(٣) أوانسهم : جمع آناسه وهي الفتاة غير المتزوجة .
(٤) نكبة : مصيبة .
(٥) مرابع : منازل .
(٦) قطائع : مفردها قطيعة وهي الهبات .
(٧) صنائع : مفردها صنيعة : وهي بذل المعروف .
(٨) الداء العضال : المرض المستعصي الذي أعيا الأطباء (مختار الصحاح مادة عضل) .
(٩) الدواهي : مفردها داهية وهو الأمر العظيم (مختار الصحاح مادة دهى) .
(١٠) الدناءة : النقيصة « مختار الصحاح » .

١٥- وأنبتهم[١] نصحي فلم يعبئوا به فصرت أنا المقلى[٢] والنصح ضائع

١٦- تكاثرت الأحداث فيهم فشتت أوانسهم[٣] وانهل منها المدامع

١٧- جرى القدر الجاري عليهم بنكبة[٤] فلا بسوَى الفرد العظيم نداقع

١٨- فإن سرت الأعداء مما جرى لهم لقد أوحَشت منهم قرى ومرابع[٥]

١٩- ولا عجب أن الذين جفوهم لهم فضل نعمى عندهم وقطائع[٦]

٢٠- فيا ضيعة المعروف في غير أهله فلا الفعل محمود ولا المال راجع

٢١- لئن خانني قوم على البعد والجلا فلا بد من يوم ترد الودائع

٢٢- فأكرم بخل لم يغيره ما جرى وفيٌّ له فوق الوفاء صنائع[٧]

٢٣- سليم من الداء العضال[٨] الذي سرى عقيب الدواهي[٩] فهو منهن نازع

٢٤- له همة تسمو إلى المجد والعلى إذا ماتدانى في الدناءة[١٠] راتع

٢٥- عنيت الفتى سبط الرضى علم الهدى إمام همام للفضائل جامع

٢٦- فيا ربنا واجعل رضاك يعمنا فليس لما تعطيه للمرء مانع

فرد عليه الشيخ عبد العزيز بقصيدة بنفس عدد الأبيات ، وعينية القافية أيضاً ، يقول فيها :

١- أنجم بدا كلا بل البدر طالع أم الشمس أضحى ضوؤها وهو ساطع

٢- أعقد من الدر النفيس منظم فأنوره في الأفق تزهو لوامع

---

(١) أنبتهم : من التأنيب وهو اللوم .

(٢) المقلى : المبغض .

(٣) أوانسهم : جمع آناسه وهي الفتاة غير المتزوجة .

(٤) نكبة : مصيبة .

(٥) مرابع : منازل .

(٦) قطائع : مفردها قطيعة وهي الهبات .

(٧) صنائع : مفردها صنيعة : وهي بذل المعروف .

(٨) الداء العضال : المرض المستعصي الذي أعيا الأطباء (مختار الصحاح مادة عضل) .

(٩) الدواهي : مفردها داهية وهو الأمر العظيم (مختار الصحاح مادة دهى) .

(١٠) الدناءة : النقيصة « مختار الصحاح » .

٣- أتى من أديب عالم متذكر — لإخوته والنأى[١] بالخل شاسع[٢]

٤- تذكر ذا قربى حليف مودة — ولم ينسه إن ما نأى[٣] فهو وادع[٤]

٥- عليك سلام الله يامن سما له — إلى المجد فرع فهو للسعد طالع

٦- عليك مع الإخوان ألف تحية — وألف سلام عهده متتابع

٧- لقد سرني ما جاءني عنك مخبراً — بما خصكم ربي بما هو واسع

٨- على عظم البلوى[٥] أتى اللطف فاعجبوا — على يد من تخشى لديه الجنادع[٦]

٩- فحمدا لمولانا على كل حالة — وشكراً له فالخير للشكر تابع

١٠- وإن تسألوا عني فإني على الذي — عهدتم وربي عالم بي وسامع

١١- فيا سعد من أمسى وأصبح مخلصاً — سليم فؤاد قلبه متواضع

١٢- يرى خير ربح في سلامة دينه — إذ النذل[٧] أضحى وهو للدين بائع

١٣- يروح ويغدو الدهر في طلب الهدى — إلى السنة المثلى حنيناً يسارع

١٤- يعض عليها بالنواجذ[٨] منشداً — لبيت قديم ترتضية المسامع

١٥- وخير الأمور السالفات على الهدى — وشر الأمور المحدثات البدائع[٩]

١٦- أبا حسن[١٠] ذكرتنا العهد والإخا — وعصراً مضى والشمل بالخير جامع

١٧- زمان اصطحبنا في أمان وغبطة — وللدين والدنيا لدينا مواضع

---

(١) النأى : البعيد .

(٢) شاسع : بعيد .

(٣) نأى : بعد .

(٤) وادع : أي ساكن .

(٥) البلوى : الاختبار وجمعها بلايا « مختار الصحاح مادة بلى » .

(٦) الجنادع : جمع « جندعة » وهي الآفات والدواهي «لسان العرب لابن منظور مادة جندع» .

(٧) النذل : الخسيس « مختار الصحاح نذل » .

(٨) النواجذ : جمع « ناجذ» وهو آخر ما يخرج للإنسان من الأضراس « مختار الصحاح مادة نجذ» .

(٩) البدائع : جمع بديعة : ومراد الناظم البدعة وهي الحدث في الدين بعد الإكمال .

(١٠) يشير إلى الشيخ عبد الرحمن بن حسن بن الشيخ محمد بن عبد الوهاب .

١٨- بنود[١] ذوي الإسلام تخفق أينما توجهت الرايات[٢] فالنصر تابع
١٩- فتمت به النعما وحق لها الهنا وقامت به فيما لدينا الشرائع
٢٠- ولسنا نبرّى النفس من أمر سوئها ولولاه ما حلت علينا الفجائع[٣]
٢١- فإن حالت الأحوال عما عهدتنا وصار من الأعدا الصديق المشايع[٤]
٢٢- وبث عتاة الخلق[٥] في الأرض بثهم وراعت قلوب المؤمنين الروائع[٦]
٢٣- فصالحة العتبى[٧] لكل موحد وإن زعزته النائبات[٨] الزعازع[٩]
٢٤- دعوت إله الحق فارج نواله قريباً ونصر الله لابد واقع
٢٥- ونرجوه في الدنيا سريعاً وبعده لدى الحشر إن الله للشرك قامع
٢٦- وإني لأرجو الله حتى كأنني أرى بجميل الظن ما الله صانع

وللشيخ عبد العزيز كذلك قصيدة في ذم التنباك ومدح القهوة في اثنين وعشرين بيتاً نختار منها (*) :

أيا شارب التنباك ما لك تشرب شرابًا إلى سخط المليك يقرب
وتؤذي به الأملاك أكرم بقربهم كرماً لسعي العبد ويحك تكتب

(١) بنود جمع « بند» وهو العلم الكبير ، لفظ فارسي معرب «مختار الصحاح مادة بند» .
(٢) الرايات : جمع « راية » وهو العلم .
(٣) الفجائع : جمع مفرده « فجيعة» وهي الرزيئة والمصيبة .
(٤) المشايع : المناصر « القاموس المحيط مادة شاع» .
(٥) عتاة : جمع عات ، وهو المجاوز للحد في الاستكبار والجبروت وقيل : العاتي ، هو المبالغ في ركوب المعاصي المتمرد الذي لا يقع منه الوعظ والتنبيه موقعاً «مختار الصحاح ولسان العرب» .
(٦) الروائع : جمع رائعة من الروع وهو الفزع « مختار الصحاح مادة روع» .
(٧) العتبى : اسم على فعلى معناه الرجوع عن الإساءة إلى ما يرضى العاتب «لسان العرب والقاموس المحيط باب الباء فصل العين» .
(٨) النائبات : جمع نائبة ، وهي المصيبة .
(٩) الزعازع : جمع مفردة زعزعة وهو تحريك الشيء يقال : زعزعة فتزعزع « مختار الصحاح» .
(*) القصيدة أهداها إليَّ الدكتور علي أبا حسين ، مخطوطة في ورقتين .

وكان عبد العزيز بن ناصر هذا قد غادر الدرعية بعد سقوطها مع أهله ، وهو غلام لم يبلغ الحلم إلى الرياض ، ومعه أخوه محمد الذي يصغره سناً ، بعد أن استشهد والدهم ناصر بن حمد وعمهما إبراهيم بن حمد وابنه سعود بن إبراهيم وغيرهم من مقاتلي الأسرة في معركة الدفاع عن الدرعية عام ١٢٣٣هـ .

أما عبد الله بن الشيخ عبد العزيز بن حمد فقد قتل وهو لم يتجاوز الأربعين من عمره رحمه الله في المعتلى قرب وادي الدواسر ، في المعركة التي دارت بين أبناء الإمام فيصل بن تركي أثر خلافهما على السلطة ، وله ثلاث بنات هن سارة وهيا ونورة ، أما ابنتا الشيخ عبد العزيز فهما سارة التي تزوجها الإمام فيصل بن تركي وأنجبت منه الجوهرة بنت فيصل بن تركي المتوفاة عام ١٣٥٠هـ تقريباً ، والابنة الأخرى للشيخ عبدالعزيز هي نورة شاهدت وصيتها مؤرخة في عام ١٢٨٧هـ ، وقد أوقفت ثمرة نخيل (تمر) في الرياض للفقراء ، كما أوقفت كتابي التوحيد والفرقان كذا(*) في الوصية على طلبة العلم في أحد مساجد الرياض ، وقد انقطع عقب الشيخ عبد العزيز بن الشيخ حمد بن ناصر بن معمر رحمه الله . وقد رثى الشيخ عبد العزيز بن حمد بن معمر بمراث عديدة منها مرثية الشيخ أحمد ابن مشرف التميمي ، وهي في ٢٦ بيتاً يقول فيها :

أشمس الهدى غابت أم البدر أفل	أم النجم أمسى لونه وهو حائل
أم الدين هدَّ الخطْبُ جانبَ طَوْده	أم العلم قد أوهت بناه الزلازل؟
نعم أفلت شمس العلوم وبدرها	لدن غيبت حبر الزمان الجنادل
إمام الهدى عبد العزيز بن ناصر	فكم نصر الإسلام منه رسائل
رثته علوم الدين إن غاب نجمه	فأنجمها تبكي عليه أوافل
وظلت ربوع العلم تهتف باسمه	وتندبه للمشكلات مسائل
فمن بعده للمعضلات وحلها	وكانت له فيها تشد الرواحل ؟
ومن للعدى يرمى بشهب علومه	ومن للهدى يحمى وعنه يناضل
لقد صار في الإسلام ثلم بموته	وكلم فمن ذا بالعلاج يحاول ؟

(*) هو كتاب : الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان لشيخ الإسلام ابن تيمية .

يحل القوى من شاربيه وسعلة	إلى علة السل المخوف تقرّب
وإسكاره لا شك فيه وانه	يخدّر أحياناً فأمراً مجرب
وقد منع الفاروق من شربه الطلا	لإسكار فرد ما للصحابة غيب
أباح إلهي الطيبات مشارب	وقول بطيب التتن قول مكذب
فيا صاح لا تشربه يوماً ولا تكن	بمنتشق يوماً له ولا متطرب
وإن شربوا فاعدل إلى القهوة التي	يطيب لها نشر أريج ومشرب

وفاته:

توفي الشيخ عبد العزيز رحمه اللّه في المنامة في بلد البحرين في شهر شعبان عام ١٢٤٤هـ(١) ، ودفن فيها قال عنه ابن بشر : « وفيها توفي الشيخ العالم الفاضل عبد العزيز بن الشيخ العالم حمد بن ناصر بن معمر رحمه اللّه ، كان فقيهاً أديبًا متواضعاً حسن السمت والسيرة ، ذا شهرة في العلم والديانة وله أشعار رائعة»(٢) . وعندما وصل إلى البلاد النجدية خبر وفاته رحمه اللّه ، صُلِّيَ عليه صلاة الغائب .

وكان الشيخ عبد العزيز بن حمد رحمه الله ، عندما ذهب إلى البحرين أول مرة ، قد ترك ابنتيه وزوجته في سدوس لدى أميرها عبد اللّه بن إبراهيم بن الأمير مشاري ابن إبراهيم بن معمر ، وكان ورعاً وتقيا ، كفل عدداً من نساء آل معمر عندما قتل محارمهن ، وهن بنات إبراهيم بن الشيخ حمد وبنات ابنه سعود ابن إبراهيم بن الشيخ حمد بن معمر ، وذلك لكونه أقرب رجل من ذرية عبد اللّه ابن معمر لهن (*) . ثم عاد الشيخ عبد العزيز من البحرين إلى نجد ، عندما بدأت الأمور تهدأ ، وأخذ زوجته وأولاده وعاد ثانية إلى البحرين .

وبعد وفاة الشيخ عبد العزيز عاد ابنه عبد اللّه وشقيقتاه إلى نجد ، أحضرهم ابن عمهم عبد العزيز بن ناصر بن الشيخ حمد وسكنوا عنده في الرياض ،

(١) روضة الناظرين : جـ١ ، ص ٤٥٦ .
(٢) ابن بشر ، جـ٢ ، ص ٦٧ .
(*) عبد اللّه بن معمر المتوفي سنة ١١٣٨هـ .

وقد كان للإسلام حصناً ومفزعاً إذا نزلت بالمسلمين النوازل
فأصبح مقصوداً لمن طلب الهدى وكل لنيل المعالي سائل
لقد فقد العلم العزيز ونشره لدن فقدت عبد العزيز المحافل
هو البحر إن رمتَ العلوم وبحثها سوى أنه للبحر يوجد ساحل
إذا ما أتاه السائلون فعنده جواب من التحقيق شاف ونائل
وقد جهل الأقوام مقدار فضله وعاش زماناً ذكره فيه خامل
فلا عجب فالكنز يجهل غالباً وهذا زمان تسمو فيه الأسافل
لقد جد في علم الشريعة ناصباً ألا أنه بالجزم للحق نائل
وقد كان مخفوض الجناح تواضعاً بأحرف علم هن فيه عوامل
أضيف إليه العلم النفيس فجرّه إلى كل خير فهو بالعلم عامل
وفعل المعالى موجب رفع قدره كما يستحق الرفع في النحو فاعل
ولكنه في الفضل ما عنه نائب وليس له في عقله من يعادل
فحسبك من حسن أن ما ذكرته وما طال من شيء فما فيه طائل
سقى روحه الرحمن هطال رحمة وعم الرضا من غيبته الجنادل
فأوصيك بالصبر الجميل وبالرضا فحكم المنايا للبرية عادل
فلو كان سهم الموت يخطىء أحداً لعاش الهداة الأكرمون الأفاضل
ولكنه حكم من اللّه نافذ وخطب عميم للبرية شامل

ورثاه غيره رحمه اللّه ، وعفا عنه[1] .

١٦- ولاء أهل العيينة وأمرائها للدعوة الإصلاحية:

شارك أهل العيينة في الدفاع عن الدعوة ضد خصومها ، ولم يتخلفوا عن جميع المواقع التي خاضتها جيوش الدعوة .

---

(١) ابن معمر عبد العزيز بن حمد ، منحة القريب المجيب في الرد على عباد الصليب ، دار ثقيف للنشر والتأليف ، الطائف ، ط٢ ، ١٣٩٨هـ .

وقد سقط من أهل العيينة عدد من الشهداء في ساحات المعارك ، ففي معركة الحاير عام ١١٧٨هـ استشهد من أهل العيينة ثمانية وعشرون رجلاً ، وكانت المعركة ضد قوات نجران بقيادة السيد حسن بن هبة الله المكرمي (١) . وفي عام ١١٨٠هـ استشهد ابن غدير من أهل العيينة في موقعة الصحن ضد قوات ثرمداء(٢) . وفي عام ١١٨١هـ استشهد زيد بن سعيّد من أهل العيينة في موقعة باب الثميري ضد قوات الرياض (٣) . وفي عام ١١٨٢هـ استشهد ناصر بن الأمير (عثمان بن معمر) في موقعة قنا ضد عربان آل مرة (٤) .

ولم يكن دور أهل العيينة مقتصراً على المشاركة العسكرية بل برزوا في العلوم الشرعية ، وكما أسلفنا ترأس الشيخ حمد بن ناصر بن الأمير عثمان بن معمر وفداً من علماء الدرعية في مناظرة لعلماء الحجاز في مكة المكرمة في شهر رجب عام ١٢١١هـ ، بناء على طلب من الشريف غالب شريف مكة للإمام عبد العزيز ابن محمد بن سعود وأعياهم الشيخ حمد بن معمر ، فكان يأتي لبيان حجته بالدليل القاطع والبرهان الواضح من الكتاب والسنة وأقوال الائمة ، عندها اعترفوا بالحق وطلبوا من الشيخ حمد تسجيل ما ناظرهم به(٥) فكتبه رحمه الله في رسالة أسماها (الفواكه العذاب في الرد على من لم يحكم السنة والكتاب) . وقال الشوكاني عن (حمد بن معمر) : «وبلغنا أنه وصل إلى مكة وبعض علماء نجد لقصد المناظرة ، فناظر علماء مكة بحضرة الشريف في مسائل تدل على ثبات قدمه وقدم صاحبه في الدين»(٦) . وفي عام ١٢٢٠هـ وبعد أن حاصرت جيوش الدعوة الشريف غالب وضيقوا عليه جنح للصلح ، وقام الشيخ حمد بن معمر بدور بارز في ذلك الصلح ، ووصل الشيخ حمد إلى مدينة جدة ، وأعطى الشريف كتاب الصلح ، وجمع الناس في مسجد عكاشة وخطب فيهم خطبة بليغة ، وقام بعدد من الأعمال العظيمة في جدة .

---

(١) ابن بشر ، جـ١ ، ص ٩٣ ، ٩٤ .
(٢) المصدر نفسه ، ص ١٠١ .
(٣) المصدر نفسه ، ص ١٠٤ .
(٤) المصدر نفسه ، ص ١٠٦ .
(٥) ابن غنام ، جـ١ ، ص ٢٠٠ .
(٦) ابن بشر ، جـ١ ، هوامش ، ص ٢٣٨ .

وكان الشيخ حمد بن معمر أحد قضاة الدرعية في عهد الإمام سعود ابن عبدالعزيز ، وفي عام ١٢٢١هـ عين الشيخ حمد بن معمر رئيساً لقضاة مكة ومشرفاً على أحكامهم ، وبقي فيها حتى وفاته رحمه الله عام ١٢٢٥هـ [١] .

وأصبح ابنه الشيخ عبد العزيز بن حمد بن معمر أحد قضاة الدرعية حتى عام ١٢٣٣هـ .

وكان لآل معمر - أمراء وعلماء وأفراد - دور بارز في نشر الدعوة السلفية وخدمتها بإخلاص وتضحية ، كما كان لأهل العيينة دور في قيادة سرايا جيوش الدعوة واجتهدوا في ذلك وبذلوا الأرواح وخدموا الدعوة ، وأسند لهم أئمة الدرعية بعض المناصب القيادية فعين حمد بن سالم من أهل العيينة أميراً على المرابطين في المدينة المنورة عام ١٢٢٢هـ في عهد الإمام سعود بن عبد العزيز [٢] ثم أميراً على سدير [٣] .

كما قاد سليمان بن سيف بن طوق من أهل العيينة [٤] عام ١٢٢٥هـ سرية دخل بها الزبارة واستولى عليها ، وطلب من آل خليفة أمراء البحرين التوجه إلى نجد لمقابلة الإمام سعود في الدرعية [٥] ، وكان له ذلك .

واتسعت الدولة السعودية في تلك الفترة وبلغت أقصى اتساع لها في عهد الإمام سعود بن عبد العزيز بن محمد بن سعود سبط الأمير عثمان بن معمر .

حيث تمكن الإمام سعود من ضم الحجاز والأماكن المقدسة فيه إلى دولته عام ١٢٢٠هـ [٦] ، كما استولى على أراض من بادية الشام وضم عمان عام ١٢٢٣هـ [٧] . وضم تهامة عسير ، وكثيرا من بلدان سواحل اليمن ، كما تمكن من ضم الحديدة عام ١٢٢٥هـ [٨] .

(١) علماء نجد ، جـ١ ، ص ٢٤٣ .
(٢) ابن بشر ، جـ١ ، ص ٢٩٢ .
(٣) المصدر نفسه ، ص ٣٦٣ .
(٤) آل طوق من بني سعد من تميم .
(٥) ابن بشر ، جـ١ ، ص ٣٠٧ وهوامشها .
(٦) المصدر نفسه ، ص ٢٨٥ .
(٧) المصدر نفسه ، ص ٢٩٨ ، ص ٣٠٩ .
(٨) المصدر نفسه ، ص ٣١٢ .

ثم فتح بعض البلدان في العراق ، ودانت له بادية العراق وأخذ زكاتهم عام ١٢٢٧هـ [١] ، وهكذا بلغت الدولة السعودية في عهده مبلغاً عظيماً من القوة والسعة . وعندما أدركت الدولة العثمانية مدى قوته وتهديده لكياناتها ، وخشيت امتداد سطوته ونفوذه إلى ما هو أبعد من ذلك ، سعت جاهدة لإيقاف هذا النفوذ ، والقضاء عليه . فعهدت إلى واليها في مصر ، محمد علي باشا ، بتلك المهمة ، وزودته بالمال والعتاد . ثم بدأ الزحف التركي المصري على مملكته ، وأخذ ينقصها من أطرافها إلى أن قضى عليها عام ١٢٣٣هـ .

(١) تاريخ البلاد العربية السعودية ، عهد سعود الكبير ، ص ٤٤ .

الفصل العاشر

سقوط الدرعية عام ١٢٣٣هـ والصراع على السلطة

- الدفاع عن الدرعية
- شهداء آل معمر أثناء الدفاع عن الدرعية
- حالة نجد بعد سقوط الدولة السعودية الأولى
- قيام إمارة محمد بن مشاري بن معمر في الدرعية
- عودة مشاري بن سعود وتنازل ابن معمر عن الحكم
- عودة ابن معمر إلى الإمارة مرة ثانية
- ظهور تركي بن عبد الله واسترداده للحكم ومقتل ابن معمر
- آل معمر بين عامي ١٢٣٦ - ١٣١٨هـ

الفصل العاشر

سقوط الدرعية عام ١٢٣٣هـ والصراع على السلطة

١- الدفاع عن الدرعية:

عهد السلطان العثماني إلى محمد علي باشا والي مصر بمحاربة الدولة السعودية الأولى، فجهز حملة بقيادة ابنه أحمد طوسون على رأس أربعة عشر ألف مقاتل من المصريين والمغاربة وغيرها من البلدان التابعة للدولة العثمانية في ذلك الحين، ونزل طوسون ينبع في عام ١٢٢٦هـ، وجهز الإمام سعود قوة للتصدي لتلك الحملة بقيادة ابنه وولي عهده عبد الله بن سعود على رأس ثمانية عشر ألف مقاتل، وبعد مواجهة شديدة انهارت قوات طوسون وانهزمت أمام قوات (عبد الله بن سعود)، وكانت تلك الموقعة بتاريخ ٢٤ ذي الحجة عام ١٢٢٦هـ بقرب المدينة المنورة. ولا أستبعد مشاركة عدد من المقاتلين من أسرة آل معمر وأهالي العيينة في صفوف قوات عبدالله.

وجمع طوسون قواته بعد ذلك ثم أتاه المدد وزحف على المدينة المنورة، واستولى عليها في التاسع من ذي القعدة عام ١٢٢٧هـ ودخل بقواته مكة المكرمة في محرم ١٢٢٨هـ.

وفي عام ١٢٢٩هـ توفي الإمام سعود بن عبد العزيز وخلفه ابنه عبدالله وواصلت قوات محمد علي زحفها إلى القصيم ثم جرى صلح بينهم عام ١٢٣٠هـ [1].

---

(١) ابن بشر، جـ١، ص ٣٧٨.   (٢) الفاخري، ص ١٤٨.

وفي عام ١٣٣١هـ قاد إبراهيم باشا بن محمد علي قواته وزحف باتجاه الدرعية فحاصر الرس وحاربهم إلى أن تم الصلح بينهم عام ١٢٣٢هـ واستسلمت عنيزة في ذلك العام، وفي العام الذي يليه استسلمت بريدة ثم زحف على شقراء وجرى بينهم مواجهات في شهر ربيع الأول عام ١٢٣٣هـ (٢)، ثم تم الصلح بينهم وزحف على ضرما.

وعندما وصلت قوات إبراهيم باشا إلى ضرما أحكمت الحصار حولها، وبدأت قواته القصف المكثف على البلدة في الرابع عشر من ربيع الثاني عام ١٢٣٣هـ، وكان في بلد ضرما من ضمن المدافعين عنها الكثير من أهل الدرعية والبلدان الأخرى منهم عدد من آل معمر، وصلوا إلى ضرماء من الدرعية، التي اتخذوها سكناً لهم بعد تركهم العيينة، وكانوا ضمن القوات المدافعة عن ضرما، وثبت أهل ضرما ومن معهم أمام مدافع الباشا، ثم طلب منهم الباشا المصالحة فأبوا عليه فكثف من قصفه لها، فتهدم جزء من السور، ودخل الغزاة البلد فتلاحم الطرفان وسطها، وقتل من قوات إبراهيم باشا قرابة ستمائة رجل وهرب البقية على أعقابهم (١) خارج السور.

وتكالبت الظروف على المدافعين عن البلد حيث شن إبراهيم باشا الحرب عليهم من محورين شمال البلد وجنوبها، وهدمت القذائف الأسوار، وكان جزء من أهل البلد يعملون اللبن (الطوب الطيني) ويعيدون بناء ما هدمته المدافع، وجزء منهم يجالدون قوات إبراهيم باشا ، ثم انهمرت الأمطار بشكل غزير عليهم فلم يجف اللبن بل خربته مياه الأمطار، كما أن الأمطار أسهمت في إطفاء شعلة بعض البنادق التي يستخدمها الأهالي في الدفاع عن بلدتهم بالإضافة إلى البرودة الشديدة. عندئذ دخلت قوات إبراهيم باشا البلد في السابع عشر من الشهر نفسه، وقاتلوا أهلها في الأسواق، والمساجد، والبيوت، بعد أن أعطوهم الأمان، وأخذوا أسلحتهم وأثاثهم وخيولهم، وكان مجموع القتلى من أهلها والمدافعين عنها حوالي ثمانمائة نسمة ، وكان من ضمن الشهداء تسعة مقاتلين من أسرة آل معمر أهل العيينة (٢).

---

(١) ابن بشر، جـ١، ص ٣٩٥.

(٢) المصدر نفسه، جـ١، ص ٤١٩.

وبعد أن نهبت قوات إبراهيم باشا ضرما ، أخرج من بقي فيها من أهلها للدرعية ثم اتجه هو إليها ، وكان طريقه مع ثنية الأحيسى (سبع الملاف) ثم الحيسية ثم العيينة ، وكانت عبارة عن مزارع وأطلال مبان وعدد قليل جداً من السكان ثم مر بالجبيلة ، فوصل إلى الدرعية في غرة شهر جمادى الأولى من العام نفسه [١] .

وقد استعد الإمام عبد الله وأجرى ترتيبات الدفاع عنها ، فقام ببناء الأسوار والقلاع والحصون وتوزيع المدافعين على ثغور البلد ، ثم دارت المناوشات والحروب بين جنود إبراهيم باشا وأهل الدرعية والمدافعين عنها ، وظلت الحرب سجالاً قريباً من ستة شهور أو تزيد ، وأهل البلد في نقص من السلاح والرجال والمؤن ، والجيوش الغازية تمد بالمال والرجال والسلاح والمؤن ، واستمر هجوم إبراهيم باشا الشرس والمكثف بينما بالمقابل استمر أهل البلد في الدفاع والاستماتة والاستبسال في محاولة لإنقاذ ما يمكن إنقاذه ، والذود عن بلدهم ، ولكنهم اضطروا في النهاية إلى طلب الصلح من إبراهيم باشا بعدما ظهر واضحاً عدم تكافؤ القوتين ، فأجابهم إلى ذلك ، وأرسلوا إليه من أعيان أهل الدرعية عبدالله ابن عبدالعزيز بن محمد بن سعود والشيخ علي ابن الشيخ محمد بن عبد الوهاب ومحمد بن الأمير مشاري بن معمر ، فدارت المفاوضات بين الفريقين وعرضوا عليه أن يصالحهم على البلد كلها ، فأبى أن يصالحهم إلا على السهل إلا إذا حضر الإمام عبد الله بن سعود ، فانفض الاجتماع بينهم ولم يتم الصلح يوم الأربعاء السابع من ذي القعدة عام ١٢٣٣هـ [٢] ، ثم أحكم الباشا حصاره على الإمام عبد الله في حي الطريف ودارت المعارك بينهم لمدة يومين ، فلما رأى الإمام أن المقاومة لا تجدي طلب الصلح مع الباشا ، وتمت المقابلة والاتفاق بينهما على بنود الصلح ومن ضمنها رحيل الإمام إلى مصر حيث نقل إلى تركيا ، وقتل هناك عام ١٢٣٤هـ .

شهداء آل معمر أثناء الدفاع عن الدرعية :

كانت الخسائر البشرية للجيوش الغازية حوالي اثني عشر ألف رجل منذ بدء القتال بين قوات محمد علي والدرعية ، وقتل من المدافعين عنها عدد كبير منهم من آل معمر ستة رجال فيصبح عدد الشهداء من أسرة آل معمر في الدفاع عن ضرماء

(١) المصدر نفسه ، جـ١ ، ص ٣٩٧ .

(٢) ابن بشر ، جـ١ ، ص ٤١٦ ، ٤١٧ ؛ الفاخري ، ص ١٤٩ .

والدرعية خمسة عشر شهيداً [١] .

وأسرة آل معمر وهي ثاني أسرة تقدم عدداً كبيراً من الشهداء في الدفاع عن البلاد بعد الأسرة السعودية الكريمة التي قتل منها ٢١ رجلاً ، ولم أصل إلى معرفة أسماء شهداء أسرة آل معمر الخمسة عشر جميعاً كاملة وذكر لي والدي [*] إن من الذين استشهدوا من آل معمر في تلك الأحداث ناصر وإبراهيم ابني الشيخ حمد بن ناصر ابن معمر وسعود بن إبراهيم ابن الشيخ حمد بن معمر ، وكذلك مشاري بن عبد الله ابن الأمير عثمان بن معمر ، وهؤلاء الأربعة من ذرية الأمير عثمان بن معمر .

كما ذكر منهم على ما يبدو إبراهيم بن الأمير مشاري بن إبراهيم بن معمر وولده محمد . وشارك في الدفاع عن الدرعية عدد من آل معمر من غير هؤلاء الشهداء منهم الشيخ عبد العزيز بن الشيخ حمد بن ناصر بن الأمير عثمان ابن معمر ، ومحمد بن الأمير مشاري بن معمر وأبناؤه مشاري وفيصل وعبد الله ، وعبد الله بن إبراهيم بن الأمير مشاري بن معمر وأخوه علي بن إبراهيم وغيرهم .

٢- حالة نجد بعد سقوط الدولة السعودية الأولى :

عند انهيار الحكم السعودي بشكل عملي وبعد سقوط الدرعية واستسلام قادتها ، تلاشت الوحدة السياسية التي كونتها الدعوة الإصلاحية ، وعادت نجد إلى حياة الفوضى والتمزق [٢] على شكل كيانات مستقلة ورجعت بعض العناصر القيادية المناهضة للدرعية إلى بلدانها حيث سعت إلى استعادة نفوذها على حساب الزعامات القائمة ، وتمكن بعضهم من تحقيق ذلك حيث قام رشيد ابن سليمان الحجيلان بقتل عبد الله بن حجيلان بن حمد في بريدة ثأراً لأبيه الذي قتله حجيلان بن حمد أثناء حملة سعدون بن عريعر على بريدة عام ١١٩٦هـ [٣] .

وفي حريملاء عاد الصراع بين أسرتي آل حمد وآل راشد على زعامة البلد ،

(١) المصدر نفسه ، جـ١ ، ص ٤١٩ ؛ الفاخري ، ص ١٥١ .

(*) يعتمد والدي رحمه الله في ذلك على والده عبد العزيز رحمه الله الذي كان من المهتمين بتاريخ آل معمر ، وتناقله بالمشافهة عن أسلافه وعن ما لديه من وثائق حيث تولى جميع أملاك ووصايا ذرية جده الأمير (عثمان بن معمر) في العيينة والجبيلة وعرقة والرياض والدرعية .

(٢) الوهبي ، عبد الكريم عبد الله : التطورات السياسية في نجد ، بحث مقدم في مادة تاريخ الجزيرة العربية الحديث ، ١٤٠٩هـ ، ص ٤ .

(٣) ابن بشر ، جـ١ ، ص ٤٤٠ .

حيث قتل زعيم آل حمد إبراهيم بن ناصر الزير آل حمد ، قتله ناصر بن محمد ابن ناصر آل راشد ، واستولى هو وأسرته على ممتلكات آل حمد في حريملاء وأجلوهم منها [١] .

كما ظهرت تلك الصراعات في الخرج والأحساء وسدير وغيرها من البلدان التي كانت تحت نفوذ الدرعية ، كما أن قبائل البادية عادت في غياب السلطة المركزية القوية إلى ممارسة النهب والسلب وقطع الطرق والغارات المتبادلة بينها .

هذا بالنسبة للحالة السياسية ، أما الحالة الاقتصادية فلم تكن أحسن حالاً حيث توقفت التجارة بين البلدان النجدية ، وبينها وبين المناطق المجاورة نتيجة انعدام الأمن [٢] ونهبت بعض الممتلكات من قبل بعض جنود الجيوش الغازية وفرضت الضرائب ، وقل الإنتاج الزراعي والحيواني نتيجة الجفاف والقحط الذي عم المنطقة فأدى إلى المجاعة .

ولقد كان من المؤكد أن استمرار الفراغ السياسي الرهيب في نجد ينذر بمخاطر أمنية واجتماعية ودينية واقتصادية .

وكان لا بد من بروز قائد يتحلى بصفات قيادية وقدرات خاصة لملء ذلك الفراغ ، ولبعث الأمل في قلوب محبي الدعوة وأتباعها لإعادة توحيد نجد بل أجزاء الجزيرة العربية ، على أساس العودة إلى منهج ومبادئ الدعوة السلفية المباركة من جديد .

٣- قيام إمارة محمد بن مشاري بن معمر [*] في الدرعية عام ١٢٣٤هـ :

في ظل الأوضاع المضطربة التي تطرقنا لها جرت محاولة فريدة محلية لملء الفراغ السياسي الذي حدث إثر انسحاب قوات إبراهيم باشا من نجد ، وكان قائد هذه المحاولة محمد بن مشاري بن معمر أحد الزعماء النجديين البارزين ، وابن أمير العيينة مشاري بن معمر وسليل إحدى الأسر النجدية ذات الدور المؤثر في نجد قبل وأثناء الدعوة الإصلاحية [٣] ، وأحد المساهمين في الدفاع عن الدرعية حينما

---

(١) المصدر نفسه ، جـ ١ ، ص ٤٤١ . (٢) ابن بشر ، جـ ١ ، ص ٤٢٧ .

(*) ذكر ابن بشر أن ابن معمر استقر في الدرعية أواخر عام ١٢٣٤هـ بينما ذكر الفاخري أن ذلك تم عام ١٢٣٥هـ دون تحديد الشهر .

(٣) التطورات السياسية في نجد ، ص ٨ .

حاصرها إبراهيم باشا ، كما أنه أحد أعيان الدرعية الثلاثة الذين انتدبوا للتفاوض مع إبراهيم باشا للتوصل إلى صلح معه ، حيث كان ذلك في السابع من ذي القعدة عام ١٢٣٣هـ[١] . كما أنه سبط الإمام محمد بن سعود ، وخالاه : الإمام عبد العزيز وأخوه عبدالله[٢] وتربطه بالبيت السعودى صلة القرابة والرحم ، وكان محمد إلى جانب ذلك المركز الاجتماعي في نجد يتمتع بثراء واسع ، قال عنه ابن بشر : «كان عنده من الأموال والسلاح ما لا يحصى ولا يعد»[٣] . وتشير إحدى الوثائق العثمانية[٤] إلى امتلاكه للسلاح وأنه أخرج مدفعين كان قد دفنهما في الدرعية أثناء حصار إبراهيم باشا لها وقبل سقوطها .

حاول محمد بإمكاناته تلك توحيد نجد على أساس الدعوة الإصلاحية ، وتشير إحدى الوثائق العثمانية[٥] إلى أن محمد بن معمر عند بدء حركته نقل أهله وأولاده إلى بلد سدوس حيث يقيم فيها أبناء أخيه إبراهيم ، وهذا دلالة على شعوره بصعوبة محاولته وخطورتها[*] ، بينما توجه هو إلى الرياض ، حيث اتفق مع بعض النازحين من الدرعية والمقيمين في الرياض وقراه على تأييده ، ووضع راية عند بابه ، وأخذ أهل الدرعية يتوافدون عليه ، ويجمعون أولادهم وأهليهم

---

(١) ابن بشر ، جـ١ ، ص ٤١٧ .

(٢) ابن بشر ، جـ١ ، ص ٤٤١ ، وفي نسخة تاريخ ابن بشر طبعة مطابع القصيم ، جـ١ ، ص ٢٦٤ ، ذكر أن خال محمد بن معمر هو سعود الكبير وهذا خطأ إذ أن الإمام سعود ابن خاله وليس خاله ، وفي وصية والده الأمير مشاري بن معمر التي كتبها الشيخ حمد ابن ناصر بن معمر عام ١٢٠٢هـ يتضح منها أن الزوجة الثانية لمشاري هي بنت الإمام محمد بن سعود وأنها أنجبت منه ولداً وابنتين هما سارة ومنيرة والولد هو محمد الذي نتحدث عنه وكلام ابن بشر في طبعة الدارة مطابق لما في الوصية من أن اخوال محمد ابن معمر هما الإمام عبد العزيز وأخوه عبد الله والد الإمام (تركي بن عبد الله) .

(٣) ابن بشر ، جـ١ ، ص ٤٤٢ .

(٤) هذه الوثيقة عبارة عن تقرير كتبه عبد الله الجمعي أمير عنيزة مقدم إلى زيله أفندي محافظ المدينة المنورة ، دار الوثائق القومية بالقاهرة ، محفظة ١٦ بحربر وثيقة رقم (٥٧) بدون تاريخ .

(٥) دار الوثائق القومية بالقاهرة ، محفظه (١٦) بحربر وثيقة رقم ٥٧ ، بدون تاريخ .

(*) وكان محمد بن معمر قد خرج من الدرعية بعد سقوطها ونزل العيينة وفي تلك الأثناء مر بها الكابتن فوستر سادلير وبات في العيينة ، ثم غادرها في الرابع عشر من أغسطس عام ١٨١٩م ، وذكر سادلير أن في العيينة بعض السكان .

عنده فيوجههم إلى الدرعية حيث شرعوا بزراعة أرضها ، وهذه هي الخطوة الأولى في جهود (محمد بن معمر) في بناء دولة جديدة ، حيث انتقل بنفسه وأقنع الناس بالعودة إلى الدرعية ، وساعد الأهالي بالأموال اللازمة اعتماداً على ثرائه الواسع ومستغلاً تلك الثروة في تأمين الحماية لهم .

وهذه المعلومات المبكرة عن حكم ابن معمر متطابقة مع سياق الأحداث ، ولا يتعارض كونه سكن الرياض فترة محدودة ودعا الأهالي إلى العودة للدرعية مع معارضة أمير الرياض لحركته بعد ذلك ، ورفض أميرها الانضمام إليه .

وعندما تحدث (سادلير) عن الدرعية أثناء مروره بها في شهر أغسطس عام ١٨١٩م الموافق شهر شوال ١٢٣٤هـ ذكر أنها بلدة خربة لم يبق من مبانيها إلا أطلالها ، ولم يكن بها أي إنسان [١] . ومروره بالدرعية كان قبل ظهور محمد ابن معمر بمدة بسيطة ، ووضع الدرعية ــ كما ذكر سادلير ــ يجعل مهمة ابن معمر صعبة إن لم تكن مستحيلة في إعادة تعميرها من جديد ، ومهما يكن من أمر فقد انتقل ابن معمر إلى الدرعية وسعى في عمارتها وإصلاح ما دمرته قوات ابراهيم باشا من الأسوار والبيوت والقلاع على نفقته . وعندما تطرق ابن بشر لجهود ابن معمر تلك قال : «فلما نزل بلد الدرعية سعى في عمارتها وأظهر إعادة الدعوة ، وأراد أن تكون بلدان نجد تحت يده بدعوى الإمامة ، فكاتب البلدان ودعاهم بالوفود إليه والاجتماع ، فأطاعه أهل بلدان قليلة مما يليه ، ووفدوا عليه في الدرعية فاستقر فيها واستوطنها» [٢] .

وحينما تطرقت الوثائق العثمانية إلى جهوده تلك ، أشارت إلى [٣] أنه شرع ببناء القلاع في الدرعية . وأبدى محمد علي باشا تخوفه من حركة ابن معمر وطلب العون من السلطان العثماني لقمعها ويظهر أن محمد علي والدولة العثمانية لا يريدون أن تقوم قائمة في هذه البقعة .

ونجحت جهود ابن معمر في إعمار الدرعية من جديد ، حيث استطاع أن يعيد

---

(١) مذكرات عن رحلة عبر الجزيرة العربية ، ص ٨٦ .

(٢) ابن بشر ، جـ١ ، ص ٤٤٢ .

(٣) وثيقة هي عبارة عن رسالة من محمد علي حاكم مصر إلى السلطان العثماني يخبره فيها بتحركات محمد بن مشاري وتحصينه للدرعية ، انظر كتاب تاريخ البلاد العربية السعودية ، عهد عبد الله بن سعود ، ص ٢٢٧ .

إليها جزءاً كبيراً من سكانها من بينهم ألف ومائتا مقاتل [١] . وبعد استقراره في الدرعية بدأ الخطوة الأخرى في حكمه ، وهي الاتصال بالبلدان النجدية ودعوة زعمائها إلى مبايعته ؛ فأول من بايعه من البلدان منفوحة ، وراسله بعض أهل البلدان بالمبايعة [٢] . وحقق بعض النجاح ، مما أخاف زعماء بعض البلدان من توسع نفوذه ، وبالتالي تهديده لبلدانهم ، وهذه البلدان هي : الرياض ، وحريملاء والخرج الذين أرسلوا لحاكم الأحساء ابن عريعر وحذروه من نوايا ابن معمر ، وأنه سيغزو الأحساء إذا قويت شوكته وأشاروا عليه بمهاجمته قبل أن يستفحل أمره [٣] .

وقام (محمد بن عريعر) بإرسال رسالة إلى إبراهيم باشا وهو في مدينة جدة يخبره عن نوايا ابن معمر بالهجوم على الأحساء [٤] . وقام إبراهيم بإرسال رسالة لوالده محمد علي الذي أرسل رسالة للسلطان العثماني يخبره عن تحركات ابن معمر ، فأصدر السلطان أمراً بضرورة قمع هذه الحركة .

قاد (ماجد بن عريعر) حملة كبيرة على نجد عام ١٢٣٥هـ وانضم إلى قواته كل من أهل الرياض وحريملاء والخرج ، وهاجمت تلك القوات منفوحه التابعة لابن معمر ، وحصل بينهم قتال ثم انتهت المواجهة بينهم بصلح [٥] .

وتشير إحدى الوثائق العثمانية [٦] إلى أن ابن عريعر أغار على عرقة وقتل من أهلها ثلاثين رجلاً ، ونهب قافلة كانت قادمة من الرياض للدرعية ، وقتل أشخاصاً من أهل الدرعية ، كما تشير إلى أن ابن معمر لديه مدفعان استعان بهما على مقاومة ابن عريعر والتفوق عليه .

ويفهم من الوثيقة أن مواجهة وقعت بين ابن معمر وابن عريعر ، كما ذكر فيصل الدويش أن ماجد حاربهم [٧] . ولم يشر ابن بشر إلى أي مواجهة بينهما ،

---

(١) وثيقة رقم ٥٧ محفظه ١٦ بحر بر ، دار الوثائق القومية بالقاهرة .
(٢) ابن بشر ، جـ١ ، ص ٤٤٢ .
(٣) الوثيقة ٥٧ السابقة .
(٤) رسالة مرسله من محمد علي إلى السلطان العثماني مصدر سابق .
(٥) ابن بشر ، جـ١ ، ص ٤٤٢ .
(٦) وثيقة رقم ٥٧ السابقة .
(٧) وثيقة رقم ١١٧ محفظة بحربر ، دار الوثائق القومية بالقاهرة ، رسالة من فيصل الدويش إلى إبراهيم باشا .

بل ذكر أن ابن معمر أهدى إلى ماجد بن عريعر هدايا وخدعه بشيء من المكاتبات [١] . وتشير إحدى الوثائق إلى أن الهدية التي أهداها لابن عريعر عبارة عن درعين ، وأن أهل الدرعية بزعامته هددوا ابن عريعر ورفضوا مقابلته [٢] .

ونتيجة للقحط وعدم تحقيق ابن عريعر أية مغانم أو غنائم ترضي طموح القبائل المرافقة له ، فقد تذمروا من الوضع السيئ وتخاذلوا ، ثم رحلوا دون تحقيق مكاسب تذكر . بل كانت نتائج تلك الحملة معاكسة تماماً لما هدفت إليه حيث ارتفع شأن ابن معمر ، وقويت شوكته في نجد بدلاً من القضاء عليه أو إضعافه .

ولعل من نتائجها تخلي معظم البلدان النجدية عن موقفها المعادي لحركة ابن معمر [٣] ، حيث انضمت كل من بلدان العارض والمحمل والوشم وسدير له [٤] .

استغل ابن معمر تلك المكاسب بالإضافة لقوته الاقتصادية وشجع الحركة التجارية بين الأقاليم النجدية والدرعية ، وراسل العديد من البلدان النجدية وأمرهم وحثهم على إرسال المؤن إلى الدرعية فنشطت القوافل التجارية من سدير والمحمل والوشم وغيرها إلى الدرعية ، فتوفرت فيها الأطعمة بأسعار معقولة ، وأدى هذا الإجراء إلى تنامي شعبيته ، وتمكن أمره في تلك البلدان فكثر أتباعه ودعاته فيها .

وفي تلك الأثناء قدم (تركي بن عبد اللّه) وأخوه زيد على ابن معمر في الدرعية وصارا عنده وساعداه [٥] . وتشير الوثيقة السابقة [٦] إلى أن تركي جاء ومعه ولده وأخوه زيد وعمر بن عبد العزيز بن محمد بن سعود وأولاده ، وأنه جاء مع تركي حوالي مائة رجل من أهل الجنوب [*] . كما أحضر عمر معه قوافل

---

(١) ابن بشر ، جـ١ ، ص ٤٤٢ .
(٢) وثيقة رقم ٥٧ محفظة بحرير ، سبق ذكرها .
(٣) التطورات السياسية في نجد ، ص ١٣ .
(٤) الفاخري ، ص ١٥٣ .
(٥) ابن بشر ، جـ١ ، ص٤٤٣ . (٦) وثيقة رقم ٥٧ .
(*) المقصود بأهل الجنوب هم أهالي البلدان الواقعة جنوب الدرعية والرياض مباشرة مثل الخرج وحوطة بني تميم والحريق .

من الأطعمة ، كما تشير الوثيقة إلى أن قدوم تركي تم بناء على طلب من ابن معمر ، أي مبعوث من قبله « أتى بتركي » .

كانت حريملاء كما ذكرنا من ضمن البلدان المعارضة لحركة ابن معمر ، ورئيس حريملاء آنذاك هو حمد بن مبارك بن عبد الرحمن بن راشد ، وبين آل حمد وآل راشد خلاف أدى إلى مواجهة بينهم يوم الجمعة ٢٣ جماد الأولى ١٢٣٥هـ قتل فيها من الطرفين رجال ، وتحصن آل راشد في قصرهم فأرسل آل حمد إلى ابن معمر في الدرعية وطلبوا منه المساعدة ، فأرسل لهم قوة بقيادة ابنه مشاري ومعه زيد بن عبد الله بن محمد بن سعود شقيق تركي بن عبد الله واستدعى قوات من المحمل وسدير وحاصرهم لمدة أسبوع ، ثم طلبوا الأمان من مشاري ابن محمد بن معمر فأمنهم نيابة عن والده على دمائهم وما معهم ومن في خدمتهم فنزلوا من القصر ورحل بهم إلى الدرعية ، وعين ابن معمر (عمر ابن عثمان بن حمد) أميراً في حريملاء ، وبعد هذا الإجراء دانت البلدان لابن معمر فكاتبوه ووفدوا عليه [(١)] .

٤ - عودة مشاري بن سعود وتنازل محمد بن معمر عن الحكم :

بعد هذا النجاح أصبح (محمد بن معمر) الشخصية الأولى المهيأة لإقامة كيان نجد السياسي الموحد من جديد [(٢)] . وفي تلك الأثناء ظهر مشاري بن سعود ابن عبد العزيز في شمال نجد بعد استطاعته الهرب من أسر قوات إبراهيم باشا عند قرية الحمراء بالقرب من ينبع ، حيث كان محمولاً مع إخوته وأقاربه إلى مصر . وتحدثنا الوثيقة العثمانية عن العلاقة بين محمد بن معمر ومشاري بن سعود ، حيث تذكر أن مشاري بن سعود قد ذهب إلى جبل شمر وأقام فيه ، ثم غادره إلى الدرعية بعد إلحاح مستمر من ابن معمر بواسطة مبعوثيه (فأرسل له مراراً متعددة هجانة يدعوه إليه) [(٣)] . وفي طريقه مر بالقصيم فأكرمه أهلها ، وفي أثناء إقامته في بريدة جاءه صالح بن دغيثر من أهل الدرعية وتعاهد معه .

وفي اعتقادي أن ابن معمر حاول أن يضم (مشاري بن سعود) إلى حركته كما

(١) ابن بشر ، جـ١ ، ص ٤٤٤ .
(٢) التطورات السياسية في نجد ، ص ١٥ .
(٣) وثيقة رقم ٥٧ .

فعل مع تركي ، وليسلم من مطالبة مشاري بالحكم وألح عليه في الحضور إلى الدرعية خوفاً من أن تنضم إلى مشاري بلدان وقبائل نجدية وتبايعه على أنه الحاكم ، خصوصاً أنه الوريث للحكم بعد أخيه (عبد الله بن سعود) كما يشكل قوة تنافس ابن معمر وتقضي على طموحه فاستدعاه حتى يكون قريباً منه وتحت مراقبته . ويزيد قوته ونفوذه بانضمام رجالات آل سعود إليه . والذي يظهر لي أنه جرى في الدرعية ترتيب مضاد لترتيب ابن معمر حيث من المحتمل أن يكون تركي ابن عبد الله قد اتفق مع بعض المقيمين في الدرعية المعارضين لابن معمر أن يرسلوا لـ (مشاري بن سعود) ويبايعوه بالإمامة على أساس أنه الوريث الأبرز للحكم . ويعلن ذلك في البلدان التي يمر بها ويدخل الدرعية على ذلك الأساس ويفوتون على ابن معمر ما كان يخطط له ، وأن صالح بن دغيثر مندوب الدرعية إلى مشاري بن سعود والذي بايعه في بريده عند مقابلته له[1] كان ممثلاً للمعارضين لزعامة ابن معمر في الدرعية ، وأن هدفه الفعلي هو إعلان إمامة مشاري بن سعود واستكمال الترتيبات اللازمة لذلك ، ووضع ابن معمر أمام الأمر الواقع .

وصل مشاري بن سعود إلى الوشم في العاشر من جمادى الآخرة عام ١٢٣٥هـ ثم رحل ومعه رجال من أهل القصيم والزلفي وثرمداء وغيرهم من أهل الدرعية ، ومعه المؤن وقدم الدرعية[2] بتلك القوات في تظاهرة عسكرية أعلنت أحقيته في زعامة الدرعية . ولم ترض ابن معمر التطورات التي حصلت وفكر بالامتناع والمحاربة ، ثم تنازل له عن الحكم (*) ، وبايع ابن معمر (مشاري ابن سعود) إماماً للدرعية ، وكان كل منهما يفسر ذلك التعاون بناء على مصلحته الشخصية ، فقد جمعهما عامل الولاء للدعوة وإنقاذ البلاد [3] .

---

(١) وثيقة رقم ٥٧ السابقة .

(٢) ابن بشر ، جـ١ ، ص ٤٤٥ .

(*) دامت فترة حكم ابن معمر سبعة شهور حسب رواية ابن بشر من أواخر عام ١٢٣٤ هـ ، حتى تنازل في جمادي الآخرة عام ١٢٣٥هـ ، وحوالي أربعة شهور حسب رواية الفاخري ، وثلاثة شهور حسب رسالة الجمعي الوثيقة رقم (٥٧) ، حيث حدد بدء حركة ابن معمر في شهر ربيع أول .

(٣) التطورات السياسية في نجد ، ص ١٧ .

وتشير رسالة من فيصل الدويش إلى إبراهيم باشا إلى أن محمد بن معمر قد تلقى تركي بن عبد الله ومشاري بن سعود واتفقوا على العمل العسكري (واحتركوا في الدرعية بحرابة) حيث دخلت بعض البلدان النجدية في طاعتهم خصوصاً البلدان التي جنوب نجد ، وبايعت الكثير من البلدان النجدية مشاري بن سعود ، وعندما تم له ذلك شرع في توحيد البلاد وإكمال ما بدأه ابن معمر [(١)] .

فسار على رأس قوة من أهل العارض والمحمل وسدير والوشم وبوادي سبيع ، واتجه للخرج واستولى على بعض بلدانه ثم عاد إلى الدرعية .

٥- عودة محمد بن معمر إلى الإمارة مرة ثانية :

كانت فترة إمارة (محمد بن معمر) الأولى بين ثلاثة إلى سبعة شهور كما أسلفنا . ولقد بدأ ابن معمر يفكر بعد العودة من غزوة الخرج في استعادة الأمر لنفسه فانتقل من الدرعية إلى سدوس ، التي يقيم بها أبناء أخيه إبراهيم ، واستقر فيها بدعوى أنه مريض واتصل ببعض البلدان النجدية يطلب منهم البيعة والسمع والطاعة له [(٢)] .

ثم سار إلى الدرعية ، وألقى القبض على (مشاري بن سعود) وأرسله إلى سدوس حيث سجنه هناك [(٣)] . وأعلن إمارته من جديد ثم أبقى ابنه مشاري في الدرعية ، وسار هو إلى الرياض ، ثم استدعى ابن معمر ابنه مشاري وجعله أميراً للرياض ورجع إلى الدرعية .

استقرت الأمور لابن معمر ودانت له البلدان بعد أن كاتبهم فوفدوا عليه ، وبايعه في الدرعية أهل سدير والمحمل وغيرهم [(٤)] . وفي هذه الأثناء قدم جيش بقيادة (أبوش أغا) ونزل عنيزة ودانت له بلدان القصيم ، وكان يريد الاتجاه إلى الدرعية للقضاء على مشاري بن سعود وحركته فاتصل به ابن معمر ، وذكر له أنه تابع للسلطان العثماني ، وأنه ألقى القبض على مشاري بن سعود ووعده بتسليمه له ، فكتب له أبوش أغا بإقراره في الإمارة [(٥)] . ويظهر أن ابن معمر أعلن التبعية

(١) التطورات السياسية في نجد ، ص ١٨ .
(٢) ابن بشر ، جـ١ ، ص ٤٤٦ .
(٣) الفاخري ، ص ١٥٤ .
(٤) ابن بشر ، جـ١ ، ص ٤٤٦ ، ٤٤٧ .
(٥) ابن بشر ، جـ١ ، ص ٤٤٧ .

الاسمية للسلطان لرغبته في تجنب المواجهة مع قوات (أبوش آغا) ، ريثما يستطيع إعداد كيان قوي ، ويتخلص من خصومه المحليين ، وتعزى مساعدة بعض الأهالي له والسهولة التي استعاد بها الحكم في الدرعية دون مقاومة تذكر إلى خشية الأهالي من عودة الغزاة إلى المنطقة وتولي إدارتها بصورة مباشرة ، وما يترتب على ذلك من مصاعب على الأهالي [(١)] . وخصوصاً أن الأخبار بدأت تصل إلى بعض الأقاليم النجدية عن حملة (أبوش أغا) على الدرعية ، وبهذا انتهت فترة حكم (مشاري بن سعود) التي لم تحدد لنا المصادر التاريخية مدتها ، وأعتقد أنها لا تزيد عن ثلاثة شهور ، حيث بويع بالإمامة في الدرعية في شهر جمادي الآخرة عام ١٢٣٥هـ [(٢)] وقدم عليه ابن معمر في شهر شعبان أو رمضان (*) .

٦- ظهور تركي بن عبد الله واسترداده الحكم ومقتل ابن معمر :

استقرت الأمور لابن معمر بعد استيلائه على الحكم من (مشاري بن سعود) في شعبان عام ١٢٣٥هـ ، وأصبح عليه معالجة وضع قريبه وحليفه السابق تركي ابن عبد اللّه الذي أصبح منافسه الرئيسي على الزعامة النجدية ، حيث لم يستسلم تركي للأمر الواقع [(٣)] .

انتقل تركي من الحاير ومعه بعض عشيرته وخدمه إلى ضرماء ، وفيها أخوال ابنه فيصل ، وهم آل فقيه من بني تميم ، وكان فيها أملاك ومزارع وقصور لآل معمر ، فلما وصلها تركي سار رجل إلى ابن معمر في الدرعية وأخبره أن تركي وصل ضرماء ومعه بعض مؤيديه ، فجهز ابن معمر قوة قوامها مائة فارس بقيادة

---

(١) التطورات السياسية في نجد ، ص ٢٠ .

(٢) ابن بشر ، جـ١ ، ص ٤٤٥ .

(*) إذا كان الفاخري في تاريخه يذكر الحوادث مسلسلة زمنياً فإنه يمكن تحديد فترة حكم (مشاري بن سعود) بحوالي ثلاثة شهور ، وعند استعادة ابن معمر للحكم مرة ثانية تزامن معه وجود جراد في سدير أكل الزروع والثمار ، مما اضطر الناس إلى أكل البسر أخضر (ثمر النخل قبل نضوجه) بسبب قلة الغذاء ، واستمروا على هذا الوضع حتى شهر ذي القعدة حيث حصل الرطب ، وبين البسر الأخضر الذي يمكن أن يؤكل وتحوله إلى رطب حوالي الشهرين ، وبعملية حسابية بسيطة فإن وقت البسر كان في شهر شعبان وهي الفترة التي أصبح فيها ابن معمر أميراً بدلاً من مشاري .

(٣) التطورات السياسية في نجد ، ص ٢٠ .

ابنه مشاري أمير الرياض ، وأرسلها إلى ضرماء سراً ، وأرسل ابن معمر كتاباً مع أحد رجاله إلى بعض مؤيديه في ضرما ، ولكن تركي أمسك الرجل وقرأ الكتاب وعرف مضمونه ، وهاجم تركي بعض جنود ابن معمر في أحد قصور ضرماء وجرح بعضهم وتفرقت البقية وتخاذل رجال مشاري بن معمر وتابع بعضهم تركي ابن عبد الله ، مما اضطر مشاري بن معمر إلى امتطاء صهوة جواده والعودة إلى الدرعية بصحبة فارسين من مؤيديه (١) .

أقام تركي في ضرماء وجمع قوات من أهلها ومن أهل الجنوب وسبيع وغيرهم واتجه إلى الدرعية حيث حاصر ابن معمر في قصره ، وحاول الامتناع ولكن خذله أهل الدرعية في ذلك الوقت وبعض رجاله ، فاعتقله (تركي بن عبد الله) (٢) . وكان ذلك في الخامس من شهر ربيع أول عام ١٢٣٦هـ (٣) .

وبعد أن استقر في الدرعية اتجه إلى الرياض وتمكن من السيطرة عليها وأمسك بأميرها (مشاري بن محمد بن معمر) وسجنه مع أبيه ، وطلب منهما إطلاق مشاري بن سعود من سجنه في سدوس مقابل إطلاق صراحهما ، فكتب ابن معمر إلى أبناء أخيه إبراهيم بإطلاق سراح مشاري بن سعود فامتنعوا نظراً لاتجاه القوات المصرية بقيادة خليل أغا وفيصل الدويش إليهم حيث استلموا مشاري بن سعود منهم (٤) .

ولكن لماذا لم يتجه تركي بقواته أو بعضها إلى سدوس وهي قرية صغيرة بالمقارنة بالدرعية والرياض ، ويخرج مشاري بن سعود منها بنفسه ؟ يظهر أنه واثق أن الضغط على (محمد بن معمر) كفيل بإطلاق سراح (مشاري بن سعود) دون اللجوء إلى الغزو ، ثم إن القوات الغازية قادمة إلى سدوس ، فلم يرغب الدخول معها في مواجهة غير متكافئة .

---

(١) ابن بشر ، جـ١ ، ص ٤٤٧ .
(٢) المصدر نفسه ، ص ٤٤٨ .
(٣) الأخبار النجدية ، ص ١٥٥ .
(٤) ابن بشر ، جـ١ ، ص ٤٤٩ .

وبعد استلام خليل أغا وفيصل الدويش مشاري بن سعود من سدوس وتحقق تركي بن عبد الله من ذلك قتل ابن معمر وولده مشاري في ربيع أول عام ١٢٣٦هـ[1] .

ودامت فترة حكم ابن معمر الثانية سبعة أشهر كذلك من شعبان عام ١٢٣٥ وحتى ربيع الآخر عام ١٢٣٦هـ ، وباختفاء (محمد بن مشاري بن معمر) وابنه مشاري المرشح لخلافته على مسرح الأحداث انتهى دور آل معمر القيادي في نجد في تلك الفترة[2] .

٧- آل معمر بين عامي ١٢٣٦-١٣١٨هـ :

وبعد مقتل (محمد بن معمر) وابنه مشاري ترك ابناه الآخران فيصل وعبد الله واللذان كانا يصغران أخاهما مشاري نجداً ، واطلعت على وثيقة عند أحفاد فيصل ابن محمد بن مشاري بن معمر مضمونها رسالة لفيصل وعبد الله ابني محمد ابن مشاري بن معمر أرسلها لهما ابن عمهما أمير سدوس عبد الله بن ابراهيم ويخبرهما أن تركي أعطاهما مزرعة ويطلب منهما العودة ، والوثيقة بدون تاريخ ، ويظهر لي أن تاريخها ما بين عامي ١٢٤٣ و١٢٤٩هـ ؛ لأن فيصل بن تركي قدم من مصر عام ١٢٤٣هـ وتركي قتل رحمه الله عام ١٢٤٩هـ ، فيكون تاريخ الرسالة في تلك الفترة .

وعاد الابنان وعاشا في سدوس ولهما ذرية الآن ، أما أخوهما أمير الرياض السابق مشاري بن محمد بن معمر فليس له عقب رحمه الله .

وكان أمير سدوس في عهد الإمام (تركي بن عبد الله) ـ كما أشرت ـ هو عبد الله ابن إبراهيم بن الأمير مشاري بن معمر والذي تولى إمارة بلد سدوس أثناء إمارة عمه محمد بن مشاري بن معمر أمير الدرعية ، واستمر أميراً في عهد تركي ابن عبد الله وجزءاً من عهد ابنه فيصل ، ثم توفي رحمه الله ، وخلف أربعة أولاد ذكور هم (محمد وعبد الرحمن وإبراهيم وعبد العزيز) . وأصبحت الإمارة في

---

(١) الفاخري ، ص ١٥٥ .

(٢) التطورات السياسية في نجد ، ص ٢٢ .

سدوس وراثية في عقبه ، وقد شارك آل معمر في سدوس والرياض وضرماء ، في غزوات الإمام تركي وابنه فيصل لتوحيد البلاد .

تزوج الإمام (فيصل بن تركي) من سارة بنت الشيخ عبد العزيز بن الشيخ حمد ابن ناصر بن الأمير عثمان بن معمر ، وكان الزواج في مدينة الرياض حيث يقيم أحفاد الأمير (عثمان بن معمر) . وانجبت سارة من الإمام فيصل عدداً من الأولاد ماتوا صغاراً ولم يبق منم على قيد الحياة إلا (الجوهرة) بنت الإمام (فيصل بن تركي) ، التي توفيت حوالي عام ١٣٥٠هـ في عهد الملك عبد العزيز رحمهم الله .

وعندما قدم الإمام فيصل بن تركي من مصر للمرة الثانية عام ١٢٥٩هـ نزل في سدوس وأقام فيها مدة وكان محل حفاوة آل معمر ، واتصل فيصل أثناء إقامته في سدوس بأمير منفوحة (سليمان بن إبراهيم بن سعيّد) يطلب منه الانضمام إليه . فلما وافق أمير منفوحة رحل الإمام فيصل بقواته التي كانت معسكره في سدوس ، وفيها بعض أهل حريملاء بقيادة أميرها (حمد بن مبارك) ومعهم الشيخ محمد ابن مقرن [1] . وانضم إلى قواته بعض آل معمر وبعض أهالي سدوس وزحف بتلك الجموع إلى الرياض ، وتمكن من الاستيلاء عليها ، واستعادة الحكم من عبد الله بن ثنيان في الثاني عشر من جمادى الأولى عام ١٢٥٩هـ [2] .

وشاهدت وثائق هبات وأعطيات من الإمام (فيصل بن تركي) لبعض آل معمر في سدوس نظراً لما قاموا به من شجاعة أثناء مشاركتهم معه في بعض المواجهات الحربية . كما أصيب عدد منهم في تلك المشاركات وكانت إصابة ناصر بن عبد العزيز بن ناصر بن الشيخ حمد بن معمر إصابة بالغة في ساقه في إحدى المواجهات بين قوات الإمام فيصل وقبيلة العجمان ، وتولى بعض آل معمر في عهد الإمام فيصل مناصب قيادية في الرياض وسدوس التي تولى إمارتها محمد بن عبد الله بن معمر خلفاً لوالده واستمر أميراً فيها حتى توفي عام ١٣٠٥هـ .

وخلف (محمد بن عبد الله) ، عدداً من الأولاد الذكور هم (سعد وعبد الله وعبد الرحمن وناصر) الذي قتل قبل وفاة والده في إحدى غزوات الإمام فيصل

(١) ابن بشر ، جـ ٢ ، ص ٢١٢ .
(٢) الفاخري ، ص ١٧٧ .

ابن تركي ، وليس لناصر هذا عقب رحمه اللّه . وكان الأمير (محمد بن عبد اللّه) رحمه اللّه من الرجال الدهاة .

وعندما خلف عبد اللّه الفيصل أباه «فيصل» في حكم البلاد بايعه آل معمر وشاركوا في قواته حينما خرج عليه أخوه سعود وخسروا أحد رجالاتهم وهو عبد اللّه بن الشيخ عبد العزيز ابن الشيخ حمد بن ناصر بن معمر ، إذ قتل رحمه اللّه في أول مواجهة بين الإمام عبد اللّه وأخيه سعود في المعتلى (*) عام ١٢٨٣هـ ، وكانت الهزيمة على قوات سعود الذي أصيب في هذه الموقعة (١) .

وفي عام ١٢٨٨هـ حينما استطاع (سعود الفيصل)دخول الرياض أخذ جنوده بعض أملاك آل معمر المؤيدين لأخيه عبد اللّه في الرياض ، وكان يسكن فيه كما أسلفنا ذرية (عثمان بن معمر) ، وقتل في تلك الأثناء عبد العزيز بن مشاري ابن عبد اللّه بن معمر ، وهو خارج من المسجد بعد صلاة العصر ، وخلف ابناً هو عبد الرحمن بن عبد العزيز ، وحينما قتل والده كان رضيعاً حيث بقي عند أخواله المزاريع في الرياض ، ولما بلغ الثامنة عشر من عمره رحل إلى البحرين ثم إلى الكويت إلى أن توفي فيها في العقد الرابع من القرن الرابع عشر رحمه اللّه ، وخلف أولاداً هم عبد العزيز الذي توفي في الطائف عام ١٣٦١هـ ومشاري وعبد اللّه ماتا صغيرين ، وبنات لا زال بعضهن على قيد الحياة .

أما عبد العزيز بن ناصر بن الشيخ حمد بن ناصر بن عثمان بن معمر فقد خرج بأولاده الخمسة ناصر وأخواله آل نمر ، ومحمد وعبد اللّه أخوالهما آل ريس ، وعبد الرحمن وفهد أخوالهم آل معمر ، واتجه إلى أقاربه في سدوس واستقر فيها .

ولقد شارك أمير سدوس (محمد بن عبد اللّه بن إبراهيم بن معمر) مشاركة فعلية مع الإمام سعود الفيصل حينما استقر في الحكم ، وكافأه بأرض زراعية في سدوس عام ١٢٩١هـ قبل وفاة سعود بأشهر .

وفي عام ١٣٠٩هـ حيث دارت رحى معركة بين قوات الإمام (عبدالرحمن الفيصل) وقوات (محمد بن عبد اللّه بن رشيد) في حريملاء شارك بعض آل معمر

(*) المعتلى : تقع في وادي الدواسر .

(١) الفاخري ، ص ١٨٩ .

في تلك الموقعة ضمن قوات الإمام عبد الرحمن . ثم لجأ بعض المقاتلين من رجال الإمام عبد الرحمن إلى سدوس منهم ابن سعيّد الملقب بالغوري ، يقال : إنه والد عبد الرحمن بن سعيّد الذي أصبح أميراً في المجمعة لجأوا إلى أمير سدوس سعد ابن محمد بن معمر فأدخلهم في قصره ، فلما أحاطت سرية من قوات ابن رشيد بالقصر أخرج ما كان عنده من سلاح وأموال ، وحلي لأهل بيته وخبأها في بعض بيوت سدوس ، ثم أدخل الغوري ومن معه في صفه في أحد دور سدوس وخبأهم تحت الحشائش البرية ، ثم ظهر على السرية فطلبوا منه الغوري ومن معه ، ولكنه نفى أن يكونوا عنده ، فأخبروه بأن رجالاً من أهل البلد أخبروهم بذلك ، فترك لهم المنزل فبحثوا في أرجائه ولم يجدوا أحداً ، فبحث بعض رجال السرية عن الغوري ومن معه في بقية منازل سدوس ووصلوا الصفة التي هم فيها ، وضربوا بالرماح في أماكن متعددة ولطف الله بهم فلم تصبهم تلك الرماح ، وعند حلول الظلام خرجوا من سدوس حيث أعدت لهم رواحل خارج البلد نقلتهم إلى حيث اتجهوا[١] .

وفي موقعة الصريف التي حصلت في ذي القعدة عام ١٣١٨هـ شارك فيها من آل معمر عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله بن إبراهيم بن معمر ، ومحمد ابن مشاري بن فيصل بن معمر ، وكانت تلك الموقعة بين عبد العزيز بن رشيد من جهة وبين مبارك الصباح وعبد الرحمن الفيصل من جهة أخرى [٢] .

---

(١) رواية شفهية من عدد من كبار السن من آل معمر ومن بعض سكان سدوس ، منهم سعود ابن عبد الرحمن بن معمر رحمه الله .

(٢) رواية شفهية ، نفس المصدر السابق .

الفصل الحادي عشر

مشاركة آل معمر في توحيد المملكة في عهد الملك عبد العزيز

- طبيعة المشاركة
- الأمراء من آل معمر في عهد الملك عبد العزيز وحتى الوقت الحاضر

الفصل الحادي عشر

مشاركة آل معمر في توحيد المملكة في عهد الملك عبد العزيز

طبيعة المشاركة:

لقد توحدت بلادنا الغالية بصحاريها وواحاتها وجبالها ووهادها وبلدانها وأقاليمها على يد رجل الإرادة الفولاذية الملك عبد العزيز رحمه اللّه ، الذي ولد في الرياض في العقد الأخير من القرن الثالث عشر[1] . كانت ولادته في فترة بدأ الضعف خلالها يدب في الحكم السعودي نتيجة الصراع على السلطة بين أعمامه وسط تنامي إمارة حائل وتدخلها في الأحداث إلى أن وصل هذا التدخل إلى الاستيلاء على الرياض من قبل أمير حائل (محمد بن عبد اللّه بن رشيد) عام ١٣٠٩هـ[2] .

وعندها رحل عبد العزيز مع والده من نجد إلى الأحساء ثم لبادية الأحساء فقطر واستقر أخيراً مع والده في الكويت . وكان الشاب عبد العزيز يتمتع بصفات قيادية عظيمة ، فلم يرض بالأمر الواقع ، وعمل على استرداد الرياض ليعيد ملك آبائه وأجداده ، ولم يتم له ذلك في المرة الأولى ، حيث هزم والده وابن صباح في

---

(١) هناك روايتان لميلاد الملك عبد العزيز ، الأولى تذكر أنه ولد عام ١٢٩٣هـ ، والثانية عام ١٢٩٧هـ وهي الأرجح عند المؤلف ، حيث ذكر من عاصر استرداد الرياض أن عبد العزيز يومها كان الشعر في وجهه قليلاً مما يؤيد الرواية الثانية .

(٢) تاريخ بعض الحوادث الواقعة في نجد ، ص ١٩٧ .

معركة الصريف في السابع عشر من ذي القعدة عام ١٣١٨هـ أثناء محاصرته للرياض فتركها .

أعاد عبد العزيز الكرة مرة ثانية دون يأس وتمكن من استردادها في الخامس من شهر شوال عام ١٣١٩هـ [1] .

اتخذ الشاب عبد العزيز الرياض عاصمة وقاعدة لملكه ، وبدأ مرحلة توحيد طويلة وشاقة دامت أكثر من ثلاثين عاماً ، استطاع خلالها أن يطوي بلدان نجد بل أغلب بلدان الجزيرة العربية وفيافيها حتى تمكن من توحيدها ، بعد أن خاض حروباً طاحنة مع خصوم أقوياء تقارب المائة موقعة [2] استطاع خلالها بناء دولة قوية فتية ، وجعل من كل خصومه إخوة وأصدقاء ، فكان أن نعمت بلاده بالاستقرار الذي كان أمل كل فرد من أفراد شعبه وبالأمن الذي أصبح مضرب الأمثال .

لقد شدّ أزر عبد العزيز رجال نذروا أنفسهم لهذا العمل ، وأخلصوا فيه وحملوا أرواحهم على راحاتهم ، وكافحوا وضحوا لنسعد اليوم بنتائج جهودهم التي بذلوها بالأمس . ولقد كان لآل معمر شرف المشاركة الفعالة مع الملك عبد العزيز لبناء هذا الكيان لبنة لبنة ومدماكا مدماكا حتى اكتمل هذا البناء ، ولازالوا مع إخوانهم مواطني بلدهم المعطاء يخدمون وطنهم بكل إخلاص وتفان .

---

(١) الريحاني ، أمين ، تاريخ نجد الحديث ، الطبعة السادسة ، بيروت ، دار الجيل ، ١٩٨٨م ، ص١٢٦ .

(٢) تطرق كاتب هذه السطور لأهم أحداث توحيد المملكة على يد الملك عبد العزيز ورجاله الأشاوس في مقال بجريدة الرياض العدد ٩٢٢٥ بتاريخ العاشر من ربيع الثاني ١٤١٤هـ ، ص ١٤ ، بعنوان « دعوة لتدوين بطولات المؤسس وتاريخ توحيد المملكة» وذكر أهم الأحداث في عهد الملك عبد العزيز ، وتاريخ كل منها على النحو الموضح في الصفحة المقابلة .

- مراحل توحيد المملكة -

م	الحـــــدث	تاريخــه	م	الحـــــدث	تاريخــه
١*	محاولة استرداد الرياض الأولى	ذو القعدة ١٣١٨هـ	٢٤*	ضم الأحساء	٢٨/٥/١٣٣١هـ
٢	استرداد الرياض	٥/١٠/١٣١٩هـ	٢٥*	موقعة جراب	٨/٣/١٣٣٣هـ
٣*	ضم الخرج والحوطة والحريق والأفلاج	١٣١٩هـ	٢٦	موقعة كنزان	١٥/٨/١٣٣٣هـ
٤*	موقعتا الدلم والسلمية	شعبان ١٣٢٠هـ	٢٧	موقعة ياطب	٨/١٢/١٣٣٦هـ
٥	ضم بلدان المحمل والشعيب	١٣٢٠هـ	٢٨	موقعة تربه	٢٥/٨/١٣٣٧هـ
٦*	موقعة جولبن	١٣٢١هـ	٢٩	موقعة حمض	٢٨/٨/١٣٣٨هـ
٧	ضم الوشم وسدير والزلفي	١٣٢١هـ	٣٠	ضم عسير الأول	شوال ١٣٣٨هـ
٨	موقعة فيضة السر «ابن جراد»	٢٨/١١/١٣٢١هـ	٣١	موقعة الجهراء	٢٦/١/١٣٣٩هـ
٩	ضم عنيزة	٥/١/١٣٢٢هـ	٣٢*	موقعة النيصية	٦/١/١٣٤٠هـ
١٠	ضم بريدة الأول	١٥/٣/١٣٢٢هـ	٣٣	ضم حائل	٢٩/٢/١٣٤٠هـ
١١	موقعة البكيرية	٢٩/٤/١٣٢٢هـ	٣٤	ضم عسير الأخير	شوال ١٣٤٠هـ
١٢	موقعة الشنانة	١٨/٧/١٣٢٢هـ	٣٥	ضم الجوف	١٣٤٠هـ
١٣	موقعة روضة مهنا	١٨/٢/١٣٢٤هـ	٣٦	ضم الحوية	١/٢/١٣٤٣هـ
١٤	موقعة المجمعة	١٣٢٥هـ	٣٧	ضم الطائف	٧/٢/١٣٤٣هـ
١٥*	موقعة الطرفية	١٨/٨/١٣٢٥هـ	٣٨	موقعة الهدا	٢٦/٢/١٣٤٣هـ
١٦	موقعة الصباخ	٢٧/٨/١٣٢٥هـ	٣٩	ضم مكة المكرمة	١٧/٣/١٣٤٣هـ
١٧	ضم بريدة النهائي	٢٠/٤/١٣٢٦هـ	٤٠	موقعة المصفحات	١٨/٨/١٣٤٣هـ
١٨	ضم المجمعة	١٣٢٦هـ	٤١	ضم المدينة المنورة	١٩/٥/١٣٤٤هـ
١٩	موقعة الأشعلي	٥/٣/١٣٢٧هـ	٤٢	ضم جدة	٦/٦/١٣٤٤هـ
٢٠	موقعة نعام أثناء حصار الحريق	٢٠/٨/١٣٢٧هـ	٤٣	موقعة السبلة	١٩/١٠/١٣٤٧هـ
٢١*	موقعة هدية	ربيع الأول ١٣٢٨هـ	٤٤	موقعة أم رضمة	٤/٤/١٣٤٨هـ
٢٢	موقعة الحريق	شوال ١٣٢٨هـ	٤٥*	موقعة جبل شار «قرب ضبا»	٢٦/٣/١٣٥١هـ
٢٣	موقعة المجصة	١٣٢٩هـ	٤٦	توحيد المملكة العربية السعودية	٢١/٥/١٣٥١هـ

* تصويب من دارة الملك عبد العـزيز .

وكان الدور العسكري هو الأبرز لطبيعة مرحلة التأسيس ، وكانت تربط آل معمر بالملك عبد العزيز روابط قوية فقد صحبه (فهد بن عبدالعزيز بن معمر) في الكويت ، كما زاره عدد منهم أثناء إقامته مع والده هناك . وسار (فهد ابن معمر) معه في محاولته الأولى لاسترداد الرياض ، والتي تمكن خلالها من محاصرة القصر وكاد أن يستولي عليها في شهر ذي القعدة عام ١٣١٨هـ ، ولكن انتصار عبد العزيز بن متعب بن رشيد في موقعة الصريف عجل بإنهاء حصاره للرياض ومغادرتها بناء على تعليمات والده إليه وفي عام ١٣١٩هـ كان (فهد بن معمر) ضمن الثلاثة والستين(*) الذين دخلوا الرياض مع الملك عبد العزيز ، ورغم قلة عدد أسرة آل معمر في ذلك الوقت (**) إلا أن ذلك لم يقف عائقاً أمام مشاركتهم الفعالة ضمن قوات الملك عبد العزيز .

وسنذكر أسماء المشاركين من آل معمر في الجهاد مع الملك عبد العزيز ، ونذكر المواقع التي اشتركوا فيها ، أما إذا كان للمشارك ترجمة في هذا الكتاب فسنكتفي

(*) قام المؤلف بتحقيق عدد وأسماء الذين شاركوا في استرداد الرياض في نموذجه باسم (الملك عبد العزيز ورجاله أبطال فتح الرياض) المسجل في مكتبة الملك فهد الوطنية برقم ١٤٦٥ / ١٩ وتاريخ ١٠ / ٤ / ١٤١٩هـ ، وكان العدد ٦٣ رجلاً ، ثم قامت دارة الملك عبد العزيز بجهود ملموسة في تحقيق عدد وأسماء المرافقين له في استرداد الرياض بمناسبة الاحتفال بمرور مائة عام على توحيد المملكة .

(**) كان عدد الذكور من آل معمر كباراً وصغاراً عندما استرد الملك عبد العزيز الرياض عام ١٣١٩هـ لا يتجاوز ٤٥ خمسًا وأربعين نفساً أغلبهم في سدوس ونفر منهم في قصر ضرما ، مزرعة المعمرية ، وفي الكويت ، وقد يكون هذا مستغرباً ولكنه عين الحقيقة إذ إن الأوبئة والحروب أسهمت في تناقص عدد أفراد هذه الأسرة مثل الوباء الذي حصل في العيينة عام ١١٣٨هـ ومات فيه عدد من آل معمر ، ثم قتل أميرا العيينة محمد بن حمد وأخيه عثمان بن معمر عامي ١١٤٢ و١١٦٣هـ ثم اشتهد ناصر بن عثمان عام ١١٨٢هـ ، ثم ذكر ابن بشر أنه مات أربعة رجال من آل معمر في الوباء الذي حل في الدرعية عام ١٢٢٤هـ ، ثم استشهد منهم خمسة عشر رجلاً إثر غزو إبراهيم باشا للدرعية عام ١٢٣٣هـ ، كما استشهد عبد الله بن عبد العزيز بن معمر في المعتلى عام ١٢٨٣هـ ، ثم قتل عبد العزيز بن مشاري بن معمر في الرياض عام ١٢٨٨هـ ، ومات منهم عدد في الأوبئة التي اجتاحت البلاد في تلك الفترة .

بذكر اسمه ، ونورد المواقع التي اشترك فيها في ترجمته ، والمشاركون مرتبون حسب أقدمية المشاركة وهم :

١- الأمير فهد بن عبد العزيز بن ناصر بن معمر .

٢- عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله بن معمر .

٣- عبد الله بن محمد بن عبد الله بن معمر .

٤- عبد الرحمن بن ناصر بن عبد العزيز بن معمر شارك في أكثر من ثماني عشرة موقعة أهمها الحريق ، الحسا ، حائل ، كما قاد فرقة من الجيش السعودي الذي حاصر حائل بعد مقتل قائده عمه فهد بن معمر ، كما شارك في الرغامة فتح جدة وخلف عبد الرحمن ابنين هما عبد الله توفي في العيينة عام ١٣٦٥هـ وناصر توفي في الدمام في ٢٩/ ١٠/ ١٤١٥هـ ، رحمهم الله .

٥- عبد الرحمن بن حسن بن علي بن معمر شارك في العديد من المواقع ، واستشهد في موقعة البكيرية عام ١٣٢٢هـ .

٦- عبد العزيز بن عبد الرحمن بن عبد الله بن إبراهيم بن معمر الشقيق الأكبر لأمير سدوس السابق مشاري بن عبد الرحمن ، واشترك عبد العزيز في أكثر من ثلاث مواقع واستشهد رحمه الله في موقعة الصباخ في ٢٧/ ٨/ ١٣٢٥هـ وهو شاب ليس له عقب .

٧- عبد العزيز بن فهد بن عبد العزيز بن معمر .

٨- محمد بن مشاري بن عبد الرحمن بن عبد الله بن معمر الملقب بالشمالي ، شارك رحمه الله في أكثر من سبع مواقع منها السبلة والدبدبة وجدة ، وخلف بنات وله أسباط ، توفي رحمه الله عام ١٣٨٣هـ .

٩- سعود بن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله بن معمر .

١٠- عبد الرحمن بن عبد العزيز بن ناصر بن معمر .

١١- محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الله بن معمر .

١٢- علي بن عبد الرحمن بن حسن بن معمر اشترك في فتح حائل وفي السبلة والدبدبة (القرعة) والرغامة (فتح جدة) .

١٣- إبراهيم بن محمد بن معمر .

١٤- حسن بن عبد الرحمن بن حسن بن معمر ، شارك في موقعة الدبدبة (القرعة) وضم حائل . وتوفى رحمه الله عام ١٣٧٨هـ وخلف ابنه عبد الرحمن .

١٥- مشاري بن عبد الله بن سلطان بن معمر .

١٦- مشاري بن محمد بن مشاري بن فيصل بن معمر ، شارك في موقعة السبلة .

١٧- سعود بن فيصل بن عبد الله بن محمد بن معمر ، اشترك في الرغامة (فتح جدة) ثم في السبلة .

١٨- سعد بن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله بن معمر .

وقد سخر آل معمر جميع إمكاناتهم البشرية والمادية مشاركة مع الموحد الملك عبد العزيز لتوحيد بلادنا الغالية .

الأمراء من آل معمر في عهد الملك عبدالعزيز وحتى الوقت الحاضر

لم تقتصر مشاركة آل معمر على الجانب العسكري فقط ، فقد تقلد أغلبهم مناصب إدارية وقيادية بحكم الثقة بين الأسرتين الكريمتين آل سعود وآل معمر ذات الجذور التاريخية القديمة وفي عهد الملك عبد العزيز ، واستمروا بعد وفاته مع أولاده البررة ، ومن هذه المناصب وزراء وإمراء البلدان والمناطق وغيرها من المناصب القيادية ، والأعمال الإدارية والتي خدموا فيها بإخلاص وتفان ، وحينما تكلم ابن بليهد عن سدوس قال : «وهي بلدة عامرة ذات نخيل ومزارع ، وسكنها آل معمر بعد خروجهم من العيينة ، وهم أمراؤها ، وتستعملهم الولاة عمالاً (أمراء) لما ظهر لهم من الثقة بهم»(١) .

وقال عبد الرحمن آل الشيخ : «ولا يزال آل معمر إلى اليوم من الرجال المخلصين ، الذين يعتمد عليهم آل سعود في الإمارات وغيرها من الأعمال» (٢) .

وتولى العديد من آل معمر إمارة مناطق وبلدان ، وسنعطي نبذة عن بعض هؤلاء الأمراء حسب ما توفر من مادة علمية وجاء ترتيبهم حسب أقدمية تولي الإمارة وهم :

١- سعد بن محمد بن معمر:

هو سعد بن محمد بن عبد الله بن إبراهيم بن الأمير مشاري بن إبراهيم ابن الأمير عبد الله بن محمد بن معمر . لسنا متأكدين من تاريخ ومكان ميلاده ، وإن كنا نعتقد أنه ولد في سدوس في فترة إمارة جده عبدالله بن إبراهيم ، ورأيت شهادة له في بعض الأملاك في سدوس عام ١٢٦٦هـ ، خلف سعد والده محمد في إمارة سدوس حوالي عام ١٣٠٥هـ ، وذكرنا قصته مع رجال الإمام عبد الرحمن الفيصل في جمادى الأولى عام ١٣٠٩هـ أثناء المواجهة مع محمد ابن رشيد في حريملاء .

وله موقف مع الشيخ محمد العماج أمير السحمة من قحطان ، حينما أخذ

---

(١) صحيح الأخبار ، جـ٣ ، ص ١٠٨ ، ما بين القوسين توضيح من المؤلف .

(٢) الرحلة الملكية ، هوامش ، ص ٥٨ .

بعض رجاله بعض ثمرة نخيل سدوس قبل عام ١٣١٩هـ واضطر العماج لردها في نفس اليوم في قصة معروفة عند كبار السن من أهل سدوس .

وفي عام ١٣١٩هـ وبعد استرداد الرياض أمد آل معمر أثناء إمارته الإمام عبدالعزيز بمائة وخمسين من الإبل ، ثم بمائة وعشرين أخرى ووفدوا عليه في الرياض ، وبايعوه بعد ذلك ، فأقر سعد على إمارته ، وكان هذا الإجراء قد أوغر صدر عبد العزيز بن متعب بن رشيد فلما مر بسدوس بعد موقعة الخرج أخذ بعض المعاويد (الإبل التي يستخرج بواسطتها الماء) ، فلما لحقه بعض آل معمر لردها وقابلوه في الحسي غضب من موقفهم مع عبد العزيز ، ولكنه أخيراً أعاد تلك الإبل على أمل أن يغيروا موقفهم من عبد العزيز آل سعود .

وكان سعد قد اشترك في بعض المعارك أثناء عهد الإمام (فيصل بن تركي) وابنيه (عبد الله وسعود) ، ولم يشترك في أي من المواقع التي خاضها الملك عبد العزيز لكبر سنه ، ثم لوفاته رحمه الله عام ١٣٢٤هـ ، وخلف ثلاثة أولاد ذكورهم : عبد العزيز الذي قتل عام ١٣٢٧هـ ومحمد وعبدالرحمن ، وكان سعد ذا رأي وتدبير شجاعاً كريماً .

٢- فهد بن معمر (١٢٨٣ - ١٦ شوال ١٣٣٩هـ):

هو فهد بن عبد العزيز بن ناصر بن الشيخ حمد بن ناصر بن الأمير عثمان ابن حمد بن الأمير عبد الله بن محمد بن معمر ، وأمه نوره بنت عبدالله بن معمر .

ولد فهد في الرياض حوالي عام ١٢٨٣هـ وهو أصغر إخوانه ، غادر الرياض هو ووالده وإخوانه بعد أن دخلها (سعود الفيصل) عام ١٢٨٨هـ . ورحلوا لسدوس حيث تلقى فهد هناك تعليمه في الكتاتيب فتعلم القراءة والكتابة ، وحفظ سوراً من القرآن الكريم ، ولما شب رحل إلى الكويت ومعه ابنا أخيه ناصر وهما عبد العزيز وحمد ، حيث استضافهم ابن عمهم عبد الرحمن بن عبد العزيز ابن مشاري ، وزاروا الإمام عبدالرحمن مراراً عديدة . ورحل (عبد العزيز ابن ناصر) للبحرين فسدوس ، أما حمد فعاد إلى الرياض وكان بها عندما استردها عبد العزيز ، وبقي فهد في الكويت وشارك مع عبدالعزيز في محاولته الأولى لاسترداد الرياض عام ١٣١٨هـ ، ثم عاد إلى الكويت .

وسنعرض أهم مشاركات الأمير فهد بن معمر مع الملك عبد العزيز في النقاط التالية :

١- كان فهد من ضمن الفاعلين الذين رافقوا عبد العزيز في محاولته الثانية والناجحة لاسترداد الرياض في الخامس من شهر شوال عام ١٣١٩هـ [١]. وقد كرم في شخص حفيده (فهد بن معمر) محافظ الطائف حالياً من قبل خادم الحرمين الشريفين ضمن احتفالات المملكة بمرور مائة عام على تأسيسها .

٢- قام بجمع زكاة البوادي القريبة من الرياض ، وذلك بتكليف من عبدالعزيز ، وكانت الزكاة في ذلك الحين من أهم موارد ميزانية الدولة ويعول عليها .

٣- عين فهد أميراً للدلم قاعدة الخرج ، وكان على رأس إحدى السرايا [٢] ، ومعه بعض رجاله من أهل سدوس ، منهم إبراهيم أخو خليف وابن مهيريس ، وذلك ليضبط البلد ويساعد عبد العزيز عند هجوم قوات ابن رشيد عليها ، وفعلاً زحف ابن رشيد إلى الدلم بعد أن غادر الحسي في شهر شعبان عام ١٣٢٠هـ ، واشتبك مع السرية فردته ، ثم اشتبك ابن رشيد مع قوات عبد العزيز وأسر من جيشه عدداً من الرجال ، وعندما حل المساء تقهقر ابن رشيد وعاد إلى القصيم [٣] .

٤- وفي النصف الأخير من عام ١٣٢٨هـ وأثناء إمارة (فهد بن معمر) في الخرج حصلت بعض الأحداث في الخرج ، إلا أن ابن معمر ورجاله تحصنوا في قصر الدلم الحصين ، واستطاع أن يتجاوز تلك الأحداث ببسالة وحنكة [٤] .

---

(١) منح خادمُ الحرمين الشريفين الملك فهدُ بن عبد العزيز آل سعود ، فهدَ بن عبد العزيز آل معمر وسامَ الرواد ، وذلك بمناسبة مرور مائة عام على تأسيس المملكة ، تقديراً له على مشاركته الملك عبد العزيز في مسيرته التاريخية لاسترداد الرياض ، وتعبيراً عن وفاء هذا الوطن وقيادته للرجال المخلصين ، بتاريخ ٥/ ١٠/ ١٤١٩هـ . ينظر صفحة ٥٣١ .

(٢) سعود بن هذلول ، ثبت الحوادث ، مخطوط نسخة دارة الملك عبد العزيز ، ص ١٢٤ ، بينما ذكر الريحاني أن السرية كانت بقيادة أحمد السديري .

(٣) تاريخ إبراهيم محمد القاضي ، مخطوط ، ص ٨ .

(٤) المصدر نفسه ، ص ٣٣ ، مطالع السعود ، ص ٢٠٨ .

وعندما علم عبد العزيز بذلك توجه إلى الخرج ليقضي على الفتنة في الحريق ويوحد جبهته الداخلية قبل وصول الشريف إلى نجد ، وفي هذه الأثناء وصل عبدالعزيز خبر أسر أخيه سعد حيث سُلم للشريف قرب القويعية عندها قرر عبدالعزيز أن يدعم أمير الخرج ابن معمر بأربعمائة مقاتل ليتمكن من منع أي محاولة أخرى للاستيلاء على الخرج ، ثم كر راجعاً للرياض لإجراء الترتيبات الكفيلة بإنقاذ أخيه سعد من الأسر [(١)] .

٥- بعد أن تمكن عبد العزيز من إخماد المعارضة له في الحريق ، وإطلاق أخيه سعد من أسر الشريف ورجوع الأخير إلى الحجاز كانت المنطقة الملتهبة في ذلك الحين هي القصيم ، والتي كانت قاعدة مواجهات عبد العزيز مع آل رشيد ، وكان لابد لها من أمير كفؤ ، أراد عبد العزيز أن يختار قائداً وأميراً لقاعدة بلدان القصيم بريدة ، ووقع اختياره على فهد بن معمر ، وما كان ليختاره لهذا المنصب في أكبر المقاطعات ، وأكثرها حساسية ، إلا لكفاءته وقدرته وإخلاصه ، حيث لم يسند عبدالعزيز إمارة بريدة إلا لابن عمه عبد اللّه ابن جلوي ، ثم لخاله أحمد السديري . فنقل فهد من إمارة الخرج بعد أن أمضى فيها حوالي عشر سنوات ، وعينه أميراً لبريدة في شهر شوال عام ١٣٢٩هـ [(٢)] .

لم يكن فهد بعيداً عن القصيم فقد شارك في جميع المعارك التي دارت حوله وفيه مع عبد العزيز ، ولم يمنعه كونه أميراً للخرج من قيادته المقاتلين من أهل تلك البلاد واشتراكهم في المعارك ، فقد شارك في وقعة فيضة السر (ابن جراد) وضم

---

(١) ابن هذلول ، سعود ، تاريخ ملوك آل سعود ، الرياض ، طبعة ١٤٠٢هـ ، ص ٨٢ .

(٢) مجلة العرب ، جـ٥ ، ٦ ، ص ١٦ ، ذو القعدة والحجة ١٤٠١هـ ، ص ٠٣٨١ وذكر د . حسن الهويمل إمارة فهد بن معمر في بريدة كانت عام ١٣٣١هـ ، وقال ما نصه : « وفي عام ١٣٣١هـ عين محمد بن معمر أو فهد بن معمر أميراً لمقاطعة القصيم » كتاب بريدة حاضرة القصيم ، مطابع جامعة الملك سعود ، الرياض ، ١٤٠٢هـ ، ص ٣٧ .
وقد شك الهويمل في اسم الأمير ابن معمر هل هو محمد أو فهد ؟ !
وبينه وبين ابن مانع اختلاف في تاريخ إمارة فهد ، ورجحنا رواية المانع ، كما ذكر القاضي في تاريخه المخطوط أن الأمير الذي جاء بعد ابن جلوي هو أحمد السديري وبعده فهد ابن معمر .

عنيزة وبريدة وموقعة البكيرية والشنانة وروضة مهنا ، وموقعة المجمعة عام ١٣٢٥هـ ، وهي التي أصيب فيها إصابة بالغة في ظهره بعد أن كبت به فرسه المعروفة بـ (الجلابية) في أحد سواقي مزارع المجمعة .

كما شارك في الطرفية والصباخ وموقعة نعام أثناء حصار الحريق ، وموقعة الحريق في شوال عام ١٣٢٨هـ ، وقاد الكثير من السرايا وخاض المعارك بنفسه ، غير هياب ضد طلائع جيوش حائل طيلة إمارته لبريدة . وتخلل مواجهات الإمام عبد العزيز مع ابن رشيد صلح أكثر من مرة ، منها الصلح الذي كان قائماً عام ١٣٣٣هـ ، وعندما علم ابن رشيد بهزيمة قوات الإمام في موقعة كنزان وجدها فرصة للإغارة على القصيم ، ولكنه لم يفلح في ذلك ، حيث رد على أعقابه ، وفي ١٥ رمضان شن هجومه على الطرفية[١] . وتمكن أهلها من رده بقيادة أمير البلد (عبد العزيز التويجري) ، فغادرها ابن رشيد ولما وصل الخبر إلى أمير بريدة فهد بن معمر بأن أمير الشقه جرى بينه وبين ابن رشيد مفاوضات وربما استطاع ابن رشيد أن يستميله ؛ جهز - أمير بريدة - سرية من أهلها قوامها ستمائة رجل . فاحتلت الشقة قبل أن يصل إليها ابن رشيد ، أشاع ابن رشيد أن الإمام عبد العزيز قتل وأرسل لأميري بريدة وعنيزة يدعوهما للانضمام إليه وجاءه الجواب بما لا يحب . عندئذ زحف ابن رشيد بجنوده يحاول احتلال مدينة بريدة ووصل إلى قرية (خب القبر) فخرج أميرها على رأس قوة من أهلها وخرج معهم مائتا مقاتل من أهل عنيزه بقيادة أميرها عبد الله السليم [٢] . واشتبك الطرفان في مواجهة عنيفة في شهر شوال تمكنوا في نهايتها من هزيمة ابن رشيد ، وقتلوا الكثير من رجاله ، فاضطر إلى التقهقر والعودة إلى حائل [٣] .

بقي فهد أميراً على بريدة بعد ذلك ثم استدعاه الإمام عبد العزيز إلى الرياض وأرسله لزكاة آل مرة وعين عبد العزيز بن مساعد بن جلوي أميراً على بريدة ، ثم

---

(١) تاريخ إبراهيم القاضي ، ص ٤٩ .
(٢) مطالع السعود ، ص ٢٢٧ .
(٣) ملوك آل سعود ، ص ٩٤ .

أعاده مرة أخرى بعد ثمانية شهور إلى إمارة بريدة ، وكان ذلك في ٢٣ محرم عام ١٣٣٦هـ بدلاً من ابن جلوي [(١)] .

وفي أوائل شهر ذي الحجة عام ١٣٣٦هـ خرج الإمام عبد العزيز من الرياض وكان ينوي مهاجمة القبائل الموالية لابن رشيد ومر بالقصيم وسار معه أهلها بقيادة أميرهم (فهد بن معمر) ، فلما وصل الإمام عبد العزيز ماء الأجفر أرسل سريتين الأولى رئيسها (فهد بن معمر) وأمره أن يكشف جميع المناطق التي بين ياطب إلى حائل ، والأخرى برئاسة فيصل بن حشر وأمره أن يكشف ما بين السبعان إلى حائل ، فجاءه رسول ابن حشر يفيد أن ابن شريم ومعه بعض شمر بالقرب من السبعان ، ثم جاءه رسول ابن معمر على أن شمر حائلون دون حائل وأن منازلهم من ضبيع إلى عكاش إلى السفيلي أماكن قريبة من حائل ، فسار عبد العزيز على نفس خط سير ابن معمر ، ووصل ياطب الساعة السابعة ليلاً ، ثم وصل إلى عكاش وصلى هناك الفجر وعبأ جيشه وجهز منهم ثلاثمائة فارس وأربعمائة هجان عليها ثمانمائة مقاتل وأمرهم أن يغيروا على بني يهرف [(*)] ، وبقي هو ومن معه من الجند فأغارت السرية عليهم وأخذوا ما معهم ثم أغاروا على السفيلي ولم يكونوا بأحسن حال ممن قبلهم .

عادت السرية بالغنائم لعبد العزيز الذي قفل راجعاً للرياض [(٢)] . وكانت تلك المواجهة المسماة بياطب في الثامن من ذي الحجة من العام نفسه[(٣)] .

---

(١) مفكرة الشيخ (عبد الله الحمد العبد العزيز البسام) ، مخطوطه ، ص ١٣ .

وحينما عدد القاضي في تاريخه أمراء بريدة قال : « ابن سعود نصب في بريدة عبد الله ابن جلوي أربع سنين ثم نصب (أحمد السديري) ثم عزله ونصب (فهد بن معمر) ثم عزله ونصب (عبد العزيز بن مساعد بن جلوي) ثم عزله ورد ابن معمر » أما (هاملتون) فقد مر ببريده في نوفمبر عام ١٩١٧م المصادف لشهر ذي الحجة من عام ١٣٣٥هـ وأميرها في ذلك الوقت (عبد العزيز بن جلوي) ، رحلة هاملتون ، مصدر سابق ، ص ١٠٧ .

(*) بني يهرف كذا في المخطوطة (مطالع السعود) .

(٢) مطالع السعود ، ص ٢٣٦ ، ٢٣٧ .

(٣) تحفة المشتاق ، ص ١٨٤ .

استشهاد فهد بن معمر:

كان الإمام عبد العزيز مقيماً في بريدة في شهر رمضان عام ١٣٣٩هـ ثم غادرها إلى الرياض في التاسع عشر من الشهر نفسه ، وكان قد عين لحصار حائل قائدين هما ابنه الأمير (سعود بن عبد العزيز) وأمير بريدة (فهد بن معمر) [(١)] ، وأمير حائل في ذلك الوقت (عبد الله بن متعب بن عبد العزيز بن رشيد) وكان صغير السن ، زحف القائدان على حائل وبدأ بحصاره واستطاع فهد بالقوة التي معه أن يستولي على بلدة موقق ، وكان (محمد بن طلال بن رشيد) في (جبة) يجمع قواته بهدف الاستيلاء على حائل منشقاً على ابن عمه ابن متعب ، فلما تمكن فهد من ضم موقق أرسل رسالة لسعود بن عبدالعزيز يخبره بذلك ، ويبلغه أنه سيهاجم (محمد بن طلال) لأنه أساس القوة الرشيدية ثم تحرك فهد بقواته البالغ عددها حوالي الألف مقاتل ، وكان يتقدمهم في سرية من ثلاثين رجلاً فيهم عبد الرحمن بن ناصر بن معمر وعلي بن حسن بن معمر وسليمان الشنيفي وسعد بن سفيران وفريح بن هملان الحربي أحد رجال فهد ، ومع الأمير فهد ابنه عبد العزيز وهو غلام في الثانية عشرة من عمره ومعه فهد بن شريد ، وكان قد ضرب لقواته موعداً في أم القلبان ، واستطاع أهل حائل أن يعرفوا مضمون رسالته لسعود بن عبد العزيز ، قيل إنهم أسروا الرجل الذي يحمل الرسالة ، أخذوها منه وقرأوها ، وقيل : إن شخصاً أبلغ حائل عن تحرك فهد فجهز أمير حائل سرية مكونه من (٤٠٠) أربعمائة مقاتل ، وأسند قيادتها إلى (إبراهيم بن سبهان) فأعدوا لفهد كميناً في شمال غرب حائل قرب جبل أجا . (حدثنا سعد بن سفيران ، الذي كان زمالاً لفهد ومعه في تلك السرية قال : كان فهد راكباً ذلوله ، وكان يتحدث معنا أن هذا المكان هو الذي جرى بيننا وبين بعض قوات ابن رشيد رمي بالبنادق فيه ، منذ مدة ، قال ابن سفيران : ففوجئنا بالكمين ، وقد أخذ يطلق النار باتجاهنا ، فأناخ فهد ذلوله وأخذ يبادلهم إطلاق النار وصرنا نرمي معه ، وعندما تبينا كثر المهاجمين وكثر الرمي (كثافة الرصاص) قال : ثم أشار فهد إلينا بالاتجاه بالإبل (الجيش) لنقرة قريبة لحمايته من الرصاص فتراجعنا ونحن نرمي ، وركب ذلوله فلما استوى عليها أتته طلقة نارية وأصابته في رأسه فهوى صريعاً ، ولحسن الحظ وصلت قواته بقيادة شريم بن عصاي وعقاب بن نحيت والزغيبي ، فلما شاهدت سرية ابن سبهان تلك الجموع قد أقبلت عرفوا أنه مدد لفهد فولوا مدبرين ولم

(١) تحفة المشتاق ، ص ١٨٥ .

يعلموا بمقتله . عندها رجع رجال فهد إليه وأخذوا سلاحه وصلوا عليه ودفنوه في موضعه الذي قتل فيه ، ويسمى رضيمة ابن معمر بين أجا والنفود لا تزال معروفة إلى الآن بهذا الاسم) .

وكان مقتله رحمه الله صباح الخميس الموافق السادس عشر من شهر شوال عام ١٣٣٩هـ ، المصادف ٢٢ يونيو ١٩٢١م ، وسرعان ما وصل خبر مقتل فهد إلى محمد بن طلال في جبة ، فأسرع بالسير لاحتلال حائل ، وكان وجود قوات ابن معمر المحاصرة لحائل يمنعه من ذلك من قبل ، فاحتل حائل وفر حاكمها (عبد الله بن متعب) [١] ،وسلم نفسه للأمير سعود بن عبد العزيز الذي قدم به للرياض .

صفاته رحمه الله :

كان فهد رحمه الله شجاعاً فارساً شهماً جواداً ذا قوة وعزيمة مهاباً محبوباً ورعاً ، وكان من أرمى أهل زمانه بالبندق «بواردي» وخيالاً يشار له بالبنان ومحارباً صنديداً ، وله في الحروب المواقف المشهودة والآثار الجميلة . وكان يعتزي بـ «أخو سلمى » وهي شقيقة أحد رجاله ، قتل أخوها في إحدى المعارك مع فهد ابن معمر ، ولما أخبرهم فهد وعزاهم فيه صرخت قائلة : بعد وفاة أخي من يعتزي بي ؟ ! ! فقال لها : أنا أخوك ، وسوف أعتزي بك وأتفقد أحوالك . . فأوفى بما وعد .

وكان قوي البنية طويل القامة ، قمحي اللون كثيف شعر الوجه ، ضخم الأطراف ، غليظ الشفتين ، واسع العينين . فقد بصر عينه اليسرى وهو شاب ، وكان عمره يوم مقتله يقارب ٥٧ عاماً ، وخلف ابناً واحداً هو عبدالعزيز .

وقال عنه عبد الله بن خميس : « الأمير فهد بن معمر ذلك الرجل القائد الذي قاد الجيوش وقاد السرايا واستطاع أن يكسب ود الملك عبد العزيز وتقديره ، ولم يزل في المقدمة بين رجالات الملك عبد العزيز حتى استشهد رحمه الله في موقعة فتح حائل ، وكان يعد من الفرسان ، ويعد من الرماة ، ويعد من رجال الحكم الأوفياء ، والأكفاء ، ولا غرو فهو من الشجرة الطيبة شجرة آل معمر ، التي تولى قسم من رجالها إمارات وقيادات وأعمالاً برزوا فيها» [٢] .

(١) ابن خميس ، إبراهيم ، أسود آل سعود ، دار النجاح ، بيروت ، ١٩٧٢م ، ص ١٥٢ .
(٢) جريدة عكاظ ، العدد ٨٢٦٢ بتاريخ ١٤ رجب ١٤٠٩هـ ، ص ١٠ .

٣- عبدالله بن محمد بن معمر :

هـو الأميـر عبد اللّه بن محمـد بن عبد اللّـه بن إبراهيـم بن الأميـر مشـاري ابن إبراهيم بن الأمير عبد اللّه بن محمد بن معمر ، ووالدته هي طرفة بنت حـمد ابن حسن من أهل ملهم .

ولد عبد اللّه في بلد سدوس في العقد التاسع من القرن الثالث عشر ، ونشأ وتربى في بيت الإمارة في سدوس ، حيث كان أخوه سعد ووالده محمد وجده عبد اللّه هم أمراء سدوس .

تعلم عبد اللّه مبادئ الكتابة والقراءة وحفظ القرآن في سدوس ، وكان ميالاً لطلب العلم ، فكان يذهب يومياً إلى بلدان الشعيب للقراءة على بعض علمائها .

ثم رحل إلى الرياض وأخذ العلم عن بعض علمائها ، وبعد وفاة أخيه سعد عام ١٣٢٤هـ تقريباً أصبح عبد اللّه أميراً لسدوس حوالي ثلاثة أعوام ، ثم رغب عنها فعين بدلاً منه في سدوس (مشاري بن عبد الرحمن بن عبد اللّه بن معمر) أميراً في حدود عام ١٣٢٧هـ ، وانتقل عبد اللّه للرياض بهدف تلقي العلم ، وكان يأتي إلى سدوس للزيارة ، وصادف في ذلك العام أن جاء حنشل (قطاع طرق) من البادية ، وأخذوا جملاً لرجل من أهل سدوس كان قادماً من ملهم فدخل سدوس بعد صلاة الظهر يستصرخ أهلها ويستنجدهم لرد جمله ، فقال أحد آل معمر لمن أراد أن يفزع سنعطي جاراً جملاً بدلاً من جمله واتركوا الحنشل ، فردوا عليه ولاموه وقالوا له : لو سُمع بهذا الكلام لطمع فينا وفي إبلنا التي في الحيسية الطامعون ، ولأكثر علينا الحنشل الغارات ، ولكن لا بد أن نخرج إليهم ونرد الجمل ونؤدب بهم غيرهم . فخرج عدد من أهل سدوس منهم ستة رجال من آل معمر أحدهم عبد اللّه بن محمد وابن أخيه عبد العزيز بن سعد ، وحصل بينهم وبين الحنشل رمي من بعد صلاة الظهر وحتى المغرب ، فأصيب عبد العزيز وكان في محجا (ساتر من الحجارة) قريباً من عمه فلما فقد عمه اعتزاءه ، وكان يعتزي بـ «أخو سارة» عرف أنه مات متأثراً بإصابته ثم غير مكانه واستطاع أن يقتل قاتل ابن أخيه وجرح آخر ، وعاد أهل سدوس يحملون قتيلهم بعد أن استنقذوا جمل جارهم ، فحمل الحنشل جريحهم وذهبوا إلى ضرما حيث تركوا جريحهم هناك ،

وعندما علم الإمام عبد الرحمن الفيصل بذلك أرسل لأمير ضرما وأمره بقتل ذلك الرجل فقتل .

وقد أبلى عبد الله بلاء حسناً في تلك المواجهة ، وقد أثنى عليه شاعر سدوس في ذلك الوقت (مشاري بن عبد اللّه بن سلطان بن معمر) بقصيدة منها قوله :

يانديبي كثر البن وبهاره ... واترس الفنجال واثنه لعبد اللّه

عاد عبد اللّه إلى الرياض وشارك في عدة مواقع ومواجهات بجانب الملك عبد العزيز ولثقة الإمام عبد العزيز به أرسله عدة مرات أميراً على العمال الذين يجلبون الزكاة من البادية ، ثم عينة أميراً لوادي الدواسر عام ١٣٣٦هـ تقريباً ، واستقام فيه مدة ، ثم عاد إلي الرياض ، وَعَيَّنَ في الوادي أميراً بدلاً منه ، وأخذ عبد اللّه يطلب العلم في الرياض عن علمائها وبخاصة الشيخ (عبد اللّه ابن عبد اللطيف آل الشيخ) . وفي عام ١٣٤٠هـ طلب منه الإمام عبد العزيز أن يذهب إلى تربة أميراً ولكنه اعتذر لرغبته التزود بالعلم ومجالسة العلماء ، وعندما ألح عليه الإمام عبد العزيز بذلك ذهب عبد اللّه إلى الإمام عبد الرحمن وشرح له رغبته البقاء في الرياض ، والتزود بالعلم ، ورجاه أن يكلم ابنه عبد العزيز في ذلك . وعندما طلب الإمام عبد الرحمن من ابنه أن يترك ابن معمر شرح لأبيه وجهة نظره ، ثم استدعى عبد اللّه بن معمر وطلب منه أن يترك الرياض ما دام مصراً على رأيه .

فرحل عبد اللّه إلى سدوس ، وفي ذلك العام قدم أخوه عبد الرحمن الذي كان أميراً في عينين «الجبيل» وطلب من الإمام أن يعفو عن أخيه عبد اللّه ، وأنه مستعد للذهاب إلى تربة بدلاً عنه فنقله الإمام عبد العزيز إلى تربة أميراً آخر عام ١٣٤٠هـ ، وأرسل إلى عبد الله أن يحضر من سدوس فوصل الرياض ، وعندما سلم على عبدالعزيز عاتبه بود ، ثم عينه في مجلسه ذلك أميراً على رنية بقرب أخيه عبد الرحمن .

ورحل عبد اللّه إلى رنية ورأيت مراسلات لعبد اللّه أثناء إمارته لرنية أحدها كان مؤرخاً في الرابع من شوال عام ١٣٤١هـ ، وبقي عبد اللّه هناك وعندما وصله خبر مقتل أخيه عبد الرحمن أمير تربة ترك ابن أخته مشاري بن محمد بن مشاري

ابن معمر أميراً عليها وذهب على رأس قوة إلى تربة وذلك أول عام ١٣٤٢هـ . وكتب لعبد العزيز بذلك فورد له خطاب يعزيه في أخيه ويعينه أميراً لتربة .

وشارك عبد الله على رأس قوة من أهل تربة وما حولها في فتح الحوية ، ثم فتح الطائف في شهر صفر عام ١٣٤٣هـ ، وكان قائداً لألوية أهل تربة وما حولها ، وعند فتح الطائف كان وكيلاً (مسؤولاً عن الغنائم) ثم شارك في دخول مكة ، كما شارك في حصار جدة الذي بدأ في جمادى الآخرة عام ١٣٤٣هـ ، وشارك في المواجهات التي دارت حول جدة منها موقعة المصفحات في ١٨/ ٨/ ١٣٤٣هـ ، ثم عينه الإمام عبد العزيز أميراً لبيشة في شهر صفر عام ١٣٤٤هـ ، أثناء حصار جدة ، وفي أثناء إمارته لبيشة احتلت القوات اليمنية جبل عرو عام ١٣٥٠هـ وبعد اتصالات بين الإمام عبد العزيز والإمام يحيى اقترح الأول عقد مؤتمر يحضره مندوبون عن الجانبين السعودي واليمني لحل المشاكل ، وكان (عبد الله بن معمر) أمير بيشة هو رئيس الوفد السعودي ويضم الوفد كلاً من فهد ابن زعير وعبد الوهاب أبو ملحة ومحمد بن دليم وحمد العبدلي ومحمد الحازمي فاجتمع المندوبون في ١٥ جمادي الآخرة عام ١٣٥٠هـ حول جبل عرو ، ثم اجتمعوا في الخامس من شعبان في العام نفسه ، ووقعوا على اتفاقية من ثمان مواد :

- **المادة الأولى** : أن يكون على الدولتين المحافظة على الصداقة وحسن الجوار وتوثيق عرى المحبة وعدم إدخال الضرر ببلاد كل منهما على الآخر .
- **المادة الثانية** : يكون على كل من الدولتين تسليم المجرمين السياسيين وغير السياسيين المحدثين بعد هذه الاتفاقية كل حكومة عند طلب حكومته له .
- **المادة الثالثة** : يكون على كل من الدولتين معاملة رعايا الدولة الأخرى في بلادها في جميع الحقوق طبق الأحكام الشرعية .
- **المادة الرابعة** : يكون على كل من الدولتين الضبط والتسليم لرعايا الدولة الأخرى في كل الحقوق الشرعية فما أشكل ولم ينهه الأمراء ولا العمال فمرجعه إلى الملك والإمام .

• المادة الخامسة : على كل من الدولتين عدم قبول من يفر عن طاعة دولته كبيراً أو صغيراً مستخدماً أو غير مستخدم وإرجاعه إلى دولته حالاً .

• المادة السادسة : إذا حدث حادث من أحد رعايا الحكومتين في بلاد الأخرى فعلى المحدث أن يحاكم في المحاكم التي وقع فيها الحادث .

• المادة السابعة : منع الأمراء والعمال عن التداخل بالرعايا مما يحدث القلق ويوقع سوء التفاهم بين الدولتين .

• المادة الثامنة : أن كل من يسكن من رعايا الطرفين في بلاد الآخر بعد هذه الاتفاقية وتطلبه حكومته فإنه يساق إلى حكومته حالاً .

هذا ما حصل به التراضي بين المندوبين من طرف سيادة الإمام ومندوبي جلالة الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل آل سعود على أن يكون العمل بهذه المواد الثمان بعد مصادقة وموافقة الملكين المعظمين عليها ، وتحرر ما ذكر أعلاه من صورتين بيد كل فريق صورة بتاريخ اليوم الخامس من شهر شعبان سنة ١٣٥٠هـ .

التواقيع والأختام

القاضي عبد اللّه بن أحمد العرشي	عبد اللّه بن محمد بن معمر
سحار عبد اللّه بن مناع	فهد بن زعير
أبو طالب بن محمد محجب	عبد الوهاب بن محمد أبو ملحة
	محمد بن دليم
	حمد العبدلي
	محمد بن علي الحازمي (١)

وفي ربيع الأول عام ١٣٥٣هـ نُقل عبد اللّه من إمارة بيشه وعين أميراً للطائف ، ولم تدم إمارته فيها إلا عاماً واحداً حيث طلب من الملك عبد العزيز إعفاءه ، ولكنه نقله أميراً للأفلاج في ربيع أول عام ١٣٥٤هـ ، وعين مكانه في

(١) آل عبد المحسن إبراهيم بن عبيد ، تذكرة أولى النهى والعرفان بأيام اللّه الواحد الديان ، الرياض ، الجزء الثالث ، ص ٢٦١ ، ٢٦٢ .

الطائف (عبد العزيز بن فهد بن معمر) ، ومكث عبد اللّه أميراً في الأفلاج أربع سنوات ، وفي عام ١٣٥٨هـ نقل من الأفلاج وعين أميراً لوادي الدواسر مرة أخرى ، وبعد شهور قليلة مرض فعاد إلى الرياض ، وأرسله الملك عبد العزيز للعلاج في البحرين ثم الكويت ، وعاد إلى سدوس فقضى فيها بضعة شهور مريضاً إلى أن توفي رحمه اللّه في شهر رجب عام ١٣٥٩هـ ، وخلف رحمه اللّه ولدين هما محمد ومعمر ، ولمحمد ترجمة في هذا الكتاب ، أما معمر فتوفي رحمه الله عام ١٣٨٣هـ وخلف ولدين هما : الدكتور عبد الله وفهد .

صفاته :

كان عبد اللّه عاقلاً وقوراً يعلوه بهاء الطاعة ونور العبادة ، شجاعاً فارساً مقداماً مهيباً ديناً يحبه العامة والخاصة والكبار والصغار ، وكان ربعة كثيف شعر الوجه .

٤- مشاري بن عبد الرحمن بن معمر :

هو مشاري بن عبد الرحمن بن عبد اللّه بن إبراهيم بن الأمير مشاري ابن إبراهيم بن الأمير عبد اللّه بن محمد بن معمر .

ولد في بلد سدوس في العقد الثامن من القرن الثالث عشر ونشأ وتعلم على كتاتيبها القرآن الكريم والقراءة والكتابة .

وهو أول من أنشأ مبنى في حي الرأس شمال بلد سدوس ، وكان ذلك عام ١٣٠٥هـ .

وفي عام ١٣٢٧هـ تقريباً تولى مشاري إمارة سدوس خلفاً لعبد اللّه بن محمد ابن معمر واستمر أميراً لها حتى عام ١٣٤٣هـ .

وفي عام ١٣٤٤هـ أنشأ مشاري حي جدة في سدوس وكان اسم الحي (حي المريّغة) ، وبعد وصول بشائر ضم جدة وعودة العديد من آل معمر المشاركين في فتح جدة سالمين اقترح عليه عبد العزيز بن ناصر بن معمر تسميه هذا الحي بحي جدة فكان ذلك .

وتوفي مشاري رحمه اللّه عام ١٣٥٨هـ وخلف عدداً من الأولاد هم (محمد وعبد العزيز وعبد الرحمن وسعود) .

وكان رحمه الله سخياً كريماً حسن المباسطة دمث الأخلاق ، رثاه مشاري ابن سلطان بن معمر بقصيدة منها قوله :

أبكو مشاري يا هل الموجفات ياعيدها لا نوخت عند بابه

٥- عبد الرحمن بن محمد بن معمر:

هو أبو سعود عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله بن إبراهيم بن الأمير مشاري ابن إبراهيم بن الأمير عبد الله بن معمر وهو شقيق سعد ، وعبد الله ، وعبد الرحمن الابن الأصغر لأمير سدوس محمد بن عبد الله . ولد في سدوس في العقد التاسع من القرن الثالث عشر الهجري ، ونشأ فيها وتعلم مبادئ الكتابة والقراءة وحفظ سوراً من القرآن الكريم ، وكان عبد الرحمن شاباً حينما بدأت السرية التي جاءت لسدوس عام ١٣٠٩هـ في البحث عن الغوري ابن سعيد أحد رجال الإمام عبد الرحمن الفيصل في منزل أخيه سعد أمير سدوس في ذلك الوقت ، وكان موقفه شديداً إزاء تلك السرية . ثم ذهب إلى الرياض لزيارة أبناء أخته آل سويلم هناك فصادف هجوم عبد العزيز بن رشيد على الرياض في شهر صفر عام ١٣٢١هـ حيث خرج له أهل الرياض خارج السور ووقع بينهم قتال [1] .

ودخل (عبد الرحمن بن معمر) في مواجهة مع فارسين من فرسان ابن رشيد واستطاع التغلب عليهما وقتلهما وأخذ سلاحهما وحصانيهما ، ودخل الرياض وأعطاهما للإمام عبد الرحمن الذي أعطاه أحدهما . فركب ذلك الجواد وخرج لمتابعة القتال ، وتمكن مع أهل الرياض من إبعاد ابن رشيد ، ولكنه أصيب برصاصة في قدمه ودخل الرياض ومُرِّض في منزل الأميرة (الجوهرة بنت فيصل بن تركي) وكان أخوالها آل معمر ، ولما قدم الإمام عبدالعزيز الرياض أرسل عبد الرحمن إلى الكويت للعلاج ، ثم عاد إلى الرياض بعد شفائه ، وشارك عبد الرحمن في الكثير من المواقع والمواجهات بين عبد العزيز وخصومه ولم يتخلف هو وفهد بن معمر عن أي منها ، اللهم إلا إذا كان في مهمات أخرى أثناء تلك المواجهات ، وشارك في فتح الأحساء عام ١٣٣١هـ ، ثم قاد سرية في العقير ، وبعد ذلك لحق بفهد في

(١) مطالع السعود ، ص ١٦٢ .

القصيم أثناء إمارته فيها ، وكان الملك عبدالعزيز يرسله في كثير من المهمات إلى أميـر الكويت[١] ، وفي أثناء رجوعه هو ورفاقه من الكويت في إحدى تلك المهمات وأثناء جلوسهم على نار أشعلوها لإعداد القهوة ليلاً إذا بوابل من الرصاص ينهمر عليهم فقتل ثامر القريفة وأصيب علوش بن عبيد القحطاني إصابة خطيرة توفي على إثرها وأصابت رصاصة عبد الرحمن في الأصبع الأوسط من يده اليمنى فقطعت أصبعه ، وأخذت رواحلهم وهام عبد الرحمن أياماً في الصحراء .

ثم وصلت أخبار إلى الإمام عبد العزيز وإلى آل معمر في سدوس مفادها أنه عثر على رفيقيه قتلى ، مما زاد الخوف على مصير عبد الرحمن ، وأخذ شاعر من سدوس يسلي أهله ويؤملهم بسلامته بقوله :

عسى بشيره يطق الباب والناس نوّم هجاعيه
وتفتح له الترفة الحورا تراها سارة العجاجية(*)

أما عبد الرحمن فقد وجد ركباً في الصحراء حملوه في طريقهم إلى ابن سويط شيخ الظفير الذي أكرم عبد الرحمن ، وأعطاه راحلة ذهب بها إلى الكويت حيث قدم على ابن عمه (عبد الرحمن بن عبد العزيز بن معمر) وأقام عنده وعالج إصابته ، وأرسل إلى الإمام عبد العزيز وإلى الأهل في سدوس يطمئنهم ويخبرهم بما حدث ، وبعد مدة أرسل له ابن سويط جميع ما فقده هو ورفاقه من رواحل وأمتعة وخلافه ، إذ إن عبدالرحمن قد عرف ابن سويط بأوصافها ومعلومات عن الجناة .

وبعد عودته من الكويت التحق ومعه ابنه سعود بابن عمه أمير القصيم فهد ابن معمر ، وبقي معه مدة حتى عام ١٣٣٦هـ ثم عينه عبد العزيز أميراً لعينين (الجبيل) اعتباراً من ذي الحجة عام ١٣٣٨هـ وحتى عام ١٣٤٠هـ وفي ذلك العام أرسل الإمام عبد العزيز عبد الرحمن بن معمر مع شيخ الظفير حمود بن سويط للتأمين وجمع الزكاة من قبيلة الظفير بعد أن أعلن شيخها ولاءه لعبد العزيز ،

(١) حدثني ابنه سعود أن والده ذهب للكويت أكثر من تسع مرات في مهمات من قبل الملك عبدالعزيز لأمير الكويت ، غير المرة الأولى التي ذهب فيها للعلاج .

(*) هي زوجته .

وطلب الأمان ، وأعطاه عبدالعزيز ذلك ، على شرط أن ترد عربانه كل ما نهبت من أهل نجد [١] .

وبعد عودته من تلك المهمة عين أميراً لتربة عام ١٣٤١هـ ، ذلك أن الشريف أرسل سرية فهاجمت أهل تربة وهم في المسجد لصلاة الفجر ، وقتل عدد منهم وجرح عدد آخر وكان عبد العزيز بن سلمة أميراً لتربة قبل عبد الرحمن وقاضيها الخياط من أهل عنيزة والمطوع إبراهيم السياري ، فأرسله الإمام عبد العزيز وطلب منه ضبط البلد وبناء سور حولها ، وأرسل معه عدداً من الرجال منهم عبيد ابن جميل وأخوه عتيق وهما من أهل سدوس ، ومحمد بن نجيفان وأخوه إبراهيم ، وعدد من أهل حائل الذين نقلوا للرياض منهم راشد العبد الله وسالم الفرج المشهور (بسويلم) ، وعلى بن مخيمر ، وعدد الذين أرسلوا معه حوالي ثلاثين رجلاً . باشر عبد الرحمن عمله في تربة ، وأحكم البلد بسور قوي ، وطلب من أخيه عبد الله في رنية أن يرسل له عدداً من الرجال لدعم السرية التي لديه ولعدم ثقته في بعض من عنده وخصوصاً الثلاثة المذكورين من أهل حائل فأرسل له ثمانين رجلاً .

وكان عبد الرحمن يخرج كل يوم بعدد من رجاله لتفقد أطراف البلد ولممارسة رياضة سباق الخيل ، فاتفق الثلاثة (راشد وسالم وابن مخيمر) على قتله ، وأخرجوا سلاحهم وكل ما لديهم ليلاً مع أحدهم وواعدوه خارج البلد ، وأخذوا يتسابقون على الخيل شمال البلد في سحق يقال له : ريحان مع عبد الرحمن ، وعند حلول المغرب أخذوا الأسلحة التي مع رفيقهم وأطلقوا النار على الأمير الذي سقط عن صهوة جواده فأخذوا سلاحه وجواده وهربوا إلى الشريف في كلاخ ، وعندما سمع أهل البلد بالرمي اتجهوا إلى جهته ، وكان أول من وصل إليه ناصر ابن سحمي ثم ابنه (سعود بن معمر) الذي وجد والده يعاني سكرات الموت بعد أن أصابته طلقة واحدة في عينه وخرجت من رأسه فأخبرهم أن الذي أطلق عليه النار هو سويلم يقصد سالم الفرج ، ثم غاب عن الوعي فحملوه إلى تربة وأرسلوا إلى أخيه عبد الله أمير رنية الذي حضر إلى تربة بسرية ثم أرسل لابن لؤى في الخرمة

(١) تاريخ نجد الحديث ، ص ٣٠٦ .

وطلب منه إمداده بسرية خوفاً من أن يهاجمه الشريف فأمده بأربعمائة رجل .

وتوفى الأمير (عبد الرحمن بن معمر) بعد العشاء من ذلك اليوم ودفن في تربة رحمه اللّه ، وخلف أربعة أولاد هم(سعود وسعد ومشاري ومحمد) والأخيرين توفيا شابين بعد وفاة أبيهما ، وأما الأولان فلهما ترجمة ، رحمهم اللّه .

وكان مصير القاتل سويلم أن قتل في العراق ، وكذلك راشد العبد اللّه قتل ، أما (علي بن مخيمر) فتم القبض عليه وشاهدت برقية من الملك سعود لابني الأمير عبد الرحمن بن معمر : سعود وسعد برقم ١٥٤ في ١٣/ ٦/ ١٣٧٣هـ يطلب منهما شهوداً لاستكمال محاكمة ابن مخيمر .

وكان عبد الرحمن رحمه اللّه فارساً شجاعاً جريئاً طويل القامة وسيماً حلو المحادثة كريم الأخلاق ، وتزوج صاحب السمو الملكي الأمير (بندر بن عبد العزيز) من ابنته وسمية بنت عبد الرحمن وأنجبت أصحاب السمو الملكي الأمراء فيصل ومنصور وخالد وتركي وعبد العزيز ومحمد ، وتوفيت رحمها الله بالرياض ليلة الخميس ١٦/ ٤/ ١٤٢٠هـ .

٦- عبد الرحمن بن عبد العزيز بن معمر :

هو عبد الرحمن بن عبد العزيز بن ناصر ابن الشيخ حمد بن معمر شقيق الأمير فهد ، ولد في الرياض ورحل مع والده وأخوته إلى سدوس وتعلم فيها ، ثم رحل مع أخيه فهد إلى القصيم حينما أصبح أميراً عليها ، وعهد إليه أخوه فهد بإمارة الحامية الموجودة في قصر بريدة ، وشدد عليه بعدم فتح باب القصر لابن رشيد حتى لو أحضر الأخير أخاه فهداً مأسوراً ومكبلاً بالحديد ، وشارك عبد الرحمن مع أخيه فهد في عدة مواقع ، وعين أميراً للقصيم حوالي خمسة شهور بعد مقتل أخيه فهد ثم عين للقصيم ابن مساعد أميراً مكانه ، قال ابن بسام : « وفي ٢٧ ربيع الأول عام ١٣٤٠هـ وصل الامام « عبد العزيز» بريدة من حايل « بعد فتحها» ومعه حرمات آل رشيد وعزل ابن معمر عن إمارة بريدة ، وأمّر فيها عبد العزيز ابن مساعد» (١) . وبعد ذلك رأس عبد الرحمن عدداً من حملات جمع الزكاة ، وتوفي رحمه اللّه عام ١٣٥٠هـ تقريباً ، وخلف ولدين هما عبد العزيز وفيصل ، ولهما ترجمة في هذا الكتاب .

(١) تحفة المشتاق ، حوادث عام ١٣٤٠هـ .

٧- عبد الرحمن بن إبراهيم بن معمر:

هو عبد الرحمن بن إبراهيم بن عبد اللّه بن إبراهيم بن الأمير مشاري ابن إبراهيم ابن الأمير عبد الله بن محمد بن معمر .

ولد في بلد سدوس عام ١٢٨٧هـ ونشأ وتعلم فيها وعمل بالزراعة والتجارة ، ورأس حملة جباية الزكاة عدة مرات بتكليف من الإمام عبد العزيز .

وفي عام ١٣٤٣هـ عين عبد الرحمن بن إبراهيم أميراً لسدوس خلفاً لمشاري ابن عبد الرحمن بن معمر ، وحضر عام ١٣٤٧هـ مؤتمر الجمعية العمومية في الرياض الذي دعا له الملك عبد العزيز ممثلاً لأهالي سدوس ، وفي عام ١٣٥٢هـ اعتذر عن إمارة سدوس وعين لها (إبراهيم بن مشاري بن معمر) لمدة تسعة شهور ، ولكنه اعتذر عنها فكلف عبد الرحمن بإمارتها مرة ثانية واستمر أميراً لها حتى عام ١٣٥٨هـ ، حيث طلب إعفاءه منها لانشغاله بتجارته ، وكبر سنه فتم له ذلك وعين بدلاً منه (محمد بن عبد الله بن معمر) أميراً لسدوس حتى عام ١٣٦٣هـ ، حيث اعتذر محمد وكلف عبد الرحمن بالإمارة للمرة الثالثة ، وفي عام ١٣٦٦هـ طلب من ولي العهد الأمير سعود بن عبد العزيز إعفاءه من إمارة سدوس لكبر سنه ورد عليه ولي العهد بخطاب مؤرخ في ٢٤ شوال ١٣٦٦هـ هذا نصه :

« من سعود بن عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل إلى جناب المكرم عبد الرحمن ابن إبراهيم بن معمر سلمه اللّه . السلام عليكم ورحمة اللّه وبركاته ، خطكم المكرم وصل وما عرفتوا كان معلوم وخصوصاً ما أشرتم إليه فتعلم أن ديرتكم ما فيها إلا حمولتك أو جيران في ضفكم وأنت اليوم أبو لهم جميعاً ولا هنا إمارة تكلف وإلا فأنت تدري لو أن هنا تكليف ما رضينا عليك بأمر مكلفك ولا نشوف إلا أنك تحتسب وتبقى على سنعك وفيك بركة إن شاء اللّه . هذا ما لزم تعريفه ٢٤ شوال ١٣٦٦هـ الختم والبادية التي حولكم عرفونا بأحوالهم وعددهم وهل جاهم هذه السنة شيء» .

فبقى أميراً لسدوس حتى توفى رحمه اللّه في الثاني عشر من ذي الحجة عام ١٣٧١هـ وخلف ثلاثة أبناء هم : عبد اللّه - أحد وجهاء الاسرة وأعيانها ، توفي رحمه اللّه في ٢٦ رمضان ١٤٢٣هـ وخلف ثلاثة أولاد هم : محمد وعبد الرحمن وإبراهيم - ومحمد وعبد العزيز ، أما أكبر أبنائه سعود فقد توفي

قبل والده وتزوج الملك عبد العزيز ابنته نورة بنت عبد الرحمن في شوال عام ١٣٣٥هـ ، وتوفيت عام ١٣٣٧هـ ، رحمهم الله .

وكان عبد الرحمن ذا حلم وأناة ، ووقوراً كريماً ، ذا ثراء واسع وجدة طويل القامة جميل المحيا راجح العقل مثابراً على قضاء حوائج الناس ، وكان من أعظم رجال أسرته مكانة في وقته . وكان الملك عبد العزيز إذا مر بسدوس يحرص على أن يزور عبد الرحمن وكان محل تقدير عند الملك رحمهما الله .

٨- عبد العزيز بن فهد بن معمر[1] :

ولد عام ١٣٢٧هـ في مدينة عنيزة ، وكان والده قد تزوج من نورة بنت صالح ابن معمر ساكن عنيزة ، فأنجبت له عبد العزيز وهو الابن الوحيد لـ (فهد ابن معمر) ، نشأ عبد العزيز في بريدة أثناء إمارة والده فيها . وتلقى تعليمه على يد المطوع محمد بن هويمل رحمه الله . فتعلم القراءة والكتابة وختم القرآن الكريم ، وتأثر بالجو المحيط به حيث كانت القصيم في تلك الفترة ساحة معارك طاحنة مع قوات حائل فأظهر اهتماماً بتلك المعارك وصحب والده في أكثر من غزوة وسرية وأكسبه التصاقه بوالده حب الكفاح والشجاعة فتعلم الرماية وركوب الخيل ، وكان مع والده أثناء حصار حائل ، وكان عمره (١٢) اثني عشر عاماً عندما قتل والده عام ١٣٣٩هـ وبعد ذلك أقام فترة قصيرة في بريدة ثم انتقل إلى الرياض ، وكان محط عناية الملك عبد العزيز الشخصية وفاء لوالده رفيق جهاده وأحد قادته المخلصين ، أمر بإسكانه في أحد المنازل القريبة من قصره إذ اعتبره ابناً له ورباه مع ابنيه الأمير محمد والملك خالد رحمهم الله ، وكان يتردد على مجلس الملك عبد العزيز بصفة دائمة .

ولما رأى الملك عبد العزيز منه النجابة والقدرة والكفاءة على تحمل المسؤولية عينه قائداً لفرقة من الفرسان أثناء حصار جدة عامي ١٣٤٣هـ ، ١٣٤٤هـ وعمر عبد العزيز إذ ذاك ١٧ عاماً فشارك في حصار جدة ، إلى أن دخلها مع الملك عبد العزيز رحمه الله بعد حصار دام عاماً كاملاً . كما شارك فارساً في معركة السبلة عام ١٣٤٧هـ وشارك مع الأمير محمد بن عبد العزيز أثناء مطاردة فلول المنهزمين في تلك الموقعة .

---

(١) ترجمنا لوالده صفحة ٤٥٨ .

وفي ٢١ صفر من عام ١٣٤٨هـ صدر أمر جلالة الملك عبد العزيز بتعيينه أميراً لينبع خلفاً لأميرها صالح العصيمي ، وزار ينبع أثناء إمارته فيها إبراهيم المازني وقال في كتابه رحلة إلى الحجاز طبعة ١٣٤٩هـ صفحة ٢٠ : (وزرنا الأمير - (عبد العزيز بن معمر) - وهو شابٌ نجديٌ جميل الطلعة وسيم المحيَّا مقدودٌ قدَّ السيف . . .) . ثم نقل من ينبع وعين أميراً لجدة في ٢١/ ٤/ ١٣٥١هـ ، ثم عين أميراً للطائف في ١/ ٣/ ١٣٥٤هـ ، خلفاً لأمير الطائف السابق عبد الله بن محمد ابن معمر .

وأثناء إمارته للطائف مرض فسافر للعلاج في الهند ولكن الأدوية التي استخدمها في الهند كان لها أثر سلبي حيث أضعفت سمعه تدريجياً ، ثم سافر إلى أمريكا لاستكمال العلاج فلم يطرأ تحسن على صحته فعاد إلى الطائف وصبر واحتسب وتجلد ، وقام بأعباء الإمارة ومسؤولياتها مدة طويلة إلى أن طلب إحالته على التقاعد ، فأحيل بناء على طلبه عام ١٣٨٤هـ ، وأحب عبد العزيز الطائف فاتخذها سكناً له ، وكانت حياته بعد تركه الإمارة امتداداً لعمله أثناءها ، يستقبل الناس ويسهم في حل مشاكلهم ، كان له دار ضيافة يستقبل ضيوفه فيها ويسكنهم بها ، وعين من يخدمهم وهيأ أسباب الراحة لهم .

استمر على ذلك إلى أن تمكن منه المرض ثم توفي رحمه الله عصر يوم السبت الموافق ١٢/ ٧/ ١٤٠٩هـ وصلى عليه ظهر اليوم التالي في مسجد ابن العباس ، وشارك في الصلاة عليه وتشييعه عدد كبير من أفراد أسرته والمسؤولين والأعيان وأهالي الطائف والقرى المحيطة بها ، كان رحمه الله مديد القامة وسيما مهاباً ديناً عاقلاً شهماً كريماً جواداً فارساً شجاعاً ، وكان ذا جلد وصبر ، وأناة وحلم وتواضع وأنفة وعزة نفس ، رثي رحمه الله شعراً ونثراً ، فقد رثاه الأستاذ عبد الرحمن بن فيصل بن معمر نقتطف من رثائه ما يلي : «كان المرحوم في شبابه ومطلع حياته يضرب به المثل في النباهة ويقظة الحس وحسن الجواب ، كان وسيماً يفرع أقرانه يعلو صهوات الجياد ويرمي بالسلاح ويسابق الأقران ، ويتقدم أمثاله من الشبان ، كان جسور القلب بلا تردد ذرب اللسان بلا تلكؤ ، يملأ المكان الذي يدخله والمنصب الذي يشغله كان مهاباً لا هياباً ، كان راجح العقل رزين التصرف عميق التأمل ثقيلاً في الميزان خفيفاً على الروح والأذهان ، متواضعاً في غير ضعة

حليماً وقت الحلم قوياً ساعة القوة واسع الحيلة بعيد النظر ، كان ذكياً لماحاً صاحب فراسة لا تخطئ وفطنة لا تخيب »[١] . وكان مخلصاً نشيطاً ساهراً على المصلحة العامة يمزج الحزم باللين[٢] .

كما تحدث عن مآثره في جريدة عكاظ[٣] كل من سعد الرويشد وعبد الله ابن خميس ، وفي جريدة الجزيرة[٤] كل من عبد المغني أمين وعبد الله بن محمد ابن مجفل أمير عشيرة ، الذي رثاه بقصيدة قال فيها :

مرحوم يا ميرا على الطيب ممشاه	من شبته لا شيبته لا وفاته
وعسى جنان الخلد داره وملفاه	اللي كسب كل الوفا في حياته
عبد العزيز بن معمر سجاياه	ما فيه أميرا يبي يسوي سواته
من خلقتي ما شفت مثله وحلياه	بالمرجلة والطيب تصعب صفاته
ومن شجرة العنبر مغنه ومجناه	وفعول أهله لأوله متعباته
ابو فهد ودك تزوره وتنصاه	ولا جيت بيته ما تبي غير ذاته
ريف الضعيف اللى من الضيق ينخاه	والمرجلة والطيب غاية مناته
يا كثر ما تكسب من الطيب يمناه	وبالمرجلة والطيب نال شهواته
صان العهد ماخان عهده مع اعداه	مع دولته ندم المعادي هواته
مع درب أبو تركي مغدى سرياه	أبو فهد فعله علينا ثباته
ألنِّعْم قسم له ومن خير شرواه	ومن الردى شرواه مثبت براته
يا لاحدين القبر خلوه بارفاه	عن نور وجهه كود ندفع صفاته
يقوله اللي بالتماثيل يرثاه	ومن موتته جفني تكدر مباته

(١) جريدة الجزيرة ، العدد ٥٩٩٦ ، الاثنين ٢١ رجب ١٤٠٩هـ ، ص ٦ .

(٢) عبد العزيز مزروع ، بنو تميم ومكانتهم في الأدب والتاريخ ، القاهرة : ١٣٧٩هـ ، ص٣٣٧ .

(٣) جريدة عكاظ ، العدد ٨٢٦٢ ، في ١٤ رجب ١٤٠٩هـ ، ص ١٠ .

(٤) جريدة الجزيرة ، العدد ٥٩٩٧ ، في ٢٢ رجب ١٤٠٩هـ ، ص ٦ .

صاحب ابويه كيف بَادْلَـهْ وابنساه ... وياليت وال العـرش مدد حيـاته
ويجعل له عند الـولي قدراً وجاه ... والحور والفردوس مستـقـبلاتـه
وصـلاة ربـي عـد نَـوٍّ نـشـرمـاه ... على الرسول آخر كلامي صـلاته

خلف الأمير (عبد العزيز بن فهد بن معمر) ثلاثة أولاد هـم معـالـي محافظ مدينـة الطائف الأستاذ فهد ، والدكتور عبد اللّه وزير الزراعة السابق ، والدكتور محمد عضـو مجـلـس الشورى السابق ووكيل وزارة المواصلات لشؤون النقل المساعد حالياً ، وتوفي له عدد من الأبناء أثناء حياته منهم فهد الأول وعبد الرحمن ومحمد الأول مـاتـوا صغـاراً وسعـود تـوفي شاباً رحمـه اللّـه كما تـزوج الملـك فـهـد ابن عبد العزيز حفظه الله من ابنته طرفه بنت عبد العزيز وأنجبت منه سمو الأميرة لولوة بنت فهد بن عبد العـزيز والـدة صاحـب السـمو المـلكي الأميـر فيـصل بن خـالد بن سلطان بن عبد العزيز .

٩- حمد بن ناصر بن معمر:

هو الأميــر الشاعـر حـمد بن ناصر بن عبد العـزيز بن ناصـر بن الشـيخ حمد ابن ناصر بن الأمير عثمان بن معمر .

ولد حمد في بلد سدوس عـام ١٢٩٨هـ وتوفي والده وعمره عـامان ، فنشأ حمد مع أشقائه وتعلم مبادئ القراءة والكتابة وختم القرآن الكريم في سدوس .

وبعـد ما شب رحل للكويت ثم عـاد منها للرياض وكـان موجـوداً بها أثناء فتح الملك عـبـد العـزيز لهـا ، ثم كـان مـن ضـمن السـرية المسـؤولة عن حـراسـة قصـر المصمك ، وبعدها كلف بجلب زكاة بعض البوادي .

ثم انتقل للقصيم حيث كان في الحامية الموجودة في بريدة أثناء إمارة عمه فهد ابن عبد العزيز بن معمر لها ، وبعد مدة رغب العودة إلى سدوس فلم يسمح له عمه بالعودة فقال قصيدة منها :

يا عم ياحامي عقاب المـقلي ... ياعيدها الهجن يرقـع حفـاها
البارحـه ياعم أنا مستملـي ... والعين مـاني داري وش بلاها

والهقوة أني فاقد شوف خلـي　　اللي عليه الكبد مصري شباها

إن كان لي ياعم عندك محلي　　دور لي ذلـول غـالي مشتراها

حمـراء إلى درهمت ما تمـلي　　وإلى مشت ماهي تداني خطاها

فلما سمع عمه القصيدة أعطاه ما طلب وسمح له بالعودة إلى سدوس ، فعمل بالتجارة بين الرياض وسدوس مدة فتوفق في عمله ، وربحت تجارته ، وفي تلك الأثناء استدعاه الملك عبد العزيز وطلب منه التوجه أميراً لوادي الدواسر ، فرغب عنها ، وألح عليه الملك وشدد في ذلك ، فتوجه للوادي أميراً عام ١٣٤٩هـ وقال في ذلك شعراً :

ركبنا على جيش محاضيه　　في شف مصلوب القبايل

مشينا بشف الشيخ[1] نرضيه　　تركنـا النما هو والحلايل

بعض جيشنا طاحت سماريه　　كلتنـا لواهيب القـوايل

قام حمد بعمله في الإمارة خير قيام ، وكان شديداً قوياً في عمله ، إذا جاءه بعض من يدعي على شخص أعطاه عصاه وطلب منه أن يعطيها خصمه أو يلقيها في منزله أو مزرعته فلم يسع المدعى عليه إلا الحضور للأمير ، فاشتهرت عصا الأمير في الوادي ورغم كثرة المشاكل وخاصة من البوادي وإرهاقها له شخصياً إلا أنه بذل جهوداً مضنية وأثبت أنه الرجل المناسب في المكان المناسب ، وقال في ذلك شعراً منه هذا البيت :

أنا وش بلاني بالإمارات　　مع الشيب في تالي حياتي

ومن تلك المشاكل أن إحدى القبائل أغارت على بعض الدواسر قرب الوادي ، وأخذوا بعض إبلهم فأخبر أمير القبيلة التي تعرضت للغارة وهو الشيخ شيبان ابن قويد الأمير حمد بن معمر بالخبر ، فأذن له الأمير حمد بن معمر باللحاق بالمغيرين ورد المنهوبات بل أعطاه بعض الذخيرة والسلاح فتمكن ابن قويد من رد المنهوبات ، إلا أنه أصاب رجالاً من تلك القبيلة بجراح ، وأخذ لهم إبلاً كثيرة ، فلما بلغ الملك عبد العزيز الخبر لام حمد على ذلك التصرف دون أخذ موافقته ،

---

(١) الشيخ : يقصد الملك عبد العزيز رحمه الله .

وأغلظ عليه في الكلام ، فأرسل حمد رسالة للملك أبدى فيها وجهة نظره ودافع عنها وأرسل معها قصيدة قال فيها :

يا شيخ مانيب عندك شين   عند أخذه (الكفر) تلغاني
أنا صبي الهدى والدين   وأنا على الصدق تلقاني
وأنا نصرة الضعفة المسكين   وأنا عمى كل شيطاني
وأنا من العربة الذربين   ذربين ما هم بذلاني

ومرض الأمير حمد في الوادي أثناء إمارته وتوفي فيه آخر عام ١٣٥٤هـ ، عن عمر يناهز ٥٦ عاماً رحمه الله ، وخلف ولدين هما عبد العزيز ؛ توفي رحمه الله شابًا لم يتزوج وعمره ١٨ عاماً ، ومحمد أحد أبرز وجهاء الأسرة وأعيانها . وكان حمد شجاعاً بطلاً جواداً حازماً ، من أعيان أسرته وأكابرهم ، نزيهاً عفيفاً في إمارته .

وللأمير حمد عدد من القصائد حصلت على بعضها غير مكتمل ، ومن قصائده قصيدة قالها بعدما عاد وقد أخذ زكاة البوادي حينما كان أميراً للعمالة ، ومدح في تلك القصيدة الملك عبد العزيز رحمهما الله(*) :

ياليتني ماجيت كبشة وكبشان   ولا شفت ضلع شبيرمة والخضاره(١)
وشفت القصور اللي ورا ضلع بنبان   وشفت العريق وشفت خشم الزبارة

(*) سعد عبد الله الجنيدل ، المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية ، عالية نجد ، منشورات دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر ، القاهرة ، ١٣٩٩هـ . اعتمدت على هذا المرجع في تحديد المواقع في هذه القصيدة والتي بعدها .

(١) كبشة : واحدة كبشات هضاب سود في بلاد الضباب شرق الغدير الذي يبعد عن عفيف شمالاً ٣٢ كيلاً ، المعجم ، جـ٣ ، ص ١٠١٣ .

كبشان : ماء عذب عدّ قديم وتأسست هجرة قديمة في هذا الماء سكنها قوم من المراشدة من الروقه من عتيبه وهي تابعة للدوادمي ، المعجم الجغرافي ، جـ٣ ، ص ١١١١ .

شُبَيرْمَهْ : ماء قديم أقيمت عليه هجرة تحمل اسم شبيرمه تابعة للدوادمي ، المصدر نفسه ، جـ٢ ، ص٧٣٢ .

الخضارة : عد قديم يقع غرباً عن عفيف على بعد ٧٠ كيلاً أسست فيه هجرة ، المصدر نفسه ، ص٤٥٧ .

داربها يابن صعب طير حوران　　شيخ خذ الطولات في كل غاره
عبدالعزيز اللي يزبن الضيف والجار　　كم واحد طافي بخت شب ناره
كم واحد في ظل سيفه بنى دار　　وخلاه أبو تركي تشيع أخباره
يا كبر نفعه يا مدورين الأعذار　　سيل لو هو دمر دماره عماره
لو خيروني عند موته ابختار　　اختار موتي قبل موت أخو نوره

وفي إحدى السنوات كان بصحبة أمير العمالة وانتقده قائلاً :

يا اللّه يا عالم الأسرار　　يا عالم الغيب والنية
اجعل حياتي مع الأبرار　　أهل الورع والحنيفية
من فج مالت بي الأقدار　　قالوا لي أرد الرويلية(١)
ومن الدفينة وردت أبحار　　ومن الشعب للهتيمية(٢)
هذا عمل ضايع الأفكار　　حط العماله حويسية

وله أيضاً :

ودي بربعي وقلبي عند مضنوني　　تكفون ياهل الركايب ريّضوا ليه
ردو لي الرأس وامشو على الهون　　هينو لي النفس لو تمشون رجليه

---

(١) فج : ماء قديم يقع غرباً من قرية ثرب على بعد ٣٠ كيلاً تقريباً ، عالية نجد جـ٣ ، ص ١٠٣١ .

الرويلية : ماء عد ، يقع في ناحية جبل كشب الشرقية الشمالية ، وهي تابعة لإمارة مكة المكرمة ، عالية نجد ، جـ٢ ، ص ٦٣٦ .

(٢) الدفينة : ماء قديم يقع غرب بلدة عفيف فيه قرية حديثة تابع لمكة المكرمة ، عالية نجد ، جـ٢ ، ص ٥٤٤ .

أبحار : بكسر الباء وفتح الحاء المهملة بعدهاألف فراء : واد فيه مياه في جبل النير غرب الدوادمي ، عالية نجد ، جـ١ ، ص ٢٠٣ .

الشعب : مورد يبعد عن عفيف غرباً ٧٣ كيلاً ، عالية نجد ، جـ٢ ، ص ٧٥٨ ، ٧٥٩ .

الهتيمية : موقعين أولهما ماء عذب جنوب عفيف ٢٥ كيلاً والآخر ماء مر ، جنوب عفيف ٤٥ كيلاً ، عالية نجد ، جـ٣ ، ص ١٣١٦ .

وأن بان بي خـلة فالمحمـل أوزوني ... لين المس وليف الـروح بيديه (*)

ووردت بأكثر من رواية .

ومن شعره أيضاً :

مــن دون بــيـــشـــه رقـــاق ... شـــبـــوان وا بـــعَـــدها بـعـــداه
بـيـض يـاما غوى دونـهـا مـن ذيـب ... وكـــم واحـــد خـــلـــتـــه وجـناه
الـلـي يـبـي عَـلـتـه تـطـيـب ... شـــفـــقـاً على شـوفـتـه عـذراه
يـركـب عـلـى فـاطـر ورعـيـب ... الـلـي تـري وسـمـهـا العـــرقـاه
جـعـل الـردي مـايجـيـلـه صـيب ... يا مـصـبـر الـخـد كـيف تبـزاه

وقال :

خـلـيت أنـا الـهـجـن ياشبـوان ... لا تحـسـب أن الهـجـن خلـني
للـخـوي عـلـى الـخـوي حـقـان ... يـاوش عـذر الـخـوي مـني

ولما وصل إلى الوادي أميراً أرسل في طلب عائلته وتأخروا في الوصول فزاد شوقه لهم وضاق عليه القصر وقال :

ما ظهرت من القصر كود من ضـيقه ... يا لله أنـي طـالبك ترحـم لحالي
جيت في أدنى العرق واكشف طواريقه ... ولا تـبين لي مع الخـل رجال[1]
كل ماجـا طارش قمـت أهـلـي بـه ... كل شي يامنـير يطري على بالي
لاتـلـم من جـر ونـتـه على صـيـبه ... واللّه أنـي يابن منـصـور يعـزالي
أتـمـنى فـاطـر كـنـهـا الـريبـه ... واهـني من شـافها تهـذل هَـذَالِ

(*) وردت هذه المقطوعة الشعرية برواية أخرى هي :

تكفـون يا عـيال عمي لاتخلونـي ... ردو لي الـرأس لو تمشـون رجليه
وأن بان بي خلة في المحمـل أوزونـي ... حتاي المـس حسـين الدل بيديـه
غصب على سـايق الـدون بالدوني ... لا سـاق ميه نسـوق ميـات مثنيـه
راحت حياتي وأنا في القـبر مدفـون ... لا شك عقب القبر حصلت حورية

(١) العرق : عرق وادي الدواسر ، الخل : الطريق في النفود .

سـعد أبو من رخصـو لـه مـعـازيبه   والركـايـب ضمـر تقطع اللالي

وحينما سافر أحد رجاله من وادي الدواسر إلى سدوس قال :

سقوى الا جيت من الديار الجنوبية   متنـحـر يالحبـابـي دار حبـاني

ربـع يهـلـون بـهـشـال الخـلاوية   عن شوفهم حامي الزربات عداني

ولها بقية . . .

وامتدح التاجر الذي يستفيد غيره من ماله ، وانتقد احترام الرجل لغناه فقط ، وأخيراً تمنى ترك الإمارة والعودة إلى بلده وأسرته فقال :

باللّـه أني طالـبك يامعطي الجنـة   أن تعطي المال من يظهر مواجيبـه

يفرح به الجار إلا من ضده الحالي   والضـيف الاجاه جافينه معازيبـه

واشوف من كثر ماله عندكم غالي   وأن قل مال الفتى كثرت عذاريبه

تكفـون يا لابـتي حمـاية التالـي   كثر التجلوى مع الاجناب مالي به

وله :

يا شيخ أنا من قصر طرباح مليت   قعـدت أناحـي مع ميتـيني(١)

ترى هـواي ومـنـوتي لو تـمـنيت   ركـب النظـا ومعاشـر الغانمـين

لاجيت أنا مرقـب فيـه ضحـيت   سـوو لنا دوح مـع طبختيني(٢)

وقال :

يا عـيـال دنــو ركـايبـكـم   قـم يالحـبـابي لك الحـيـة(٣)

انـتـو طـيـوري واصـيـد بـكم   واشـوف وش صيـدكم ليه

أن أعجبـتـنـي صـوايدكم   حـرار مـنـتـب وكـريـه(٤)

وأن ما عجـبـتـنـي صوايدكم   والا أنـتـو طـيـور سعـدية

(١) ياشيخ : يقصد الملك عبد العزيز ، طرباح : عبد يحرس القصر .

(٢) دوح : قرص بر .

(٣) الحبابي : أحد رجاله من الرجبان .

(٤) الوكري : طير ضعيف .

تغانمو حال شايبكم ... ردوا عليه الحبيبة(١)
الكبد عافت حلايبكم ... دوكم لبنكم بزبديه

وجاء لحزوى في شبابه فشاهد مصادفة فتاة جميلة مع أهلها وقال(*) :

تو ما شافت عزيز الزين عيني ... طارت الغدفة وشفت اللي تحتها
ناطحتني والجدايل سبحتيني ... يا صباح الخير يا زين طخمتها
عذرب المجمول عندي شارتيني ... مع سواد عيونها طول رقبتها
قلت أبوك خذى ذلولي وارحميني ... عندكم تنفع ولا عند ورثتها
في وسط حزوى ماكله خوخ وتيني ... والرطب ماجود تأكل بشهوتها
بنت عود يذبح الشاة السميني ... يشتريها لاكبر كف ذنبتها

وذهب إلى الرفيعة أحد قصور المزاحمية لأخذ مبلغ له عند صاحب ذلك القصر فشاهد فتاة جميلة هي ابنة صاحب القصر أعجب بها فقال :

يا أهل لرفيعة عسى السيل يتوطاكم ... سقى الله قصيركم من كل وسميه
يا أهل الرفيعة قناني زين ممشاكم ... وغزيل عندكم ودي بها ليه
يا أهل الرفيعة عسى من راح يشناكم ... عساه يضرب مع الأبرة بجنبيه

وقال :

ردو سلامي على أم عبيد ... ياللي تجون اريش العيني
ياعنز ريم تقود الصيد ... ما هي ربايب ضلاعيني
مقياضها بايسر أم حييد ... ومرباعها يم رمحيني(٢)

---

(١) الحبيبة : فتاة تزوجها من المصارير من الدواسر ثم طلقها فندم .

(*) وقيل : إن هذه القصيدة للمرحوم زيد بن غيام ، وذكر محمد الحمدان في كتابه ديوان السامري والهجيني - ط٣ ، ١٤١٤هـ ، ص١٦٤ - أنها نسبت لثلاثة شعراء هم ابن غيام وابن معمر ودهيمش المعنى وأوردها في تسعة أبيات . والله أعلم .

(٢) أم حييد : صفراء أم حييد قرب ضرما .
رمحين : تلال من الرمال بارزه وسط رمل عريق البلدان بالوشم مما يلي أشيقر .
معجم اليمامة ، جـ٢ ، ص ٩٧ ، ٧٦ ، ٨٢ .

يابنت من يزبن المضدود يانور عيني ذبحتيني
دونك ذلولي مع البارود سلامتي وأن منعتيني

وعند عودته من أحد أسفاره وكان قد اشترى ذلولاً ركبها فنال منها تعب ونصب في سفره ذلك ، وعندما مر ببلد حريملاء قال مخاطباً خادمه هذال :

هذال قل لابو عشتل لايخليني يذبح ذلولي تراها بيدت حالي
من شافني يحسب أن الدرب طاويني عزاه لحالي من بعض مالي

فسمع رجل من أهل حريملاء يعرف حمد البيتين وحفظهما ، وأخبر أبو عشتل من ليلته تلك وهو جزار من أهل حريملاء واسمه محمد بن حماد ولقبه (أبو عشتل) ، فتجهز أبو عشتل وذهب إلى سدوس من ليلته وتوجه لمنزل حمد ونحر الذلول وأولم بها حمد لأهل البلد .

١٠- إبراهيم بن مشاري بن معمر :

هو إبراهيم بن مشاري بن فيصل بن محمد بن الأمير مشاري بن إبراهيم ابن الأمير عبد الله بن محمد بن معمر .

ولد في بلد سدوس ونشأ وتعلم فيها ، وعين أميراً لها عام ١٣٥٢هـ ، ولكنه اعتذر عنها بعد تسعة شهور فأعفي منها .

وتوفي في ذي القعدة عام ١٣٧١هـ وخلف عدداً من الأبناء وهم عبد العزيز المشهور بالتقوى والورع ، وسعد وعبد الله وعبد الرحمن ومحمد توفي رحمه الله عام ١٣٩٧هـ ، وخلف ثلاثة أولاد هم : إبراهيم وسعد وعبد الله . وكان إبراهيم رحمه الله كريماً سخياً من أعيان أسرته في زمانه .

١١- إبراهيم بن محمد بن معمر :

هو إبراهيم بن محمد بن عبد الله بن ابراهيم بن سيف بن معمر (*) .

كان والده محمد مقيماً في الجنيفي من قرى سدير (**) ، ثم رحل منها

(*) انظر هملتون ، ص ١٢٤ .

(**) انظر جريدة الرياض العدد ١١٣٤٥ ، في ٤/ ٤/ ١٤٢٠هـ الصفحة ١٢ مقالة للشيخ حمد الجاسر وجريدة الجزيرة ، العدد ٦٢١٧ في ٧/ ٣/ ١٤١٠هـ ، صفحة ٥ .

للكويت وعمل بالتجارة . ولد إبراهيم في الكويت عام ١٣٠٢هـ وتعلم فيها ، ثم رحل لزنجبار والصومال والهند واشتغل بالتجارة بين الهند والكويت .

قدم إبراهيم إلى الرياض وكان الإمام عبد العزيز بحاجة إلى إداريين أكفاء ، وكان إبراهيم اختياراً واضحاً [١] وعين إبراهيم رئيساً للديوان الملكي ١٣٤٤هـ [٢] قال عنه ابن مانع : (كان رجلاً نشيطاً ذا إحساس بالمسؤولية قام بإدارة الديوان سعيداً منتجاً ، وكان متفانياً في ولائه للملك ، إذ خدم بإخلاص تام) [٣] .

شارك إبراهيم بفاعلية أثناء موقعة السبلة في ٢٩/ ١٠/ ١٣٤٧هـ كما شارك في موقعة الدبدبة (القرعة) عام ١٣٤٨هـ وإختاره الملك عبد العزيز لمعالجة بعض القضايا وكان مبعوثه إلى اليمن للقاء الإمام يحيى بن حميد الدين .

ثم عمل وزيراً مفوضاً في بغداد اعتباراً من ٣٠ محرم ١٣٥٢هـ وبعد ذلك عمل قائم مقام لمدينة جدة عام ١٣٥٦هـ ، ومرض في آخر حياته وتوفي في بيروت عام ١٣٧٨هـ رحمه الله ، وخلف خمسة أولاد هم : عبد الله الذي عمل في الشعبة السياسية في عهد الملك عبد العزيز توفي عام ١٤٠٧هـ ، وخلف من الأولاد الذكور محمدًا وخالدًا وإبراهيم . وعبد العزيز بن إبراهيم الذي عمل كاتباً في مالية الرياض ثم مترجماً في الديوان الملكي في عهد الملك عبد العزيز ، ثم مديراً لشركة الكهرباء بالرياض ، ثم مستشاراً للملك سعود ثم وزيراً في الأمانة العامة لمجلس الوزراء عام ١٣٨٠هـ ، ثم سفيراً في سويسرا ثم أحيل للتقاعد عام ١٣٨٤هـ ، وتوفي في الدمام عام ١٤٠٥هـ ، وخلف من الأولاد ابنه محمد ، ولإبراهيم من الأبناء كذلك أحمد وعبد الرحمن وسعود الذي توفي عام ١٣٩٠هـ تقريباً . وقال الجاسر عن إبراهيم : إنه من خيرة الرجال عقلاً ومروءة ووطنية [٤] .

---

(١) المانع ، محمد : توحيد المملكة العربية السعودية ، تحقيق د . عبد الله العثيمين ، الدمام ، ١٤٠٢هـ ، ص٢٤٢ .

(٢) يذكر المانع ، ص ٢٤٢ ، أن إبراهيم رأس الديوان بعد ضم الإمام عبد العزيز الحجاز .

(٣) توحيد المملكة ، محمد المانع ، ص٢٤٢ .

(٤) جريدة الرياض ، العدد ١١٣٤٥ .

١٢- سعود بن عبد الرحمن بن معمر:

هو سعود بن عبد الرحمن بن محمد بن معمر (*)، ولد في بلد سدوس عام ١٣١٣هـ ونشأ وتعلم مبادئ القراءة والكتابة وحفظ سوراً من القرآن على يد بعض مطاوعة سدوس منهم إبراهيم الصايغ ، ثم علمه والده الرمي بالبندق وركوب الخيل ، وكان من خيالة قصر بريدة إبان إمارة فهد بن معمر فيها ، وشارك في عدد من السرايا والمواقع الحربية ، وحينما شاهده الإمام عبد العزيز طلب منه الانضمام لفرسانه فرحل من بريدة بصحبة عبد العزيز إلى الرياض, ثم أرسله الإمام مع والده الذي عين أميراً لتربة عام ١٣٤١هـ . وحينما قتل والده عام ١٣٤٢هـ أصبح أميراً لتربة لمدة ثلاثة أشهر إلى أن نقل عمه عبد الله من إمارة رنية لإمارة تربة ، ومكث معه مدة ثم انضم للجيش الذي شارك في حصار جدة عام ١٣٤٣هـ ، واشترك مع الفرسان في موقعة الرغامة أثناء حصار جدة ، وشارك في فتح جدة في جمادى الآخرة عام ١٣٤٤هـ . كما شارك في موقعتي السبلة والدبدبة (القرعة) وشارك في حرب اليمن عام ١٣٥٢هـ .

وفي عام ١٣٥٨هـ عينه الملك عبد العزيز أميراً لقضاء محايل عسير ، واستمر أميراً فيها حتى عام ١٣٦١هـ ثم طلب إعفاءه منها فتم له ذلك ، وتفرغ للإشراف على مزرعتيه في العيينة وسدوس إلى أن كبر سنه ، فأقام في الرياض ، وتوفي رحمه الله مساء السبت ١٣/ ١٠/ ١٤١٩هـ في الرياض ودفن في سدوس ، وله عدد من الأبناء أكبرهم عبد الرحمن أحد وجهاء الأسرة وأعيانها وعبد الله وخالد وعبد العزيز ومحمد وفهد ومشاري . ويتصف سعود بالشجاعة والإقدام فارس مهاب ومحارب جلد عظيم المقدار جواداً سمحاً وكان حسن السمت والسيرة (١) .

١٣- محمد بن عبد الله بن محمد بن معمر (**):

ولد في بلد سدوس عام ١٣٢٧هـ تقريباً ونشأ وتعلم فيها ثم عمل مع والده

(*) ترجمة والده صفحة ٤٧٠ وما بعدها .

(١) جريدة الرياض العدد ١١١٨٥ الأحد ٢١ شوال ١٤١٩هـ ، ط١ ، ص٣٤ .

(**) ترجمنا لوالده ، ص ٤٦٥ وما بعدها .

أثناء إمارته في بيشة والطائف والأفلاج ، واشترك في حرب اليمن عام ١٣٥٢هـ وأبلى فيها بلاء حسناً وقد مدحه مشاري بن سلطان بن معمر بمقطوعة شعرية أذكر منها عجز هذا البيت :

أميرنا في اليمن شاعت أخباره

عين محمد أميراً لسدوس عام ١٣٥٨هـ لمدة خمسة أعوام ثم اعتذر عنها ، وبعد ذلك عين أميراً للعيينة والجبيلة في الأول من شعبان عام ١٣٦٩هـ ، واستمر أميراً فيها إلى أن توفي رحمه الله عام ١٣٧٥هـ ، ولم يخلف ذرية إذ توفي ابنه فهد وشقيقته قبل وفاة أبيهما وكان رحمه الله كريماً شجاعاً حسن السمت والسيرة .

١٤- سعد بن عبد الرحمن بن معمر (*) :

هو سعد بن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله بن إبراهيم ابن الأمير مشاري ابن إبراهيم ابن الأمير عبد الله بن محمد بن معمر . ولد في بلد سدوس عام ١٣٣٦هـ ، واستشهد والده عام ١٣٤٢هـ أثناء إمارته لبلدة تربة فنشأ يتيماً ، وكان جريئاً شجاعاً فصحب الملك عبد العزيز عدة سنوات ثم شارك في حرب اليمن عام ١٣٥٢هـ ، وهو في السادسة عشرة من عمره ، ثم عين أميراً لبلدة (تربة) وهي البلد التي كان والده أميراً لها ، وكانت إمارة سعد فيها في الفترة ما بين ١٠/ ٢/ ١٣٦٣هـ حتى الأول من رجب عام ١٣٦٦هـ ، ثم عين أميراً لثادق حتى السادس من ربيع أول عام ١٣٧٨هـ ، فأميراً للقويعية حتى الأول من شوال عام ١٣٨٣هـ ، وفي السابع والعشرين من ربيع الأول عام ١٣٨٤هـ عين أميراً لبلدة الخاصرة ، واستقام بها حتى أحيل على التقاعد بناءً على طلبه في ٧/ ٣/ ١٣٨٧هـ .

وسكن مدينة الرياض وعمل مفتشاً في وزارة الداخلية ، ثم سكن العيينة ، وله من الأولاد الذكور ثلاثة هم (عبد العزيز ومحمد ومعمر) . ويعتبر سعد من أجل أعيان الأسرة مكانة وأعلاهم قدراً وتوفي رحمه الله يوم السبت ٢/ ١١/ ١٤١٨هـ ودفن في العيينة . ورثي سعد رحمه الله نثراً وشعراً فقال عنه الأستاذ حمد القاضي : (كان الفقيد من رجال الملك عبد العزيز المخلصين . . . وكان يكلف

(*) ترجمة والده عبد الرحمن صفحة ٤٧٠ .

بمهام صعبة كثيرة وكان وجيهاً يحب الخير ويعين الضعيف ويكرم الناس . . .)[1] . وقال عنه عبد الرحمن بن محمد بن معمر في جريدة الرياض : (كان طيلة عمره مثلاً للإخلاص والعطاء ، وقد عرف عنه الشجاعة والنزاهة والوقار والبساطة . .)[2] ، ورثاه الشاعر مشعل البدر الرشيد بقصيدة يقول فيها :

مرحوم يا مبكي العيون الحزينة	شيخ رفيع القدر من ترثة شيوخ
شيخ مجرب بالوفا عارفينه	ما هيب شيخة كانز المال بالكوخ
يشهد له العارض ودار العيينة	فيما مضى والوقت حايل ومشروخ
سعد كريم لمن لفوا قاصدينه	عشاء يجيبونه وهذاك مطبوخ
ودين ومؤمن قام بأركان دينه	طيبه ظهر من حد رنيه لصلبوخ
يا رب تغفر ما مضى من سنينه	وقبره يجي روضة من التين والخوخ[3]

ورثي رحمه الله شعراً بمراثي عديدة .

١٥- محمد بن عبد العزيز بن معمر[*] :

هو محمد بن عبد العزيز بن ناصر بن عبد العزيز بن ناصر ابن الشيخ حمد بن ناصر ابن الأمير عثمان بن حمد بن معمر .

ولد في بلد سدوس عام ١٣٣٧هـ ونشأ وتربى فيها وتعلم على يدي معلمي كتاتيب سدوس ، وهم ناصر البريدي ومحمد الوايلي ومحمد بن محفوظ ، القراءة والكتابة وختم القرآن الكريم ، وصحب والده رحمه الله إلى بيشة حينما عين وكيلاً لأميرها عبد الله بن معمر منذ عام ١٣٤٤هـ ، وحتى عام ١٣٥٣هـ ،

---

(١) جريدة الجزيرة ، العدد ٩٢٩١ في ٩/ ١١/ ١٤١٨هـ ، ص٦ .

(٢) جريدة الرياض ، العدد ١٠٨٥٦ في ١٧/ ١١/ ١٤١٨هـ ، ص٣٧ .

(٣) جريدة اليمامة ، العدد ١٤٩٧ في ١٦/ ١١/ ١٤١٨هـ ، ص٦٣ .

(*) المترجم له حل ضيفاً على زاوية (ضيف الجزيرة) بجريدة الجزيرة في العدد رقم ٧٧٤٣ بتاريخ ٢٧/ ٦/ ١٤١٤هـ صفحة ٤ ، ٥ ؛ والعدد رقم ٧٧٥٠ بتاريخ ٤/ ٧/ ١٤١٤هـ صفحة ٤ ، ٥ كذلك .

وعمل خلال هذه الفترة موظفاً في إمارة بيشة ثم موظفاً في إمارة الطائف أثناء إمارة عبد اللّه بن محمد بن معمر فيها ثم عمل مع الملك عبد العزيز ، وفي محرم عام ١٣٦٤هـ عين محمد أميراً للعيينة والجبيلة بأمر من ولي العهد الأمير سعود ابن عبد العزيز هذا نصه : « من سعود بن عبد العزيز بن عبد الرحمن آل فيصل إلى المكرم محمد بن عبد العزيز بن ناصر بن معمر سلمه اللّه تعالى السلام عليكم ورحمة اللّه وبركاته بعد ذلك إن شاء اللّه تلتزم بإمارة أهل العيينة والجبيلة وحنا إن شاء اللّه نسنع لك ما يلزم يكون معلوم إن شاء اللّه ١٥/ ١/ ١٣٦٤هـ الختم » [(١)] .

واستمر في إمارة العيينة والجبيلة حتى الثلاثين من رجب عام ١٣٦٩هـ عندما عين أميراً لرماح اعتباراً من الأول من شهر شعبان عام ١٣٦٩هـ واستمر فيها حتى ٣٠/ ٤/ ١٣٧٢هـ عندما عين أميراً لمدينة القويعية اعتباراً من ١/ ٥/ ١٣٧٢هـ ، واستمر فيها أميراً حتى الخامس من ربيع الأول عام ١٣٧٨هـ ، حيث عين أميراً لمقاطعة سدير «المجمعة» اعتباراً من السادس من ربيع الأول عام ١٣٧٨هـ ، ونقل منها وعين أميراً لمدينة الدوادمي اعتباراً من ١/ ٧/ ١٣٨٦هـ ثم عين أميراً لشقراء اعتباراً من ٣/ ٥/ ١٣٩٠هـ وأخيراً نقل منها وعين أميراً لحوطة بني تميم اعتباراً من ١/ ٧/ ١٣٩٦هـ ، ثم طلب إحالته على التقاعد فتم له ذلك اعتباراً من ١١/ ١١/ ١٣٩٧هـ . ومدة عمله ٤٧ عاماً قضاها في خدمة دينه ووطنه .

وكان طيلة عمله مثالاً للإخلاص والنزاهة والتفاني والعطاء[(٢)] ، وقال عنه الأستاذ محمد الوعيل نائب رئيس تحرير جريدة الجزيرة بعد إجراء المقابلة معه ضيفاً لجريدة الجزيرة : « ولعلي هنا أشير إلى نقطة مهمة في حديث الضيف ، وهي ذاكرته القوية التي اختزنت الشيء الكثير من الذكريات . . فكلما كان الحديث عن نقطة وجدت الرجل «موسوعة» في العطاء عن تلك النقطة » [(٣)] .

واستقر بمدينة الرياض وتوفى رحمه اللّه صباح يوم السبت الموافق ٥/ ٩/ ١٤١٥هـ بمدينة الرياض ودفن في مدينة العيينة ، وله عدد من الأبناء هم :

---

(١) من وثائق المؤلف .

(٢) جريدة الرياض ، العدد ٩١١٤ في ١٧/ ١٢/ ١٤١٣هـ ، ص ١٧ .

(٣) جريدة الجزيرة ، العدد ٧٧٤٣ في ٢٧/ ٦/ ١٤١٤هـ ، ص ٤ .

فهد - وكيل وزارة الداخلية للشؤون الأمنية المساعد سابقاً- وحمد وناصر وعبد المحسن (مؤلف هذا الكتاب) ومنصور وعبدالعزيز وخالد وعبدالرحمن وعبدالله . كان محمد رحمه الله يعد من أفاضل أمراء أسرته ، كان ذا جلد وصبر ، ديناً مهاباً متواضعاً كريماً ذا أنفة وعزة نفس ، متكلماً فصيحاً عارفاً بتاريخ أسرته ونسبها عاقلاً وقوراً ، يظهر البشاشة ويعلوه بهاء الطاعة .

١٦- عبدالعزيز بن عبدالرحمن بن معمر :

هو عبد العزيز بن عبد الرحمن بن عبد العزيز بن ناصر ابن الشيخ حمد ابن ناصر بن الأمير عثمان بن حمد بن معمر .

ولد عبد العزيز في سدوس عام ١٣٢٤هـ تقريباً ونشأ وتعلم فيها ، ثم انتقل إلى بريدة حيث كان والده مسؤولاً عن قصر بريدة أثناء إمارة أخيه فهد بن معمر فيها ، وعمل موظفاً في إمارة وادي الدواسر أثناء إمارة حمد بن ناصر بن معمر ، وعند وفاة حمد آخر عام ١٣٥٤هـ قام عبد العزيز بعمل الأمير حوالي ثلاثة شهور ثم انتقل للرياض ، وعمل مع الملك عبد العزيز حوالي عشر سنوات ، ثم عينه الملك أميراً للدوادمي في شهر شعبان عام ١٣٦٤هـ ، وما لبث أن مرض واشتد مرضه ، فتوفي آخر ذلك العام ودفن في الدوادمي رحمه الله .

وخلف ابنه عبد الرحمن الذي عمل مديراً لمركز الخدمة الاجتماعية بالرياض عدة سنوات وتوفي رحمه الله عام ١٤٠٧هـ وخلف ابنه الطبيبَ خالدًا .

١٧- عبدالرحمن بن سعد بن معمر (*) :

ولد عبد الرحمن بن سعد بن محمد بن معمر ، في سدوس عام ١٣١٦هـ ، ونشأ وتربى في بيت الإمارة فيها إذ كان والده سعد أميراً لها ، وتعلم القراءة والكتابة لدى كتاتيب البلد ، وأشهرهم إبراهيم الصايغ ، وتوفي والده عام ١٣٢٤هـ فكفله أخوه عبد العزيز غير أن أخاه ما لبث أن قتل رحمه الله عام ١٣٢٧هـ في مواجهة مع بعض قطاع الطرق شمالي سدوس ، فكفله عمه عبد الله .

وفي عام ١٣٧٢هـ عين عبد الرحمن أميراً لسدوس خلفاً لأميرها المتوفي

(*) ترجمنا لوالده ، ص ٤٥٧ .

عبد الرحمن بن إبراهيم بن عبد الله بن معمر رحمه الله وتشرفت سدوس أثناء إمارته بزيارة الملك سعود لها عام ١٣٧٤هـ كما رأس وفد أهالي سدوس في مبايعة الملك فيصل رحمه الله ملكاً على البلاد عام ١٣٨٤هـ . وكان رحمه الله طويل القامة كريماً حسن السمت والسيرة فاضلاً ديناً ورعاً حليماً كيساً سليم الصدر .

وبقي أميراً لها إلى أن توفي رحمه الله يوم الأربعاء الثالث عشر من شعبان عام ١٣٩٠هـ[1] في الرياض ودفن فيه وخلف ابنين هما محمد وسعد .

١٨- عبد الله بن إبراهيم بن مشاري بن معمر[*] :

ولد في بلد سدوس عام ١٣٣٣هـ ونشأ وتعلم فيه وكان معلمه ناصر البريدي ، ثم عمل في الحرس الوطني وفي ٢٥/ ٣/ ١٣٧٩هـ عين أميراً لشقراء حتى ٣٠/ ٩/ ١٣٨٣هـ ، ثم نقل منها أميراً لحوطة بني تميم حتى الثلاثين من ذي الحجة عام ١٣٨٨هـ ، حيث عين أميراً لمرات حتى ٣٠/ ٤/ ١٣٩٠هـ ثم نقل منها أميراً للأفلاج ، ثم نقل منها أميراً لحريملاء في أول شعبان عام ١٣٩٦هـ ، ثم أميراً للمجمعة في ١/ ٤/ ١٤٠٠هـ ، ثم أميراً لوادي الدواسر اعتباراً من ١/ ٥/ ١٤٠٤هـ وحتى ١/ ٧/ ١٤٠٥هـ ، عندما طلب إحالته للتقاعد ، فأحيل بناء على طلبه . ويقيم حالياً في بلد سدوس ، وله عدد من الأولاد أكبرهم سعد رئيس مركز سدوس حالياً ، وإبراهيم وحسن ومحمد وعبد العزيز وعبد الرحمن وعمر وفيصل وسعود . ويعتبر عبد الله من أعيان أسرته كريم الأخلاق عظيم المقدار .

١٩- محمد بن عبد العزيز بن معمر (المعروف بـ محمد فيصل) :

هو محمد بن عبد العزيز بن محمد[2] بن فيصل بن محمد ابن الأمير مشاري ابن إبراهيم ابن الأمير عبد الله بن محمد بن معمر ، وهو لا يعرف إلا بمحمد ابن فيصل نسبة إلى جد والده ، وذلك تمييزاً له عمن يتفق معه في الاسم من أبناء الأسرة .

---

(١) وهو جد المؤلف لأمه .

(*) ترجمنا لوالده صفحة ٤٨٥ .

(٢) وتعرف ذريته عند انفرادهم داخل أسرتهم آل معمر بآل فيصل .

ولد في حزوى عام ١٣٣٤هـ ونشأ فيها ثم عمل في الحرس الوطني عدة سنوات وفي ١/ ٩/ ١٣٨٦هـ عين محمد أميراً لبلدة حزوى المجاورة لسدوس ، وهو أول أمير لها حيث كانت قبل هذا التاريخ بدون أمير ، وبعد وفاة أمير سدوس عبد الرحمن بن سعد ابن معمر كلف محمد بإمارة سدوس إضافة لعمله ، وذلك في شهر شعبان عام ١٣٩٠هـ لمدة عام تقريباً .

وظل محمد أميراً لحزوى حتى وفاته رحمه اللّه في الثامن والعشرين من صفر عام ١٤٠١هـ ، وله من الأولاد الذكور : عبد اللّه توفى رحمه الله في ١٦/ ٦/ ١٤٢١هـ وخلف ابنه حسام ، ومن أبناء محمد أيضاً (عبد العزيز وفهد وعبد الرحمن ومشاري وسعد وفيصل وسعود وناصر وعبد المجيد) ، وخلفه في إمارة حزوى ابنه سعد ، ولا يزال رئيساً لمركزها ورئيسًا لمركز العيينة المكلف . وكان رحمه اللّه ديِّنًا ورعاً كريم الأخلاق فاضلاً نزيهاً .

٢٠- عبد الله بن عبد العزيز بن معمر:

هو عبد اللّه بن عبد العزيز بن ناصر بن عبد العزيز بن ناصر بن الشيخ حمد ابن ناصر بن الأمير عثمان بن حمد بن معمر .

ولد في سدوس عام ١٣٤٧هـ ثم انتقل إلى بيشة حيث تعلم فيها القراءة والكتابة وختم القرآن الكريم ، بصحبة والده وكيل إمارة بيشة ، ثم عمل موظفاً في إمارة رماح والقويعية والمجمعة والدوادمي ، وفي عام ١٣٩٠هـ عين أميراً في بلد ملهم حتى عام ١٣٩٣هـ ، حيث نقل منها وعين أميراً لمدينة العيينة والجبيلة حتى عام ١٤٠٠هـ ، عندما نقل منها أميراً لمدينة ثادق لمدة عشر سنوات حتى عام ١٤١٠هـ ، وأحيل على التقاعد لبلوغه السن النظامية ، وكانت خدمته في الدولة قرابة ٤٢ عاماً .

وتوفي رحمه اللّه في الرياض يوم الخميس الموافق ٢١/ ٦/ ١٤١٥هـ ودفن في مدينة العيينة ، وخلف ثمانية أولاد هم (عبد العزيز وفهد وسلطان وعبد المحسن وفيصل وسعود ومعمر وطلال) . وكان رحمه اللّه دمث الأخلاق لطيف المعشر سليم الصدر كريماً حليماً .

٢١- عبد الرحمن بن إبراهيم بن مشاري بن معمر (*) :

هو عبد الرحمن بن إبراهيم بن مشاري بن فيصل ابن الأمير محمد بن مشاري ابن إبراهيم بن معمر ولد في سدوس عام ١٣٤٣هـ ونشأ وتعلم فيه ثم عمل رئيساً لهيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وإمامة المسجد الجامع في سدوس .

وفي عام ١٣٩١هـ عين أميراً لها حتى عام ١٤١٢هـ ، حيث نقل أميراً للدلم وتوفي رحمه الله في ٧/ ٩/ ١٤١٥هـ ، وكان كريماً جريئاً حسن الخلق ، وخلف عدداً من الأولاد هم : محمد وإبراهيم محافظ رماح وفيصل المستشار بديوان سمو ولي العهد وعبد الله ومشاري .

٢٢- ناصر بن صالح بن معمر (**) :

ولد في مدينة عنيزة عام ١٣٣٤هـ ، وكان جده الثالث عبد الله بن سلطان ابن معمر وأخواله آل عبد العزيز أهل ضرما ، قد انتقل من ضرما إلى عنيزة بعد حملة إبراهيم باشا ، وتزوج من آل مزيد ، وخلف بعد موته ولدين هما ناصر وإبراهيم ، فإبراهيم خلف ابناً اسمه محمد مات شاباً لم يتزوج . وأما ناصر فقد تزوج من آل تركي وخلف ولداً اسمه صالح وصالح هذا أنجب ولداً اسمه ناصر توفي شاباً ، ثم ولد لصالح هذا ابن آخر أسماه ناصر على اسم أخيه المتوفي ، وهو الذي نترجم له وهو خال الأمير عبد العزيز بن فهد بن معمر أمير الطائف السابق .

توفي والد ناصر وهو صغير لم يبلغ العامين بعد ، فعاش تحت رعاية أمير بريدة فهد بن معمر ، ولما قتل فهد عام ١٣٣٩هـ انتقل ناصر مع عبد العزيز بن فهد ابن معمر للرياض ، وتعلم فيها ثم عمل مع عبد العزيز كاتباً أثناء إمارته في ينبع اعتباراً من ١/ ٣/ ١٣٤٨هـ ، ثم عمل معه أثناء إمارته في جده والطائف ، ثم أصبح وكيلاً لإمارة الطائف اعتباراً من ١/ ٥/ ١٣٦٧هـ ، ثم أميراً لها اعتباراً من ١٥/ ١١/ ١٣٩٣هـ ، إلى أن أحيل للتقاعد في ٥/ ٤/ ١٣٩٨هـ ، ومدة عمله

(*) ترجمنا لوالده صفحة ٤٨٥ .

(**) هو ناصر بن صالح بن ناصر بن عبد الله بن سلطان ، وسلطان هذا كما هو معروف لدى أسرتنا من سلالة أمير العيينة عام ١١٧٣هـ ، سلطان بن محسن (عبد المحسن) ، وهو من كبار آل معمر ترجمنا له صفحة ٣١٥ .

بالدولة خمسون عاماً ، وعاش بقية عمره في الطائف إلى أن توفي رحمه الله فيها يوم الجمعة ١٣/ ١١/ ١٤٠٤هـ ، وخلف عدداً من الأولاد هم محمد وعبد الله وعبد العزيز وسلطان محافظ رنية بالنيابة في الوقت الحاضر . وكان ناصر رحمه الله رقيق الطبع حسن الأخلاق لين الجانب .

٢٣- عبد الله بن عبد العزيز بن معمر :

هو عبد الله بن عبد العزيز بن إبراهيم بن عبد الله بن إبراهيم ابن الأمير مشاري ابن إبراهيم ابن الأمير عبد الله بن محمد بن معمر .

ولد عبد الله في بلد سدوس عام ١٣٥٠هـ ونشأ فيه ، وعمل موظفاً في الحرس الملكي اعتباراً من عام ١٣٧٥هـ ، ثم عين أميراً لبلدة النويعمة من بلدان وادي الدواسر في عام ١٤٠٣هـ . ثم أميراً لبلدة فيضة السر اعتباراً من عام ١٤٠٨هـ ، وتوفي رحمه الله صباح يوم الخميس ٢٦/ ٤/ ١٤١٦هـ أثر حادث مروري ودفن رحمه الله في سدوس ، وكان رحمه الله جريئاً كريماً حاضر البديهة ذا معرفة بالأنساب .

وله من الأولاد الذكور عبد العزيز ومعمر .

٢٤- فهد بن عبد العزيز بن معمر (الثاني)(*) :

هو فهد بن عبد العزيز بن فهد بن عبد العزيز بن ناصر ابن الشيخ حمد ابن ناصر ابن الأمير عثمان بن معمر ، ولد فهد في مدينة الطائف في شهر ذي القعدة عام ١٣٦٢هـ .

ونشأ فهد فيها وتعلم في مدارسها الابتدائية والمتوسطة والثانوية ، ثم ابتعث للولايات المتحدة الأمريكية ، فأنهى دراسته الجامعية عام ١٩٦٨م الموافق لعام ١٣٨٨هـ وحصل على بكالوريوس علوم سياسية ، ثم عمل بعد تخرجه في الملحقية العسكرية السعودية في الولايات المتحدة .

وفي جمادي الأولى عام ١٣٩٥هـ اضطر إلى الاستقالة من عمله والعودة

(*) ترجمنا لوالده عبد العزيز ص ٤٧٥ ولجده فهد ص ٤٥٨ وفهد بن عبدالعزيز بن معمر هذا أضفنا له (الثاني) تمييزاً له عن جده أمير بريدة السابق فهد بن عبد العزيز بن معمر .

لأرض الوطن للبقاء بجانب والده أثناء مرضه ، ثم عين أميراً للطائف في الثامن عشر من جمادي الأولى عام ١٤٠٦هـ ، ولا يزال محافظاً لها ، وله عدد من الأولاد الذكور هم :

فيصل وسعود وخالد ومحمد وعبد العزيز ونواف وعبد الله وسلطان . ويعتبر فهد أبرز رجال الأسرة مكانة وأرفعهم قدراً .

الفصل الثاني عشر

ترجمة لبعض أعيان أسرة آل معمر

الفصل الثاني عشر

ترجمة لبعض أعيان أسرة آل معمر

برز في الأسرة عدد من الأفراد يتحلون بسمات وصفات متميزة ، هي في الغالب متوارثة وقد تنمى أو تكتسب في إطار مبادئ المجتمع .

كما برز من أسرة آل معمر عدد غير قليل أمراء وعلماء وفرساناً وشعراء ووجهاء وكرماء أسخياء وأصحاب مناصب إدارية وقيادية . ولقد أدركت بعضهم ، وسمعت ممن سبقني عن بعضهم الآخر ، ووفاء لهم رأينا ذكرهم مرتبين حسب السن مع لمحة مختصرة لبعض مناقبهم ومآثرهم حسب ما توفر من مادة علمية ، فللمتوفين الرحمة والغفران ، وللأحياء الصحة والعمر المديد ، وكنت قد أسلفت بذكر الأمراء والعلماء . فمن أبرز الأعيان والشخصيات العامة :

١- (عبد العزيز بن ناصر ابن الشيخ حمد بن معمر) : كان من المقربين والمستشارين للإمام فيصل بن تركي وابنه عبد الله ، وبعد دخول سعود بن فيصل للرياض عام ١٢٨٨هـ أخذ أغلب ممتلكاته ، وخرج عبد العزيز مع أبنائه إلى ملكهم في عرقة ثم إلى سدوس ، وتعرضت ممتلكاته في الجبيلة للنهب والتخريب ذلك العام . وتوفى رحمه الله عام ١٢٩٠هـ ، كان عبد العزيز رحمه الله كيساً فطناً حاضر الذهن وخلف خمسة أولاد ذكور هم (ناصر وعبد الله ومحمد وفهد وعبد الرحمن) ، وذريته هم الباقون الآن من ذرية الأمير عثمان بن معمر ويعرفون بآل عبد العزيز نسبة له ، أو آل ناصر نسبة إلى والده .

٢- (مشاري بن فيصل ابن الأمير محمد بن مشاري بن معمر) : ولد في سدوس وكان كريماً سخياً وتوفي رحمه الله عام ١٣٠١هـ ، وخلف خمسة أولاد ذكور منهم عبد العزيز الذي قتل عام ١٣٢٢هـ وعبد الرحمن ومحمد وإبراهيم وحسن المشهور بالكرم وحسن الخلق والورع رحمهم الله .

٣- عبد العزيز بن عبد الله بن إبراهيم ابن الأمير مشاري بن معمر : ولد في سدوس ونشأ فيها ، وكان ورعاً كريماً من وجهاء أسرته في زمانه ، وتزوج الإمام عبد الرحمن الفيصل من ابنته طرفة وأنجبت من الإمام ابنة اسمها شريفة ، توفيت وعمرها عشر سنوات وتوفيت طرفة في ٣٠/ ٩/ ١٣٥٨هـ . وتوفي عبد العزيز عام ١٣١٥هـ رحمه الله وخلف عبد العزيز ابناً كفيفاً هو عبد الله الذي توفي عام ١٣٣١هـ رحمه الله ، وخلف عبد الله ابنه عبد العزيز الذي توفي عام ١٣٥٩هـ رحمه الله . وخلف عبد العزيز ابنه عبد الله الذي ولد في سدوس عام ١٣٥٠هـ ، وتعلم فيها وكان أول من أدخل الآلة الحديثة لاستخراج المياه في سدوس عام ١٣٧٠هـ انتقل عبد الله من سدوس إلى الرياض ، وانخرط في الأعمال الحكومية وأحيل للتقاعد عام ١٤١٥هـ ويعتبر عبد الله أحد أعيان ووجهاء أسرته كريماً محبوباً حسن السمعة والسيرة .

وله عدد من الأولاد ، هم عبد العزيز ومحمد وسعد وفيصل وعبد الرحمن .

٤- عبد الله بن محمد بن معمر : هو عبد الله بن محمد بن فيصل ابن الأمير محمد بن الأمير مشاري بن معمر ، اشتهر بعبد الله بن فيصل ، اتخذ من حزوى سكناً له ، وكان رحمه الله كريماً سخياً من أشهر أعيان أسرته في زمانه ، وتوفي عام ١٣٣٨هـ ، وخلف ثلاث بنات . وله أسباط منهم عبد الرحمن بن سعود ابن معمر وعبد الله بن عبد العزيز بن معمر .

٥- فيصل بن عبد الله بن معمر : هو فيصل بن عبد الله بن الأمير محمد ابن الأمير مشاري بن معمر . كان فيصل فارساً شجاعاً مقداماً ، وقتل فيصل في موقعة عسكرية عام ١٣٣٠هـ ، ومات ابنه عبد الله بعد ذلك ، وخلف فيصل ابنه سعود بن فيصل الذي شارك في فتح مدينة جدة . وتوفي رحمه الله عام ١٣٨٩هـ وسعود خلف ابنه فيصل مدير عام مصلحة التقاعد سابقاً وأحد أعيان الأسرة ، وله من الأبناء خالد وماجد وسعود ومحمد ، أما ابنه الآخر عبدالله بن سعود فقد توفي قبل وفاة والده وليس له عقب رحمه الله .

٦- الشاعر عبد العزيز بن سلطان بن معمر : ولد في قصور المزاحمية في العقد الثامن من القرن الثالث عشر في المزرعة المعروفة بالمعمرية ، ونشأ فيها وكان مولعاً بالقنص والصيد ، فنمت عنده هذه الهواية مهارة الرمي بالبندق فأصبح بواردياً وصار مضرب المثل في دقة إصابة الهدف بالبندق ، وكان أشهر ثلاثة من

آل معمر في هذا المجال ، وهم بالإضافة له فهد بن معمر أمير بريدة وعبد الله ابن محمد بن معمر رحمهم الله .

وكانت له بندق فتيل سماها (الصويدرية) اشتهرت في المنطقة ، فحاول شخص من آل معيوف من آل شامر أخذها ، وأعلن أمام الناس أنه سيأخذ بندق ابن معمر شاء أم أبى ، ورصد له في أحد الأيام في طرف طويق وكان عبد العزيز قد خرج للصيد ومعه رجلان ، وكانوا قد تفرقوا بحثاً عن الوعول (الماعز الجبلي) وكان الشامري قد كمن لعبد العزيز وأطلق النار باتجاهه ولم يصب عبد العزيز وقام بالرد فقتل الشامري . ثم ذهب إلى قصور آل مقبل وكان مسرح الحدث قريباً منهم فأخبرهم ودعاهم لأخذ الحيطة واتجه إلى سدوس وأخبر آل معمر هناك وكانت علاقة آل معمر وآل شامر جيدة ، فاتفق الطرفان على الصلح مقابل مبلغ مالي (دية) ، تدفع لقشاش والد القتيل وقدرها ستمائة وستة عشر ريالاً ونصف ، اشترك مع آل معمر في دفعها العناقر أهل ثرمداء ، وتم الصلح عند الأمير عبد الرحمن بن ضبعان في ملهم في التاسع من ربيع الأول عام ١٣١٦هـ ، وصدق على الصلح الشيخ عبد الله بن عبد اللطيف آل الشيخ في الحادي عشر من الشهر نفسه .

وللأسف لم تدون قصائد عبد العزيز فضاعت بموت حفاظها ولم أعثر إلا على ثلاث منها فقط : الأولى قالها عندما خرج أصحابه للقنص ولم يخبروه ، فقال هذه القصيدة عاتباً عليهم :

ياللـه برزق سهل لي مطاليبه	مهوب عند العرب يصير له قافي
ياطول ماني على العدلات وأجيبه	وأقضب لهن كل محواز وملقاف
لين أقبل العود كن الشعف يومي به	أنا على جرة المشقاص عراف
ياما التوينا ببو مزروع وشعيبه	والفندة اللي وراه وذيك الأطراف
بأسفل محاجيب كن النجم يدوي به	لين ثار بين الفرايد ملحنا الصافي
بمنهمش نتبع الريّه ونرمي به	لين ثار حسه يجي في الخد زرجاف
وحنا هل الصيد لي زانت مضاريبه	لين التوينا له مع كل حجرافَ
وينشبع الطير ونحني مخاليبه	لين ثار بارودنا في كل مشراف

يـوم الغنيمي وبن عبـدان وصحيبه ما صادوا إلا الوبر مقطوع الأطـراف

ورد عليه ابن عبدان فقال :

أنا نصيد الـوبر والجـل نـحـدي به والعود لين انتزح في روس الأشعاف
بعصملي يعجب الدامي مضاريبه يوم أن فتيلك غـوّر حـوطـهـا طافي
كم ذيـرت بـنـدقي قــفر عوا ذيبـه تسمع لها في خشوم طويق زرجاف
ياعـود شلـناك وادنيا مـواجـيـبـه شلتك لغـار الزحيفه فـوق الاكـتـاف
وحقه من الصيد إلى جاء الليل نسري به يوم أن بعض العرب في مرقده غافي

وفي أحد الأيام هجم جماعة من البدو على إبل أهل المزاحمية وخرج أهل المزاحمية في طلبهم ، وكان من ضمنهم عبد العزيز بن معمر خرج ومعه رمح وكان شجاعاً جريئاً ، فسأل أمير المزاحمية عن بندق ابن معمر فقيل له : إنه رهنها عند فلان في دين عليه ، فأرسل أحد الرجال لإحضارها وعاد ببندقه فاعطاه إياها ، وقال هذه المقطوعة الشعرية :

باللّـه أنا طـالبك نـو سمر نورة يســقي لنا فـنـدة قـفــر جوانبـها
ياما قنصــنا لها والخـد مـاثـورة نبعـد لها الحوم ونطّــرد ربـايبـهـا
أظن يا بندقي مهـيب مشـهـورة ما تكسـر العظم وتمرّق ضـرايبهـا
ستين ليل وهي في الحبس مثبورة ومنـول في قرار الخــدادوج أبـهـا

وفي أحد الأيام شاهد وداعاً بين محبوبين عن بعد ، ومر بالطريق فإذا بالفتاة وعيناها قد احمرت من البكاء ، حيث كانت تلبس برقعاً فقالت له عيوني توجعني ما عندك دوى لها فقال عبد العزيز بيتين هما :

يازيـن ماداويت عـيني فـاداويك يـوم أن عينـي شرهـه في دواهـا
أحذر عشيرك بالمـداواة يـزريـك عين شكـت بالهـوى ذا مـداهـا

عاش عبد العزيز حتى تجاوز الثمانين ، وتوفي في العقد السادس من القرن الثالث عشر وليس له عقب رحمه الله .

٧- عبد العزيز بن ناصر بن معمر : هو عبد العزيز بن ناصــر بن عبد العــزيز ابن ناصر ابن الشيخ حمد بن ناصر ابن الأمير عثمان بن معمر .

ولد عبد العزيز في سدوس عام ١٢٩٦هـ وتوفي والده وهو لم يتجاوز خمس سنوات ، ونشأ في سدوس وقرأ القرآن الكريم ، ولما شب انتقل للكويت إبان وجود الإمام عبد الرحمن الفيصل فيها ، وأقام بها فترة وعمل في التجارة ، ثم انتقل للبحرين فلم تطب له فعاد إلى سدوس عام ١٣١٨هـ وعمل في تجارة الإبل واشتهر في سدوس وفيه قال الشاعر :

يستاهل الهجن أبو ناصر   قطاعه البيد يشربها

شبره طويل ماهوب قاصر   وسيوف الهند يرويها

عين عبد العزيز وكيلاً لأمير بيشة فيما بين عامي ١٣٤٤ و١٣٥٤هـ ، وكان له دور فعال في تجهيز المقاتلين السعوديين أثناء حرب اليمن بالأطعمة والمؤن بمشاركة التاجر سعيد بن كدسة الغامدي .

انتقل عبد العزيز إلى العيينة وسكنها وتوفي فيها رحمه الله في شهر رجب عام ١٣٦٧هـ ، وخلف ابنين هما محمد وعبد الله (*) .

وكان عبد العزيز حاضر الذهن ، ذا نباهة وحسن بديهة ، كريماً كثير الصدقة ، حلو المحادثة ، شاعراً مقلاً ؛ ومن قصائده هذه الأبيات ، قالها عندما اختلف مع شخص :

ياليتكم مثلنا يا طافي النار   عند الحمايل وفي حق الولايه

حنا هل الصدق لا من جن الاشوار   عند المعازيب لاجاها عدايه

مير سقوى الارحت من دار أبي دار   وأخلي الهضب وطويق ورايه(١)

٨- علي بن عبد الرحمن بن معمر (**) : هو علي بن عبد الرحمن بن حسن ابن علي ابن إبراهيم ابن الأمير مشاري بن إبراهيم ابن الأمير عبد الله بن معمر .

ولد في سدوس في عام ١٣٠٤هـ تقريباً ونشأ وتربى فيها ، واستشهد والده عبد الرحمن عام ١٣٢٢هـ في موقعة البكيرية ، شارك علي في عدد من المعارك منها فتح حائل ، السبلة ، الدبدبة ، الرغامة ، فتح جدة . وسافر بصحبة رئيس

(*) لهما رحمهما الله ترجمة في هذا الكتاب ص٤٨٩ ، ٤٩٣ .

(١) عبد العزيز بن ناصر هو جد المؤلف .

(**) ترجمنا لوالده صفحة ٤٥٥ .

الديوان الملكي في ذلك الحين إلى مصر واليمن والهند والكويت ، مرض وتوفي في الرياض عام ١٣٧٨هـ وخلف ولدين هما : عبد الرحمن وعبد الله ، وكان رحمه الله حاضر الذهن جريئاً شجاعاً متكلماً من أبرز أعيان أسرته في زمانه .

٩- مشاري بن محمد بن معمر (*) : هو أبو عبد الله مشاري بن محمد ابن مشاري بن فيصل بن الأمير محمد ابن الأمير مشاري بن إبراهيم ابن الأمير عبد الله بن معمر . كان والده محمد من أعيان أسرة آل معمر ، تزوج الملك عبد العزيز من ابنته سارة بنت محمد ثم تزوجها من بعده فهد بن معمر أمير القصيم . ولد مشاري في سدوس عام ١٣١٥هـ تقريباً ونشأ ، وتعلم فيها وصحب خاله عبد الله بن محمد بن معمر عندما كان أميراً في رنية ثم أصبح أميراً فيها عدة شهور نيابة عن خاله وشارك في موقعة السبلة .

سكن مشاري مدينة الرياض وعمل رئيساً لهيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في حي العجلية بالرياض ، وتوفي رحمه الله بعد معاناة مع المرض عام ١٣٩٨هـ ، وخلف ثلاثة أولاد هم : فيصل توفي عام ١٤٠٧هـ . رحمه الله خلف عددًا من الأولادهم عبد الرحمن توفي رحمه الله عام ١٣٩٨هـ وعبد المحسن وعبد الله وعبد الإله ولمشاري من الأبناء : الشيخ محمد -عضو هيئة التمييز- وعبد العزيز ، وتوفي أثناء حياته ابنه عبد الله رحمه الله الذي خلف ابنين هما : الدكتور/ عبدالرحمن مدير عام الخدمات الصحية بوزارة الداخلية وسعد ، وكان مشاري كريماً تقياً ورعًا .

١٠- مشاري بن عبد الله بن معمر : لا يعرف إلا بمشاري بن سلطان ، وهو مشاري بن عبد الله بن سلطان بن عبد الله بن معمر (**) من سلالة سلطان بن محيسن (عبد المحسن) أمير العيينة عام ١١٧٣هـ .

ولد مشاري في المزاحمية ثم نشأ فيها وتعلم القراءة والكتابة ثم انتقل هو ووالده إلى سدوس واستقر فيها ، وشارك مشاري في مراحل توحيد المملكة ، وأول

(*) ترجمنا لجده صفحة ٤٩٩ .

(**) سلطان بن عبد الله بن معمر هذا شاهدت وثيقة رهن فيها مزرعته المسماة بالمعمرية في المزاحمية للجد عبد العزيز بن ناصر بن الشيخ حمد بن معمر مقابل مائة ريال سلف ، والوثيقة مؤرخة بعام ١٢٩٢هـ ، وهي من ضمن وثائق معالي محافظ الطائف فهد ابن معمر .

مشاركاته في فتح جدة ثم في موقعة السبلة ، وكان شجاعاً متكلماً جريئاً ، قال الشعر واشتهر به في سدوس وما حولها ، ولقد دونت بعض أشعاره والبعض الآخر فقد ، واخترت من قصائده الآتي :

عندما رحل للحج مع قافلة الحج السدوسية بقيادة أمير سدوس عبد الرحمن ابن إبراهيم بن عبد الله بن معمر طلب هو وأقرانه من الأمير أن يتسابقوا على الإبل ولكن الأمير لم يسمح لهم بذلك فقال مشاري :

يامیرنا عقب الهراج لعب السفر مافيه عقوبه
كني ربيط مع الحجاج لعب على الجيش عيوبه
طرب الين النضابي راج واعطيه حقه وماجوبه
لعيون من هو بريمه ساج ريانه العود رعبوبه
ونهيدهامثل حق العاج ومقرص شايل ثوبه

وكان رحمه الله مولعاً بالجمال ومحباً له وله الكثير من القصائد في هذا الغرض منها قوله :

ياغزيل حيل من دونه قرنه على المتن ميال
لو أن هله يبيعونه كان اشتري وأرخص الغال

وقوله :

الزين شفت الزين والزين مكنون والزين مع الشنيفي يوم ربي رمى به
ياليت عنقان المهالي يحصلون والعمر يرجع على أول شبابه
يامل قلب في المزايين مفتون وصغيرات السن هم من عذابه
ياواهني اللي عن الزين يسلون والا فانا قلبي جديد صوابه

وقوله :

يدعي على بطعنه من حديد لاهوب لعان ولا هوب التعاويج
ومترف كنه ظبي الفريد ما طردوه أهل الهوى والتداويج
حب العرب ينقص وحبه يزيد يا والله اللي فلج القلب تفليج

وعندما سافرت زوجته لقضاء فريضة الحج قال :

خلي على الماك اقفو به حجاج يريد بيت اللّه
باللّه أن تعطي العبد مطلوبه تغفر له الذنب والزله
محدن قعد ما قضى نوبه لاكن بعض العرب عله

وقال أيضاً :

ونيت وكل مافي الحوي ون من حر فرقا صاحبي يوم ونيت
ركب ونيت يقطع الخد لادن وارخصت له يومه يبي حجة البيت
مابالمثايل في عشيري يعوضن لاكن أوسع خاطري كل ما شفيت

وعندما عاد من الحجاز قال :

هذا مجزل وخشم طويق لي بان أهلاً بنجد اللي بانت علايمها
واللّه ما يقطع ضما الضامي الاثانيا كما اللولو نظايمها

وقال :

من العام ما شفت يوم سرور ولا تخليني الضيقه
قلبي يفر فرير طيور خطر تصرم معاليقه
يا اللّه ياجابر المكسور ولا تخلي مخاليقه
وبتفرج بركب الكور والدرب نعطي طواريقه
أما رعينا عشب وزهور عشب نقطف زماليقه
والا صبرنا على المقدور والموت يلحق لواحيقه
مالي بخلي ولو مشهور لو كان حط الخنينيقه[1]
وماني على عشقته مصخور يبعده من الحلق تطليقه

وعندما كبر ولامه بعض جلسائه على تعلقه بالغزل قال :

(١) الخنينيقة : قلادة مكونة من ثلاث عقود قريبة من الرقبة لقربها تكاد تخنق لابسها .

الا ياونتي ونـه كبيـر عقب الـسبعين   وعظامه قاضبتها الريح والركبتين محزومـه
والا يا حسرتي من يوم ثقلت مني الرجلين   والا مني قعدت وقمت والى تكلهني القومه
يلومني دب دلباج يقول أنك تحـب الزين   وهـذي دبرة اللّه في والارزاق مقسـومـه
وقال :

اللّـه أكبر وش فـرقي مـن العـام   ويامـا أمكر الـدنيـا وأسرع كـدرها
أخـواني أللـي ثابـتين بالإسـلام   استنقـصوني وأمنـو من خطـرها
ماعاد أشوف اللي على الوجه قدام   ولا أميـز بـدوها مـن حضرهـا

وتوفي رحمه الله عام ١٣٨٣هـ ، في الطائف ودُفن فيه ، وليس له عَقبٌ .

١١- عبد العزيز بن إبراهيم بن معمر : هو عبد العزيز بن إبراهيم بن عبد اللّه ابن إبراهيم ابن الأمير مشاري بن إبراهيم ابن الأمير عبد اللّه بن محمد بن معمر . شقيق أمير سدوس عبد الرحمن بن إبراهيم بن عبد اللّه .

ولد عبد العزيز في سدوس ونشأ فيها وكان وقوراً كريماً حسن السمت والسيرة ، توفي عام ١٣٦٨هـ ، وخلف عدداً من الأبناء هم : عبد اللّه ، وسعد أحد أعيان الأسرة ووجهائها كريماً حسن الأخلاق والمباسطة وعبد الرحمن ومحمد الذي توفي رحمه اللّه عام ١٣٨٥هـ وخلف ولدين هما : عبد العزيز ومحمد ابن محمد .

١٢- حسن بن مشاري بن معمّر : هو حسن بن مشاري بن فيصل ابن الأمير محمد ابن الأمير مشاري بن إبراهيم ابن معمر .

ولد حسن في سدوس ونشأ وتربى فيها تربية دينية وكان من أعيان أسرته في زمانه كريماً ديناً ورعاً تقياً يحبه الكبار والصغار ومحباً لأسرته مسارعاً في أعمال الخير ، وتوفي رحمه اللّه عام ١٣٧٦هـ وخلف ولدين هما : عبد العزيز مات شاباً وعبد الرحمن توفي في جمادى أول عام ١٣٨٥هـ في الرياض رحمه الله وخلف ولدين : هما حسن وعبد العزيز .

١٣- عبد العزيز بن إبراهيم بن مشاري بن معمر (*) : ولد في سدوس

(*) ترجمنا لوالده صفحة ٤٨٥ .

عـام ١٣٢٢هـ ونشأ وتعلم بها ، وعرف بالتقى والاستقامة والورع وحسن الخلق والكرم وكـان من أعيـان أسـرته ووجـهائها . وله عـدد مـن الأولاد الذكـور أكبرهم محمـد ، توفي رحمه اللّه في التاسـع مـن ذي الحجـة عام ١٤١٠هـ ، وإبراهـيم وحمـد وناصـر وفيصـل وحسـن ومشـاري توفى شـاباً رحمـه اللّـه عـام ١٤٠٥هـ وعبـد الرحـمن ، وتوفي عبد العزيز رحمه الله يوم الثلاثاء ٨/ ٣/ ١٤٢٠هـ ، ودفـن في سـدوس .

١٤- عبد العزيز بن محمد بن معمر : هو عبد العزيز بن محمد بن عبدالعزيز ابن ناصـر بن الشـيخ حـمـد بن ناصـر بن الأمـيـر عثـمـان بن معـمـر ويكـنـى بـ «أبـو محـمـد» . ولد عبـد العزيـز في سـدوس عـام ١٣٢٧هـ وتوفي والده عـام ١٣٣٢هـ فنشأ بين أعمامه وأبنائهم وتعلم القراءة والكتابة وختم القرآن الكريم ، وكان معلمه محمد الوايلي رحمه الله ولما شب انتقل للرياض وعمل بها فترة من الزمن ، وعـرضت عليه الإمارة فـرغب عنها ، وتوفي رحـمه اللّه في الطائف في ١٣/ ١٢/ ١٤٠٦هـ ، وخلف عدداً من الأولاد الذكور أكبرهم محمد أحد وجهاء الأسرة وأعيانها ، وحمد وفيصل وخالد وعبد اللّه ، وكان عبد العزيز رحمه اللّه ورعاً حسن الخلق كريماً محباً لأعمال الخير .

١٥- عبـد العـزيز بن مشـاري بن معـمـر : هـو عبـد العـزيـز بن مشـاري ابن عبدالرحمن بن عبد اللّه بن إبراهيم ابن الأمير مشاري بن معمر : ولد في سدوس عام ١٣٣٠هـ ونشأ بها وكان كريماً سخياً حسن السمت والسيرة ، توفي رحمه اللّه فجر الجمعة ٦/ ٧/ ١٤١٢هـ ، ودفن في سدوس وخلف ابناً واحداً هو فهد ؛ ولفهد من الأبناء مشاري وخالد ومحمد .

١٦- فيصل بن عبـد الرحـمـن بن معمـر : هـو فيـصـل بن عبـد الرحمـن ابن عبد العزيز بن ناصر ابن الشيخ حمد بن ناصر ابن الأمير عثمان بن معمر .

ولد في سـدوس عـام ١٣٣٣هـ ، ونشأ وتعلم في حـريملاء القـراءة والكتـابة وحفظ القرآن ، عندما كان والده مسـؤولاً عن قصـر بريدة أثناء إمارة أخيـه فهد ابن عبد العزيز بن معمر فيها ، وكان مقيماً لدى أخواله آل قعيد في حريملاء ، وفي عام ١٣٤٠هـ عاد إلى سدوس بعد أن قدم والده من القصيم ، وبقي في سدوس

مدة من الزمن ثم انتقل للرياض ، وعمل موظفاً حكومياً ، وتوفي في الرياض يوم الخميس الموافق ٢٣/ ١١/ ١٤٠٨هـ ، كان رحمه الله من أبرز وجهاء أسرته واشتهر بالكرم والجود ولين الجانب .

وبعد وفاته رثي بمراثٍ عديدة منها قصيدة عبد الله بن عبد الرحمن بن سعيّد نختار منها هذه الأبيات :

جونا عيال بن مشاري مسيان قالوا توفي الشيخ فيصل ضحى اليوم
قلت آه من حر المصيبة والأحزان كني على وجهي من الروع ملطوم
كل المعمر والجماعة ومن كان يسمع وفاة الشيخ جفنه جفا النوم
فيه الكرم والدين مع بر الاخوان يجود من وجده إذا جاه مظلوم
لعل قبره روض ورد وريحان أنيسه القرآن والحج والصوم

وخلف عدداً من الأولاد الذكور هم : عبد الرحمن -رئيس تحرير جريدة «الجزيرة» السابق- ومشاري -نائب رئيس الغرفة التجارية بالرياض سابقاً- ومحمد وفهد ومساعد وسلطان ونايف وأحمد ، وتوفي في حياته ولداه الشابان عبدالله وعبد العزيز رحمهما الله .

١٧- عبد الرحمن بن سعود بن معمر (*) : هو عبد الرحمن بن سعود بن عبد الرحمن ابن محمد بن عبد الله بن إبراهيم بن الأمير مشاري بن إبراهيم ابن الأمير عبد الله بن معمر .

ولد عبد الرحمن في سدوس عام ١٣٤٤هـ ، وسمي على جده عبد الرحمن أمير تربة ، نشأ عبد الرحمن في سدوس وتعلم فيها ثم انتقل للعيينة وبعدها استقر في الرياض وعمل مع الملك عبد العزيز ثم الملك سعود ، ثم تفرغ لتجارته ، وانتقل للعيينة واتخذها سكناً ، ويعد عبد الرحمن من أعيان الأسرة ووجهائها ، كريماً سخياً شهماً جواداً شجاعاً ذا جدة ومبادرات اجتماعية وأسرية فعالة ، وله عدد من الأبناء هم عبد العزيز ومحمد وفهد ومنصور .

١٨- محمد بن عبد العزيز بن محمد بن عبد العزيز بن ناصر بن الشيخ حمد

(*) ترجمنا لوالده صفحة ٤٨٧ .

ابن ناصر بن الأمير عثمان بن معمر : ولد محمد في سدوس عام ١٣٥٠هـ ، وتعلم في سدوس لدى الشيخ محمد بن محفوظ ثم درس في الرياض في معهد الأنجال ودرس المرحلة المتوسطة في الطائف وفي مكة المكرمة لدى الشيخ الحلواني ، ثم عُيّن في ١/ ٢/ ١٣٧٣هـ في وزارة المواصلات ثم انتقل لأمانة مجلس الوزراء وكان آخر منصب تولاه هو مدير عام المراجعة والتصحيح بالأمانة العامة لمجلس الوزراء ، وأحيل للتقاعد في ١/ ٧/ ١٤١٤هـ وله من الأولاد فهد وعبد الرحمن وعبد الحكيم ومتعب ونايف وبندر ويعتبر محمد من أعيان أسرته ووجهائهم حسن السمت والسيرة طيب المعشر كريم الخلق .

١٩- محمد بن حمد بن معمر : هو محمد بن حمد بن ناصر بن عبد العزيز ابن ناصر بن الشيخ حمد بن ناصر ابن الأمير عثمان بن معمر .

ولد محمد في سدوس عام ١٣٥٠هـ ، وانتقل إلى وادي الدواسر أثناء إمارة والده فيها ، وفي عام ١٣٥٤هـ وبعد وفاة والده انتقل إلى سدوس هو وأخوه عبد العزيز ، ونشأ وتعلم فيها تحت رعاية عمه عبد العزيز ، ثم انتقل للرياض وأكمل تعليمه فيها وعمل موظفاً حكومياً ثم تفرغ لأعماله التجارية ، ويعتبر محمد من الرجال المعدودين في أسرته ، وله منزلته ومكانته الرفيعة عند العامة والخاصة ، ذا نخوة وشهامة حاضر الذهن قوي الحجة كيّساً فَطناً شجاعاً كريماً . وتوفي رحمه الله يوم الثلاثاء ١/ ٦/ ١٤٢٤هـ ودفن في سدوس .

وخلّف عددًا من الأولاد هم فهد وحمد وسعود وتركي وأكبر أبنائه عبد العزيز ، توفي رحمه اللهّ يوم الاثنين ٢٠/ ٧/ ١٤١١هـ وخلّف عبد العزيز ابنين هما محمد وعبد الرحمن .

٢٠- ناصر بن عبد الرحمن بن معمر : هو ناصر بن عبد الرحمن بن ناصر ابن عبد العزيز بن ناصر بن الشيخ حمد بن ناصر بن الأمير عثمان بن معمر . ولد في بيشة عام ١٣٥٤هـ وأخواله آل شكبان وتوفي والده عام ١٣٥٧هـ رحمه اللّه فكفله عمه عبد العزيز بن ناصر فانتقل للعيينة ، وبعد وفاة عمه عام ١٣٦٧هـ كفله ابن عمه محمد بن عبد العزيز وعهد به إلى الشيخ محمد بن إبراهيم فدرس عليه ثلاث سنوات ثم التحق بالدراسة العسكرية وتخرج ضابطاً فعمل في الدولة ثم عمل في الأعمال الخاصة ، وتوفي رحمه اللّه بالظهران يوم

الخميس ٢٩/ ١٠/ ١٤١٥هـ ، خلف ابناً واحداً اسمه خالد ، وكان رحمه الله حسن الخلق طيب المعشر كريماً ورثاه وكيل وزارة الداخلية السابق د . إبراهيم العواجي بقصيده نختار منها :

نبكي المروءات أم نبكيك يا رجلاً له المحبة عنوان وأفعالُ

ذكراك يا ناصر الأخلاق باقية لسوف ينشدها في الدهر أجيالُ[1]

٢١- الدكتور عبد الله بن عبد العزيز بن فهد بن معمر : ولد في مدينة الطائف في ١/ ٨/ ١٣٧٠هـ أثناء إمارة والده فيها ، وتعلم في مدارسها ، ثم ابتعث للولايات المتحدة الأمريكية حيث حصل على الماجستير والدكتوراه في العلوم الاجتماعية من جامعة كاليفورنيا أيرفاين في ١٨/ ٨/ ١٩٨٣م وهو أول شاب من أسرة آل معمر يحصل على شهادة الدكتوراه ، ويعتبر من أعيان الأسرة ووجهائها ، وبعد حصوله على الدكتوراه عاد إلى أرض الوطن ، وعمل في مجلس القوى العاملة ، ثم وكيلاً لوزارة الزراعة والمياه ثم وزيراً لها اعتباراً من عام ١٤١٦هـ وحتى عام ١٤٢٤هـ ثم سفيراً في دولة الإمارات العربية المتحدة .

٢٢- الدكتور محمد بن عبد العزيز بن معمر : ولد محمد في الطائف في شهر ربيع أول عام ١٣٧٥هـ ونشأ وتعلم فيها ، ثم ابتعث للولايات المتحدة الأمريكية وحصل على الماجستير من جامعة كاليفورنيا أرفاين ثم أكمل دراسته في المملكة المتحدة وحصل على الدكتوراه من جامعة أكسفورد ولما عاد لأرض الوطن عمل في سابك ثم أستاذاً في جامعة الملك فهد للبترول ، ثم اختير عضواً في مجلس الشورى ثم وكيلاً مساعداً لوزارة المواصلات لشؤون النقل .

---

(١) جريدة الرياض ، العدد ٩٧٧٧ ، في ١/ ١١/ ١٤١٥هـ ، ص ١٣ .

خاتمـة

﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ ﴾ ... وبعد :

فهذه دراسة عن أسرة آل معمر وقلعة من قلاع بلادنا المترامية الأطراف ، إنها مدينة العيينة التي هي بحاجة - شأنها شأن كثير من مدننا - إلى تناول جوانب من تاريخها قديماً وحديثاً ودراسة ما يتصل بحياة سكانها أو بأي جانب من الجوانب الحيوية ثقافية أو اجتماعية أو صحية .

اعتمدت في هذه الدراسة على منهج علمي تحكمه الموضوعية المتجردة . والذي يساعد - إلى حد ما - على التتبع الدقيق لكل ما يتعلق بتاريخ بلادنا سواء أكان ذلك باستقراء أمهات المصادر أو المراجع أو بالمقابلات الشخصية أو الزيارات الميدانية لحوض العيينة وتسجيل الملاحظات الميدانية .

ولأهمية بلد العيينة والدور الذي قامت به أسرة آل معمر ، ورغبة في سد النقص الحاصل في التأليف الذي يثري المكتبة العربية عامة والسعودية خاصة بمعلومات عن تلك المدينة والأسر التي سكنتها اقتضت طبيعة الدراسة أن تكون في اثني عشر فصلاً مسبوقة بإهداء وشكر وتقدير ومقدمة ثم محتويات الكتاب يعقبها خاتمة - هي موضوع الحديث - ثم ثبت للمصادر والمراجع ، فملحق للصور والخرائط .

وانتهت الدراسة إلى عدد من النتائج تعرَّفها القارئ الكريم أثناء قراءته لهذه الدراسة .

ولا شك أن عملاً - كهذا - قد لاقى من الصعوبات كثيراً ، لكن توفيق الله جل جلاله ومنته كان فوق كل صعوبة ، فلقد يسر الله لنا من اطلع على مسودة الكتاب وأخص بشكري وتقديري علّامة الجزيرة الشيخ حمد الجاسر - رحمه الله - الذي قام بتذليل صعوبات وعقبات من خلال إبداء ملاحظاته وتعليقاته القيمة وكتابته لمقدمة هذا الكتاب .

والشكر موصول لكل من قدم لي يد العون وأسهم في إمدادي بمعلومات كانت ذا قيمة لإنجاز هذا المؤلف .

ولا شك أن الإنسان يخطئ ويصيب ومن ثم يأتي تدارك ما فات وتصويب أي خطأ ، وأملي في كلّ من وجد شيئاً من ذلك أن يكتب إليّ بكل ما يراه من تصحيح وتصويب موثق على العنوان التالي :

الرياض : ١١٥٣٣ ص .ب : ٥٠٨٠٤

البريد الالكتروني : ebinmuammar @ hotmail.com

راجياً أن يكون هذا العمل من العلم الذي ينتفع به ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

المؤلف

المصادر والمراجع

أولاً - الوثائق

- بعض وثائق أسرة آل معمر .
- وثائق عثمانية .
- دار الوثائق القومية بالقاهرة ،محفظة (١٦) ،بحر بر ،وثيقة رقم ٥٧ ،بدون تاريخ .
- دار الوثائق القومية بالقاهرة ، محفظة (١٦) ، بحر بر ، وثيقة رقم ١١٧ ، بدون تاريخ .
- رسالة مرسلة من والي مصر محمد علي باشا إلى السلطان العثماني ، مؤرخة في ١٤ صفر عام ١٢٣٦هـ ، انظر تاريخ البلاد العربية السعودية ، عهد عبد الله ابن سعود ، ص ٢٢٧ وما بعدها .

ثانياً - المخطوطات

- البسام ، عبد الله بن محمد : تحفة المشتاق من أخبار نجد والحجاز والعراق ، مصور من مخطوط بخط نور الدين شريبه ، ١٣٧٥هـ .
- البسام ، عبد الله بن محمد : صورة من مفكرة عبد الله البسام ، مخطوط .
- ابن بشر ، عثمان بن عبد الله : عنوان المجد في تاريخ نجد ، صورة عن مخطوط موجود في المتحف البريطاني بلندن ، تحت رقم OR-7718 .
- الذكير ، مقبل : مطالع السعود في تاريخ نجد وآل سعود ، صورة مخطوطة نسخة المؤلف .
- ابن سيار ، جبر بن جبر : نبذة في أنساب بعض الأسر ، صورة من مخطوط لدى الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن البسام رحمه الله .
- ابن صالح ، مطلق : شذا الند في تاريخ نجد ، صورة مخطوطة بخط أحمد علي عام ١٣٦١هـ .
- ابن عباد ، محمد : تاريخ ابن عباد ، مصور من مخطوط نسخة المؤلف .
- عفالق ، عبد الرحمن : رسالتين من الشيخ ابن عفالق رداً على رسائل من الأمير عثمان بن معمر ، المكتبة الحكومية ببرلين ، دائرة الحضارة البروسكية ، القسم الشرقي ، رقم المخطوطة ٢٢٥ .

- ابن خميس، إبراهيم: أسود آل سعود، دار النجاح، بيروت، ١٩٧٢م.
- ابن خميس، عبد الله بن محمد: معجم اليمامة، جزاءن، الطبعة الثانية، مطابع الفرزدق التجارية، الرياض، ١٤٠٠هـ.
- الريحاني، أمين: تاريخ نجد الحديث، الطبعة السادسة، دار الجيل الحديث، بيروت، ١٩٨٨م.
- الريكي، حسن: لمع الشهاب في سيرة محمد بن عبد الوهاب، تحقيق: عبد الرحمن آل الشيخ، مطبوعات دارة الملك عبد العزيز، المطابع الأهلية للأوفست، الرياض.
- الزامل، عبد الله: أصدق البنود في تاريخ عبد العزيز آل سعود، المؤسسة التجارية للطباعة والنشر، بيروت، دون ذكر سنة الطباعة.
- سادلير، جورج فوستر: مذكرات عن رحلة عبر الجزيرة العربية من القطيف إلى ينبع خلال عام ١٨١٩م، ترجمة أنس الرفاعي، تحقيق ونشر سعود العجمي، مطابع دار الفكر، دمشق، ١٤٠٣هـ.
- سعدون، محمد بن خالد والفراج، سعود عبد العزيز: الثعابين السامة في المملكة أنواعها أماكن وجودها، الطبعة الثانية، الرياض، ١٤١٣هـ.
- السيد علي، عصام ضياء الدين: يوميات هملتون عن رحلته إلى نجد عام ١٣٣٥هـ/ ١٩١٧م، الكتاب السنوي الأول، دارة الملك عبد العزيز، الرياض، ١٤٠١هـ.
- الشيباني، علي بن محمد (ابن الأثير): الكامل في التاريخ، دار صادر، بيروت، ١٣٩٩هـ.
- آل الشيخ، عبد الرحمن بن عبد اللطيف: مشاهير علماء نجد وغيرهم، دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، الرياض، ١٣٩٢هـ.
- الأصفهاني، الحسن بن عبد الله: بلاد العرب، تحقيق: حمد الجاسر وصالح العلي، منشورات دار اليمامة للبحث، دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، الرياض، ١٣٨٨هـ.
- ابن صقيه، عبد الله بن علي: ديوان التميمي، الطبعة الثالثة، مطابع الفرزدق، الرياض، ١٤٠٩هـ.

- الطبري ، محمد بن جرير : تاريخ الأمم والملوك ، دار القلم ، بيروت .
- العثيمين ، عبد الله صالح : تاريخ المملكة العربية السعودية ، ١٤٠٤هـ .
- العثيمين ، عبد الله صالح : بحوث وتعليقات في تاريخ المملكة العربية السعودية ، مطابع دار الهلال ، الرياض ، ١٤٠٤هـ.
- العثيمين ، عبد الله صالح : الشيخ محمد بن عبد الوهاب حياته وفكره ، دار العلوم ، الرياض ، ١٩٧٩م .
- العجلاني ، منير : تاريخ البلاد العربية السعودية ، الدولة السعودية الأولى ، دار الكتاب ، بيروت ، دون ذكر سنة الطبع .
- العجلاني ، منير : الإمام تركي بن عبد الله ، منشورات دار الشبل للنشر والطباعة والنشر ، الرياض ، ١٤١٠هـ .
- العجلاني ، منير : تاريخ البلاد العربية السعودية ، عهد عبد العزيز بن محمد ، دون ذكر مكان الطباعة وتاريخها .
- العسكر ، عبد الله بن علي : تنوير المسير عن تاريخ الظفير ، دار الخيال ، بيروت ، ١٤١٤هـ .
- أبو العلاء ، محمود طه : جغرافية شبه جزيرة العرب ، الطبعة الثالثة ، مؤسسة سجل العرب ، القاهرة ، ١٩٧٥م .
- آل عبد المحسن ، إبراهيم بن عبيد : تذكرة أولي النهى والعرفان بأيام الله الواحد الديان ، خمسة أجزاء ، الرياض .
- العوسجي ، محمد بن ربيعه : تاريخ ابن ربيعه ، تحقيق د. عبد الله يوسف الشبل ، إصدارات النادي الأدبي بالرياض ، الرياض ، ١٤٠٦هـ .
- عيسى ، إبراهيم بن صالح : تاريخ بعض الحوادث الواقعة في نجد ووفيات بعض الأعيان وأنسابهم وبناء بعض البلدان ، منشورات دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر ، الرياض ، ١٣٨٦هـ .
- عيسى ، إبراهيم بن صالح : عقد الدرر فيما وقع في نجد من الحوادث ، مكتبة نهضة الرياض ، دمشق ، ١٣٧٢هـ .
- غنام ، حسين : تاريخ نجد المسمى روضة الأفكار والأفهام لمرتاد حال الإمام وتعدد غزوات ذوي الإسلام ، (نسخة أبابطين) ، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى الحلبي وأولاده بمصر ، ١٣٦٨هـ .

- ابن غنام ، حسين : تاريخ نجد المسمى روضة الأفكار والأفهام لمرتاد حال الإمام وتعدد غزوات ذوي الإسلام ، الطبعة الثالثة ، تحقيق ناصر الدين الأسد ، الرياض ، ١٤٠٣هـ .
- الفاخري ، محمد بن عمر : الأخبار النجدية ، تحقيق د٠ عبد الله يوسف الشبل ، مطابع جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، دون ذكر سنة الطبع .
- الفرج ، خالد بن محمد : ديوان النبط ، مجموعة من الشعر العامي في نجد ، مطبعة الترقي ، دمشق ، ١٣٧١هـ .
- فلبي ، سنت جون : تاريخ نجد ودعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب السلفية ، تعريب عمر الديراوي ، منشورات المكتبة الأهلية ببيروت .
- الفيروز آبادي ، محمد بن يعقوب ، القاموس المحيط ، بيروت ، مؤسسة الرسالة ، ط٦ ، ١٤١٩هـ .
- القاضي ، محمد بن عثمان : روضة الناظرين عن مآثر علماء نجد وحوادث السنين ، القاهرة ، ١٤٠٠هـ .
- لوريمر ، ج . ج : دليل الخليج ، القسم الجغرافي ، ترجمة المكتب الثقافي لحاكم قطر ، دار العربية للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، ١٩٨٩م .
- ابن لعبون ، حمد بن محمد : تاريخ ابن لعبون ، الطبعة الثانية ، مكتبة المعارف ، مطبعة المدني ، القاهرة ، ١٤٠٨هـ .
- المغيري ، عبد الرحمن : المنتخب في ذكر أنساب قبائل العرب ، تحقيق د٠ إبراهيم محمد الزيد ، الطائف ، ١٤٠٤هـ .
- ابن معمر ، حمد بن ناصر : الفواكة العذاب في الرد على من لم يحكم السنة والكتاب ، الطبعة الثانية ، الرياض ، ١٤٠٨هـ .
- ابن معمر ، عبد العزيز بن حمد : منحة القريب المجيب في الرد على عباد الصليب ، الطبعة الثانية ، دار ثقيف للنشر والتأليف ، الطائف ، ١٣٩٨هـ .
- المنقور ، أحمد بن محمد : تاريخ ابن منقور ، تحقيق : د٠ عبد العزيز الخويطر ، الرياض ، ١٣٩٠هـ .
- المعيني ، عبد الحميد : التميميون أخبارهم وأشعارهم في العصر الجاهلي ، الأردن ، عمان ، ١٤٠٥هـ .

- مؤلف غير معروف الاسم : كيف كان ظهور شيخ الإسلام محمد ابن عبد الوهاب ، تحقيق د . عبد الله العثيمين ، مطبوعات دارة الملك عبد العزيز ، ١٤٠٣هـ .
- المانع ، محمد : توحيد المملكة العربية السعودية ، ترجمة وتحقيق د . عبد الله العثيمين ، الدمام ١٤٠٢هـ .
- النيسابوري ، مسلم بن الحجاج : صحيح الإمام مسلم ، المجلد الرابع ، الطبعة الثانية ، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ، دار الفكر ، بيروت ، ١٣٩٨هـ .
- الوهبي ، عبد الكريم بن عبد الله : بنو خالد وعلاقتهم بنجد ، دار ثقيف للنشر والتأليف ، الرياض ، ١٤١٠هـ .
- ابن هذلول ، سعود : تاريخ ملوك آل سعود ، الطبعة الثانية ، الرياض ، ١٤٠٢هـ .
- الهويمل ، حسن : بريدة حاضرة القصيم ، جامعة الملك سعود ، الرياض ١٤٠٢هـ .
- الهمداني ، الحسن بن أحمد : صفة جزيزة العرب ، تحقيق محمد بن علي الأكوع ، دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر ، مصر ١٣٩٧هـ .
- يس ، يوسف : الرحلة الملكية عام ١٣٤٣هـ ، جامعة الإمام محمد بن سعود ، الرياض ، ١٤٠٤هـ .
- إمارة حريملاء ، دراسة جغرافية ميدانية ، قسمان ، إعداد قسم الجغرافيا بكلية العلوم الاجتماعية ، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، الرياض ، ١٤٠٦هـ .
- معلومات -وصور- عن الكلية الملك عبد العزيز الحربية ، قسم العلاقات العامة ، كلية الملك عبد العزيز الحربية ، ١٤١٣هـ .
- وزارة الشئون البلدية والقروية ، وكالة الوزارة لتخطيط المدن ، تقرير نطاق النمو العمراني لمدينة العيينة والجبيلة ، ١٤٠٨هـ .
- وزارة الزراعة والمياه ، إدارة تنمية موارد المياه ، قسم الهيدولوجيا ، ١٩٨٧م .
- وزارة المالية والاقتصاد الوطني ، إحصاء التعداد السكاني عام ١٣٩٤هـ .
- منشورات -وصور- من مدينة الملك عبد العزيز للعلوم والتقنية .
- رئاسة تعليم البنات ، إدارة تعليم الرياض ، البطاقة الإحصائية ، ١٤١٣هـ .
- دليل المواقع الجغرافية بالمملكة العربية السعودية ، الجمعية الجغرافية السعودية ، الرياض ، ١٤١٩هـ .

- جريدة الجزيرة ، العدد ٧٧٥٠ ، بتاريخ ٤/ ٧/ ١٤١٤هـ .
- جريدة الرياض ، العدد ٩٤٣٦ ، بتاريخ ١٤/ ١١/ ١٤١٤هـ .
- جريدة الرياض ، العدد ٩٢٢٥ ، بتاريخ ١٠/ ٤/ ١٤١٤هـ .
- جريدة الرياض ، العدد ٩٢٩١ ، بتاريخ ٩/ ١١/ ١٤١٨هـ ، ص٦ .
- جريدة الرياض ، العدد ١٠٨٥٦ ، بتاريخ ١٧/ ١١/ ١٤١٨هـ ، ص٣٧ .
- جريد الرياض ، العدد ١١١٨٥ الأحد ٢١ شوال ١٤١٩هـ ، ط١ ، ص٣٤ .
- جريدة الرياض ، العدد ١١٣٤٥ بتاريخ ٤/ ٤/ ١٤٢٠هـ ، ص١٢ .
- جريدة الرياض ، العدد ١٠٩١٠ بتاريخ ١٢/ ١/ ١٤١٩هـ ، ص٥ .
- جريدة عكاظ ، العدد ٨٢٦٢ ، بتاريخ ١٤/ ٧/ ١٤٠٩هـ .

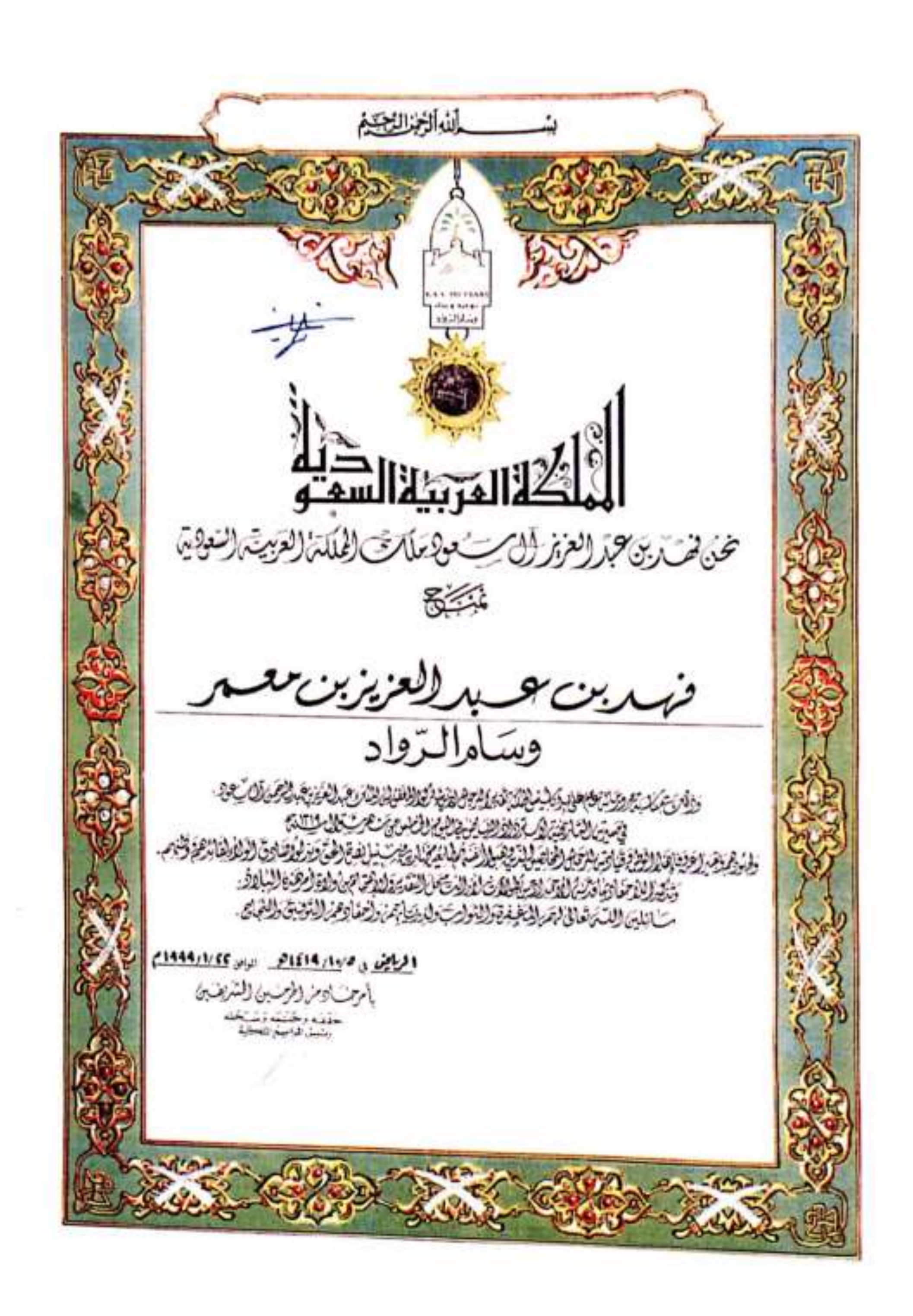
سادساً - الخرائط والأطالس

- خريطة جيولوجية ، للوحة طويق الشمالي ، خريطة رقم ٢٠٧-A1 .
- جمعه إبراهيم ، الأطلس التاريخي للدولة السعودية الأولى ، مطبوعات دارة الملك عبد العزيز ، ١٣٩٨هـ .
- وزارة الزراعة والمياه ، أطلس المياه ، ١٤٠٥هـ .
- وزارة الزراعة والمياه ، أطلس المناخ ، ١٤٠٩هـ .
- خريطة نجد ١ ، وزارة البترول والثروة المعدنية ، إدارة المساحة الجوية ، ١٩٦٧م .
- F.A.O. Range Site Unit Map of Saudi Arabia , Rome, 1972.

الملاحق



اولاً : صور لبعض أعيان أسرة آل مُعَمَّرْ



بسم الله الرحمن الرحيم

المملكة العربية السعودية

نحن فهد بن عبد العزيز آل سعود ملك المملكة العربية السعودية

نمنح

فهد بن عبد العزيز بن معمر

وسام الرواد

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

الرياض في ٥/١٠/١٤١٩هـ الموافق ٢٢/١/١٩٩٩م

بأمر خادم الحرمين الشريفين

[illegible]



الشيخ عبد العزيز بن فهد بن مُعَمَّر
أمير الطائف السابق - رحمه الله



الشيخ سعود بن عبدالرحمن بن مُعَمَّر
أمير قضاء محايل عسير السابق
رحمه الله



الشيخ سعد بن عبدالرحمن بن مُعَمَّر
أمير الخاصرة السابق
رحمه الله



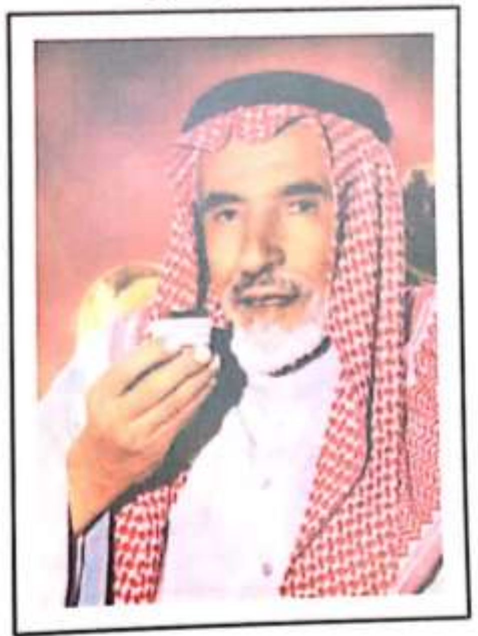
الشيخ إبراهيم بن محمد بن مُعَمَّر
رئيس الديوان الملكي السابق
رحمه الله



الشيخ محمد بن عبدالعزيز بن فيصل
ابن مُعَمَّرٌ
أمير حزوى السابق - رحمه الله



الشيخ فيصل بن عبدالرحمن بن مُعَمَّرٌ
أحد أعيان ووجهاء الأسرة - رحمه الله



الشيخ محمد بن عبدالعزيز بن ناصر
بن مُعَمَّرٌ
أميرحوطة بني تميم السابق - رحمه الله



الشيخ محمد بن حمد بن مُعَمَّرٌ
أحد أعيان ووجهاء الأسرة



الشيخ عبدالرحمن بن سعد بن مُعَمَّرٌ
أمير سدوس - السابق - رحمه الله



الشيخ عبدالعزيز بن إبراهيم بن مشاري بن مُعَمَّرٌ
أحد وجهاء وأعيان الأسرة - رحمه الله



الشيخ عبدالعزيز بن محمد بن عبدالعزيز
ابن مُعَمَّرٌ
أحد وجهاء وأعيان الأسرة - رحمه الله



الشيخ عبدالرحمن بن سعود بن عبدالرحمن
ابن مُعَمَّرٌ
أحد وجهاء وأعيان الأسرة



الشيخ عبدالله بن عبدالعزيز بن ناصر
ابن مُعَمَّر
أميرثادق السابق رحمه الله



معالي الأستاذ فهد بن عبدالعزيز
ابن مُعَمَّر
محافظ الطائف



معالي الدكتور عبدالله بن عبدالعزيز
ابن مُعَمَّر
وزير الزراعة و المياه السابق



الدكتور محمد بن عبدالعزيز بن فهد بن مُعَمَّر
وكيل وزارة المواصلات
لشئون النقل المساعد



ثانيا: مجموعة صور
توضح ما سبق الإشارة إليه
من آثار و جبال ووديان وسهول
لمنطقة العيينة



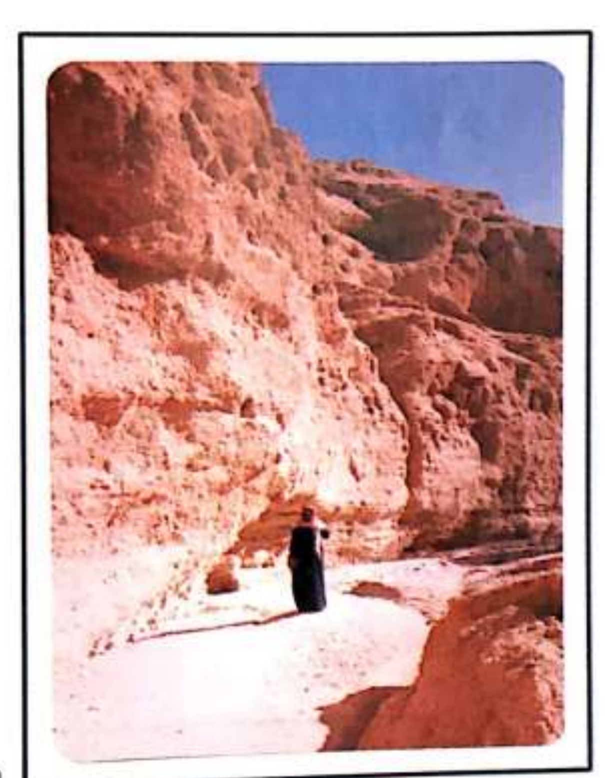
ثنية فهرين – أقصي نقطة في وادي حنيفة



ثنية غرور - ويلاحظ مرور خط أنابيب الزيت عبرها



قلات الدفاين ، أعلى وادي بوضة – نحت مائي –



الدافين – تأثير النحت المائي
وتظهر جروف عالية من البطحاء



نحت سَيلي – شعيب الرخيمة السفلي



نحت سَيلي – وادي الخمرة



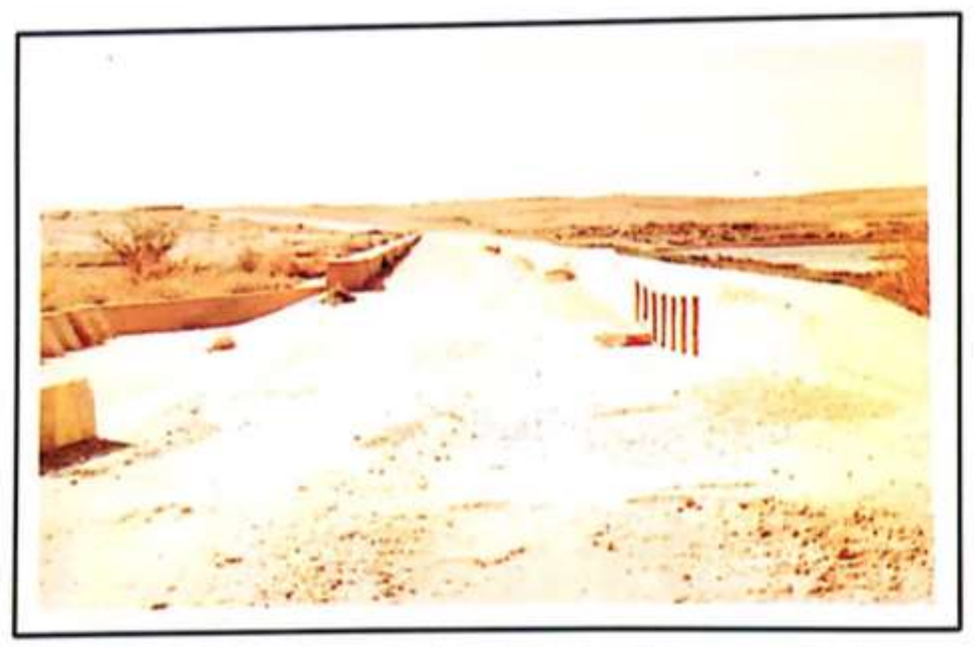
مصب أبا الغطبان ، على شكل حدوة الحصان



العلامة - بناء إرشادي - الحيسية -



قبور قديمة شرق الجبيلة ازيلت عام ١٤١٣هـ بفعل التوسع الزراعي



حكر ابن معمر (السد) ويظهر مكان تصريف المياة الزائدة



حكر ابن معمر من الداخل عام ١٤١١هـ



خزان العين ممتلئ بالمياه



خزان العين جافا



خرز عين مصيقرة ، و يظهر جبل مصيقرة في اقصى الصورة



قلات النظيمات وادي بوضة -
نحت مائي في الصخر -



السيول في الحيسية عام ١٤١٠هـ



شعيب الوصيل (الخر) السيول تجرف التهور



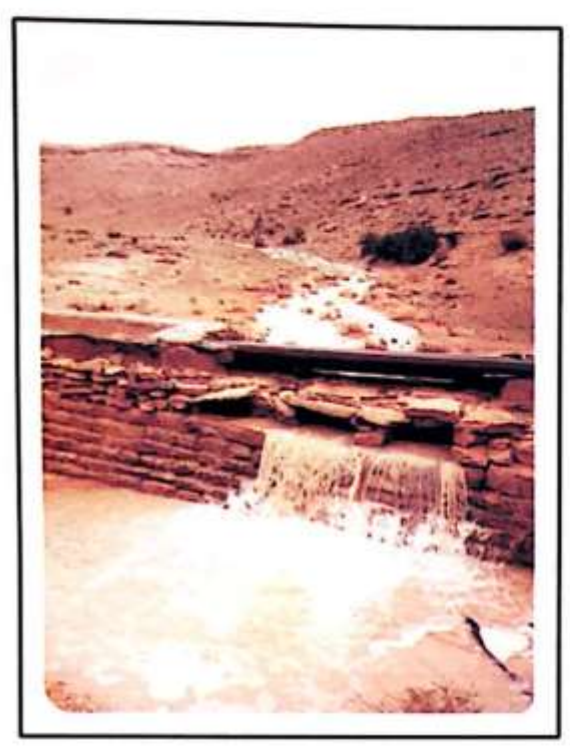
شعيب الوصيل (الخر) وأحد الروافد القادمة من الروضة



شعيب غالة – يقع في أعلاه حكر ابن معمر



أحد شلالات الطرف الموسمية
فى العيينة



عرصة العين وقت السيول ؛
ويلاحظ مجرى العين فوقها



عرصات العين في وادي المجينينة



سد مزرعة سعد بن عبدالرحمن بن معمر في العيينة



مسقاة (بئر صغيرة) في العيينة ، القطر ٨٠ سم



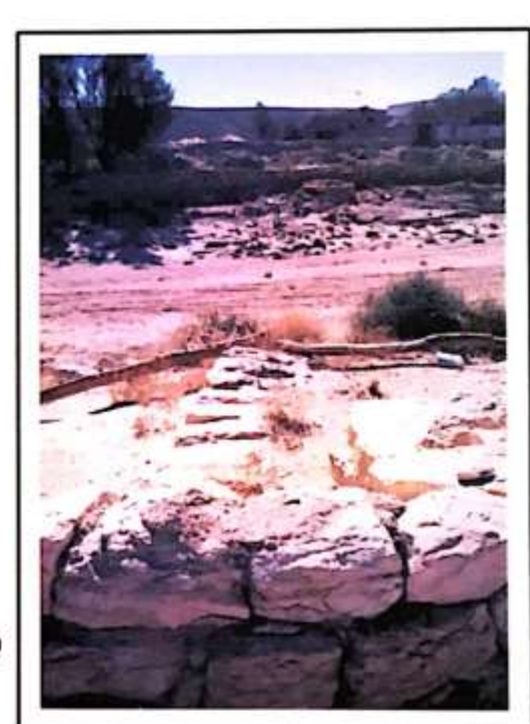
احد آبار مريطل القديمة



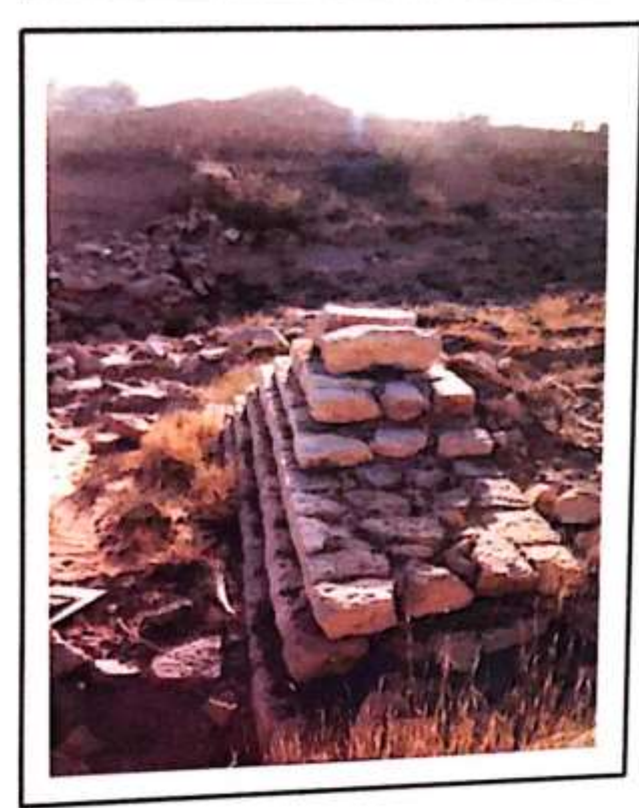
السيول في الخمرة عام ١٤١٣هـ



السيول في الحيسية



بقايا المدرج - السد - الأول
في العيينة حي الطرف



بقايا المدرج الثاني ،
الطرف – العيينة



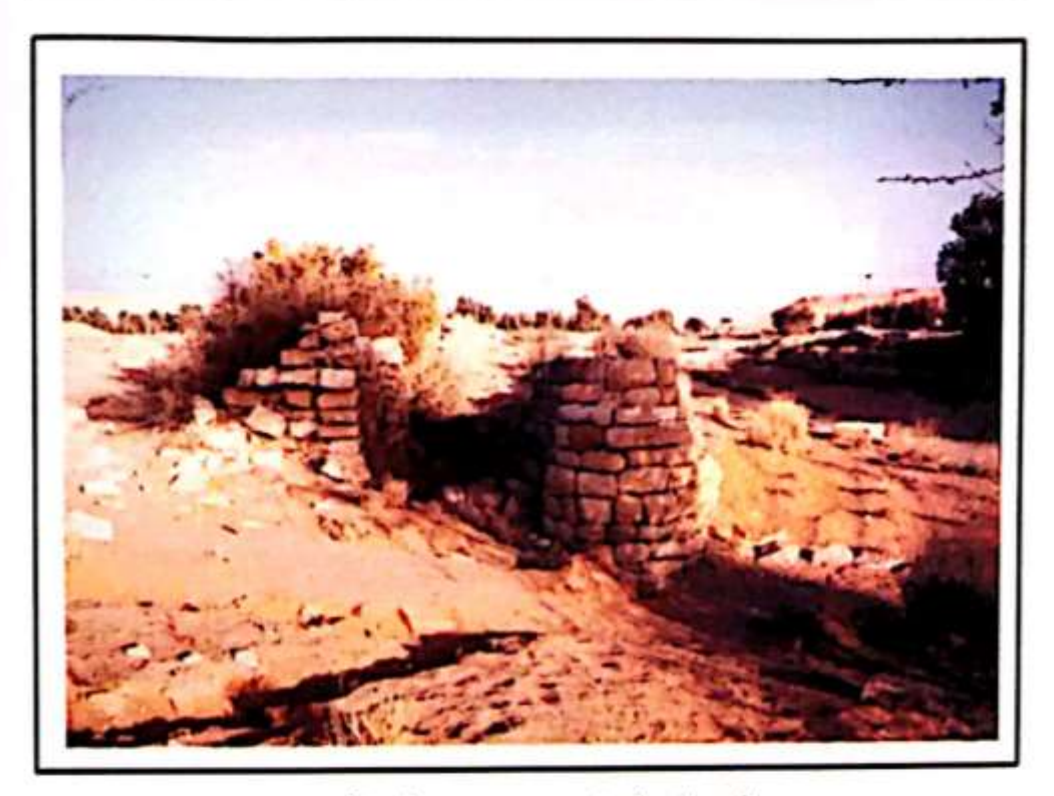
بقايا المدرج الثالث ، حي مريطل – العيينة



لقطة أخري للمدرج الثالث



بقايا المدرج الرابع ، طمرت أكثر أجزائة تحت تربة الوادي



المسيل السادس ، وضيمة الطرف



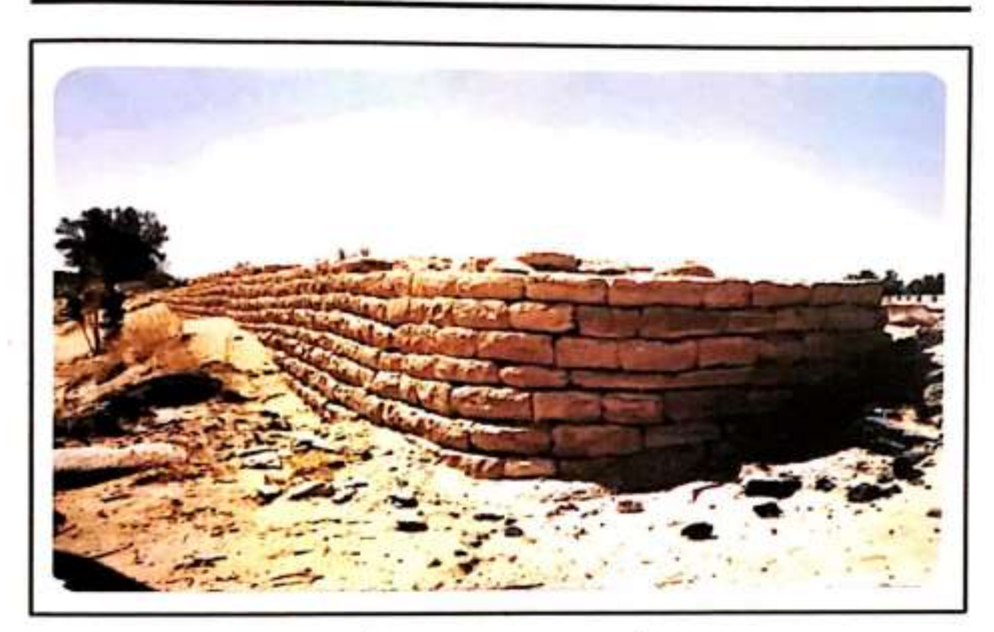
صنع من الخرسانة المسلحة بالعيينة



صنع من االحجارة بالجبيلة



كبشة في مطوي الطرف



مطوي جنوب غرب القارة



مطوي وبه الدرج . أثر قديم في حي الطرف



مطوي بمزارع حي برقة جنوب العيينة



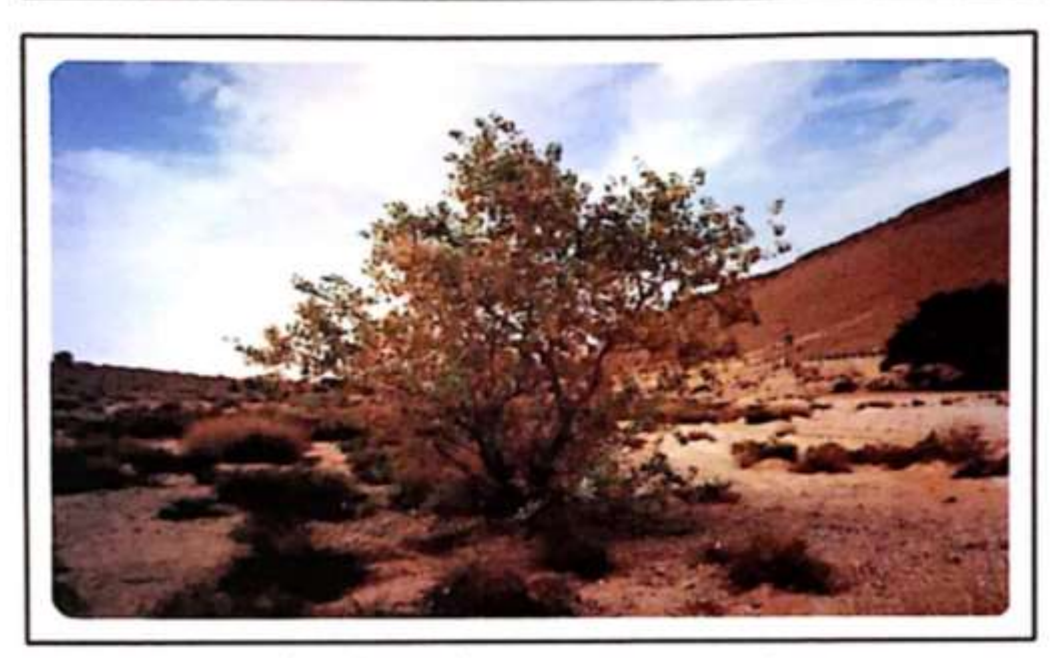
مطوى في حي الطرف ١٤١٦هـ



شجرة المعامرة في وادي الخمرة أكبر طلوح وادي حنيفة



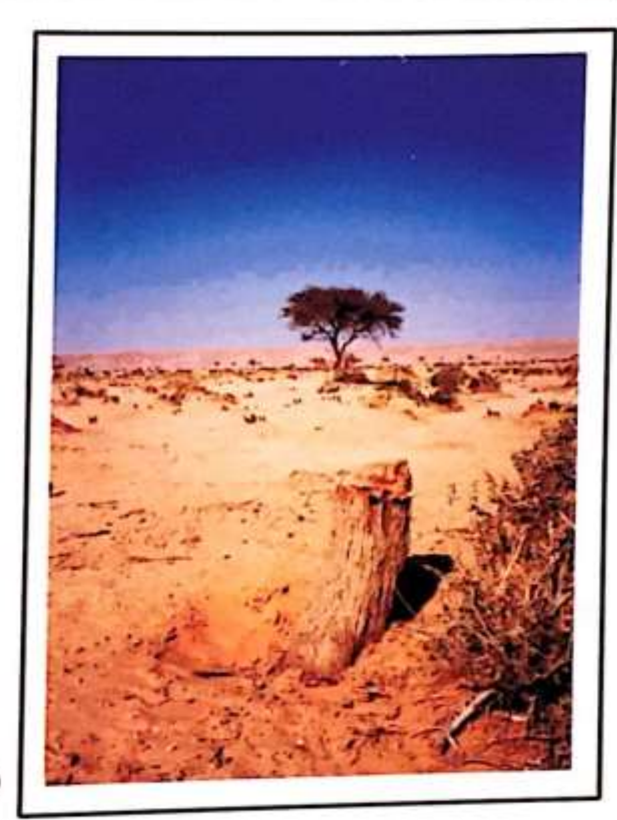
شجرة أثاب وادي بوضة



شجرة غاف ــ بين ملهم و القرينة



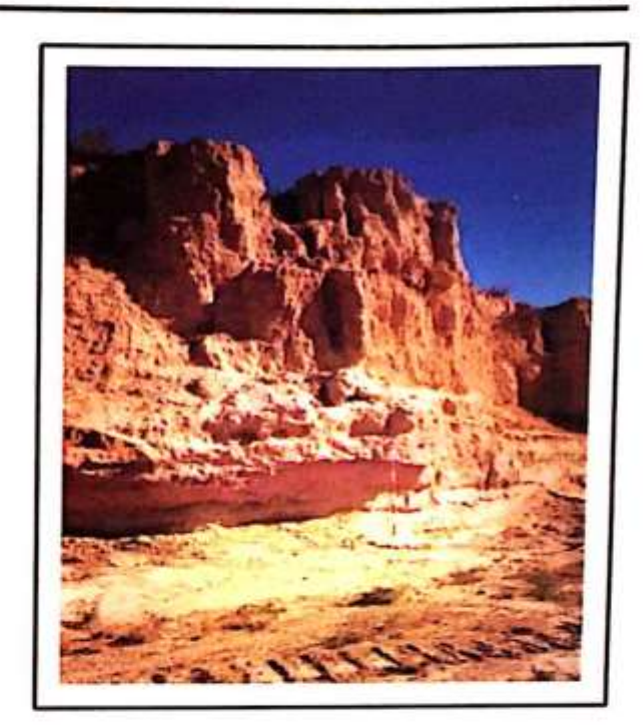
أحد عوامل الفناء الطبيعي – جرف سيلي – الحيسية



تدمير بشري لأشجار الحيسية



الهيش – النخل البري – وادي المعيقل



مقطع لتربة الجبيلة -
جرف الطويلعة



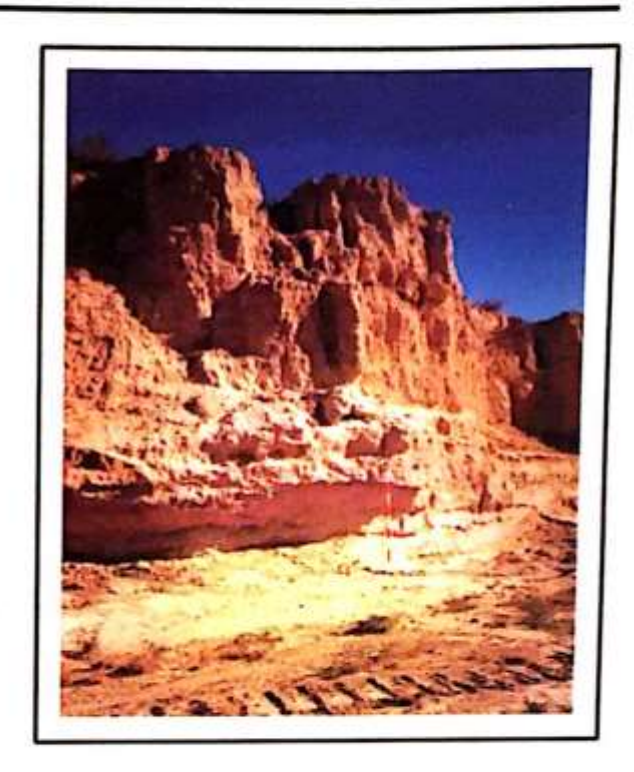
بقايا قصر عثمان ابن معمر عام ١٣٩٦هـ



مشروع إعادة تشجير الحيسية



لقطة أخرى لمشروع تشجير الحيسية



مقطع لتربة الجبيلة -
جرف الطويلعة



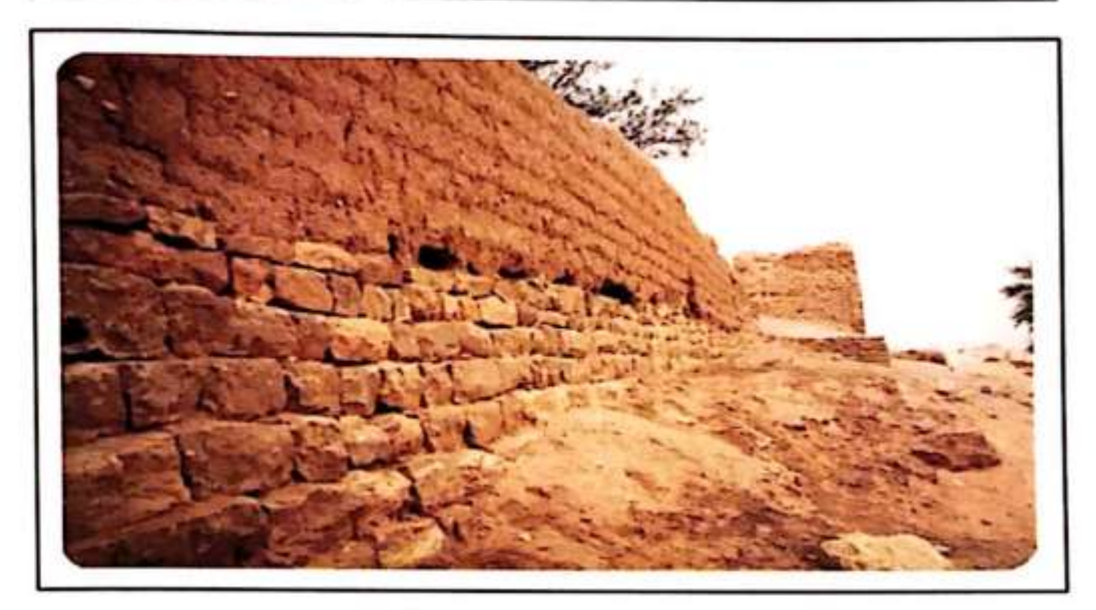
بقايا قصر عثمان ابن معمر عام ١٣٩٦هـ



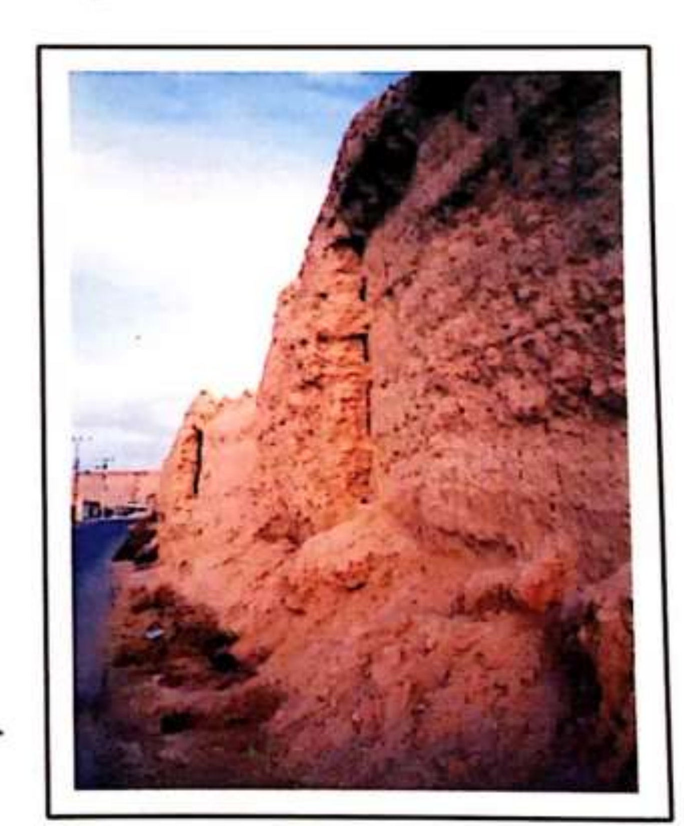
السيول في روضة عقرباء عام ١٤١٦هـ



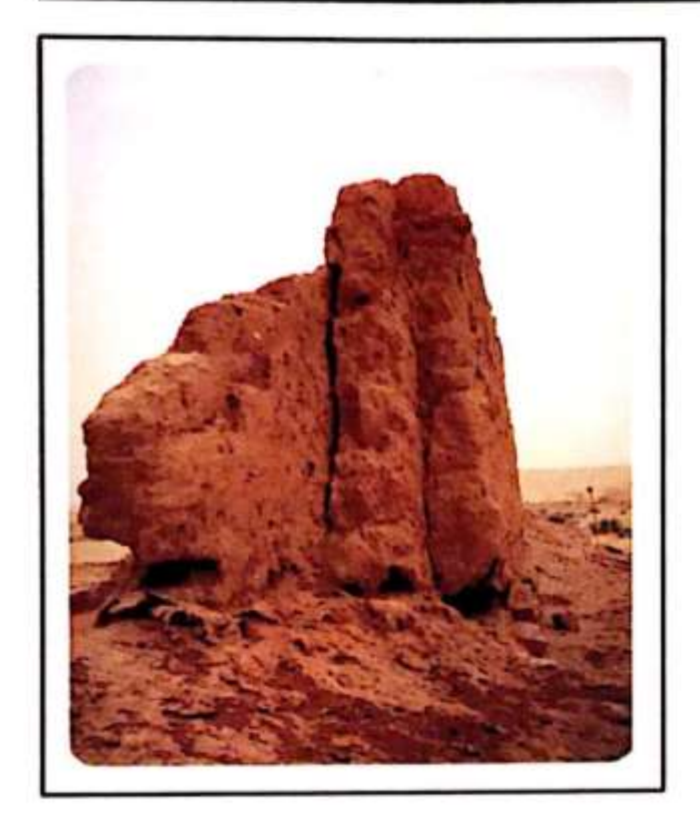
جزء من حامي معمر بن حمد -أزيل عام١٤١٤هـ



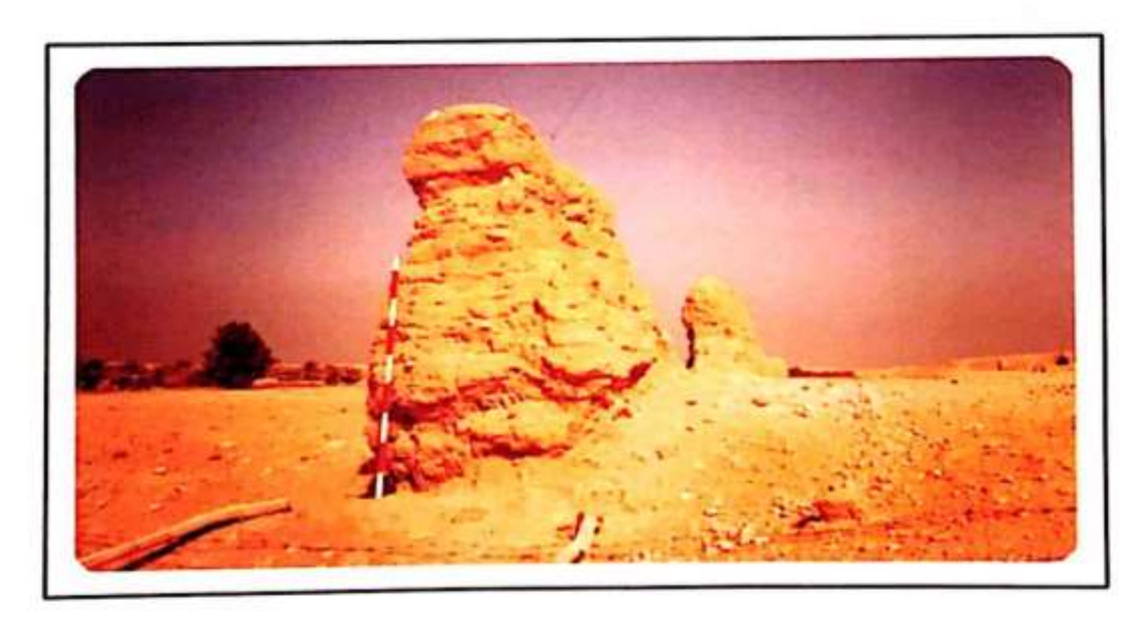
جزء من حامي مريطل



حامي حمد بن معمر
مزرعة الحديثية



جزء من حامي عبدالله بن معمر
شمال العيينة
و يلاحظ الجدران الثلاثة



بقايا حامي برقة و الطرف الجنوبي



حامي حمد بن معمر فوق القارة



حامي الجبيلة جنوب وادي حنيفة



حامي الجبيلة من الشرق



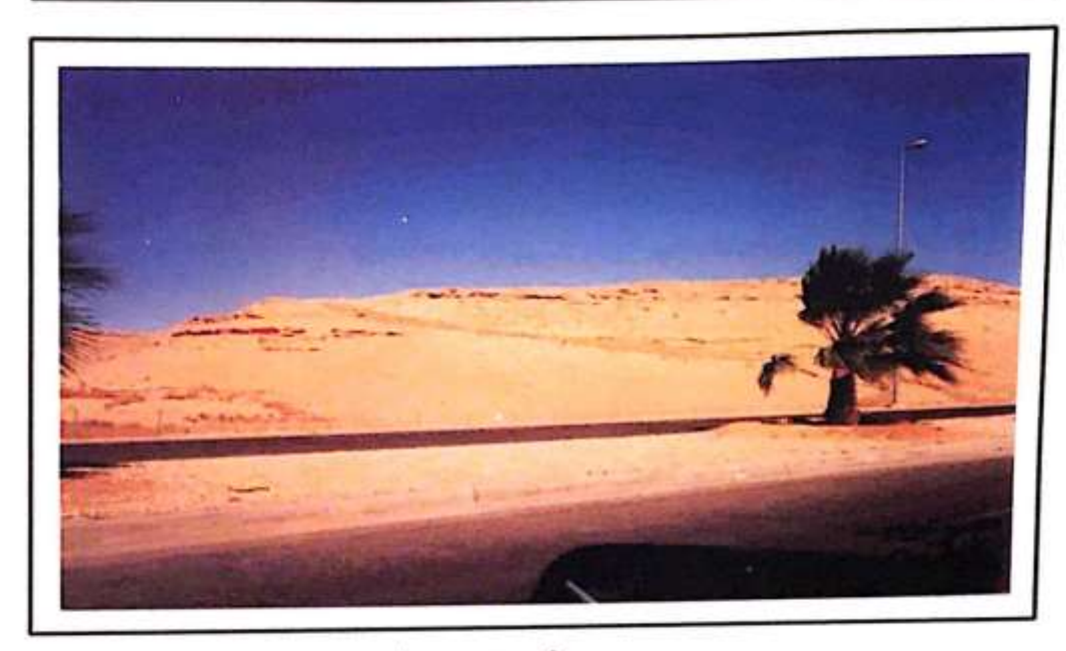
بقايا قصر عثمان بن معمر عام ١٣٩٩هـ



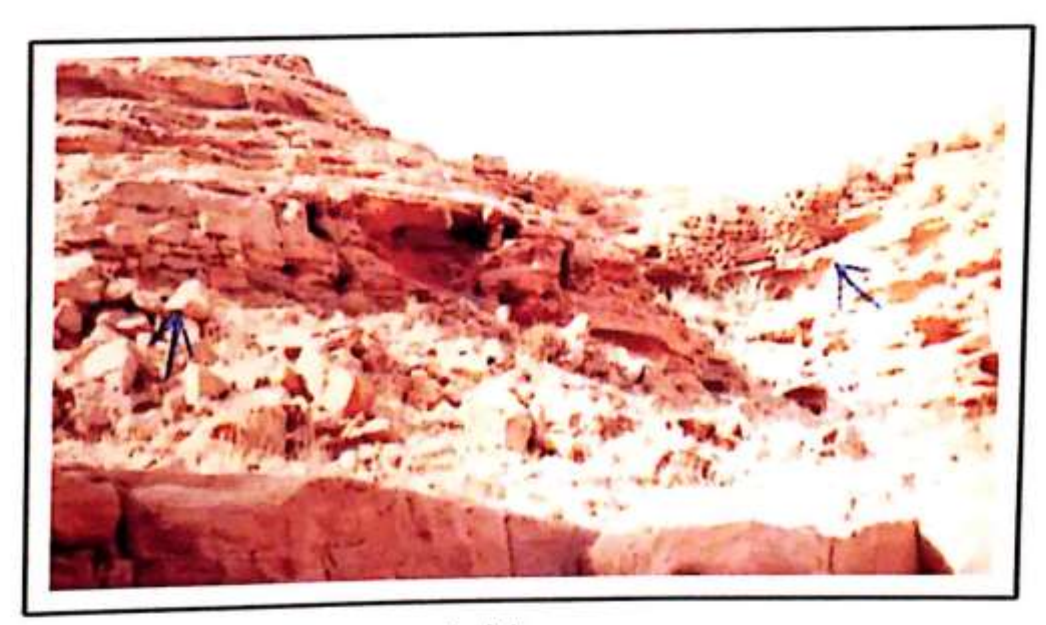
بقايا منزل في حي الطرف بالعيينة



مباني قديمة و حديثة في الجبيلة



درب ظهرة سدحة



درب الطرف



الزراعة التقليدية في العيينة



الزراعة بالأساليب الحديثة في العيينة



الرعي في الحيسية



حوش الخيل (الأثري) بالعيينة قبل طمره عام١٤١٧هـ



لقطة أخري لحوش الخيل (الإسطبل)



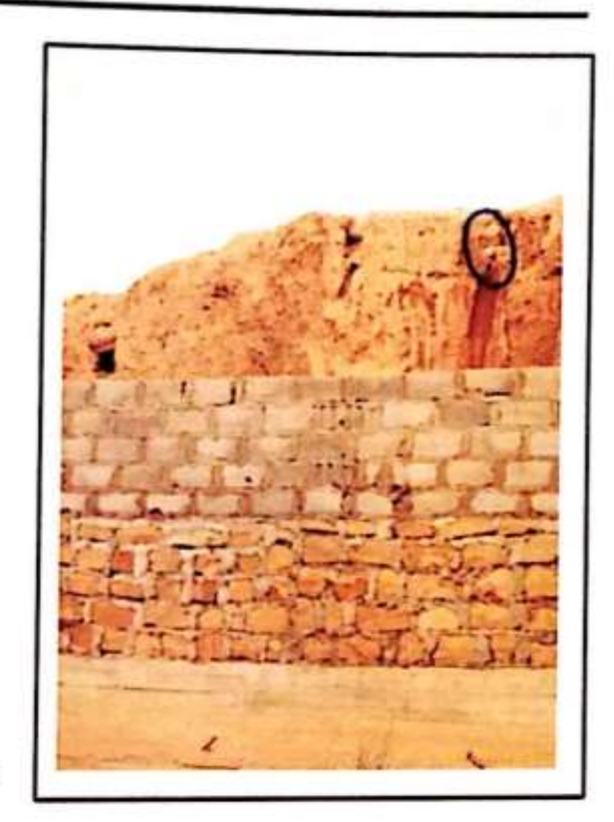
الربيع في روضة عقرباء ١٤١٦هـ



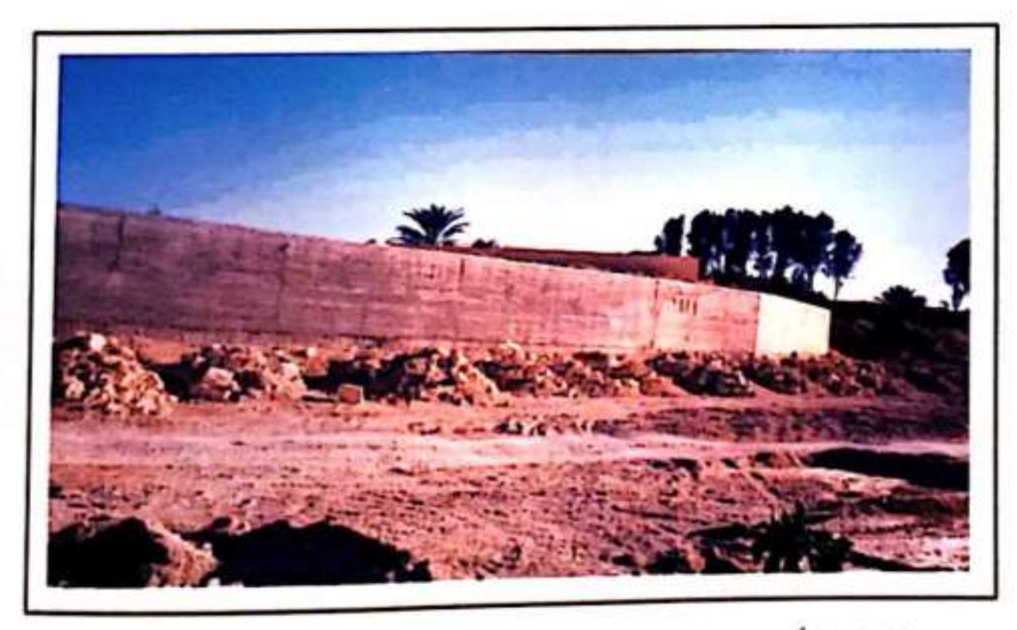
مقبرة الصحابة بالجبيلة



لقطة لمقبرة الصحابة – ويظهر وادي حنيفة



لحود قبور الصحابة
وتظهر جمجمة داخل الدائرة



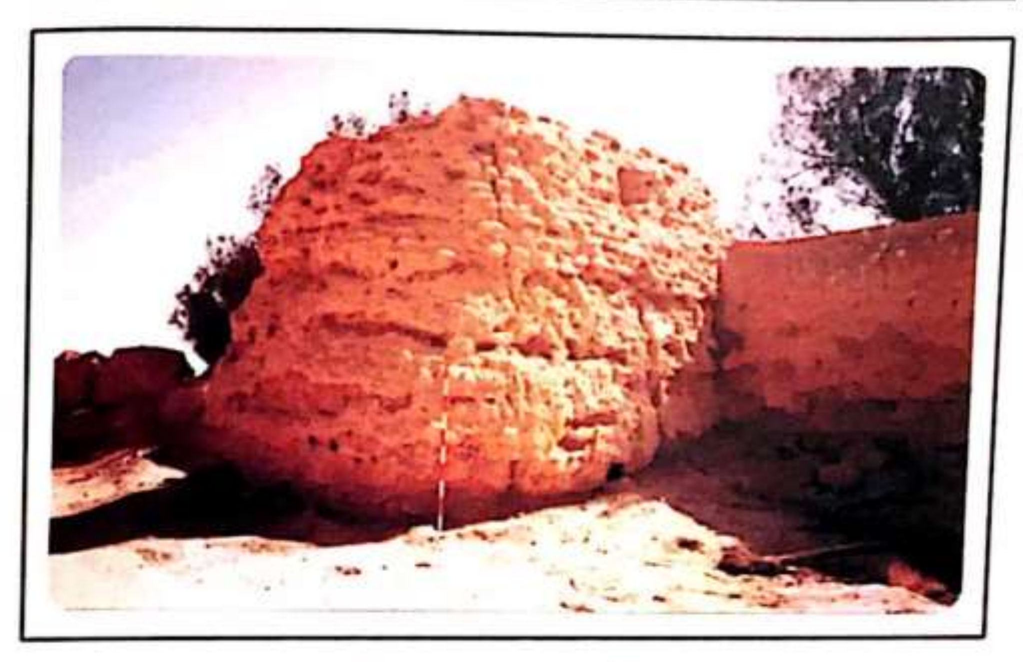
البناء الأخير عام ١٤١٥هـ الذي حافظ على قبور الصحابة



لقطة قبل ٦٠ عاماً للبرج الثاني وسوره في العيينة
(المصدر : فؤاد حمزة)



البرج الثاني بعد ٦٠ عاما عام ١٤١٢هـ قبل هدمه



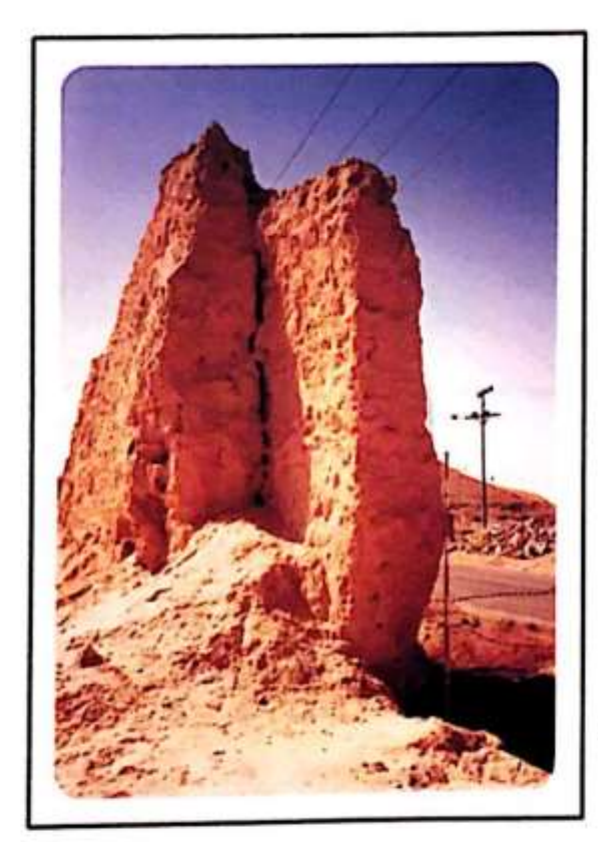
البرج الثالث عام ١٤١٢هـ قبل هدمه



البرجان الثاني والثالث عام١٤١١هـ



البرج الأول و سور معمر عام١٤١٢هـ



لقطة للسور بين البرج الأول والثاني
قبل هدمه عام١٤١٤هـ



أنقاض سور معمر و البرج الأول بعد هدمه عام١٤١٤هـ



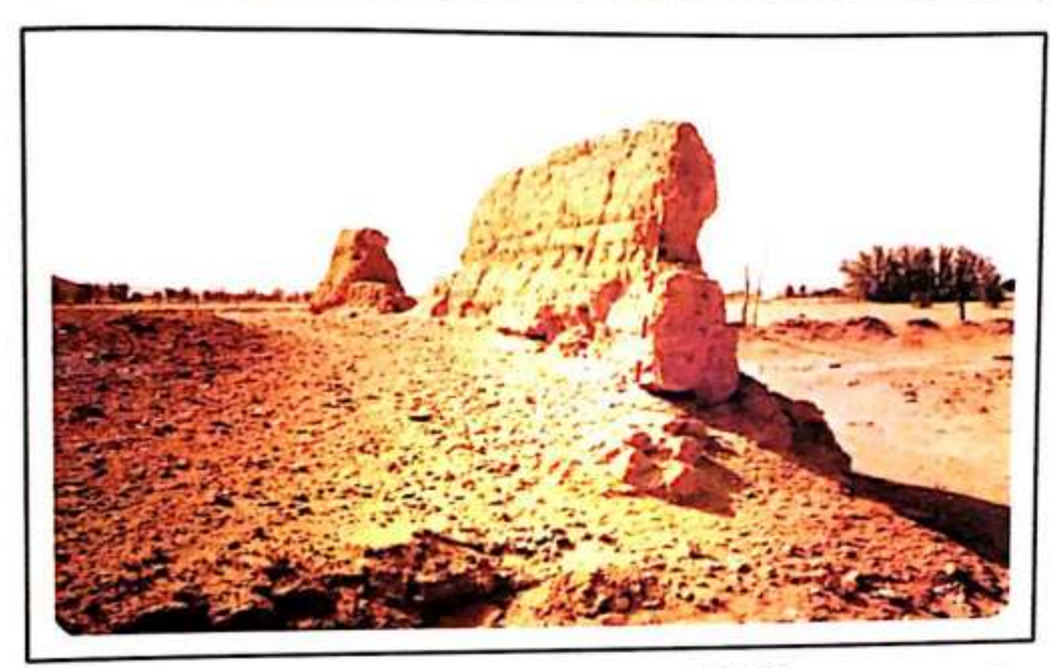
جزء من سور حمد بن عبدالله بن معمر - مزرعة الحديثية



بقايا بوابة المجينينة في سور معمر بن حمد



جزء من سور عبدالله بن معمر أساسه حجري لمرور مسيل العيينة بجانبه



جزء من سور برقة الطرف جنوب وادي حنيفة شرق وادي السويدي



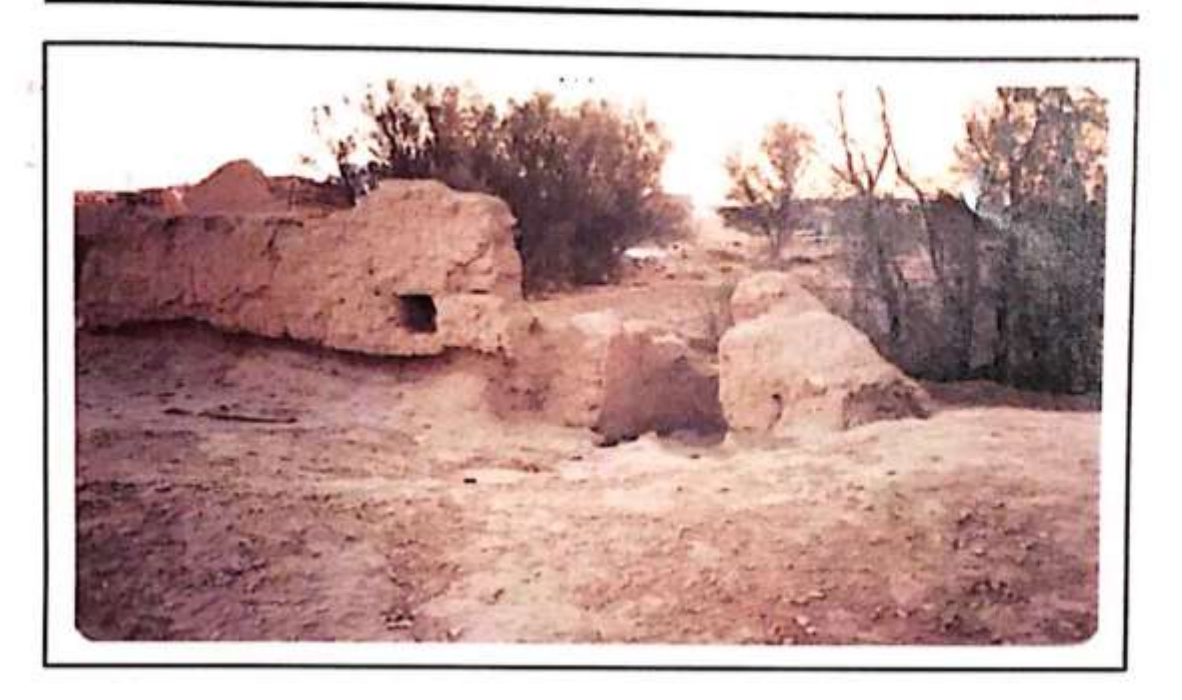
جزء من سور مريطل يطل على وادي حنيفة



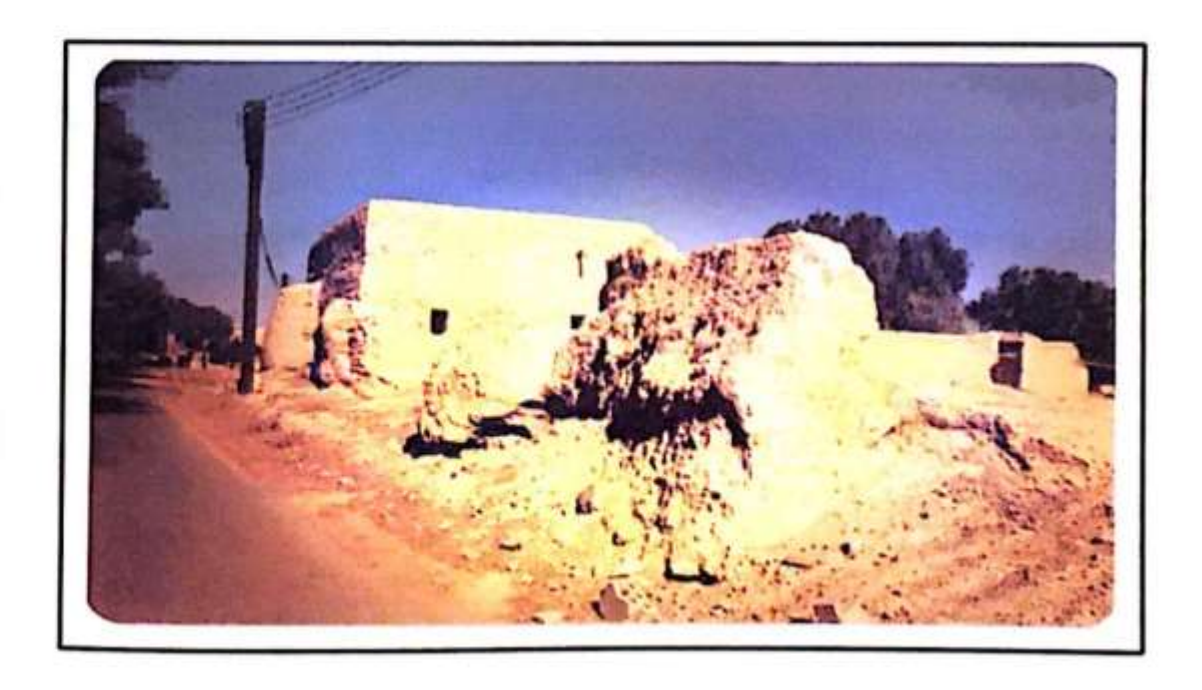
سور برقة جنوب القارة



أحد أبراج سور الجبيلة الشمالي



بقايامحراب و فاغرة في مسجد العيينة القديم



محراب المسجد القديم وفي أقصي الصورة المسجد الأحدث



بقايا قصر عثمان بن معمر عام ١٣٩٦هـ وتبدو القارة



بقايا قصر عثمان بن معمر من جهة الجنوب



جدار عريض -
قصر عثمان بن معمر



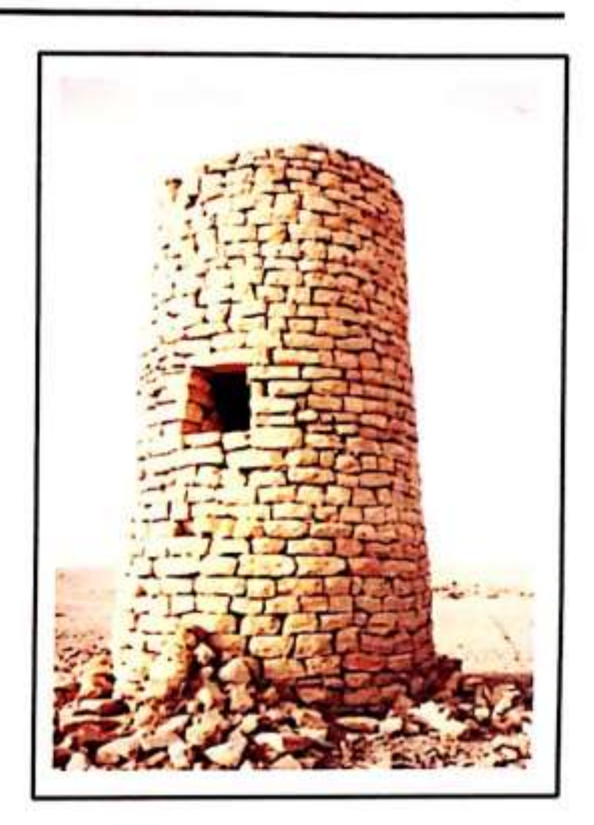
جدار عرضه متران وعشرون سم - قصر عثمان بن معمر



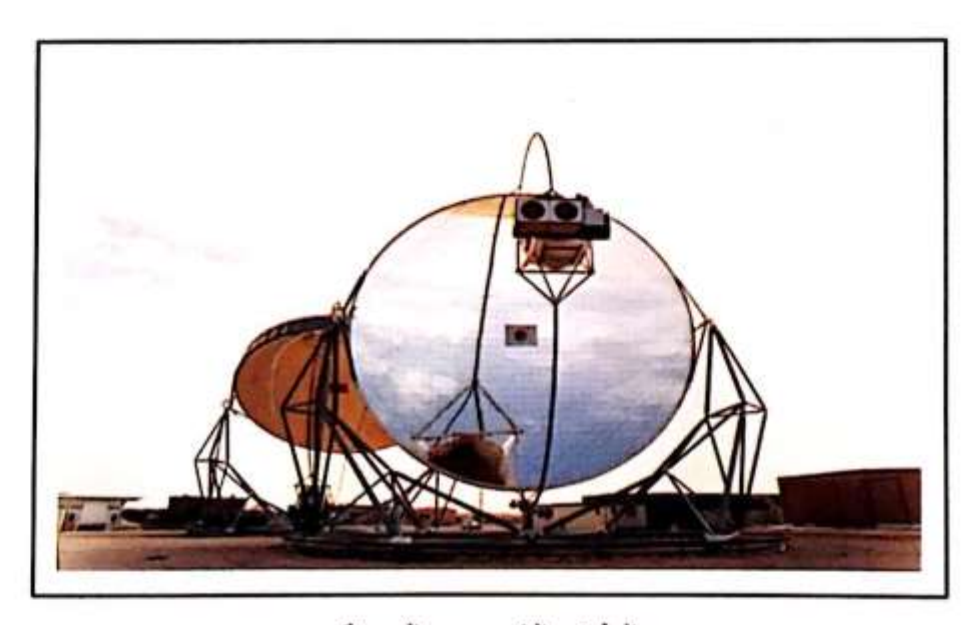
عمود طينية - قصر عثمان بن معمر



بقايا قلعة الجبيلة القديمة



مرقب عقرباء



الطبق الشمسي بالعيينة



المجمع الكهروضوئي - الخلايا الشمسية - بالعيينة



مبني في كلية الملك عبدالعزيز الحربية بالعيينة



مبني شرطة الجبيلة القديم



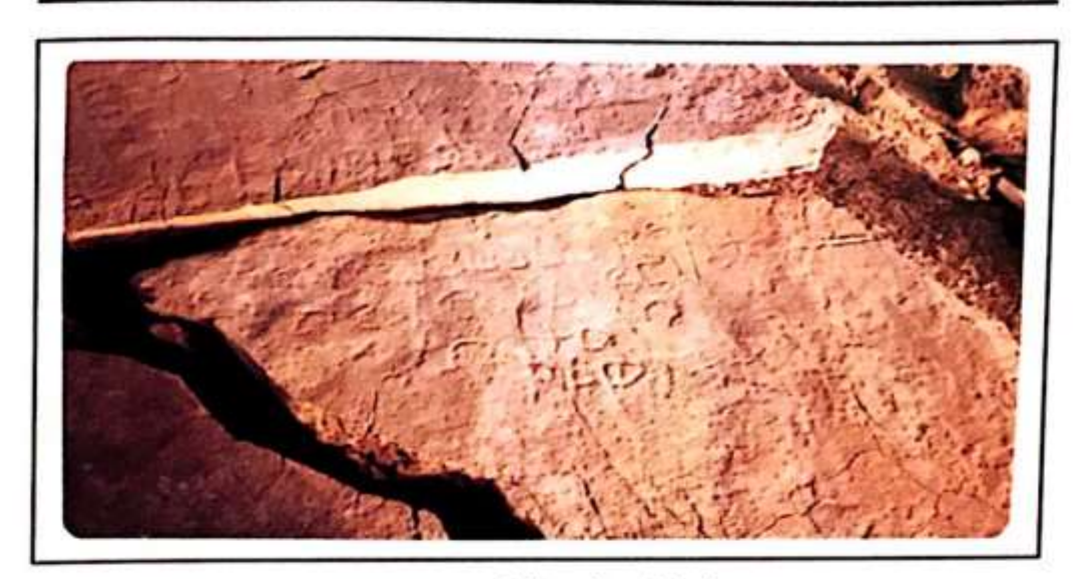
حديقة البلدية بالحيسية



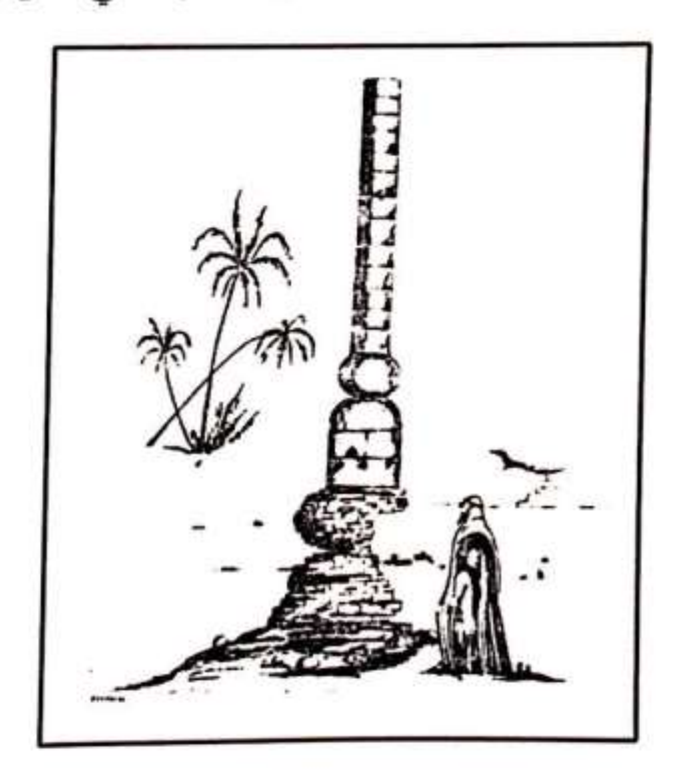
مدرسة بنين بالعيينة



كتابات قديمة بالعيينة



كتابات قديمة في سدوس



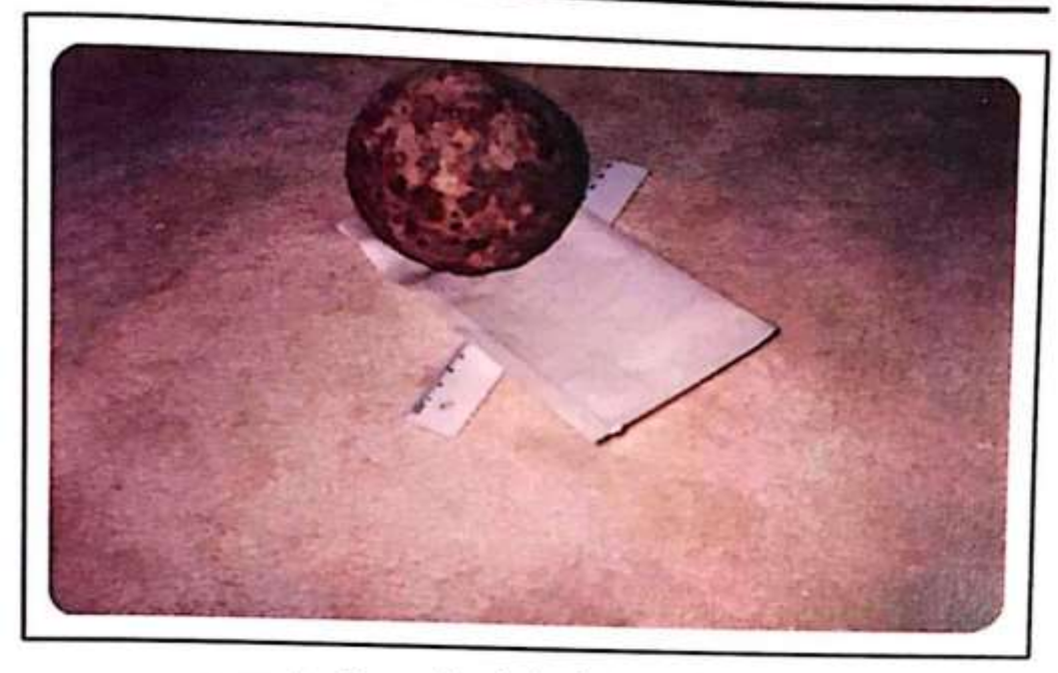
عمود سدوس (المنارة)
(المصدر : لويس بلي)



قارة (الرحّال) بالحيسية



مصب شعيب الدم بالجبيلة



إحدي القذائف التي سقطت علي الدرعية عام ١٢٣٣هـ



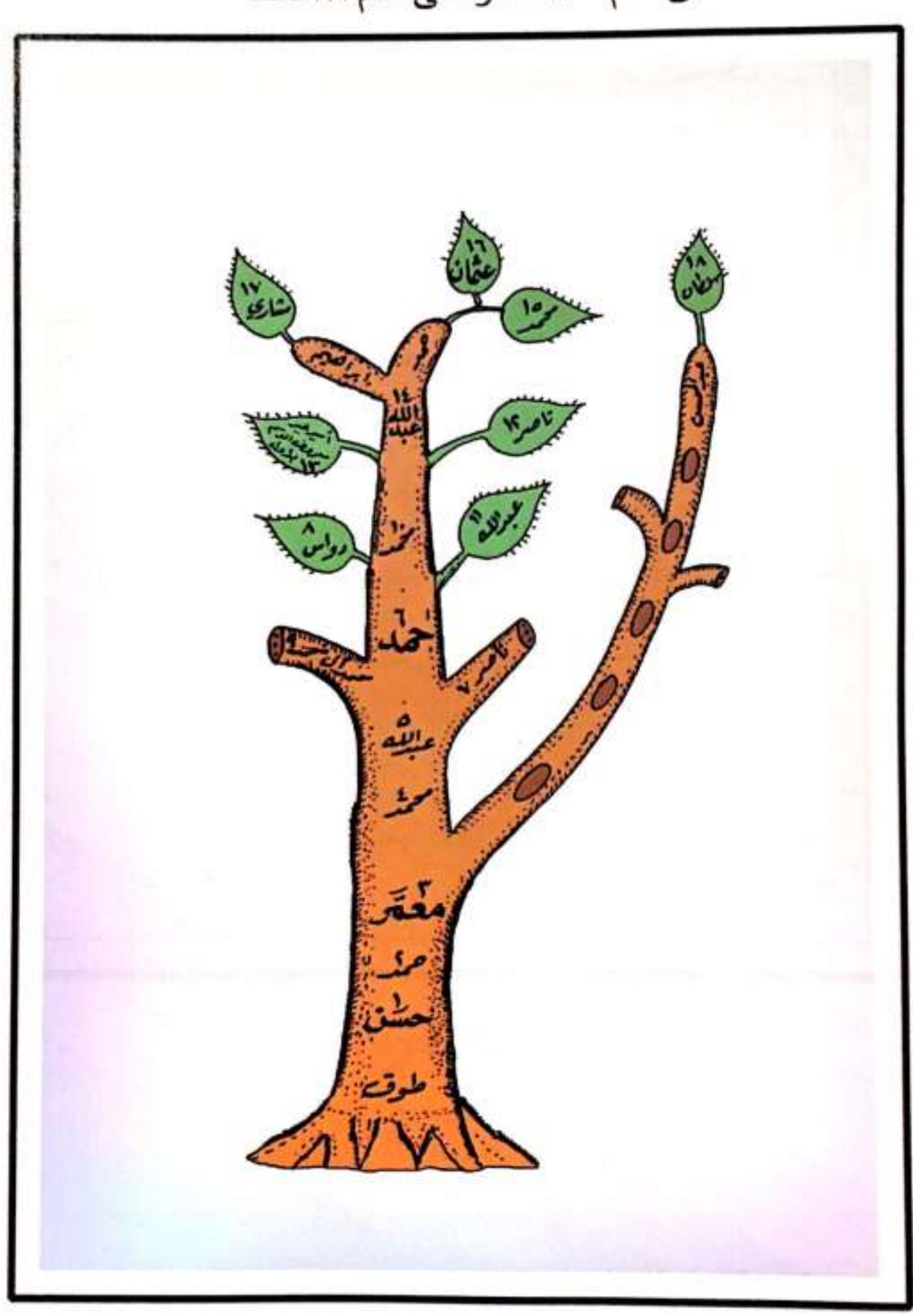
جزء من قصر سدوس (حي البلاد)



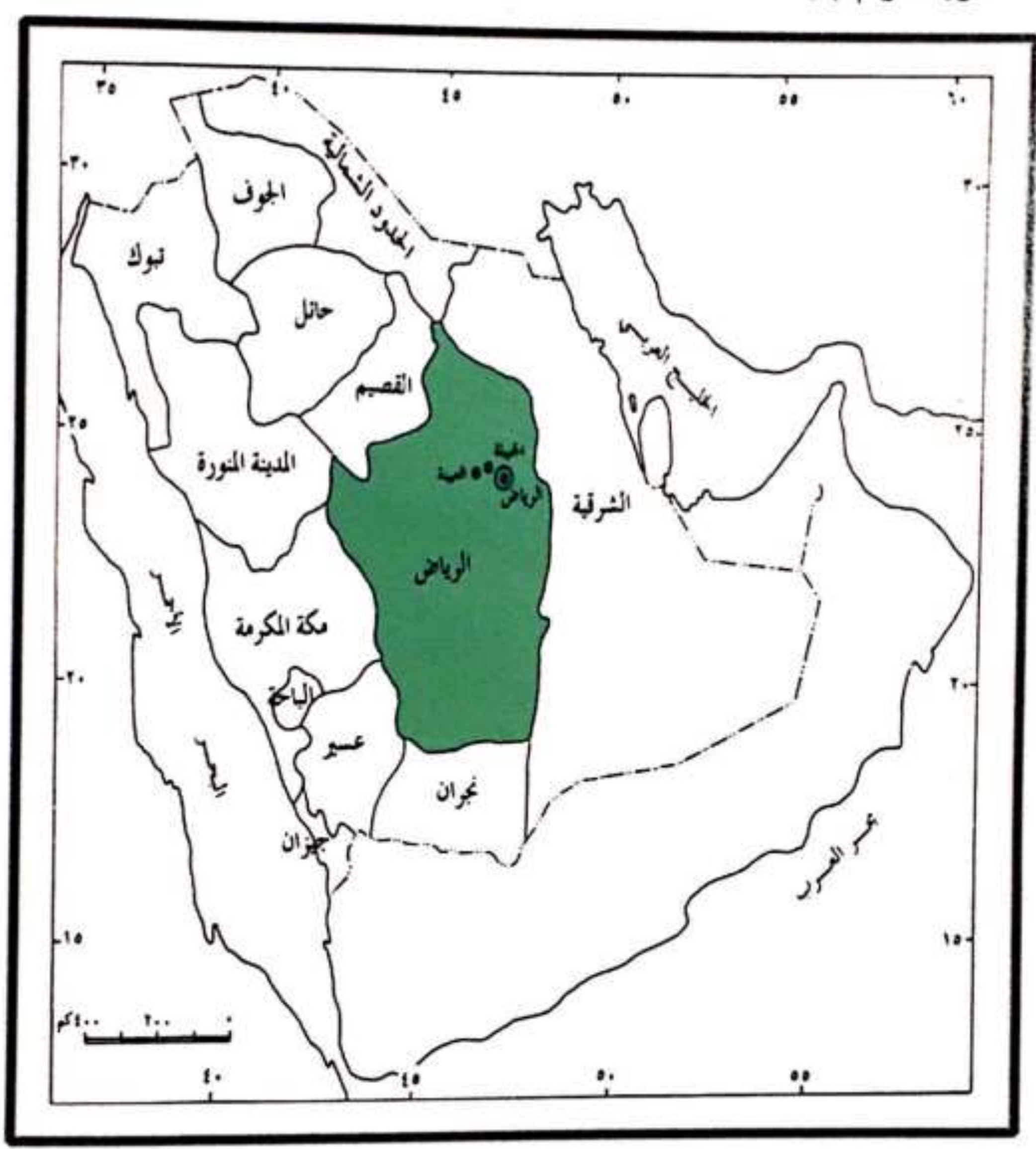
ثالثا : الخرائط و الأشكال

شجرة أمراء العيينة

من عام ٨٥٠هـ وحتى عام ١١٧٣هـ

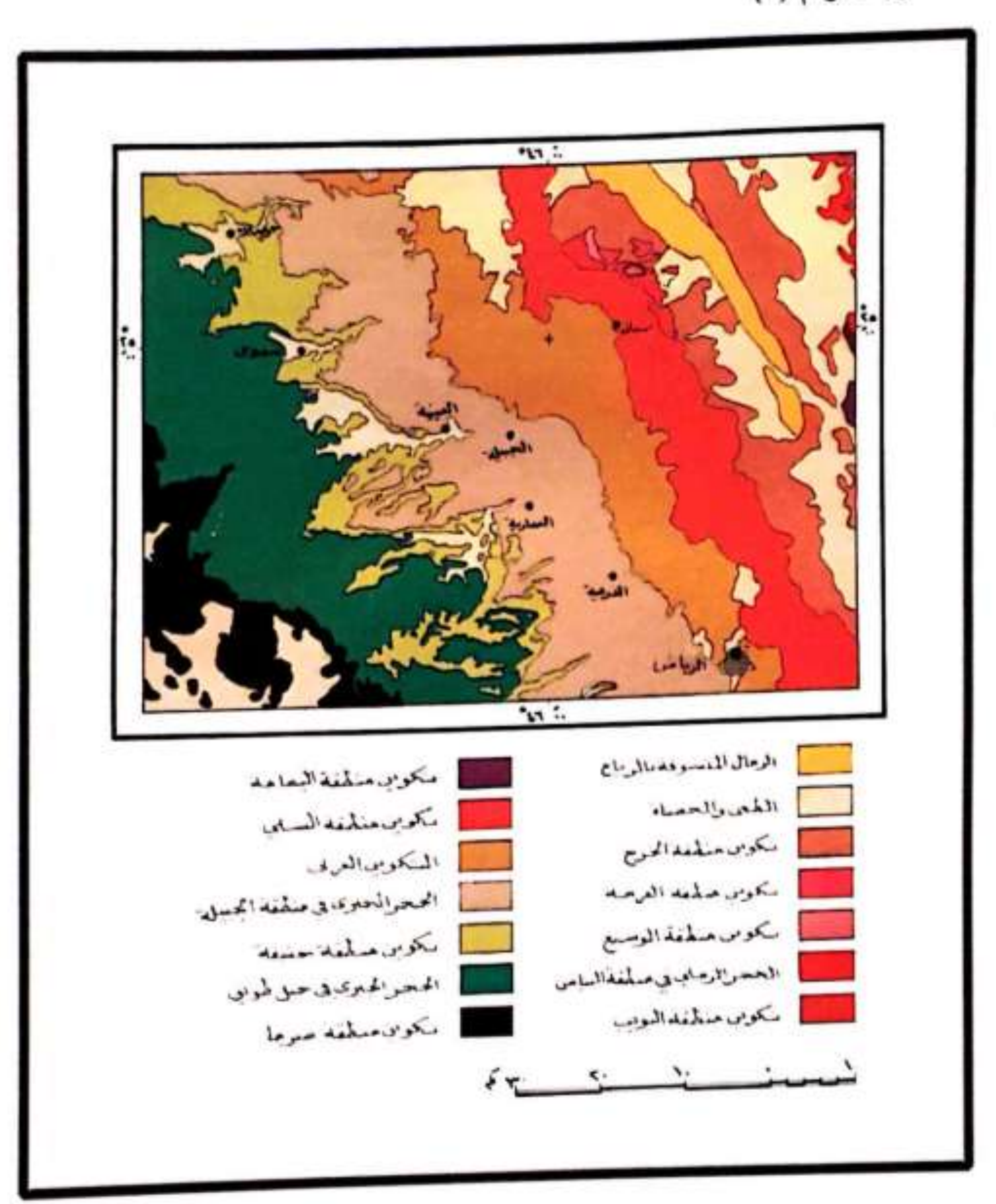


خريطة رقم (١)

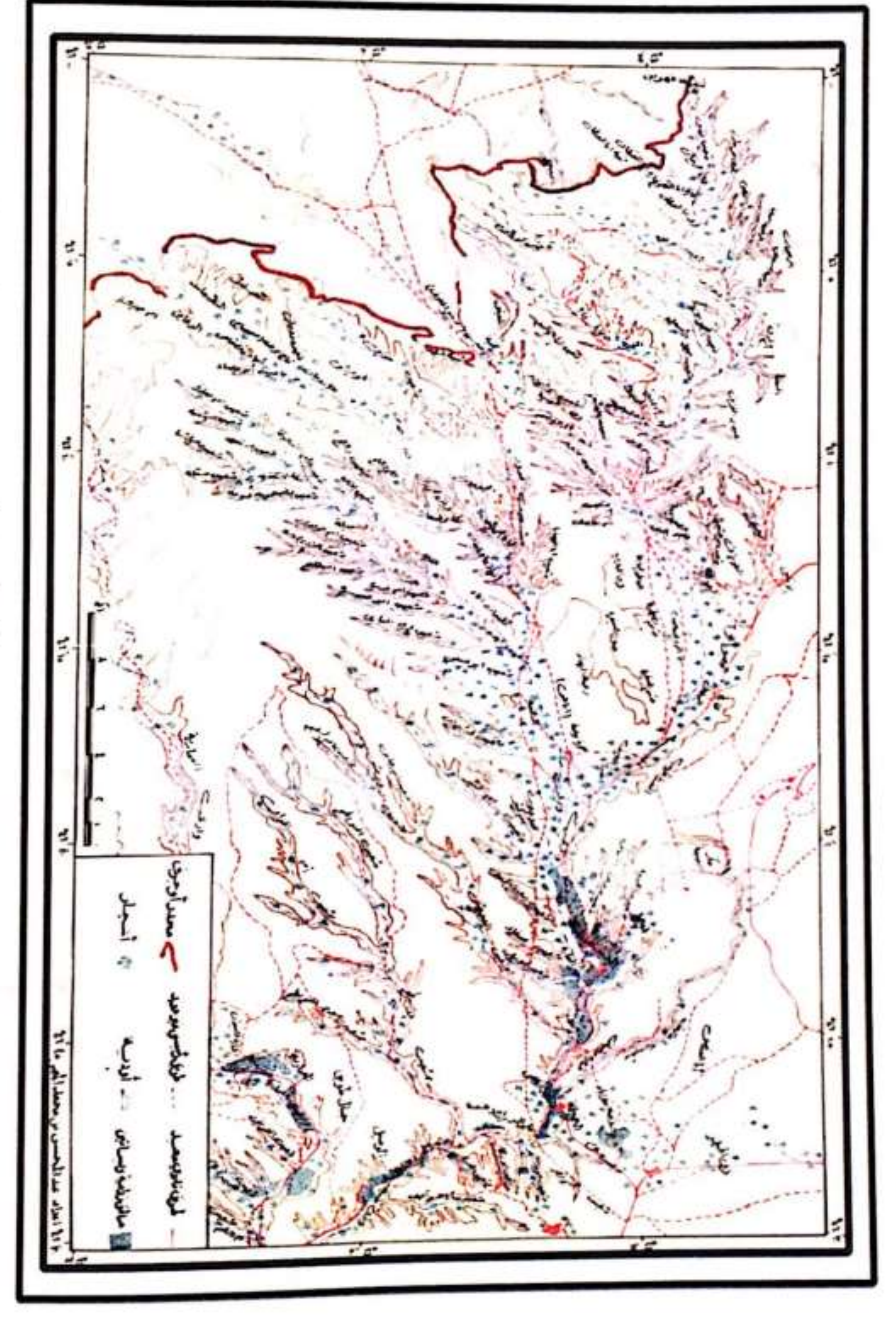


موقع مدينة العيينة

خريطة رقم (٢)



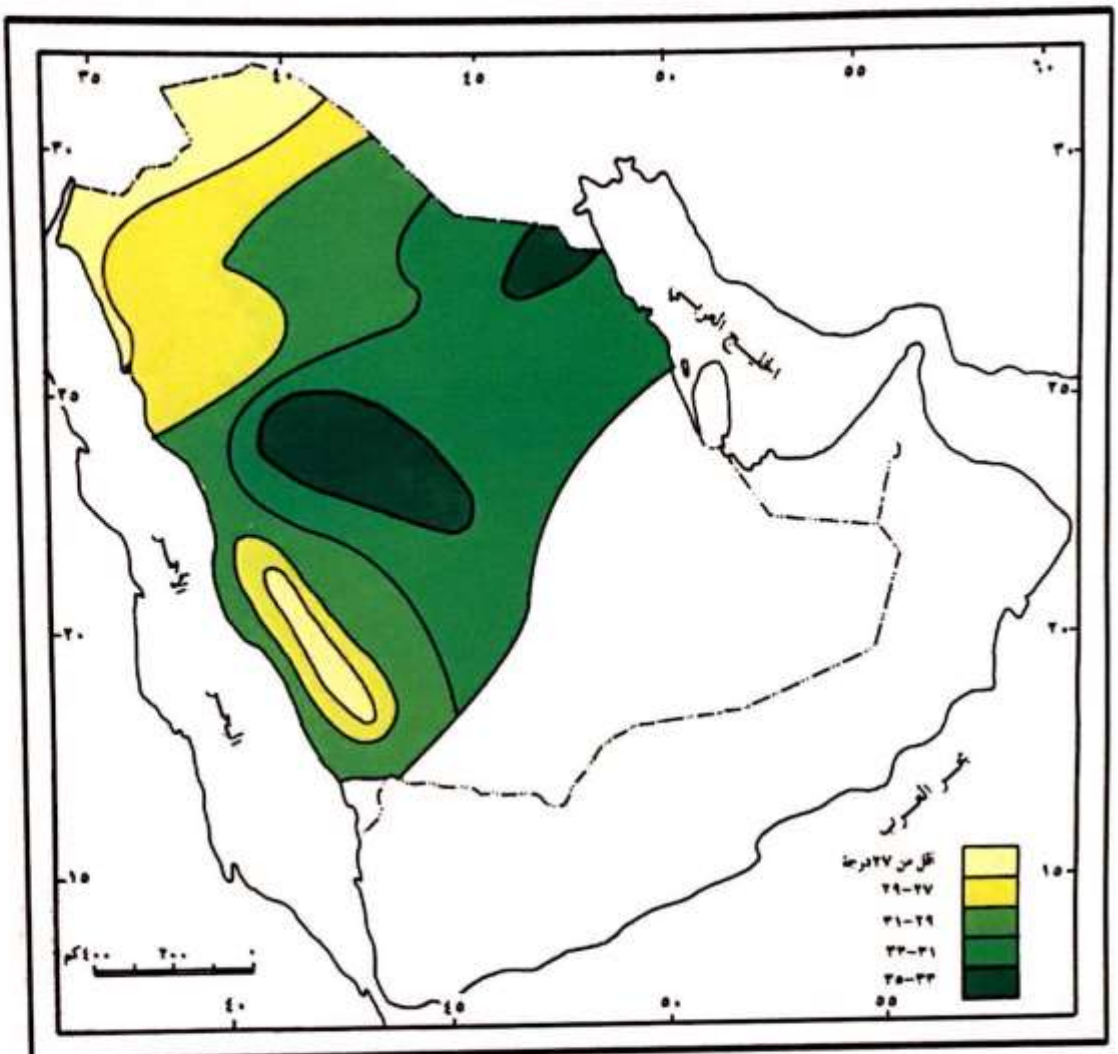
جيولوجية منطقة العيينة و ما حولها



خريطة رقم (٢)

حوض العيينة (الأودية)

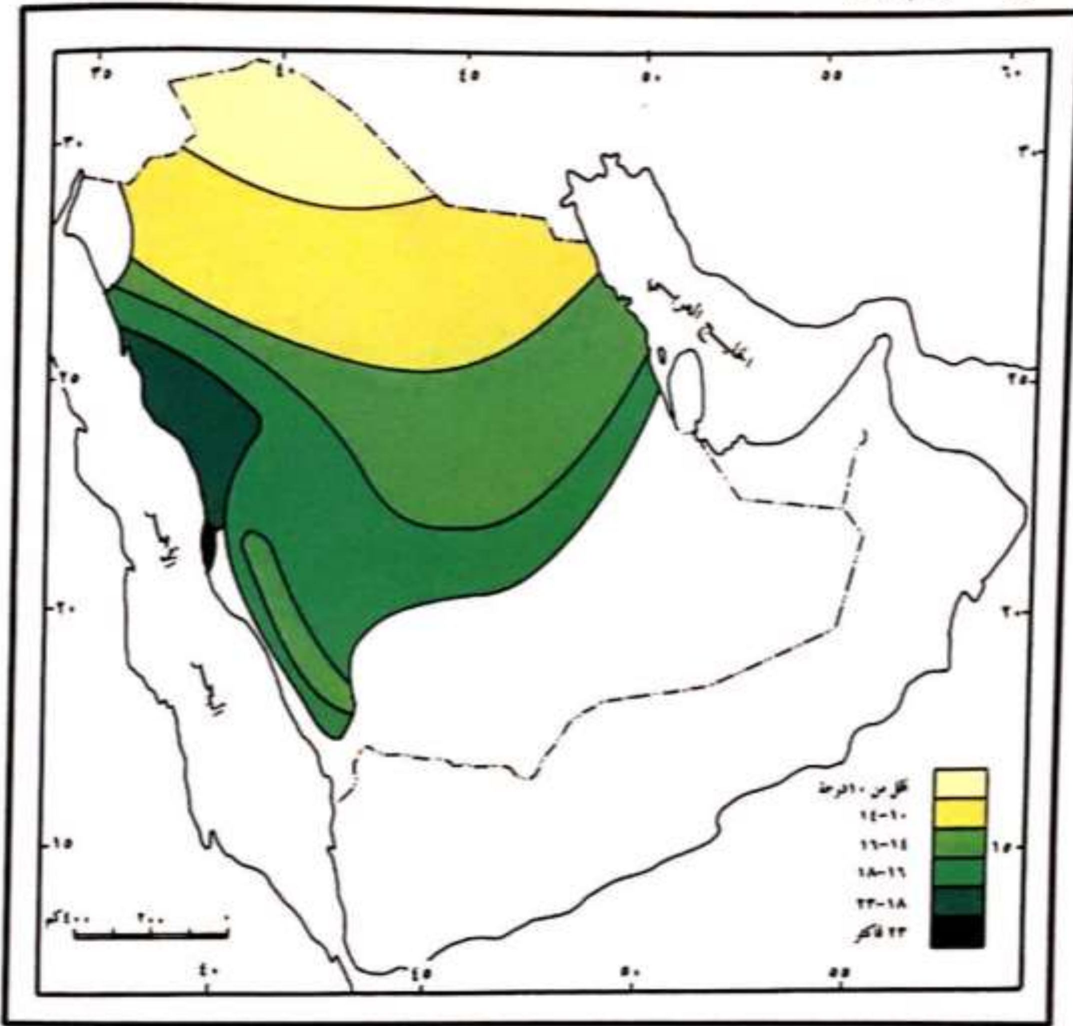
خريطة رقم (٤)



المصدر:أطلس المياة ، وزارة الزراعة و المياة ، المملكة العربية السعودية

خطوط الحرارة المتساوية (معدلات شهور الصيف)

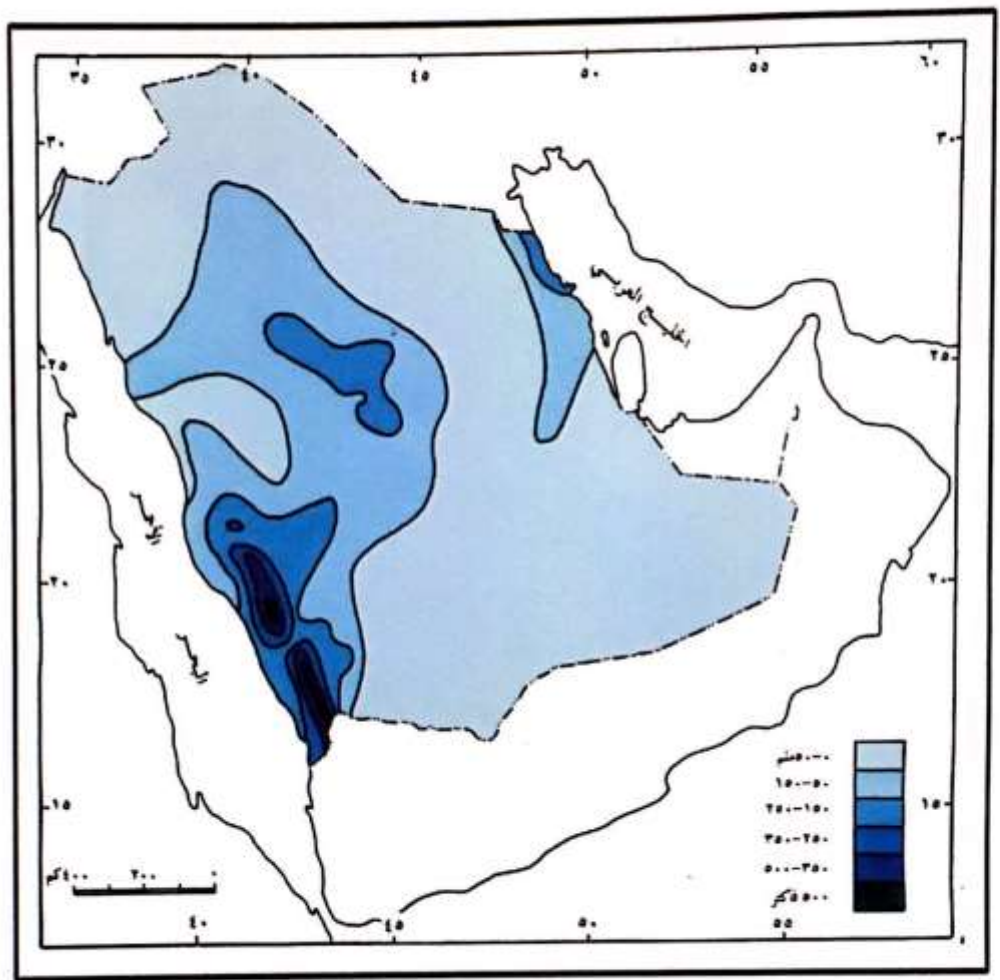
خريطة رقم (٥)



المصدر: أطلس المياة، وزارة الزراعة و المياة، المملكة العربية السعودية

خطوط الحرارة المتساوية (معدلات شهور الشتاء)

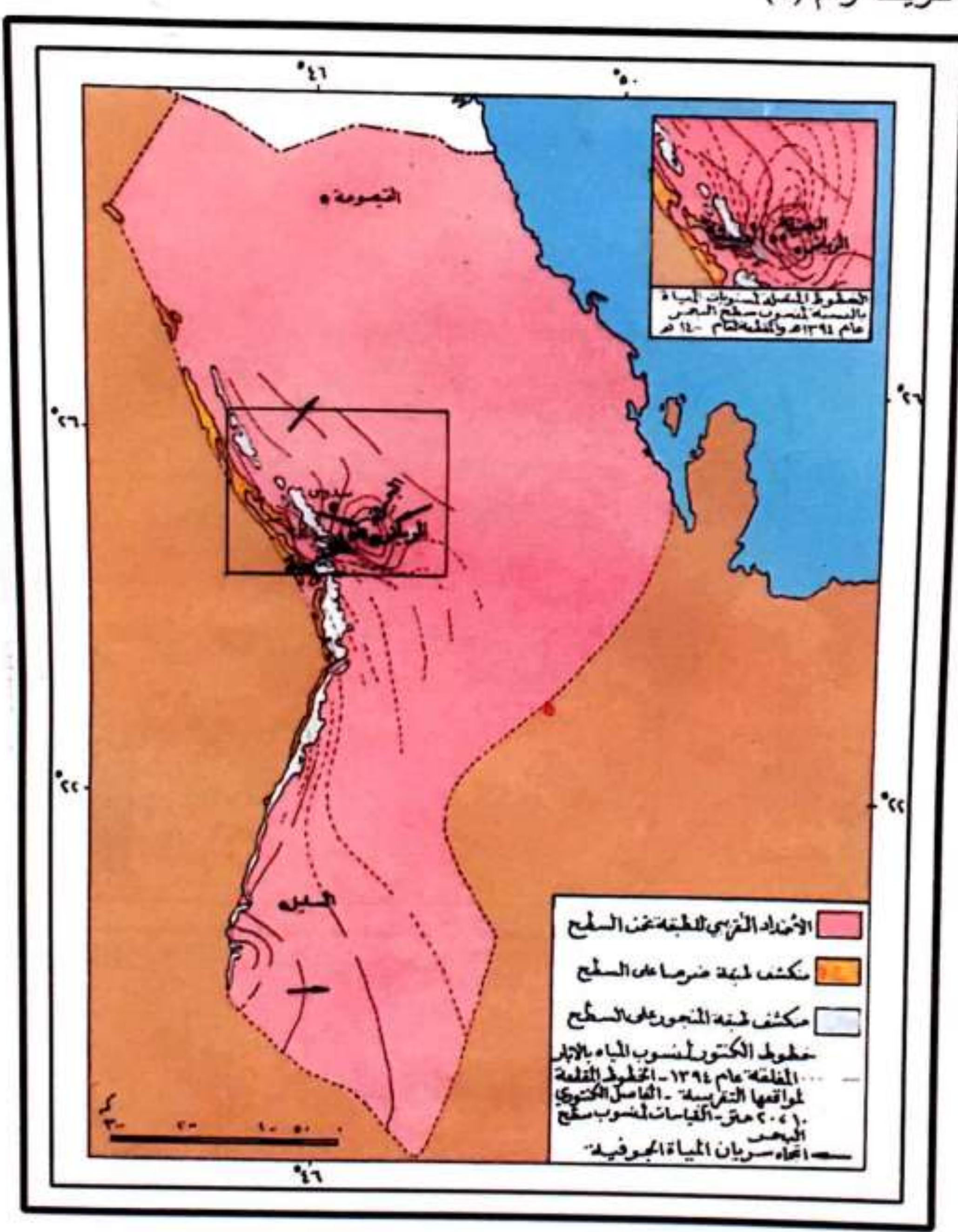
خريطة رقم (٦)



المصدر : أطلس المياه وزارة الزراعة والمياه ، المملكة العربية السعودية

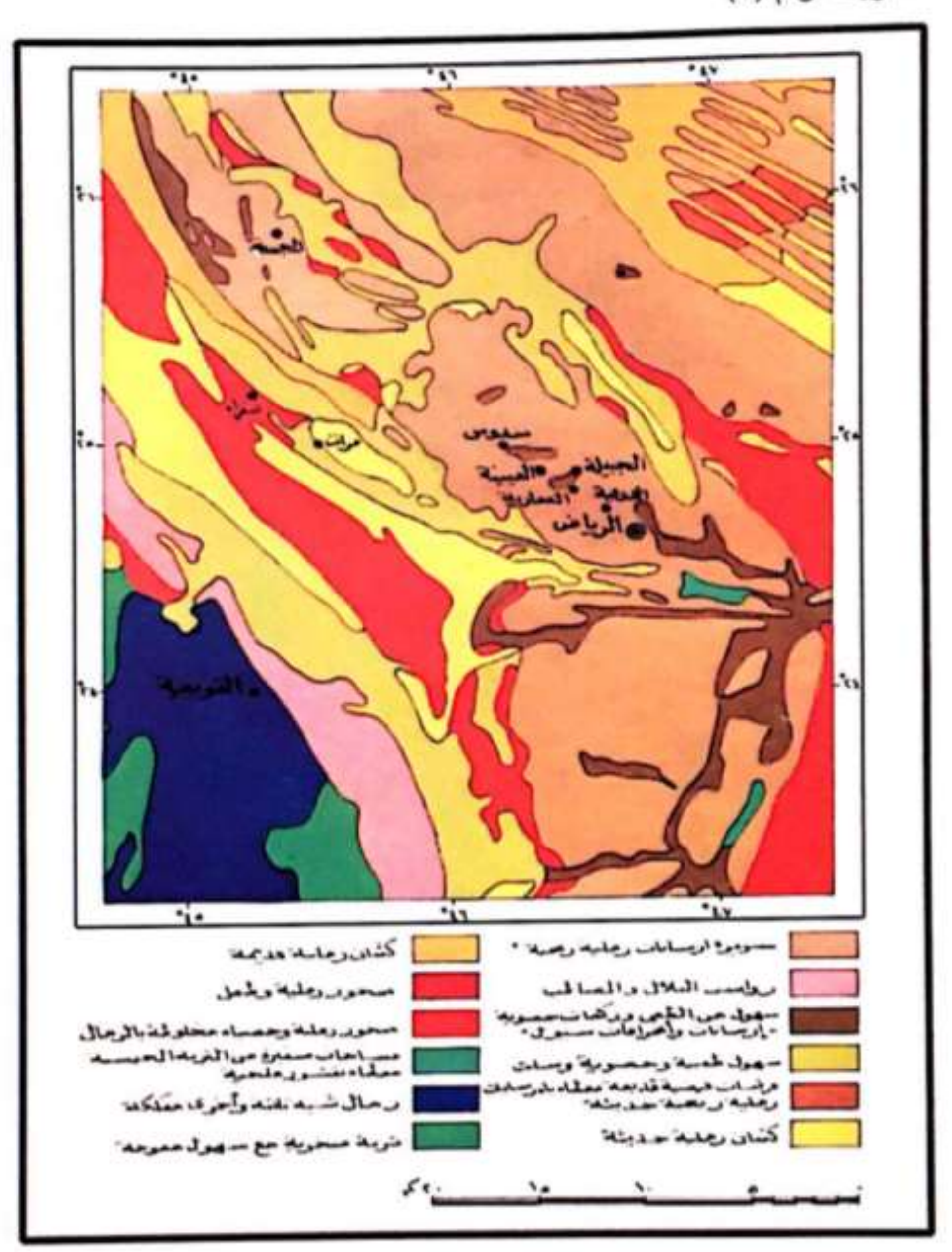
المتوسط السنوي للأمطار

خريطة رقم (٧)



الطبقات الحاوية للمياه الجوفية بالعيينة وماحولها

خريطة رقم (٨)



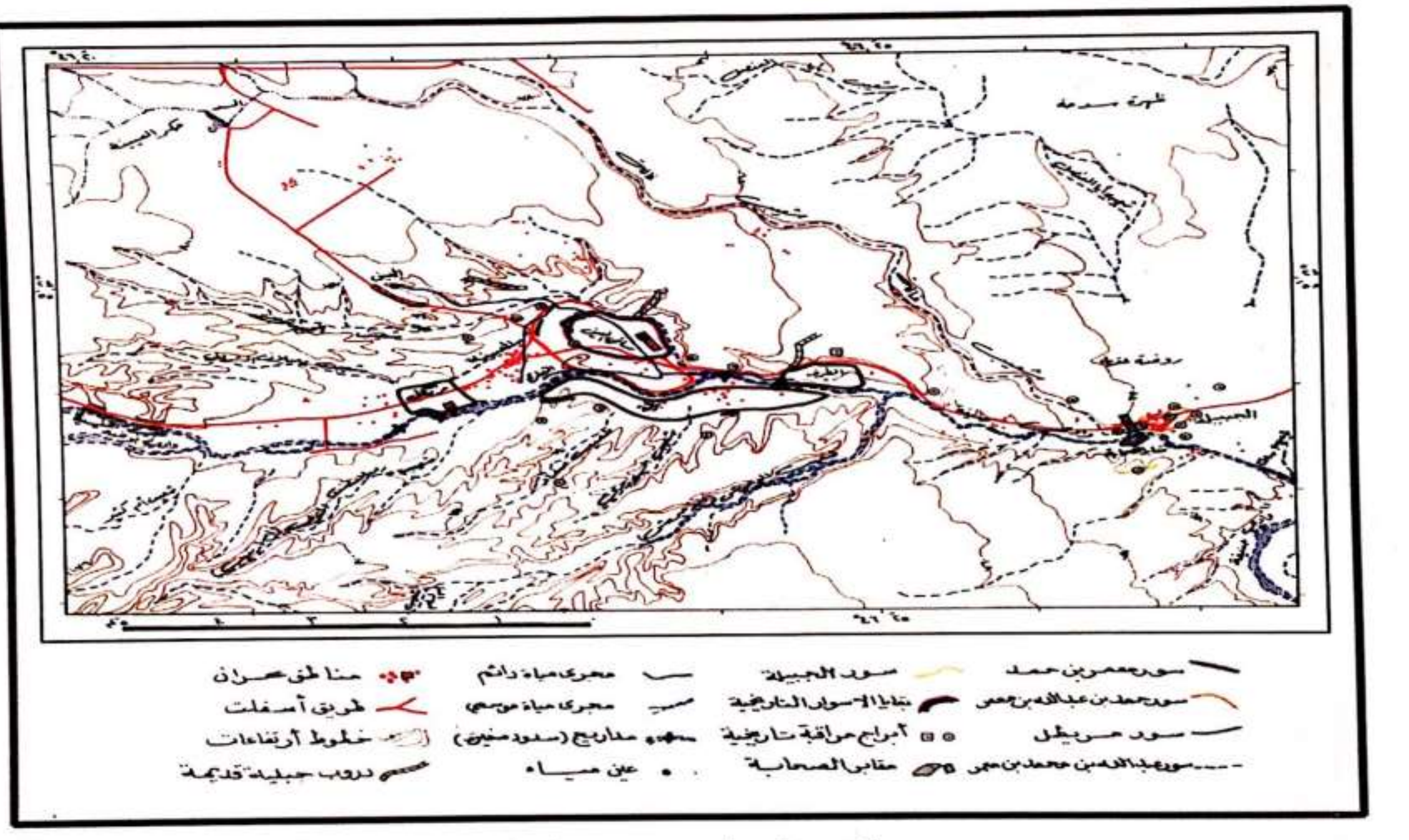
الإرسابات السطحية لمنطقة العيينة وما حولها

خريطة رقم (٩)



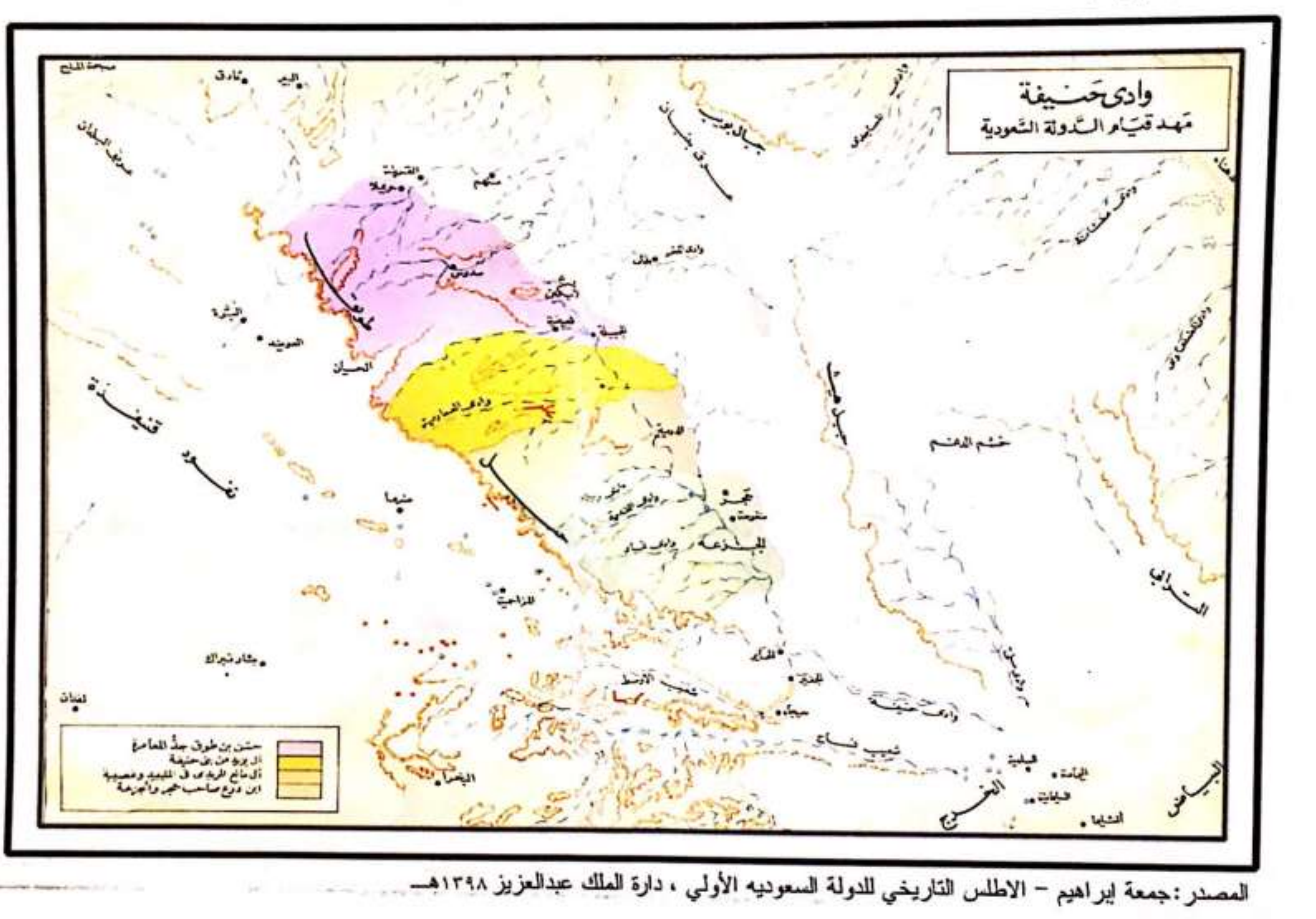
النبات الطبيعي لمنطقة العيينة و ما حوله

خريطة رقم (١٠)



مظاهر السطح في مدينة العيينة والجبيلة

خريطة رقم (١١)



المصدر: جمعة ايراهيم – الاطلس التاريخي للدولة السعوديه الأولي ، دارة الملك عبدالعزيز ١٣٩٨هـ

وادي حنيفة (مهد قيام الدولة السعودية)



نبذه عن المؤلف :

• الاســـم:

عبد المحسن بن محمد بن عبد العزيز بن معمر

• مكان وتاريخ الميلاد :

سدوس ١٣٧٤هـ ١٩٥٥م

• المؤهـــل :

ماجستير في التربية المقارنة والإدارة التعليمية

• العمـــل:

المشرف على الشئون الثقافية والتعليمية بالحرس الوطني

• عضو في الجمعيات التالية:

- الجمعية التاريخية السعودية .
- الجمعية الجغرافية السعودية .
- جمعية اتحاد المؤرخين العرب بالقاهرة .

• الإصـــدارات:

- كتاب سدوس عبر الماضي والحاضر .
- سلسلة أخلاقنا - كتاب الصبر .
- مشاركات وكتابات في صحف ومجلات ودوريات سعودية .

تعد الدراسات الجغرافية والتاريخية والديموغرافية للإقليم العربي بصفة عامة وللمملكة العربية السعودية بصفة خاصة من أهم المسائل في الدراسات الاجتماعية المعاصرة.

وهذا الكتاب يتناول دراسة علمية لمدينة العُيَيْنَة إحدى أهم المدن السعودية.

وقد استندت هذه الدراسة على البحث والكشف النظري والميداني لكل المصادر المعلوماتية التي تثري بها المكتبات السعودية والإقليم محل الدراسة للخروج بدراسة علمية جادة تقف على البيئة الطبيعية والسكانية لمدينة العُيَيْنَة وتعرض لتاريخها منذ ما قبل الإسلام حتى العصر الحاضر مع التركيز على أسرة (آل مُعَمرْ) التي ارتبط اسم هذه المدينة بتاريخهم ودورهم في دعم الدعوة الإصلاحية للشيخ محمد بن عبد الوهاب وفي دعم ومؤازرة المغفور له الملك عبد العزيز لتوحيد أرجاء المملكة العربية السعودية.

وقد تُوُخِي في هذه الدراسة العلمية الموضوعية والتجرد في نقل وتدوين المعلومات البحثية لكي تكون مرجعا أكاديميا لدراسات مستجدة لمدن سعودية أخرى.


ردمك :٢-٥٢٩-٢٤-٩٩٦٠
ISBN : 9960-24-529-2